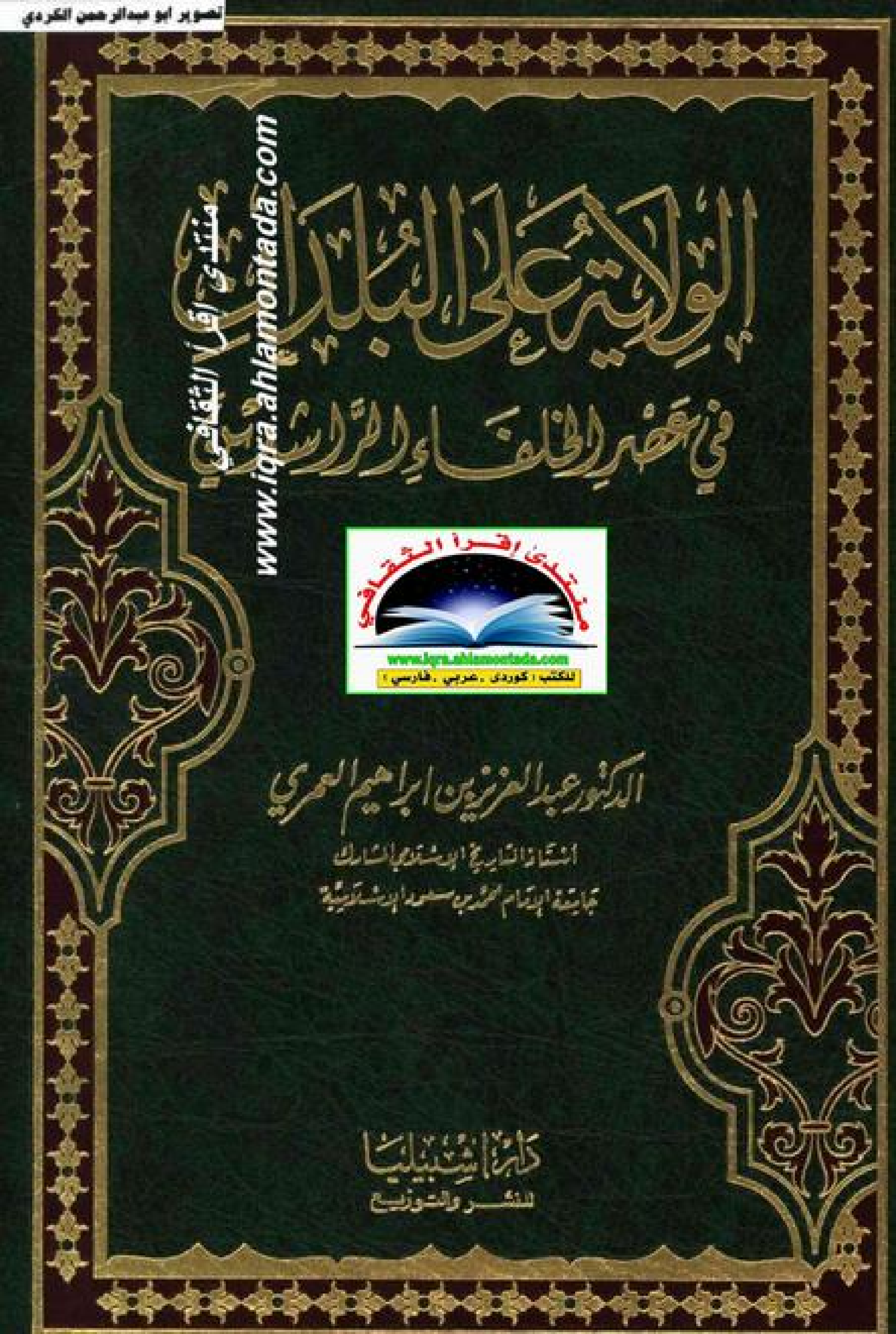


تصوير ابو عبدالرحمن الكردي
www.iqra.ahlamontada.com
منتدى اقرأ الثقافي
الولاية على البلدان
في عصر الخلفاء الراشدين
منتدى اقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com
للكتب : كوردي ، عربي ، فارسي
الدكتور عبد العزيز بن ابراهيم العمري
أستاذ التاريخ المشارك
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
دار اشبيليا
للنشر والتوزيع



الدكتور عبد العزيز بن ابراهيم العمري
أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار إشبيليا
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

ح العمري، عبدالعزيز بن إبراهيم، ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمري، عبدالعزيز بن إبراهيم

الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين – ط٢ – الرياض

٥٦٢ص، ١٧ × ٢٤سم

ردمك: ٩-٨٥٤-٣٨-٩٩٦٠

١- التاريخ الإسلامي – عصر صدر الإسلام ٢- الخلفاء الراشدون

٣- الإسلام والإدارة أ- العنوان

ديوي ٢٥٧,٤ ٢١/٥٢٨٢

رقم الإيداع: ٢١/٥٢٨٢

ردمك: ٩-٨٥٤-٣٨-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

دار إشبيليا للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية - ص.ب: ١٣٣٧١ - الرياض: ١١٤٩٣

هاتف: ٤٧٩٤٣٥٤ - ٤٧٤٢٤٥٨ - فاكس: ٤٧٧٣٩٥٩

المقَـــدِّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ومن دعا بدعوته والتزم بهديه وسار على نهجه إلى يوم الدين، وبعد:

فقد قام الرسول ﷺ بتأسيس الدولة الإسلامية في المدينة المنورة وبدأت هذه الدولة تتسع وتزيد رقعتها تدريجياً، نتيجة انتشار الإسلام في أنحاء الجزيرة العربية، ونتيجة للفتوح التي قادها الرسول ﷺ ثم بعده أصحابه إلى أنحاء المعمورة. فقد أصبحت الدولة الإسلامية تضم العديد من الولايات والبلدان، وبالتالي ظهرت الحاجة إلى إدارة تلك الولايات، وبدأ الرسول ﷺ يعين الأمراء والعمال في مختلف المناطق الإسلامية، بعد أن وضع لهم أساساً للتعامل مع الناس، ولتنظيم تلك الولايات حسب قواعد الشريعة الإسلامية.

وبعد أن توفي الرسول ﷺ تولى من بعده أبوبكر، فكان عليه أن يواجه حركة الارتداد التي قويت شوكتها، وأصبحت خطراً يهدد الدولة الإسلامية الناشئة، وقد بذل الخلفية الراشدي الأول أبوبكر الصديق رضي الله عنه جهوداً مضنية في سبيل إعادة تنظيم الدولة الإسلامية من جديد بعد أن تمزقت معظم أجزائها. وقد نجح أبوبكر رضي الله عنه في إعادة المرتدين إلى الإسلام، كما نجح في تنظيم الدولة الإسلامية من جديد وترتيب شئون الولايَات، وتعيين العمال والأمراء، أو إقرار من كان منهم يعمل منذ زمن الرسول ﷺ.

و لم يكتف أبوبكر بذلك، بل بدأت الدولة الإسلامية في عصره في التوسع عبر أقاليم جديدة، وقد استمرت الدولة في هذا التوسع طيلة عصر الخلفاء الراشدين،

عدا ما حدث من ركود في الفتوح إبان الفتنة التي وقعت بعد مقتل عثمان رضي الله عنه.

ولعل من أهم أسباب البحثِ في موضوع الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين أن الدولة الإسلامية خلال تلك الفترة كانت تتمتع بأسلوب مميز لإدارة الدولة يحتاج إلى رصد معالمه، سواء في مقر الخلافة في المدينة أم في الولايات التابعة لها، والتي كان يديرها ولاة معينون من قبل الخليفة، ويرتبطون به ويتلقون منه التعليمات المختلفة.

كما أن من أسباب اختيار هذا الموضوع الحاجة إلى معرفة ما كان لهؤلاء الولاة من دور كبير في ضبط الحياة العامة للرعية في البلاد التي يتولون عليها، وفي إدارة شئون هذه البلاد أمنياً واجتماعياً واقتصادياً وتعليمياً، بالإضافة إلى دورهم في نشر الإسلام، وعلاقتهم ببعض الأمور الدينية التي يتولونها بأنفسهم أحياناً، كما كان لهؤلاء الولاة حقوق معينة على الرعية وعلى الخلفاء. كما أن البحث في هذا الموضوع يوضح أن أعباء الولاة، وكذلك حقوقهم وواجباتهم كانت تختلف حسب الظروف العامة للبلاد التي يتولونها، وحسب الظروف التي كانت تمر بها الدولة الإسلامية.

وقد تمتعت الدولة الإسلامية في ذلك العصر بحساسية خاصة نتيجة الظروف الشعبية الخاصة لسكان البلاد المحكومة؛ حيث وجدت عناصر مختلفة من السكان المسلمين فاتحين، وذميين أهل كتاب، بالإضافة إلى تحول الكثير من الشعوب إلى الإسلام، كما يتضح أن المسلمين في هذه الفترة بدأوا مرحلة الاستقرار في البلاد المفتوحة، مما زاد من اضطراب الحياة السكانية نتيجة لتجمع قبائل وشعوب مختلفة، وكان من الطبيعي أن يلقي هذا التطور على الولاة مزيداً من الأعباء

والمسئولية في إدارة هذه البلاد وضبها بالرغم من التحولات الجذرية لدى سكان هذه البلاد عقدياً ولغوياً وحضارياً.

كما كان للخلفاء أنفسهم جهود بارزة في متابعة هؤلاء الولاة ومراقبتهم ومحاسبتهم، وقد تطورت نظم الولاية عند هؤلاء الخلفاء وسايرت الظروف المختلفة حسب ما تقتضيه مصلحة الدولة الإسلامية، مع المحافظة على مطابقتها للشريعة الإسلامية بكل عدل وضبط.

وقد أثبت الخلفاء الراشدون وولاتهم من خلال الوقائع التاريخية أن النظام الإسلامي في الحكم والإدارة نظام دقيق شامل لمختلف جوانب الحياة، كما أثبتوا أن هذه الشريعة تقوم على نظام مرن يتكيف حسب الظروف دون المساس بأصولها العامة. ويدل على ذلك كثرة اجتهاد الخلفاء والولاة في العديد من القضايا الحادثة في زمانهم، وكذلك استفادتهم من النظم السابقة لهم في فارس والروم فيما يتفق مع الشريعة وإقامة العدل، وهذا -بدوره- أبرز مفاهيم جديدة تجمع بين الالتزام بالقواعد الشرعية والتلاؤم المنطقي مع الواقع.

ولا شك أن هذا التطور الحضاري كان في حاجة إلى رصد وتحليل.

كما أن هذه الدراسة حاولت -من جانب آخر- التعرف على أوضاع أهم الولايات الإسلامية خلال عصر الخلفاء الراشدين، ودراسة أبرز الولاة رما قاموا به من أعمال، والتعرف على الظروف والملابسات التي صاحبت تعيين بعض الولاة أو عزلهم، ولا سيما هؤلاء الذين حاول بعض المؤرخين والكتّاب تشويه صورهم؛ خصوصاً إذا علمنا أن معظمهم كانوا من الصحابة، وكان من أشهر أولئك المتهمين ولاة عثمان، الذين حاولت جهدي أن أمحص ما نسب إليهم من وقائع.

وقد وجد لكل خليفة من الخلفاء أسلوبه المميز في إدارة الدولة وفي التعامل مع هؤلاء الولاة، كما أن لكل والٍ أسلوباً مميزاً واجتهادات مختلفة وإنجازات متباينة، حاولت إبرازها من خلال البحث.

وأحب أن أضيف هنا أن الموضوع -بالإضافة إلى كل هذا- يهدف إلى تزويد المكتبة التاريخية ببحث يتناول الجهود التي بذلت في عصر الخلفاء الراشدين من قبل الخلفاء والولاة في سبيل إدارة البلدان ومعرفة الأسس التي ساروا عليها، وحسب اطلاعي، فإن هذا الموضوع إنما تحدث عنه بعض الكتّاب المحدثين من خلال كتاباتهم الإدارية العامة للدولة الإسلامية، ومع ذلك فإن الكثير ممن تعرضوا لبعض تلك القضايا كانت كتاباتهم عامة وغير مؤصلة علمياً، ونقل بعضهم عن بعض في الغالب دون التأكد من صحة الروايات التي تناقلوها أو التثبت من مصادرها في كثير من الأحيان.

وقد حاولت جمع المادة العلمية التي كانت منتشرة في ثنايا الكتب المختلفة التاريخية والشرعية وغيرها، والتي تتطلب في كثير من الأحيان قراءة أجزاء كبيرة من بعض الموسوعات للبحث عن حادثة يمكن الاستشهاد بها في قضية إدارية، كما أن التناقض الغريب في بعض الروايات كان يشكل عبئاً علمياً يدفعني إلى بذل المزيد من الجهود لمحاولة معرفة الروايات الصحيحة، خصوصاً ما كان منها يمس الصحابة أو الخلفاء الراشدين بصفة مباشرة،والتي كنت أحاول التوقف عندها كثيراً، كما أن الولاة على البلدان أنفسهم كانوا هم قادة الجهاد، وبالتالي فإن المصادر التاريخية كانت تركز على قضايا الجهاد والفتوح، وتهمل الجوانب الإدارية وتدرجها ضمناً، مما يتطلب البحث عن تلك القضايا بدقة أكثر.

وأهـــم المصـــادر في هذا البحث القـــرآن الكريم وكتب الحديث وشروحها.

كما استفدت بصفة مباشرة من كتب التاريخ المختلفة، وعلى رأسها كتاب تاريخ المدينة (لعمر بن شبة) وهو من أهم المصادر لعصر الخلفاء الراشدين، ويحتوي على العديد من الروايات المهمة، وكتاب التاريخ (لخليفة بن خياط) وهو من أهم المصادر التاريخية، وكذلك كتاب تاريخ الأمم والملوك (للطبري) والكامل (لابن الأثير) والبداية والنهاية (لابن كثير) وغيرها من الموسوعات التاريخية. كذلك فإن كتب الخراج والأحكام السلطانية والنظم الإسلامية أفادت كثيراً في هذا البحث، وعلى رأسها كتاب الخراج لأبي يوسف والأموال (لأبي عبيد القاسم بن سلام) والأحكام السلطانية (للماوردي) وكذلك الحسبة في الإسلام وكتاب السياسة الشرعية (لابن تيمية)، إضافة إلى بعض الكتب الحديثة والمؤلفة في موضوعات النظم الإسلامية.

كما أن كتب الرجال والطبقات كانت من أهم المصادر لهذا البحث، وعلى رأسها: الطبقات الكبرى (لابن سعد) وأسد الغابة (لابن الأثير) وما كتبه (الذهبي) وخصوصاً سير أعلام النبلاء، وغير ذلك من كتب الرجال وكتب الأنساب والتراجم وغيرها.

كما أن كتب الفتوح قد أفادت كثيراً في هذا البحث، وعلى رأسها فتوح البلدان (للبلاذري) وفتوح الشام (للأزدي)، وفتوح مصر وأخبارها (لابن عبدالحكم) وغيرها.

وكذلك فإن العديد من كتب الحضارة والأدب أفادت في هذا البحث خصوصاً في نقل نصوص الرسائل أو الخطب المنسوبة لذلك العصر.

ويتكون هذا الكتاب من تمهيد وستة فصول.

وقد عالجت في التمهيد (مصطلح الولاية) وقارنت بين كلمة أمير وعامل

ووال، واستخدامات كل منها، ثم تحدثت عن الولاية على البلدان قبل الإسلام، سواء في بلاد العرب أو في بلاد فارس والروم، وتحدثت عن الإمرة في الإسلام ومكانتها الشرعية، ثم انتقلت إلى الحديث عن الولاية على البلدان في العصر النبوي، وأهم الولايات في ذلك العصر، وأبرز ولاة البلدان في عصر الرسول ﷺ.

أما الفصل الأول، فكان موضوعه:الولاية على البلدان في عصر أبي بكر الصديق، وتحدثت فيه عن تقسيم الولايات في عصر أبي بكر، وأهم الولايات القائمة في ذلك العصر، وتطرقت إلى ولايات الحجاز، ثم ولاية البحرين، ثم ولاية عُمان وولاية نجد، ثم ولايات اليمن وحضرموت، ثم ولاية العراق وولايات الشام.

ومن خلال دراسة هذه الولايات تعرضنا للولاة الذين كانوا يقومون بشئونها، وأهم الإنجازات لكل وال منهم على حدة، والظروف العامة لكل ولاية من هذه الولايات، ثم تحدثت عن الملامح العامة لنظام الولاية على البلدان في عصر أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

أما الفصل الثاني، فقد عالجت فيه الولاية على البلدان في عصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد تحدثت فيه عن أقسام الولايات في عصره بادئاً بولاية الحجاز، ثم ولايات اليمن والبحرين ومصر، ثم ولايات الشام التي من أهمها حمص والجزيرة والأردن وفلسطين، ثم تحدثت بعد ذلك عن ولايات العراق وفارس، بادئاً بولاية البصرة ثم الكوفة ثم المدائن وأذربيجان. وخلال الحديث عن هذه الولايات ترجمت لولاتها الرئيسيين، وعرفت بأهم أعمالهم وإنجازاتهم، وما تمتعوا به من صفات خاصة، وتحدثت عن علاقة كل منهم بالخليفة، وتعرضت للظروف الخاصة بتعيين أو عزل كل واحد من هؤلاء الولاة، خصوصاً العزل الذي كان

بناءً على تهم موجهة ضد الولاة، أو العزل الذي أثار حوله بعض الكتّاب شكوكاً معينة.

وبعد ذلك تحدثت عن تعيين الولاة في عهد عمر وأسلوبه الخاص في اختيارهم، وما يتطلبه في الولاة من شروط مسبقة، ثم انتقلت بعد ذلك إلى سياسة عمر بن الخطاب مع الولاة في عصره، وما تميز به عمر في هذا الجانب، وبخاصة أن عهد عمر تميز بطوله إذا ما قورن بعهود الخلفاء الراشدين الآخرين، وبالتالي برزت معالم خاصة للسياسة التي تميز بها عمر بن الخطاب عن غيره من الخلفاء الراشدين.

وأما الفصل الثالث، فقد كان عن الولاية على البلدان في عصر عثمان بن عفان رضي الله عنه، وتحدثت فيه عن الولايات في عهده، ومنها مكة المكرمة والمدينة المنورة والبحرين واليمامة وحضرموت، وانتقلت بعد ذلك إلى ولايات الشام وأرمينية ومصر والبصرة والكوفة، وتعرضت من خلال الحديث عن الولايات إلى الأشخاص الذين تولوها، وما نسب إليهم من إنجازات أو ما اتهموا به من تهم، وخصوصاً ولاة الشام والعراق ومصر، حيث إن تاريخ ولاة عثمان في هذه المناطق قد شوه إلى حد كبير، وقد حاولت جهدي معرفة الحقيقة فيما نسب إليهم من أفعال، وتعرضت بعد ذلك إلى سياسة عثمان مع الولاة في عهده، وانتقلت من ثم إلى دور الولاة في إدارة الدولة الإسلامية في عصر عثمان رضي الله عنه، وأهم إنجازاتهم، ثم تحدثت عن أثر الولاة في أحداث الفتنة، وهي الأحداث التي أدت إلى استشهاد عثمان رضي الله عنه. وقد حاولت جاهداً أن أصل إلى الحقيقة فيما نسب إلى هؤلاء الولاة من قبل أصحاب الفتنة ومن سار على نهجهم.

أما الفصل الرابع، فكان موضوعه الولاية على البلدان في عصر علي بن أبي

طالب. وقد تعرضت فيه لأقسام الولايات المختلفة في عصر علي، ومنها: المدينة المنورة، ومكة المكرمة، والبحرين وعُمان، واليمن، والشام و الجزيرة ومصر، ثم الكوفة والبصرة وولايات المشرق. وقد تعرضت للأحداث التاريخية التي وقعت في هذه الولايات خصوصاً وفي الدولة الإسلامية عموماً، وظروفها التي مرت بها خلال عصر علي وتأثير النزاع بين علي ومعاوية على مجريات الأحداث في هذه الولايات. كما عرفت بولاة هذه البلدان والظروف التي صاحبت تعيينهم أو عزلهم أو طردهم من ولاياتهم أحياناً، ومقدار الجهود التي بذلوها في سبيل تنظيم تلك البلدان والولايات والمشكلات التي نشأت بين علي وبعض ولاته، ثم تطرقت إلى جهود علي رضي الله عنه في تنظيم الولاية على البلدان، كما تطرقت إلى أسلوبه في مراقبة ولاته.

أما الفصل الخامس، فكان عنوانه (تعيين الولاة وحقوقهم وواجباتهم)، وتعرضت فيه لقواعد التعيين عند الخلفاء الراشدين -بصفة عامة- ثم تحدثت عن أبرز المميزات التي تحلى بها الولاة في عصر الخلفاء الراشدين، وتحدثت بعد ذلك عن حقوق الولاة المعنوية والمادية، سواء تجاه الدولة وأركانها، وعلى رأسهم الخليفة أو حقوق الولاة على الرعايا الذين يخضعون لحكمهم، وانتقلت بعد ذلك إلى الحديث عن واجبات الولاة الملقاة على عواتقهم، وعلى رأسها إقامة أمور الدين، وجهاد الأعداء، والمساعدة في تأمين الأرزاق، وتعيين العمال والموظفين في الولاية، ورعاية أهل الذمة، ومشاورة أهل الرأي، وإصلاحات الولاة العمرانية، ومراعاتهم للأحوال الاجتماعية.

وقد انتهى هذا الفصل بالحديث عن الواجبات العامة للولاة.

وأما الفصل السادس والأخير، فكان موضوعه (النظام الإداري في الولايات).

وقد ضم العديد من القضايا، ومن أبرزها جهاز الإدارة في الولاية وعلاقته بالوالي، حيث تطرق البحث إلى علاقة الوالي بالقضاء والشئون المالية في الولاية، وبالدواوين والكتاب، وبالعرفاء والنقباء وبالمستشارين وبالشرطة، وبعمال البلدان التابعة للولاية وموظفيها، كما تطرق هذا الفصل إلى صلة الوالي بالخليفة، وبولاة البلدان الآخرين، وكذلك صلة الوالي بالرعية، وتطرق البحث أيضاً إلى الحديث عن أوقات عمل الوالي، ثم مراقبة الخلفاء للولاة ومحاسبتهم لهم وتأديبهم عند الحاجة.

وقد كان هذا آخر الفصول وتلته خاتمة البحث.

وإنه ليشرفني بمناسبة إعادة طبع الكتاب للمرة الثانية أن أكرر الشكر وعظيم الامتنان إلى كل من ساعدني في هذا البحث، وعلى رأسهم أستاذي الدكتور عبدالحليم عبدالفتاح عويس، وإلى كل من قدم لي خدمة علمية أو تشجيعاً معنوياً. كما يسعدني أن أتلقى أية ملحوظات على الكتاب للإفادة منها بإذن الله في طبعات لاحقة. ولا يفوتني أن أذكر أن هذه الطبعة احتوت بعض التعديلات البسيطة غير الجوهرية، ولا تختلف كثيراً عن الطبعة الأولى.

وأسال الله سبحانه أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

تمهيـــد

مصطلح الولاية

الولاية على البلدان قبل الإسلام

الإمرة في الإسلام

الولاية على البلدان في العصر النبوي

مصطلح الولاية

الولاية (بكسر الواو) -من الناحية اللغوية-: السلطان أو الإمارة أو الخطابة، وهي اسم لما توليته وقمت به[١].

والولاية (بالفتح) المصدر وتعني النصرة. ومن أسماء الله تعالى الولي والوالي، وهو الناصر ومالك الأشياء والمدبر والقادر. وكأن الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل، ومن لم يجتمع ذلك فيه لا ينطبق عليه اسم الوالي[٢].

وتقول: فلان وَلِيَ ووُلي عليه، كما يقال: ساس وسيس وولاه الأمير عمل كذا وتولى العمل، أي: تقلده[٣].

وقد وردت هذه اللفظة في معظم المعاجم اللغوية بهذه المعاني وغيرها، وهي -في مجملها- تعني السلطان والتدبير وسياسة الشيء والتحكم فيه، وقد وردت في الألفاظ العربية القديمة المكتوبة على الآثار كلمة (وال) ويقصد بها غالباً أمير القطر وحاكمه والمتصرف فيه[٤].

---

(١) الفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، الطبعة الثانية، مطبعة الحلبي، القاهرة ١٣٧١هـ ج٤/٤٠٤. الزبيدي محمد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، مكتبة الحياة، بيروت بدون تاريخ ج١٠/٣٩٩.

(٢) ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ ج١٥/٤٠٧.

(٣) الجوهري: إسماعيل بن حماد، الصحاح، تاج اللغة وصَحاح العربية، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت ١٣٩٩هـ ج٦/٢٥٢٩. ابن منظور المصدر السابق ج١/٤١١.

(٤) د.حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية دار النهضة العربية، القاهرة ج ٣٠٨/٣.

وكثيراً ما تختلط أو تستبدل كلمة الوالي في المصادر التاريخية بكلمتي الأمير أو العامل، بل إننا نجد استخدام هاتين الكلمتين في كثير من الأحيان يجرى أكثر من استخدام كلمة الوالي نفسها، ولا شك أن هناك تقارباً بين هذه الكلمات في المعنى، بحيث يمكن أن تقوم أي كلمة من هذه الكلمات مقام الأخرى، ولا بد لنا من المرور في عجالة سريعة بالمعنى العربي لكلمتي أمير وعامل حتى نقارنهما بكلمة والي.

الأمير: ذو الأمر، وقد أمر فلان وأمر أيضاً بالضم أي صار أميراً. والإمارة هي الولاية. ويقال: فلان أمّر إذا كان والياً والتأمير تولية الإمارة، وقد تأتي كلمة الأمير بمعنى الملك[١] .

العامل: هو القائم بالعمل، يقال: عمل فلان العمل فهو عامل، والعامل هو الذي يتولى أمور الرجل في ماله وملكه وعمله، ومنه قيل للذي يستخرج الزكاة: عامل الزكاة، واستعمل غيره إذا سأله أن يعمل له[٢].

وهكذا نرى أن هناك تقارباً في المعنى بين كلمات الوالي والأمير والعامل، بحيث يمكن جمعها بمعنى مشترك وهو (تولية الأمر لشخص معين لكي يقوم

---

(١) الجوهري: الصحاح ج٢/٥٨١.
الفيروزآبادي: القاموس المحيط ج١/٣٧٩.
الزبيدي: تاج العروس ج٣/١٧.

(٢) الجوهري: الصحاح ج٥/١٧٧٥.
الفيروزآبادي: القاموس المحيط ج٤/٢٢.
الزبيدي: تاج العروس، ج٨/٣٤-٣٦.

بعمله وتدبيره) وكثيراً ما نجد كلمة الولاية في المصادر التاريخية مقرونة بالعمل أو بالإمارة، فيقال: ولى فلاناً عمل كذا أو ولي فلان إمارة كذا فقرن العمل والإمارة بالولاية. ونحن نجد المصادر التاريخية كثيراً ما تتحدث عن الولاية أو العمل أو الإمارة بألفاظها الثلاثة وتقصد بها ولاية معينة، إلا أن كلمة العامل تكثر أحياناً في أشياء مخصوصة كالزكاة، فيقال عامل الزكاة أو عامل الخراج أو الديوان وغيرها، كما تكثر كلمة أمير في مواضع أخرى تخص بها أكثر من غيرها، فيقال: أمير الجيش، ويقال: أمير المسلمين، ويقال: أمير المؤمنين، ولا تكاد تستخدم كلمة عامل هنا مع الجيش أو المؤمنين، أما لفظة (والي) فهي تشترك في كثير من الأحيان مع هذه الأشياء، فيقال: والي البلد، ويقال: والي الخراج ووالي الزكاة وغيرها، وهكذا نجد أن كلمة (والي) هي أعم نسبياً من كلمة أمير أو عامل، أما إذا أطلقت الكلمات الثلاث وقصد بها نائب الخليفة على البلدان، فتستخدم أي واحدة من العبارات (والي) أو (أمير) أو (عامل) وتؤدي نفس الغرض المقصود منها، إلا أنها في أحيان كثيرة تكون مخصصة بعمل معين، وقد تكون مطلقة حسب قرار الخليفة في التعيين، وحسب الصلاحيات التي خوّلها الخليفة لهذا الوالي منفرداً أو بالاشتراك مع بعض المساعدين الذين يقرهم الخليفة.

وقد حاول بعض الباحثين تعليل الاختلاف في هذه الألفاظ بأن كلمة عامل كانت تستخدم في البداية حينما يكون العامل تابعاً تبعية تامة للخليفة، وحينما يصبح للعامل شيء من الاستقلال يطلق عليه اسم (الوالي)[1].

---

(١) د. محمود حلمي: نظام الحكم الإسلامي مقارناً بالنظم المعاصرة ط٣ دار الفكر العربي القاهرة ١٩٧٥م/ ص ٣٠٣، ٣٠٤.

ويمكننا بعد هذا الاستعراض أن نخلص إلى أن الولاية اصطلاحاً: (هي تقليد الوظيفة لعامل معين يقوم بمهامها يسمي الوالي أو الأمير).

وعلى هذا، فالولاية على البلدان (هي تكليف من قبل الخليفة لأحد الأشخاص المختارين ليقوم بسياسة إقليم معين وتدبير وإدارتها شئونه نيابة عن الخليفة في أعمال محددة ومعروفة وواجبات خاصة يلتزم بها تخدم مصلحة الدولة ورعاياها، وتتطور هذه الواجبات وتختلف حسب الصلاحيات التي خوّلها الخليفة للوالي ويسمى هذا الوالي أمير البلد أو الإقليم أو واليه).

وعلى هذا فسترد في البحث مصطلحات الوالي والعامل والأمير، وكلها تؤدي إلى غرض واحد لا خلاف فيه، خصوصاً إذا كانت تعني إمارة البلد والولاية عليه والقيام بعمله وتدبير شئونه نيابة عن الخليفة أو والي الإقليم.

الولاية على البلدان قبل الإسلام

قبل أن نبدأ الحديث عن الولاية على البلدان بعد قيام الدولة الإسلامية لا بد لنا أن نلمَّ إلمامة سريعة بهذا النظام عند الحكومات والنظم التي سبقت الإسلام، سواء في مهبط الإسلام الجزيرة العربية أو في البلاد التي استطاع المسلمون فتحها ونشر الإسلام فيها وتنظيم أمورها الداخلية خلال عصر الخلفاء الراشدين في فارس والعراق، أو في الشام ومصر وغيرها، حتى نستطيع أن ندرك الفرق بين هذه النظم التي كانت قائمة قبل الإسلام، وبين التنظيم الجديد لهذه البلدان والأقاليم خلال عصر الخلفاء الراشدين.

١- بلاد العرب:

لا يمكننا -في هذا النطاق- معالجة حالة بلاد العرب السياسية أو نظمها الإدارية دون أن نفرق بين ممالك كانت قائمة -كما في اليمن- وبين مدن ذات طابع سياسي أقل تنظيماً وإدارة كما في مكة والمدينة قبيل الإسلام. وأيضاً لا بد لنا من معالجة وجيزة للحالة السياسية والإدارية للقبائل البدوية المنتشرة في مختلف أنحاء الجزيرة العربية.

الأعراب:

في بلاد العرب توجد العديد من القبائل المنتشرة، وكانت كل قبيلة تنقسم إلى عدة أفخاذ وبطون يجمعها رابط أساسي هو رابط الدم والقرابة بالدرجة الأولى، ويفرقها هذا الرابط أيضاً.

وكانت كل قبيلة تدبر شئونها بنفسها، وتحل مشكلاتها عن طريق زعماء القبيلة وحكامها، وهذه القبائل في العادة ترفض الخضوع لتنظيم سياسي معين، إلا أنه يوجد في كل قبيلة زعيم معيَّن تهبّ إليه عند الحاجة،

فيتشاورون فيما بينهم، ويتخذون قراراً جماعياً في مجلس ذلك الشيخ[١]، ومع ذلك فإنه لم تكن هناك جهات تنفيذية تقوم بأعباء الإدارة والتنظيم ومتابعة الأوامر إذ لم يكن هناك موظفون معينون أو دواوين أو ما إلى ذلك[٢] إلا أنه في حالة تعرض القبيلة لهجوم معاد من إحدى القبائل الأخرى، كعادة العرب في العصر الجاهلي، فإن القبيلة بكاملها تهب للدفاع عن نفسها وتستعد استعداداً كاملاً لمثل هذه الأمور، وهكذا فإننا لا يمكن أن نلمس نظاماً سياسياً معيناً لدى هذه القبائل يمكن أن يوجه دفة الأمور بدقة في شئون القبيلة.

وقد جرت في الجزيرة العربية عدت محاولات في بعض القبائل لإقامة مملكة أو نظام ملكي معين، عن طريق تتويج أحد أفراد القبيلة ملكاً، إلا أن معظم هذه المحاولات لم تنجح، كما حدث في بني حنيفة[٣].

مكة والمدينة:

لا بد لنا من الإلمام بما كانت عليه الأحوال السياسية في مكة والمدينة قبيل الإسلام، وهل كان هناك تأثير معين لهذه الأحوال على بعض تطبيقات النظم الإسلامية فيما بعد، خصوصاً أن المدينة ومكة أرض الإسلام الأولى.

كانت تعيش في مكة قبيل الإسلام بعض القبائل أهمها قريش[٤]، ومكة

---

(١) د. صالح أحمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، الجزء الأول، الدولة العربية قبل الإسلام ١٩٦٠م بدون مكان الطبع ج١/١٥٨.
- د. صبحي الصالح، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها ط٥ بيروت ١٩٨٠م، ص ٥٠.

(٢) مولوي: س.ا.ق. حسيني، الإدارة العربية، ترجمة د. إبراهيم أحمد العدوي مراجعة عبدالعزيز عبدالخالق، مكتبة القاهرة بدون تاريخ ص ٢٣.

(٣) د. صالح أحمد العلي، المرجع السابق ج١/١٦٠.

(٤) المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ترتيب وضبط يوسف أسعد داغر، ط٢، دار الأندلس، بيروت ١٩٧٣-١٣٩٣هـ، ج٢/٣٣.

منذ القدم كانت مقدسة لدى العرب عموماً، يفد إليها الحجاج من مختلف بلاد العرب، وهي بذلك تعد ذات مكانة وحرمة خاصة، كما أن أهل مكة كانوا تجاراً حاذقين ينتقلون في طلب التجارة بين اليمن والحجاز والشام والعراق وغيرها، وهم بذلك يكتسبون خبرات سياسية واجتماعية تميزهم عن القبائل الأخرى، ورغم أن الطابع العام في مكة كان يشبه النظام القبلي، حيث لا توجد حكومة مركزية معينة مسؤولة عن إدارة البلد وتنظيمها، إلا أن هناك ما يعرف بـــ(دار الندوة) يجتمع فيها كبار القوم من قريش يتباحثون فيها حول أهم شئوهم الحربية والاجتماعية والتجارية[١]، كما كانت هناك اجتماعات أخرى جانبية تناقش فيها هذه الأمور تعقد في الغالب في حلقات حول الكعبة[٢]، إلا أنه لم تكن هناك إدارة تنفيذية تقوم بالمهام المتفق عليها إلا في الأحوال النادرة، فمثلاً في حالة الحرب يعطون الراية إلى شخص أو أشخاص معينين، وفي حالة التفاوض مع قبائل معينة لعقد حلف يختار أشخاص معينون يقومون بتنفيذ هذه المهمة[٣]، كما كان هناك قواد مختصون بقيادة القوافل التجارية، أما ما عدا ذلك فلا نكاد نلمس نظاماً سياسياً معيناً يدير شئون البلد إدارة كاملة، كما في بعض الممالك المجاورة لبلاد العرب، بل

---

(١) د. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة بغداد، الطبعة الأولى ١٩٧٠، ج٤/٤٤.

(٢) مولوي. س.ا. حسيني: الإدارة العربية ص ٢٨.

د. صالح أحمد العلي: محاضرات في تاريخ العرب ج١/١٠٨.

(٣) – د. صبحي الصالح: النظم الإسلامية ص ٤٦.

– د. جواد علي: المفصل ج٤/٦٩.

– مولوي. س.أ. حسيني: المرجع السابق ص ٢٧.

على العكس نرى أهل مكة يرفضون أن يملكوا عليهم رجلاً منهم أرسله (قيصر الروم) ويتهكمون به[١].

أما في المدينة المنورة، فكان الوضع مختلفاً عن مكة إلى حد ما، حيث كان يسكن المدينة خليط من العرب من الأوس والخزرج وجماعات مختلفة من اليهود[٢] على رأسهم بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، وقد كان لهذا التنوع في السكان دور كبير في اضطراب الأمور فيها وعدم وجود نظام سياسي معين يحكم المدينة قبيل الإسلام، بل قد تكون هناك اضطرابات نظراً للحروب التي كانت تقوم بين الأوس والخزرج بين الحين والآخر[٣] بتزكية من يهود المدينة، أما يهود المدينة أنفسهم فكان لديهم شيء من التنظيم الداخلي فيما بينهم، يدل على ذلك انتشار حصونهم وتنظيمها، ووجود زعماء معينين يتحدثون باسمهم.

وبالنسبة للعرب في المدينة من الأوس والخزرج، فقد كانوا في الغالب يعتمدون على التنظيم القبلي السائد عند الأعراب في البوادي، رغم أنهم سكان مدن وقرى إلا أنهم تنظيمياً يصطبغون بالصبغة القبلية،وبذلك سهل على اليهود السيطرة عليهم[٤] واستمر الوضع في المدينة بدون إدارة أو تنظيم معين يدير شئون البلد ومصالحها المختلفة حتى ظهور الإسلام.

---

(١) ابن هشام: أبو محمد عبدالملك المعافري، السيرة النبوية/ تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبدالحفيظ شلبي، القاهرة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م، ج١/٢٤٤ حاشية (٢)

(٢) جواد علي، المفصل ج٤/١٣١.

(٣) جواد علي، المفصل ج٤/١٣٨.
صبحي الصالح، النظم الإسلامية ص ٤٨.

(٤) د. محمد عمارة، الإسلام وفلسفة الحكم ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٩م، ص ٥٠.

ممالك العرب قبل الإسلام

مملكة الحيرة:

هي مملكة كانت قائمة قبيل الإسلام في مدينة الحيرة في بادية العراق في المناطق المجاورة للفرات، يسكنها العرب إضافة إلى بعض الفرس والأنباط[(١)]، إلا أن السيطرة فيها كانت للمناذرة وملوكهم، وكانوا يخضعون لكسرى فارس خضوعاً تاماً، حتى إنه يمكننا أن نطلق عليهم تسمية (عرب الفرس). إلا أن سكان الحيرة في الغالب كانوا من النصارى[(٢)] وهم بهذا يخالفون الفرس في الديانة. ولم يمنع هذا من تبعيتهم للفرس، ومن أشهر ملوكهم (النعمان بن المنذر) الذي قام كسرى فارس بإعدامه تحت أقدام الفيلة حينما تجرأ على مخالفته[(٣)]، وهذا يعطينا دلالة قوية على تحكم الفرس بهؤلاء الملوك، وكثير من المؤرخين يعتقدون أن مملكة الحيرة قامت بغرض حماية الحدود الغربية للإمبراطورية الفارسية من هجمات الأعراب، بل إن أكثر المصادر العربية تسمي ملك الحيرة أحياناً عامل كسرى على الحيرة[(٤)]، وتعده وال من قبل

---

(١) جورجي زيدان، العرب قبل الإسلام، مراجعة وتعليق د. حسين مؤنس، دار الهلال القاهرة، بدون تاريخ ص ٢٢٤.
- د. صالح أحمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب ج١/٧٤.

(٢) د. صبحي الصالح، النظم الإسلامية ص ٤.
جورجي زيدان، المرجع السابق ص ٢٢٥.

(٣) المسعودي، مروج الذهب ج٢/٧٨.
د. السيد عبدالعزيز السالم، تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية بدون تاريخ ص ٢٤٣.

(٤) أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج، نشره قصي محب الدين الخطيب ط٥، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٩٦هـ، ص ١٥٤.
البلاذري: أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٨هـ، ص ٢٤٤.

كسرى على هذه البلاد.

وقد اشتبك المسلمون مع مملكة الحيرة أثناء الفتح الإسلامي للعراق واستطاع خالد بن الوليد رضي الله عنه أن يدخل الحيرة بعد أن صالح واليها من قبل كسرى (إياس بن قبيصة الطائي)[١] ، وقد كانت هذه المملكة مسرحاً للعديد من العمليات الحربية التي كانت تقع بين الفرس والروم[٢] نظراً لقربها من الحدود.

أما التنظيم الإداري في هذه المملكة، فلا شك أنه كان قائماً، إلا أنه لا يمكننا تحديد هذا النظام بدقة، على الرغم من معرفتنا بأن هناك ملكاً معيناً يدير شئون هذه البلاد، ووجود مجموعات كبيرة من الجنود[٣] يستعين بهم ملك الحيرة في حروبه التي كانت في الغالب موجهة لصالح مملكة الفرس[٤] .

مملكة غسان:

وجدت مملكة الغساسنة في الشام قبل الإسلام بفترة طويلة[٥] ، وقد تردد اسم هذه المملكة العربية كثيراً في المصادر الإسلامية؛ نظراً لارتباطها الشديد بالأحداث العظيمة التي صاحبت الفتح الإسلامي في بلاد الشام حيث إن

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٤٤، أبو يوسف، الخراج ص ١٥٤.

(٢) جورجي زيدان، المصدر السابق، ٢٤٠.

(٣) د. صالح أحمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ج١/٧٦.

(٤) نينا فكتور بيغولفيسكيا، العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطني للفنون والآداب الكويت ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ص ٩٧.

(٥) محمد أحمد باشميل، العرب في الشام قبل الإسلام، الطبعة الأولى، دار الفكر بيروت، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، ص ١٨٦.

ارتباط هذه المملكة بالروم جعل الروم يدفعون بهم عدة مرات لمواجهة الجيش الإسلامي الفاتح في معارك عديدة منفردين أو مشاركين للروم في تلك المعارك كاليرموك وغيرها.

وقد كان الغساسنة حكاماً على مناطق محددة في الشام شبه مستقلة، إلا أنهم كانوا يخضعون لملوك الروم خضوعاً كاملاً، ويعدون جزءاً من مملكة الروم، ويعين ملوكهم من قبل ملك الروم نفسه[١] ويستفيد منهم الروم عسكرياً، حيث يستخدمونهم بالدرجة الأولى في مواجهة المناذرة في الحيرة الذين كانوا كثيراً ما يعتدون على الحدود الشرقية للروم[٢].

وقد دانت مملكة الغساسنة بالنصرانية وهي الدين الرسمي للدولة البيزنطية، إلا أنه كان هناك خلاف مذهبي بينهما[٣] ومع ذلك فقد استفاد منهم الروم في ضبط الحدود الشرقية والجنوبية لإمبراطوريتهم مما يلي بلاد العرب والساسانيين[٤]، كما اشتركوا مع الروم في صد هجمات المسلمين على الشام أثناء الفتوحات الإسلامية لتلك البلاد، وقد تردد الكثير من الشعراء العرب على ملوك الغساسنة في الشام، مادحين، وحفظت بعض قصائدهم شيئاً من تاريخ هؤلاء الملوك[٥]، غير أنه يصعب علينا معرفة الحالة الإدارية

---

(١) - المسعودي، مروج الذهب، ج٢/٨٣.
- محمد أحمد باشميل، المرجع السابق ١٩٣.

(٢) ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد الحضرمي المغربي، تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر، مؤسسة الأعلمي بيروت، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م، ج٢/٢٧٩.
- السيد عبدالعزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام ١٩٩، محمد أحمد باشميل، المرجع السابق، ٢٠٢.

(٣) د. صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ٤٢ ومحمد أحمد باشميل، المرجع السابق ٢١٦.

(٤) نينا فكتور بيغوليفسكيا، المرجع السابق، ٢١٧.
د. صالح أحمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ج١/٥٦.

(٥) د. السيد عبدالعزيز السالم، المصدر السابق ٢١٢.

لهذه الدولة، إلا أنه يمكننا أن نعدها جزءاً من إمبراطورية الروم، ونطلق عليهم تسمية (عرب الروم)، ويبدو أن المراكز الرئيسة المحصنة في بلاد الشام والتي تقع في نطاق مملكة الغساسنة كانت تدار بصفة مباشرة من قبل موظفين تابعين للقسطنطينية[١].

وقد كان آخر ملوك الغسانة في الشام هو (جبلة بن الأيهم الغساني) الذي قاوم المسلمين واشترك إلى جانب الروم في معركة اليرموك وغيرها، ثم أعلن إسلامه فيما بعد، إلا أنه ارتد حين أراد عمر أن يقتص منه لأعرابي بلطمة، فهرب إلى القسطنطينية وعاد إلى النصرانية وبقي عليها حتى مات[٢]، وكانت نهاية مملكة الغساسنة في الوقت نفسه الذي انتهت فيه سيطرة الروم على الشام بعد الفتح الإسلامي العظيم أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

اليمن:

قامت في اليمن في العصور القديمة ممالك عربية اشتهرت بقوتها وتعددت ملوكها، إلا أن الأحوال في اليمن قبيل الإسلام قد تغيرت؛ إذ استولى عليها الأحباش بتحريك من الروم، وتنازعوا فيما بينهم ومع أهل البلاد، إضافة إلى الفرس ومن ينوب عليهم، وكان لهذا التنازع دور كبير في اضطراب الأحوال في هذه البلاد بعد سقوط حكم الحميريين على يد الأحباش[٣]، ومن ثم تولى

---

(١) د. صالح أحمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ج١/٥٦.
د. جواد علي، المفصل ج٣/٤١٩.
(٢) المسعودي، مروج الذهب ج٢/٨٥.
- السيد عبدالعزيز السالم، المصدر السابق ٢٢٦.
(٣) د. السيد عبدالعزيز السالم، المرجع السابق، ١٣٢.
د. صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ٢٩.

الأحباش حكم اليمن لفترة من الزمن استطاعوا خلالها أن يمدوا سلطانهم إلى مناطق تهامة المجاورة لليمن، حتى إنهم حاولوا الوصول إلى مكة لولا حادثة الفيل[١] التي وردت في القرآن الكريم، وقد كانت معاملة الأحباش التعسفية لأهل اليمن دافعاً لهم لطلب النجدة من فارس للمساعدة على طرد الأحباش من اليمن[٢] ، وقد قام كسرى بإرسال مجموعة كبيرة من المساجين الفرس إلى بلاد اليمن استطاعوا بمساعدة السكان المحليين طرد الأحباش من اليمن وإقامة حكومة مشتركة بين العرب من أهل اليمن والفرس الذين أرسلهم كسرى، جعلوا رئاستها إلى سيف بن ذي يزن الحميري الذي لم يلبث إلا قليلاً حتى استطاع بعض الأحباش قتله غيلة[٣] وانقضى بذلك ملك حمير، وصارت اليمن بأيدي عمال من الفرس[٤] لم يزالوا عليها حتى بعث الرسول ﷺ، فأرسل إلى حاكم اليمن (باذان) فأسلم، وأسلم من كان معه من الأبناء[٥] ودخلت اليمن في الإسلام، وأصبح لها دورها الرئيس، ثم حدثت نكسة أثناء

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ج١/٥٢.

(٢) السيد عبدالعزيز سالم، المرجع السابق ١٤٦.

د. جواد علي، المفصل ج٣/٥٢٦.

د. صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ٣٠.

(٣) جواد علي، المفصل ٥٢٧.

د. صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ٣١.

د. السيد عبدالعزيز السالم، المرجع السابق، ١٥٠.

(٤) المسعودي، مروج الذهب ج٢/٨٥.

د. صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ٣١.

د. جواد علي، المفصل ٥٢٤.

(٥) ابن هشام، المصدر السابق ج ١/٦٩.

الردة حين خرج الأسود العنسي الكذاب متنبئاً، إلا أن المسلمين من الأبناء وبعض القبائل الأخرى من بقي منهم على إسلامه استطاعوا القضاء على الأسود العنسي[١] وإعادة اليمن إلى صف الإسلام.

الفـــرس:

قامت في بلاد الفرس دولة قوية منذ القدم مرت بمراحل حضارية متطورة في تلك الأيام، إلا أن ما يهمنا معرفته عن مملكة فارس هو السنوات الأخيرة التي سبقت احتكاك هذه الدولة بالإسلام عن طريق الفتوح، ومحاولة معرفة طبيعة هذه الدولة والنظم الإدارية السائدة فيها باختصار شديد.

لقد قام نظام الحكم في فارس على تنظيم ملكي استبدادي وعلى تنظيم طبقي يميز بين الناس، فالملك الساساني في نظرهم صاحب حق إلهي يستطيع أن يفرض ما يريد من نظام وأن يوقع ما يشاء من عقوبات في حق مخالفيه[٢]، كما أن الملك الفارسي يشرف بنفسه على بقاء التفرقة بين الناس والأسر حسب النظام الطبقي الموضوع، وكل من يحاول مخالفة ذلك يتعرض لعقوبات خطيرة قد تصل إلى القتل حتى إن من ينتمي إلى الأسرة الملكية لا يمكنه أن يتزوج من العامة وإلا تعرض لتلك العقوبات الصارمة[٣].

---

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج١، المطبعة الحسينية بالقاهرة، بدون تاريخ ج٣/٢٦٤.

(٢) د. صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ٣٠.
د. محمد عمارة، الإسلام وفلسفة الحكم، ٥١.
ول ديورنت قصة الحضارة ج٢ م ١ الشرق الأدنى ترجمة محمد بدران، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٦١، ص ٤١٥.

(٣) د. يحيى الخشاب، تفسير أقدم نص عن النظم الفارسية قبل الإسلام القاهرة، بدون تاريخ، ص ٤٠.
د. صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ٣٠.

وبناء على هذه التفرقة الطبقية فقد كان الكثير من الظلم يقع على رعايا الدولة الفارسية، وعلى وجه الخصوص عامة الشعب.

وقد كانت الدولة تعتمد على جيش قوى منظم يتميز أفراده عن بقية الناس في اللباس، وألزم العامة أن يؤدوا لرجال الجيش التحية بالسجود لهم[١]، كما أن الجنود ملزمون باحترام قوادهم واحترام الأشراف الأعلى منهم درجة، وقد كان يدير دفة المملكة الملك بنفسه، يساعده حكام الولايات وهم المسمون بالمرازبة[٢] إضافة إلى بعض الأمراء في الأقاليم وهم من ملاك الأراضي الواسعة، ويسمون الدهاقين، والذين يتردد ذكرهم كثيراً في المصادر الإسلامية أثناء الحديث عن الفتوح في فارس، ولا شك أن هؤلاء الدهاقين كانوا يؤدون أموراً إدارية تخدم مصلحة الدولة، كما يقومون بجباية الضرائب من الفلاحين والعمال وإرسالها إلى خزينة الدولة[٣] في العاصمة كي يخدموا الملك وحاشيته في ترفهم العظيم الذي لم يكن له نظير، حيث اشتهر عن ملوك الفرس جمعهم للكنوز والذخائر وإسرافهم الشديد في الملابس والأطعمة حتى كان يضرب بهم المثل[٤]، بل إن الدهاقين أنفسهم كانوا ينفقون النفقات الطائلة على لذاتهم وشهواتهم.

---

(١) د. يحيى الخشاب، المصدر السابق، ٤٨.
ول ديورانت، المرجع السابق، ٤١٧.

(٢) آرثر كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين، ترجمة د. يحيى الخشاب، مراجعة عبدالوهاب عزام، القاهرة ١٩٥٧م، ص ٨٨.

(٣) د. صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ٣٥.
ول ديورانت، المرجع السابق، ج١ م١، ص ٤٢١.
آرثر كريستنسن، المرجع السابق، ١١٢.

(٤) المسعودي، مروج الذهب ١/١٩٣-١٩٤-٣٠٣.

وكان هذا الترف الشديد لدى الملك نفسه وأمراء الأقاليم يدفعهم إلى فرض الضرائب الباهظة على المزارعين والعامة، وبالتالي كان الشعور بالظلم لدى الرعايا شديداً نتيجة ما يدفعونه من ضرائب عن مختلف المحاصيل الزراعية، إضافة إلى ما يدفع من ضرائب عن النشاط التجاري، وما يشبه الجزية على الرؤوس يدفعها عامة الشعب عدا رجال الدين والأشراف والجنود فهم معفون من الجزية(١)، ولا شك أن إدارة هذه الضرائب وضبطها كانت تحتاج إلى مجموعة من الموظفين، وإلى عدد من الدواوين لضبط هذه الأمور وحسن تصريفها، كما كان هناك بعض المفتشين الذين ترسلهم العاصمة إلى الأقاليم ليفحصوا سجلاتها وشئونها الإدارية والمالية(٢).

وقد عانت الدولة الفارسية في أواخر أيامها وقبيل الفتح الإسلامي من حروب شديدة وقاسية مع الروم أثرت بالتالي عليها، حتى إنها اضطرت إلى فرض المزيد من الضرائب على رعاياها(٣) وبالتالي زاد السخط من الرعية على النظام الفارسي، ومهد هذا لدخول الإسلام في بلاد فارس.

الـــــروم

من المعروف أن مصر والشام وشمال إفريقيا كانت ولايات تابعة لإمبراطورية الروم، وقد كان المسيطر الفعلي على الحكم في هذه المملكة هو الإمبراطور نفسه الذي كان له الحق في اتخاذ القرارات، ويساعده في عمله لجنة فرعية تعمل معه(٤)، وأما حكم المقاطعات فكان حكماً عسكرياً في

---

(١) د. صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ٣٦.

(٢) ول ديورانت، قصة الحضارة ج٢ م١ ص ٤٢١.

(٣) آرثر كريستنسن، المرجع السابق، ١١٢.

(٤) ستيفن رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد، مراجعة زكي علي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦١م، ص ٨٩.

الغالب، حيث تتوزع معسكرات الجنود على الولايات المختلفة، ولم يمنع هذا من وجود موظفين يقومون بالكثير من الأعمال[١].

وقد حدثت حروب كثيرة بين الفرس والروم قبيل الإسلام قوَّت النظام العسكري وزادت من الحاجة إليه[٢]، وبالتالي اضطربت الأمور في كثير من الولايات في الشام ومصر والجزيرة وغيرها، نظراً للمد والجزر في هذه الحروب الفارسية الرومية التي استمرت فترة طويلة من الزمن قبيل الإسلام، كما أن نظام الضرائب المفروض في الولايات الرومية كان يشعر الناس بالإرهاق؛ فهناك ضرائب على الأراضي، وضرائب على الحيوانات، وضرائب على الممتلكات المختلفة، إضافة إلى الضرائب الموضوعة على الرؤوس[٣]، وقد تسببت الحروب المذكورة مع الفرس في إفلاس الدولة، مما دفعها في عهد هرقل إلى الاستدانة من أصحاب الثروات، وبالدرجة الأولى من الكنائس التي تمتلك الأموال الطائلة. إضافة إلى ذلك، فإن هذه الظروف الحربية دفعت الدولة إلى فرض المزيد من الضرائب على الناس[٤].

---

(١) المرجع السابق.

- نورمان بيتز، الإمبراطورية البيزنطية، تعريب د. حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد، القاهرة ١٩٥٠م، ص ١٧٣.

(٢) رنسيمان، المرجع السابق، ٩٧.

د. أسد رستم، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، الطبعة الأولى، دار الكشوف بيروت ج١/٢٢٣.

(٣) رنسيمان، المرجع السابق، ١١٢.

د. صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ٢٤، ٢٦.

(٤) نورمان بيتز، المرجع السابق، ص ١٣٠.

- صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ٢٤.

وتقتضي هذه الضرائب بطبيعة الحال وجود العديد من الموظفين والكتبة، إضافة إلى الدواوين التي تحفظ فيها سجلات الضرائب وغيرها وتضبطها، كما وجد لدى الروم ملتزمون يقومون بجباية الضرائب والخراج لأنفسهم مقابل التزام بمبالغ معينة يدفعونها إلى خزينة الدولة، وهم بهذا يوقعون الظلم على الناس، حتى يستطيعوا الالتزام بهذه المبالغ التي ضمنوها للدولة[١].

وبما أن الديانة العامة للدولة هي (النصرانية) فقد كان لرجال الدين مكانة خاصة في الدولة، كما أن الكثير من الضرائب كانت تفرض على الناس لصالح الكنيسة، إضافة إلى أن الكنيسة ورجالها يقومون بمعاقبة كل من تسول له نفسه مخالفة أوامر الكنيسة[٢]، وتكثر الخلافات القائمة بين الكنائس بعضها مع بعض، وتؤدي إلى المنازعات والخلافات العقائدية التي تصل إلى مراحل قوية من العداء بين بعض الولايات وبعضها، نتيجة اتباع مذاهب مختلفة، وقد حاولت الدولة فرض المذهب اللاهوتي السائد في القسطنطينية[٣] على ما في الولايات[٤] وخصوصاً في مصر، مما أوجد عداءً شديداً بين الأقباط والروم.

---

(١) نورمان بيتز، المرجع السابق، ١٣٥.
مراد محمد علي، الأساليب الإدارية في الإسلام، ص ٤٧.
د. صبحي الصالح، النظم الإسلامية ص ٤٣.

(٢) د. أسد رستم، المرجع السابق ج١/١٣٨.

(٣) كان المذهب السائد في القسطنطينية هو المذهب (المنوفستي - المونوفيزي- والذي يختلف مع الأرثوذكس في تفسير طبيعة المسيح. وقد لاقى هذا المذهب دعماً من هرقل في مواجهة المذاهب الأخرى خصوصاً في مصر والشام ضد اليعقوبية والقبطية والأرمنية (د. عبدالقادر أحمد اليوسف، الإمبراطورية البيزنطية، بيروت، ١٩٦٦، ص ٩٨).

(٤) نورمان بيتز، المرجع السابق، ١٠٢.
رنسيمان، المرجع السابق، ١٢٨.

وهكذا من خلال ما سبق نرى أن معظم الولايات في الدولة البيزنطية قبيل الفتح الإسلامي كانت تعيش تنظيماً عسكرياً خاصاً، ولا سيما بعد ظهور الفتوحات الإسلامية. هذا بالإضافة إلى أن كثيراً من الناس في الدولة البيزنطية كانوا يحسون بالاضطهاد والظلم، نتيجة لنظام الضرائب ونتيجة تدخل الدولة في الشئون الدينية وتأييدها لبعض الآراء الدينية على حساب بعض المذاهب، كل هذا أوجد مناخاً خاصاً سبق الفتوح الإسلامية لهذه البلاد ومهد لها.

الإمرة في الإسلام

من المسلّمات التاريخية أن ما قام به الرسول الكريم ﷺ وأصحابه من بعده إنما هو إقامة دولة إسلامية بكل ما تتطلبه عملية إقامة الدولة بكامل أجهزتها ومرافقها وإداراتها الحكومية من شروط ومتطلبات. ومعروف أن الإسلام اعتنى بالإمرة بصفة عامة وحرص عليها الرسول ﷺ، فلم يكن يبعث مجموعة من أصحابه في أية مهمة حربية أو مدنية إلا ويجعل لهم أميراً يقودهم ويأمر الذين معه بالسمع والطاعة له، بل تعدى الأمر إلى أكثر من هذا، فقال ﷺ: (لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمّروا عليهم أحدهم)[1]، وقال: (إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم)[2] ، فأوجب الرسول ﷺ الإمرة في الاجتماع القليل العارض في السفر وغيره تنبيهاً للأمة على وجوب وجود القادة. وإذا كان هذا هو الحال في السفر وفي الجمع القليل، ففي الحضر

---

(١) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي، بيروت بدون تاريخ ج٢/١٧٧.

(٢) ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ط٤، دار المعرفة، بيروت ١٩٦٩م، ص ١٦١.

والجمع الكثير يكون ذلك من باب أولى، بل ومن الواجبات الشرعية الأساسية.

وقد وردت العديد من الآيات القرآنية بهذا الخصوص، ولابن تيمية رحمه الله تعليق على بعض الآيات حيث أطلق عليها (آيات الأمراء) وهي قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا﴾[١]. وقد ذكر ابن تيمية أن موضوع كتابه في السياسة الشرعية مبني على هذه الآيات[٢].

وفي كتاب آخر يتحدث ابن تيمية رحمه الله عن أوامر الرسول ﷺ للأمة بتولية ولاة الأمور، مستفيداً من قوله تعالى: **﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾**[٣]. فهو يرى وجوب قيام ولاة الأمور الذين يقومون بالقسط ولديهم القوة للقيام بواجباتهم، فمن عدل عن الكتاب قوم بالحديد[٤]. ثم نراه

---

(١) سورة النساء آية ٥٨، ٥٩.

(٢) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص ٤.

(٣) سورة الحديد آية ٢٥.

(٤) ابن تيمية، الحسبة في الإسلام، تحقيق سيد بن محمد بن أبي سعدة، الطبعة الأولى، الكويت ١٤٠٣هـ، ص ١١.

مرة أخرى يعتقد أن الإمارة واجب ديني وحاجة ضرورية للناس حيث يقول: (يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس)(١). ثم يقول: (فالواجب، اتخاذ الإمارة ديناً وقربة يتقرب بها إلى الله تعالى)(٢).

ومع أن الأمير في كل الأحوال ملزم باتباع أوامر الله سبحانه وتعالى، وأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فقد أمر الرسول ﷺ بلزوم الجماعة حتى لو رأى الشخص من الأمير شيئاً يكرهه؛ حيث قال: (من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه ليس من أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية)(٣).

وللولايات هدف معين أوضحه ابن تيمية رحمه الله في قوله:

(فالمقصود الواجب بالولايات إصلاح دين الخلق الذي متى فاتهم خسروا خسراناً مبيناً، ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا وإصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم)(٤).

أما تلميذه ابن القيم، فيتحدث عن الولايات الإسلامية وهدفها قائلاً: (وجميع الولايات الإسلامية مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)(٥).

---

(١) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ١٦١.

(٢) المصدر السابق، ١٦٢.

(٣) الدارمي: أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن، سنن الدارمي، دار إحياء السنة النبوية، بدون مكان أو تاريخ ج٢/٢٤١.

(٤) ابن تيمية، السياسة الشرعية ص ٢٤.

(٥) ابن القيم: أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ص ٣٣٨.

ويمكن تمثل أهمية الولاية عندما نذكر أن من يتولى الولاية على بلد، فهو بمثابة نائب عن الخلقة في إدارة شؤون البلد[1].

وقد تطورت مفاهيم هذه الولاية في الفقه الإسلامي حتى وصلت إلى مراحل من النضج في كتب السياسة الشرعية، على أن الولاية -كنظام إسلامي- كانت تعتمد على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وتستشهد بما وقع للصحابة رضوان الله عليهم في عصر الخلفاء الراشدين الأربعة وتستشهد بالاجتهادات التي ظهرت في ذلك العصر، وفصل الفقهاء -من خلالها- في أنواع الولايات وواجباتها وحقوقها وغير ذلك مما لا مجال لذكره هنا.

---

(١) محمد عبدالمنعم حميس: الإدارة في صدر الإسلام، دراسة تاريخية المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٣٩٤هـ، ص ١٥٦.

الولاية على البلدان في العصر النبوي

بدأ الرسول ﷺ بتكوين الدولة الإسلامية في المدينة المنورة بعد هجرته إليها مباشرة، فكان الرسول ﷺ نفسه هو الحاكم الفعلي للمدينة المنورة، وهو الذي يهتم بإدارة شئونها، كما كان الرسول ﷺ يستخلف على المدينة من يختاره من أصحابه أثناء غيابه عنها، وقد ذكر أصحاب السير عند كل غزوة اسم من استخلفه الرسول ﷺ على المدينة، وقد ينص الاستخلاف أحياناً على إقامة الصلاة بالناس.

ومن اشهر الذين ولاهم الرسول ﷺ على المدينة: عبدالله بن أم مكتوم[1] حيث ذكر أنه ولاه قرابة ١٣ مرة[2] منها في غزوة بدر[3]، ومنها في غزوة حمراء الأسد وغيرها[4] من الغزوات، كما استخلف الرسول ﷺ عثمان بن عفان على المدينة المنورة في بعض غزواته[5].

---

(١) عبدالله بن أم مكتوم، صحابي قرشي أسلم قديماً في مكة، وكان من المهاجرين الأولين وهو الأعمى المذكور في سورة (عبس) استشهد في معركة القادسية (ابن حجر، الإصابة، ج٢/٥٢٥).

(٢) ابن حجر الإصابة ج٢/٥٢٣.

(٣) خليفة بن خياط: أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق د.أكرم ضياء العمري، ط٢، دار القلم ومؤسسة الرسالة، بيروت ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، ص ٩٦.

(٤) ابن هشام، المصدر السابق ج٣/١٠١، ١٠٢.

(٥) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء تحقيق محيي الدين عبدالحميد ط٣، مكتبة المدني، القاهرة ١٣٨٣ - ١٩٦٤، ج١/١٤٨.

واستخلف الرسول ﷺ على المدينة في غزوة تبوك أمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه، وحينما شق الأمر على علي رضي الله عنه، قال له الرسول ﷺ: (أما ترضى أنِ تكون مني بمنزلة هارون من موسى)(١). وعلى العموم فإن الرسول ﷺ كان يحرص باستمرار على بقاء من ينوب عنه في تصريف أحوال المدينة حتى ولو كانت فترة غيابه قصيرة، وهذا يعطينا دلالة عظيمة على اهتمام الرسول ﷺ بهذا الجانب الإداري والتنظيمي في الحكومة النبوية.

وحينما اتسعت الدولة الإسلامية في عصره ﷺ وتجاوزت حدود المدينة المنورة، أخذ الرسول ﷺ يرسل العمال من الولاة والقضاة وغيرهم إلى مختلف المناطق والأقاليم، بل وحتى القبائل لأمور عدة وبصلاحيات منضبطة، حددها لهم الرسول ﷺ وهي في مجملها ضوابط عامة، وقد يختلف بعضها من إقليم إلى إقليم ومن ولاية إلى ولاية.

وأهم الولايات التي عرفت في العصر النبوي:

ولاية اليمن:

تعد ولاية اليمن من أكثر المناطق التي وردت في المصادر التاريخية فيما يتعلق بالولاية على البلدان، فقد أرسل الرسول ﷺ مجموعة من الولاة والقضاة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك، والإمام أحمد في مسنده ج١/١٨٢.

ابن حبيب: أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي، المحبر، تصحيح د. ايلزة ليختن شتيتر، دار الأوقاف، بيروت، بدون تاريخ ص ١٢٥، ١٢٦، الطبري، تاريخه، ج٣/٣، السيوطي، المصدر السابق ج١/١٦٨.

إلى اليمن في أوقات مختلفة وبأهداف واختصاصات محددة لكل وال من هؤلاء، سواء أكان اختصاصه محدداً بإقليم معين أم بأعمال معينة؛ كجمع الصدقات وتوزيعها أو غير ذلك، وقد برزت أسماء كثيرة لولاة على اليمن في عصر الرسول ﷺ كان أشهرهم معاذ بن جبل[١] رضي الله عنه، الذي أرسله الرسول ﷺ إلى اليمن أميراً لأمراء الرسول[٢] فيها وقاضياً ومعلماً، وقد كانت من أبرز مهام معاذ رضي الله عنه في اليمن تعليم الناس الدين والشرائع، والقضاء بين الناس، إضافة إلى جمع الصدقات من العمال الآخرين[٣] الذين أرسلهم الرسول ﷺ إلى اليمن. وقد أمر الرسول ﷺ معاذاً بأمور شرعية تتعلق بالزكاة اشتهرت عن معاذ رضي الله عنه[٤]، وقد استمر معاذ في تأدية عمله بقية عصر الرسول ﷺ، فكان يأخذ الصدقات من الأغنياء ويردها على الفقراء مما زاد في انتشار الإسلام وزيادة رقعته في اليمن، وكان معاذ يقوم بالولاية على (الجند)[٥] بالإضافة إلى إشرافه العام على بقية الولاة.

---

(١) معاذ بن جبل: ابن عمرو بن أوس الخزرجي الأنصاري صحابي جليل شهد معظم المشاهد مع الرسول ﷺ وجاهد في الشام مع أبي عبيدة بن الجراح وبها توفي في طاعون عمواس سنة ١٧ هـ (ابن حجر، الإصابة ج٣/٤٢٦).

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ٨١.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ٨٠.

ابن أبي عدسة: أحمد بن محمد بن عمر القدسي الشافعي، التاريخ الكبير مخطوط رقم ١٢٢ تاريخ، معهد المخطوطات العربية بالقاهرة مصور ميكروفيلم ورقم ٦١.

(٤) أبو يوسف، الخراج، ٨٣.

(٥) ابن حبيب، المحبر، ١٢٦، الطبري، تاريخه، ج٣/٢٦٤.

(والجند) بفتح الجيم والنون هي أحد الأقسام الرئيسة لليمن في صدر الإسلام وبه مدينة سميت باسمه واشتهرت بمسجد معاذ بن جبل (ياقوت الحموي معجم البلدان ج٢/١٦٩).

وإلى جانب معاذ كان هناك العديد من الولاة الذين تقاسموا اليمن وحضرموت، وارتبطوا بأقاليم محددة واستمروا يؤدون رسالتهم على أكمل وجه، حتى إذا قامت الفتنة في اليمن قبيل وفاة الرسول ﷺ وظهر فيها الأسود العنسي الكذاب، اشترك الولاة في دفع هذا الخطر وفي محاربة المرتدين مع الأسود العنسي الكذاب حتى استقر الأمر للإسلام في اليمن، وذلك في عصر أبي بكر الصديق رضي الله عنه[١].

الولايات في الحجاز:

كان الرسول ﷺ هو المسئول مباشرة عن إدارة الأحوال في المدينة المنورة وما جاورها، وكان يختار من بين أصحابه من ينوب عنه في هذه المهمة أثناء غيابه ﷺ عن المدينة -كما ذكرنا سابقاً- أما بقية مدن الحجاز فقد كانت كل منها تخضع لظروف خاصة مما يقتضي أن نفصل القول فيها.

مكة المكرمة:

لم تدخل أم القرى تحت السيادة الفعلية للحكومة النبوية إلا بعد فتحها في العام الثامن للهجرة، وقد عين الرسول ﷺ والياً عليها (عتاب بن أسيد بن أبي العيص)[٢] وقد استمر أميراً لمكة أيام الرسول ﷺ، وأيام خليفته أبي بكر وتوفي

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان ١١١، ١١٣.
اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت ١٣٧٩هـ، ج٢/ ١٣٢، الطبري، تاريخه، ج٣/٢٧٠.
ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، دار صادر بيروت، ١٣٨٥-١٩٦٥م، ج٢/٣٧٨.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٣/١٢٦.
وعتاب بن أسيد هو ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس. من قريش، أسلم يوم الفتح وعينه الرسول ﷺ عاملاً على مكة، توفي الرسول ﷺ وهو عليها فأقره عليها أبوبكر وتوفي في بداية عهد عمر. ابن سعد محمد بن منيع الهاشمي، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، ج٥/٤٤٦، وابن حجر، الإصابة ج٢/٤٥١.

في أول خلافة عمر رضي الله عنه[١]، وقد دارت بين الرسول ﷺ وبين عتاب العديد من المراسلات التي تتعلق بشئون مكة، وشئون شرعية أخرى مختلفة[٢].

أما (الطائف) فقد أسلمت في وقت متأخر برضا أهلها بعد أن عجز المسلمون عن فتحها خلال الحصار الذي أعقب غزوة حنين، وقد ولى الرسول ﷺ عليها (عثمان بن أبي العاص)[٣] وتوفي رسول الله ﷺ وهو على الطائف، وأقره أبوبكر عليها كما أقره عمر، ولكنه طلب من عمر بعد ذلك أن يعفيه من منصبه، فنقله إلى البصرة والبحرين.

وأما بقية الحجاز فقد عين الرسول ﷺ ولاة للمدن والقرى الأخرى فيه، فقد كان للرسول ﷺ وال على (وادي القرى)[٤] وكذلك كان له وال على (تيماء)[٥][٦]

---

(١) الذهبي شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان، العبر في خبر من غبر، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥-١٩٨٥، ج١/ ١٣.

(٢) انظر محمد حميدالله، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ط٤، دار النفائس، بيروت ١٤٠٣هـ، ص ٢٨٦.

(٣) ابن حبيب، المحبر، ١٢٧.
(عثمان بن أبي العاص) ابن بشر الثقفي، قدم على الرسول ﷺ مع وفد ثقيف وأسلم وأمّره الرسول عليهم واستمر عليها حتى عصر عمر حيث توجه إلى البصرة. توفي في عصر معاوية (ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧/ ٤٠؛ ابن حجر، الإصابة ج٢/ ٤٦).

(٤) (وادي القُرَى) واد يقع بين المدينة والشام وبين تيماء وخيبر كان به العديد من القرى المشهورة بالنخيل، ويسمى الآن وادي العلاء، ويبعد ٣٢٢ ميلاً عن المدينة (عاتق غيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، الطبعة الأولى، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة ١٤٠٢ هـ، ص ٩٣).

(٥) (تيماء بلد صغير بين الشام ووادي القرى على طريق الحج الشامي، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢/ ٦٧).

(٦) ابن حبيب، المحبر، ١٢٦.

وكان الرسول ﷺ إلى جانب هذا يبعث بعض أصحابه إلى (القبائل) لتعليم الناس أمور الدين، ولجمع الصدقات من الأغنياء وتوزيعها على الفقراء، كما كان هؤلاء الأمراء مسئولين عن إقامة الصلاة في هذه القبائل، شأهم في ذلك شأن الولاة في المدن والقرى الأخرى، وكانوا يقومون بالمهام نفسها التي يقوم بها ولاة البلدان من صلاة وقضاء وتعليم وغير ذلك من الاختصاصات التي كانت توكل للولاة عادة، وقد أرسل الرسول ﷺ ولاته إلى مختلف القبائل في نجد والحجاز وغيرها من بلاد العرب، وكان كثيراً ما يختار الولاة أو المبعوثين لهذه القبائل ممن أسلم من أفراد القبيلة نفسها.

البحرين وعمان:

لقد تردد ذكر البحرين كجزء من الدولة الإسلامية في أواخرالعصر النبوي، وقد بعث الرسول ﷺ مجموعة من الولاة إليها نظراً لوجود العديد من القرى فيها[١] ، وكان أشهر ولاة البحرين خلال العصر النبوي الصحابي الجليل (العلاء ابن الحضرمي)[٢] ، وقد بعث معه الرسول ﷺ بعض الصحابة؛ منهم أبو هريرة رضي الله عنه[٣] ، وقد دارت بينه وبين الرسول ﷺ العديد من المراسلات التي تتعلق بشئون الولاية، وكان الرسول ﷺ يبعث بعض أصحابه إلى العلاء ليحضر الجزية المفروضة على المجوس في البحرين إلى المدينة

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ٩٠.

(٢) هو العلاء بن عبدالله بن أكبر بن ربيعة من حضرموت. كان من حلفاء بني أمية وهو من الصحابة المهاجرين، ولي البحرين للرسول ﷺ ثم لأبي بكر ثم لعمر، وتوفي سنة ٢١هـ، (الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١/٢٦٢، وكذلك العبر ١/١٩).

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١/٢٦٤.

المنورة، وكان من هؤلاء المبعوثين (أبوعبيدة بن الجراح)[١] رضي الله عنه، واستمر العلاء والياً للبحرين أيام الرسول، ويقال: إن الرسول ﷺ عزله[٢]، والراجح أن الرسول ﷺ توفي والعلاء على البحرين[٣]، فربما أعاده أو لم يعزله أصلاً، وقد أقره أبوبكر على ولايته بعد وفاة الرسول ﷺ، كما أقره عمر بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنهما[٤].

عُمَان:

بعث الرسول ﷺ إلى ملكي عمان (جيفر وعباد ابني الجلندي) برسالة مع عمرو بن العاص رضي الله عنه فعرض عليهما الإسلام[٥] فأسلما وأقر الرسول ﷺ عمرو بن العاص والياً على عمان مع وجود الملكين، وأخذ عمرو في دعوة الناس إلى الإسلام مع القيام بمهمته الرسمية في عمان، وكان له حوار طويل مع أساقفة عمان ورهبانها، الذين أخذوا يسألونه أسئلة كثيرة عن الإسلام[٦]. كما أرسل الرسول ﷺ مجموعة من الأمراء إلى قرى عمان،

---

(١) ابن سلام، أبو عبيد القاسم، كتاب الأموال، تحقيق محمد خليل هراس ط٢، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، ص ٤١.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان ٩٢.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٢٣.

ابن أبي عدسة، التاريخ الكبير، مخطوط، ورقة ٦٧.

(٤) المصدران السابقان

(٥) خليفة بن خياط، تاريخه ٩٧.

السهيلي، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ج٤/٢٥٠.

(٦) ابن قدامة، عبدالله بن أحمد بن محمد الجماعيلي المقدسي، منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين، مخطوط مصور على ميكروفلم تحت رقم ١٢٤٦م ح، مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض، ورقة ٢١.

وكانت بينهم وبين رسول الله ﷺ مكاتبات[١]، وقد حدثت ردة في عمان بعد وفاة الرسول ﷺ، وقد تمكن أبوبكر من القضاء عليها بمساعدة جيفر وعباد ابني الجلندي[٢] ثم استمرت عمان ولاية إسلامية خلال العصور الإسلامية، إلا أنها كانت ترتبط بولاية البحرين في أحيان كثيرة.

وهكذا -من خلال ما سبق- نجد أن الرسول ﷺ اهتم بأمر البلدان والقرى التي دخلت في الإسلام أو دخل بعض أهلها في الإسلام، فكان يرسل إليها الولاة والأمراء معلمين وموجهين وناصحين، ويكل إليهم القيام بمهام محددة، منها إقامة الصلاة وتعليم الناس أمر دينهم وجمع الزكاة من الأغنياء وردها على الفقراء، إضافة إلى جمع الجزية من غير المسلمين وإنفاقها في وجوهها الشرعية، أو بعثها للرسول ﷺ في المدينة المنورة، كما أن بعض هؤلاء الولاة كان يقضي بين الناس كمعاذ بن جبل وعلي بن أبي طالب وغيرهما، إضافة إلى الإجابة على الأسئلة التي كان الناس يلقونها عليهم، ممن يريد أن يتعرف على الإسلام أو من علماء أهل الكتاب، كما حدث لمعاذ بن جبل في اليمن وعمرو بن العاص في عمان، وقد كان الرسول ﷺ يجمع العمل لشخص معين أو يقسمه بين أشخاص، فهو يجمع الصلاة والصدقات لأمير واحد، وقد يفرقها على أميرين أحياناً، كما كان يسند القضاء إلى أمير البلد نفسه، أو يرسل معه قاضياً غيره، وكانت هناك اتصالات عديدة بين الرسول ﷺ وبين هؤلاء الولاة تتعلق بشئون الولاية وعموم أمور المسلمين وأحكامهم الشرعية، وقد كان بعض الولاة يرسلون ما يجمعونه من أموال إلى الرسول

---

(١) انظر محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ١٦٤.

(٢) الطبري، تاريخه، ٣/٢٦١.

ﷺ في المدينة، لكي يقسمها في وجوهها الشرعية وكان الرسول ﷺ يتابع أحوال ولاته، حتى إنه كتب إلى أحدهم يهنئه في مولود له ويقترح عليه كنية لهذا المولود[١]. كما أن الرسول ﷺ كان يصدر تعليماته المستمرة للولاة على ضوء ما يجد من أحداث، وبما أن الرسول ﷺ كان يحب التفاؤل، فقد كان يكتب لولاته: (إذا أبردتم إليّ بريداً فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم)[٢]، وكان يكتب إلى ولاته باستمرار ينهاهم عن الخيانة ويأمرهم بالأمانة[٣] ويؤكد عليها، مما دفع بعض الصحابة إلى الخوف الشديد من الولاية مخافة عدم أداء حقوقها كاملة، وبالتالي طلب بعضهم من الرسول ﷺ أن يعفيه عن الأمر نتيجة لهذا الخوف[٤].

وكان الرسول ﷺ يركز على هؤلاء الولاة بتعليم الناس أمور دينهم والتيسير على الناس، فقد قال لمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري حين بعثهما إلى اليمن: (يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا)، وقال ﷺ: (إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين)[٥].

ولا يفوتنا أن نذكر أن الرسول ﷺ كان يسأل ولاته بعض الأسئلة التي تطمئنه على معرفة كفاية الرجل في عمله قبل أن يبعثه، مثلما سأل معاذ بن جبل حين أراد أن يبعثه إلى اليمن.

---

(١) انظر محمد حميد الله، الوثائق السياسية، ٢١١.

(٢) المرجع السابق، ٣٣٢.

(٣) أبو يوسف، الخراج، ١٢١.

(٤) المصدر السابق، ٨٨.

(٥) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ١٣٧.

وهكذا فإن الرسول ﷺ وضع الأساس للأمة في إدارة البلدان والإمارة عليها بما كان يطبقه مع ولاته على البلدان من أسس شرعية سارت عليها الأمة فيما بعد استرشاداً بهديه واتباعاً لسنته.

الفصل الأول
الولايـة على البلـدان
في عصـر أبي بكـر الصـديق

* تقسيم الولايات
  - ولايات الحجاز
  - ولاية البحرين
  - ولاية عمان
  - ولايات اليمن وحضرموت
  - ولايات العراق
  - ولايات الشام
* الملامح العامة لنظام الولاية على البلدان في عصر أبي بكر الصديق

مرت الدولة الإسلامية خلال عصر أبي بكر رضي الله عنه بأحداث جليلة، كانت في مجملها جهاداً ضر المرتدين استغرق من المسلمين الكثير من الوقت والشهداء، ثم لم تكد تنتهي حروب الردة حتى انطلق المجاهدون أنفسهم يقارعون أكبر إمبراطوريتين في عصرهما في وقت واحد، وهما الفرس في العراق، والروم في الشام. وكل هذا حدث في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، تلك التي لم تزد على سنتين وثلاثة شهور وتسعة أيام، ومع هذا الجهاد العظيم فإن أبابكر كان ينظم أمور البلدان الإسلامية سواء التي لم تؤثر فيها الأحداث أم المضطربة التي أثرت فيها الأحداث تأثيراً مباشراً واحتاجت بالتالي من أبي بكر لمزيد من الجهد والتنظيم.

ونحن في هذا الفصل سنعرج بالتفصيل على كل ولاية من هذه الولايات، منوهين بأهم الأحداث التاريخية فيها، ومن ثم نتحدث عن أهم الولاة الذين تولوا شئون هذه الولايات وما بذلوه من جهود في سبيل القيام بواجباتهم تجاه هذه البلدان، ثم نتحدث عن أهم الملامح العامة للولاية على البلدان في عصر أبي بكر وما تميز به أبوبكر في هذا المجال.

تقسيم الولايـــات

انقسمت الدولة الإسلامية في عهد أبي بكر إلى مجموعة من الولايات حسب سعة الدولة وظروفها العامة. وقدَ تولى الأمر في هذه الولايات مجموعة من الأمراء الذين سنتحدث عنهم من خلال حديثنا عن ولاياتهم:

ولايات الحجاز:

مكة المكرمة:

مر بنا فيما سبق أن الرسول ﷺ كان قد ولى (عتّاب بن أسيد) على مكة بعد الفتح، وقد أقره أبوبكر عليها بعد خلافته، واستمر عتّاب والياً لمكة طوال خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد نجّى الله مكة من الردة فاستمرت على ما كانت عليه قبل وفاة الرسول ﷺ[١]، فكانت الأمور في مكة مستقرة أيام أبي بكر رضي الله عنه. وقد كان أبوبكر رضي الله عنه يكتب إلى عتّاب بن أسيد في مكة بإرسال المتطوعين للجهاد، وفي إحدى المرات طلب منه أن يبعث بخمسمائة متطوع فبعثهم عتّاب[٢].

كما استفاد أبوبكر من عتّاب في تنظيم أمور الحج في السنة الحادية عشرة[٣]، وقد كان لعتّاب مرتب بسيط نظير القيام بعمله، وقد توفي عتّاب في السنة التي

---

(١) الكلاعي الأندلســـي، أبو الربيع سليمان بن موسى، حروب الردة، تحقيق د. أحمد غنيم، ط١ دار الاتحاد العربي، القاهرة ١٣٩٩هـــ-١٩٧٩م، ص ٧.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ١١٥.
محمد حميد الله، الوثائق السياسية، ٣٤٤.

(٣) النويري: شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب ج١٩، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٣٩٥هـــ-١٩٧٥م، ص ١٢٧.

مات فيها أبوبكر أي سنة ١٢هـ[١]، وبهذا تكون ولاية مكة أثناء عصر أبي بكر محصورة في عتّاب لم تتجاوزه لغيره.

وأما الطائف: فقد كان الرسول ﷺ ولى عليها (عثمان بن أبي العاص بن بشر الثقفي) بعد قدوم وفد الطائف وإسلام أهلها، وقد توفي الرسول ﷺ وعثمان هذا على الطائف، فأقره أبوبكر عليها فكان والياً عليها طيلة أيام أبي بكر[٢] رضي الله عنه، وفي خلال هذه الفترة كان للطائف دور كبير في إرسال المتطوعين للجهاد[٣] أثناء خلافة أبي بكر رضي الله عنه وهو الدور نفسه الذي قامت به مكة، إذ أن الطائف بقيت على إسلامها و لم ترتد.

والمدينة المنورة: كان أبوبكر رضي الله عنه يدير أمورها بنفسه، ولكنه حينما يضطر لمغادرة المدينة لبعض الوقت كان يعين عليها من يقوم بشئوها أثناء غيابه، وقد حدث ذلك في عدة مرات إحداها بعد شهرين من خلافته[٤]، وكان هذا العمل اقتداء بسنة الرسول ﷺ الذي لم يكن يغادر المدينة إلا ويستخلف عليها أميراً أثناء غيابه.

---

(١) ابن حبيب، المحبر، ٢٦، الطبري، تاريخه، ج٤/٤٧.
الذهبي، المحبر، ج١/٣.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ١٢٧.
الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٣٧٤.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ١١٥.

(٤) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٠١.

ولاية البحرين:

دخلت البحرين في الدولة الإسلامية أيام الرسول ﷺ، وقد بعث عليها العلاء ابن الحضرمي أميراً، وتوفي الرسول ﷺ وهو عليها، فأقره أبوبكر واستمر والياً على البحرين طيلة أيام أبي بكر[١].

كان للعلاء بن الحضرمي دور كبير في جهاد المرتدين في البحرين حين ارتدت معظم قبائل البحرين بعد وفاة الرسول ﷺ فقد استطاع العلاء بتوجيه من أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن يقضي على الردة، ويعيد البحرين إلى صف الإسلام مرة أخرى، وبعد هذا الفتح وجه العلاء بخمس الغنائم إلى أبي بكر الصديق، وقد أقره أبوبكر على البحرين طيلة خلافته[٢]، حيث كانت البحرين تنعم بالاستقرار بقية أيام أبي بكر تحت ولاية العلاء بن الحضرمي، الذي جرت بينه وبين أبي بكر العديد من المراسلات التي تتعلق بشئون ولاية البحرين[٣].

ولاية عُمان:

كانت عمان قد أسلمت أيام الرسول ﷺ وكان بها (المنذر وعياد ابنا الجلندي)

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٢٢.
ابن أبي عدسة، التاريخ الكبير، مخطوط ورقة ٦٧.
الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٢٦٢.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٣/٢٥٥.
البلاذري، فتوح البلدان ٩٤.
ابن أعثم الكوفي، أبو محمد أحمد، كتاب الفتوح، ط١ دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م، ج١/٤٨.

(٣) الكلاعي الأندلسي، حروب الردة.
وانظر محمد حميد الله، الوثائق السياسية، ص ٣٤٦.

ملكين، وقد بعث الرسول ﷺ بعمرو بن العاص إلى عمان أميراً يقيم صلاتهم، ويجمع صدقاتهم، وقد توفي الرسول ﷺ وعمرو أمير عمان ويساعده على الصدقات أبوزيد ثابت الأنصاري رضي الله عنهما[١].

وبعد وفاة الرسول ﷺ ارتدت (الأزد) من قبائل عمان، فوجه أبوبكر إليهم (حذيفة بن محصن)[٢] و(عكرمة بن أبي جهل بن هشام[٣]) فقاتلا المرتدين عند مدينة (دبا)[٤] فانتصروا عليهم، واستقام الأمر للإسلام مرة أخرى في عمان، فأقر عليها أبوبكر حذيفة بن محصن، واستمر طيلة أيام أبي بكر يؤدي واجبه في ولاية عمان، فيجمع صدقاتها ويوزعها في أبوابها ويجمع الجزية من الذميين، ويبعث بها إلى المدينة[٥].

ولايـــة نجـــد:

في بداية خلافة أبي بكر رضي الله عنه كانت تنتشر في نجد العديد من القبائل،

---

(١) خليفة بن خياط، ٩٧.

البلاذري، فتوح البلدان، ٨٧، الكلاعي الأندلسي، حروب الردة ١٧٨ (أبو زيد ثابت الأنصاري): اسمه ثابت بن زيد، وقيل: ثابت بن قيس بن زيد وهو والد زيد بن ثابت الذي اشتهر بجمع القرآن، وهو من الأنصار من بني الحارث بن الخزرج له صحبه توفي أول خلافة عثمان (ابن حجر، الإصابة ج١، ١٩٣، ١٩٥).

(٢) حذيفة بن محصن القلعاني ولاه أبوبكر على عمان وتوفي أبوبكر وهو عليها.
(ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج١/٢٧٨، ابن حجر، الإصابة ج١/٣١٧).

(٣) عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام المخزومي، أسلم عام الفتح وحسن إسلامه، خرج إلى المدينة واشتهر بجهاده ضد المرتدين أيام أبي بكر الصديق، استشهد في اليرموك في خلافة عمر (ابن الجوزي، صفة الصفوة ج١/٧٣٠، ابن حجر، الإصابة ج٢/٤٩٦).

(٤) (دَباء) سوق من أسواق العرب بعمان وكانت قديماً قصبة عمان (ياقوت الحموي، معجم البلدان ج٢/٤٣٦).

(٥) البلاذري، فتوح البلدان ٨٨، اليعقوبي، تاريخه ج٢/١٣٨.

ومن أهمها وأخطرها بنو حنيفة في اليمامة، والتي ارتدت بزعامة مسيلمة الكذاب قبيل وفاة الرسول ﷺ. وقد وجه اليهم أبو بكر خالد بن الوليد رضي الله عنه فاستطاع قتل مسيلمة والقضاء على المرتدين، وعين خالد والياً على اليمامة بأمر من أبي بكر وهو (سمرة بن عمرو العنبري)[1].

كما كان أبوبكر يرسل العمال إلى القبائل في نجد، ويقوم هؤلاء العمال بدور ولاة البلدان لدى هذه القبائل في حالات استقرار الأمور، وقد عين أبوبكر في بداية خلافته (سعد بن أبي وقاص) للعمل على صدقات هوازن بنجد[2]، كما عين يزيد بن أبي سفيان على تيماء[3] من نواحي نجد.

ونحن نرى أن أبابكر وزع ولاته في نجد، سواء منهم من كان على بلدان معينة كاليمامة وتيماء أو من كان منهم على قبائل كهوازن وغيرها من القبائل التي كانت تنتشر في نجد، كما أن أبا بكر قد واجه في هذا الإقليم العديد من المشاكل نظراً لارتداد معظم القبائل في نجد إلا أنه استطاع أن يخضع هذه المنطقة ويسيطر عليها سيطرة كاملة[4] ويعين عليها من الولاة من يديرون شئونها.

ولايات اليمن وحضرموت:

مر بنا -سابقاً- أن اليمن وحضرموت كانتا ولايتين قائمتين بذاتهما أيام

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ١٠٠.
وسَمُرَة بن عمرو بن قُرْط العَنْبَري صحابي من تميم له ذكر في عدة أحاديث. استعمله خالد بن الوليد على اليمامة أيام أبي بكر كما استعمله عثمان بن عفان (الذهبي، تجريد أسماء الصحابة ج ٢٣٩/١، ابن حجر، الإصابة ج٢/٧٩).

(٢) الطبري، تاريخه، ج٤/٨٤.

(٣) ابن حبيب، المحبر، ١٢٦.

(٤) انظر الكلاعي الأندلسي، حروب الردة من ص ٤٠ حتى ١٦٠.

الرسول ﷺ، وقد عين الرسول عليهما مجموعة من الأمراء وحدد لكل واحد منهم منطقة معينة يقوم بإدارتها، كما حدد لهم صلاحيات معينة، وبالإضافة إلى ذلك فقد جعل أحدهم مشرفاً عاماً على هؤلاء وهو معاذ بن جبل رضي الله عنه.

وفي أواخر عهد رسول الله ﷺ ظهر باليمن الأسود العنسي الكذّاب، وكان بها مجموعة من أمراء الرسول ﷺ استطاعوا التعاون فيما بينهم مع (الأبناء)[١] على قتل الأسود العنسي والقضاء على أتباعه، وقد نجحوا في المهمة التي وكلت إليهم[٢].

وحينما علم أهل اليمن وحضرموت بوفاة الرسول ﷺ انتفضوا وتذبذب الأمر فيها مرة أخرى، وضعف شأن الأمراء حتى إنهم لجأوا إلى بعض المسلمين في القبائل لحمايتهم[٣]، وتعد أول أعمال أبي بكر بعد وفاة الرسول بالنسبة لليمن وحضرموت إقرار الولاة الذين سبق أن عينهم الرسول ﷺ هناك، وبالتالي بقي ولاة الرسول على اليمن وحضرموت في بداية عصر أبي بكر وكان من أبرزهم (معاذ بن جبل) الذي كان أكثرهم أهمية وأعمالاً ومسئولية منذ أيام الرسول ﷺ، وقد كان خلال تلك الفترة بمثابة مشرف عام على الولاة في اليمن -كما ذكرنا سابقاً- كما برز دور معاذ في تعليم الناس أمور دينهم، وفي جمع الصدقات

---

(١) (الأبناء) هم أبناء الفرس الذين كانوا يحكمون اليمن قبل إسلامها.

(البلاذري، فتوح البلدان، ١١٤).

(٢) الطبري، تاريخه، ج٣/٢٦٤.

الكلاعي، الأندلسي، حروب الردة، ١٨٤.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٣/٢٦٤.

وتوزيعها على الفقراء إضافة إلى إمارته على (الجند)، ولمعاذ دور كبير في جمع المسلمين في اليمن على قتال الأسود العنسي الكذاب[١].

وقد بقي معاذ والياً على اليمنَ فترة من خلافة أبي بكر، ثم قدم إلى المدينة مختاراً للجهاد في سبيل الله في الشام على الولاية، فوافقه أبوبكر وأوصى به أبا عبيدة خيراً[٢]، ولهذا فإن معاذاً لم يشتهر عنه الاشتراك في حوادث تاريخية عديدة في اليمن خلال عصر أبي بكر الصديق رضي الله عنه، على الرغم من ذكر كثير من المؤرخين لمعاذ على أنه من أبرز ولاة اليمن في خلافة أبي بكر الصديق[٣].

وكان (المهاجر بن أمية)[٤] أحد الولاة الذين عينهم الرسول ﷺ على اليمن، وقد حال مرضه دون خروجه إلى عمله، حتى توفي الرسول ﷺ وهو في المدينة، فبعثه أبوبكر رضي الله عنه إلى اليمن وأمره بقتال المرتدين فيها[٥].

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٣/٢١٥.

(٢) الأزدي، فتوح الشام، ١٨.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٤/٥٠.

ابن الأثير، الكامل ج٢/٤٢١.

(٤) المهاجر بن أمية بن عبدالله المخزومي القرشي أخو أم سلمة زوج النبي ﷺ شهد بدر مع المشركين ثم أسلم بعدها، ولاه النبي على بعض اليمن وقاتل المرتدين بها واستمر إلى أيام أبي بكر (الذهبي، تجريد أسماء الصحابة ج٢/٩٧، ابن حجر، الإصابة ج٣/٤٦٥).

(٥) الطبري، تاريخه ج٣/٢٧٠.

ابن الأثير، الكامل ج٢/٣٧٨، الكلاعي الأندلسي، حروب الردة، ٢١٠.

وقد توجه المهاجر إلى اليمن، واشترك مع (زياد بن لبيد البياضي)[١] في القضاء على المرتدين في اليمن وحضرموت، حتى إذا فرغوا منهم ولاه أبوبكر على صنعاء وأعمالها[٢]، وكان يشترك معه (فيروز الديلمي)[٣] في إدارة شئون اليمن[٤]، وقد كان للمهاجر دور كبير في حروب الردة في اليمن وحضرموت وإعادتها إلى صف الإسلام مرة أخرى[٥] وكانت بينه وبين أبي بكر مجموعة من المراسلات إحداها في تأديب مغنيتين غنت إحداهما بشتم الرسول ﷺ فقطع المهاجر يدها وانتزع ثنيتها فأقره أبوبكر على ذلك[٦].

ويبدو أن المهـــاجر بن أمية كان في بداية ولايته عاملاً لأبي بكر على (الصدف[٧] وكندة) ثم انتقل بعد ذلك إلى صنعاء، ويذكر بعض المؤرخين أن أبابكر خيره بين اليمن أو حضرموت فاختار اليمن[٨].

---

(١) زياد بن لبيد البياضي الأنصاري الخزرجي بايع الرسول ﷺ في العقبة وشهد بدراً والمشاهد بعدها مع الرسول ﷺ استعمله الرسول ﷺ على حضرموت، واشتهر بقتال المرتدين من كندة في عصر أبي بكر رضي الله عنه، أدرك خلافة معاوية (الذهبي، تجريد أسماء الصحابة ج١/١٩٤، ابن حجر، الإصابة ج١/٥٥٨).

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ١١٤.

(٣) فيروز الديلمي: هو أحد أبناء الفرس الذين نزلوا اليمن. أسلم وله صحبة ورواية قتل الأسود العنسي بأمر من الرسول ﷺ توفي سنة ٥٣هـ، (الذهبي، تاريخ الإسلام، مكتبة المقدسي، القاهرة ١٣٦٨هـ، ج٢/٣١٠).

(٤) الطبري، تاريخه ج٣/٢٧٦.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ١١٠، الطبري، تاريخه ج٣/٢٧٥، ٢٧٤.

(٦) ابن حبيب، المحبر، ١٨٤، الطبري، تاريخه، ج٣/٢٧٧.

(٧) الصَدِف: بالفتح ثم الكسر مخلاف باليمن منسوب إلى قبيلة من كندة أو حضرموت. (ياقوت الحموي، معجم البلدان ج٣/٣٩٧).

(٨) ابن حبيب، المحبر، ١٨٦.

وبهذا يمكننا اعتبار المهاجر من ولاة حضرموت ومن ولاة اليمن في آن واحد، على عهد أبي بكر الصديق.

ومن ولاة اليمن -أيضاً- زياد بن لبيد البياضي فقد ولاه رسول الله ﷺ حضرموت ثم ضم إليه كندة، ويقال: إن الذي ضمها إليه أبوبكر الصديق رضي الله عنه[1]، واستمر طيلة عهد الرسول ﷺ والياً على كندة وحضرموت[2]. وفي بداية عهد أبي بكر رضي الله عنه دعا زياد الناس إلى بيعة أبي بكر، فبايعه بعض الناس وتوقف البعض الآخر، وقد اشتهر زياد بصلابته في الحق فلم يرض من هؤلاء التوقف عن البيعة وأخذ يستعد لهم، خصوصاً أن بعضهم منع الزكاة، مما دفع زياداً إلى الإصرار على قتالهم[3].

وقد تعاون زياد مع المهاجر بن أمية والي صنعاء في القضاء على ردة من منع الزكاة من قبائل اليمن وحضرموت، وخصوصاً كندة التي شقت عصا الطاعة، واستطاعا بهذا التعاون القضاء على هذه الردة،وقتل بعض زعماء كندة، وبعث البعض أسرى إلى أبي بكر في المدينة[4]، وقد استمر زياد على ولايته بقية عهد

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ١٠٩.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ١٨٦.
الطبري، تاريخه ج٣/٢٧٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج٢/٣٧٨ ابن أبي عدسة، التاريخ الكبير، مخطوط، ورقة ٦١.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ١٠٩، ١١٠.
الطبري، تاريخه ج٣/٢٧١.
الكلاعي الأندلسي، حروب الردة، ١٩٣.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ١١١، ١١٢.
اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٣٢.
الطبري، تاريخه، ج٣/٢٧٥.
الكلاعي الأندلسي، حروب الردة، ٢٠٧.
الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١/٣٧٣.

أبي بكر رضي الله عنه، وكانت بينه وبين أبي بكر عدة مراسلات[١]، وقد وجدت في اليمن مجموعة أخرى من الولاة الذين حددت لهم مواطن بعينها، ومن هؤلاء (جرير بن عبدالله)[٢] رضي الله عنه الذي كان على نجران، وقد جدد لأهل نجران مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه ما كان عاهدهم عليه الرسول ﷺ كما كان له دور في حرب من ارتد بنجران[٣].

وقد كان (فروة بن مسيك المرادي)[٤] من هؤلاء الولاة المحددين بمناطق بعينها، حيث كان على صدقات قومه (مراد) ومن نازلهم في ديارهم[٥]، واشترك مع بقية أمراء اليمن في حرب المرتدين[٦].

كما كان ضمن الأمراء أيضاً (عكاشة بن محصن)[٧] وكان على (السكاسك

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٣/٣٧٦.

(٢) جرير بن عبدالله البَجَلي من أعيان الصحابة قدم مسلماً من اليمن وجاهد مع الرسول ﷺ واستعمله الرسول في نجران، ثم جاهد في فتوح العراق وسكن الكوفة، اعتزل الفتنة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، توفي حوالي سنة ٥١هـ (ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج١/٧٤٠، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٥٣٦، ابن حجر، الإصابة، ج١/٢٣٢).

(٣) الطبري، تاريخه، ج٣/٢٦٦.

(٤) فَرْوَة بن مسيك المرادي اليمني، قدم مع قومه على النبي ﷺ فأسلم واستعمله الرسول ﷺ على مراد ومذحج في اليمن، ثم سكن الكوفة في عصر عمر (ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٣/٢٠١، الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ج٢/٧، ابن حجر، الإصابة، ج٣/٢٠٥).

(٥) الطبري، تاريخه، ج٣/٢٦٨.

(٦) المصدر السابق ج٣/٢٧٠.

(٧) عكاشة بن محصن الأسدي، حليف قريش، من السابقين الأولين للإسلام شهد بدراً وأحداً وغيرها مع النبي، شهد له الرسول ﷺ بالجنة.

(الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١/٣٦٣).

والسكون)[١] منذ أيام الرسول ﷺ[٢]، وتوفي وهو عليها، واشترك مع بقية أمراء اليمن في حرب المرتدين من كندة[٣]، ويبدو أنه عاد إلى المدينة بعد وفاة الرسول ﷺ، إلا أنه توفي في السنة الثانية عِشرة من خلافة أبي بكر رضي الله عنهما[٤].

وقد وردت أسماء ولاة آخرين على بعض الأماكن في اليمن، ألا أن عدم اشتراكهم في الأحداث وعدم ذكر شيء من ولايتهم جعلنا لا نتوقف كثيراً عندهم[٥].

وهكذا نرى أن اليمن وحضرموت قسمتا على عدد من العمال منذ أيام الرسول ﷺ، واستمر هذا التقسيم في بداية عهد أبي بكر، وقد اشترك الولاة مع بعضهم مجتمعين أو متفرقين، بالتعاون مع من ثبت على إسلامه، ومع الجنود الذين بعثهم أبوبكر رضي الله عنه في القضاء على المرتدين في اليمن وحضرموت، ثم بعد نهاية حروب الردة كان لهم دور كبير في إرسال المتطوعين من أهل اليمن للجهاد في الشام وفي العراق في عصر أبي بكر رضي الله عنه.

---

(١) السَّكاسِك والسكون: السَّكَاسِك علم على قبيلة نسب إليها مخلاف باليمن (ياقوت، معجم البلدان، ج٣/٢٢٩).

(٢) الطبري، تاريخه، ج٣/٢٧٠.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٣/٢٧١.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٣٠٧.

(٥) ومن هؤلاء الولاة عكرمة بن أبي جهل وأبو موسى الأشعري، وعبدالله بن ثور، وعبيد بن سعد وغيرهم.

انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ١٢٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج٢/٤٢١، النويري، نهاية الأرب، ج١٩/١٤٤.

ولايـــة العـــراق:

انشغل أبوبكر الصديق رضي الله عنه في بداية خلافته بجهاد المرتدين في مختلف الأقاليم داخل بلاد العرب في اليمن وعمان والبحرين ونجد.

وفي أواخر حروب الردة بدأ المثنى بن حارثة الشبباني[(١)]، يغير على أطراف السواد[(٢)] في رجال من قومه، ثم إنه قدم إلى أبي بكر في المدينة وقال له: يا أبا بكر استعلمني على من أسلم من قومي أقاتل هذه الأعاجم من أهل فارس، فكتب له أبوبكر بذلك عهداً، فأخذ يقاتل الفرس ناحية السواد قريباً من العام.

ثم إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أمر خالد بن الوليد بعد انتهائه من مسيلمة الكذاب بالتوجه إلى العراق، فوصل إليها في السنة الثانية عشرة للهجرة وبدأ فتوحه فيها[(٣)] من الجنوب، كما وجه أبوبكر في الوقت نفسه (عياض بن غنم)[(٤)] وأمره أن يقتحم فارس من مكان آخر حدد له وأن يتسابقا في الفتح فأيهما سبق إلى الحيرة أولاً فهو أمير على صاحبه[(٥)] وأخذ خالد يفتح في بلاد العراق ويعين

---

(١) المثنى بن حارثة بن سَلَمَة الشيباني، وفَدَ على النبي ﷺ في سنة تسع أو عشر. بدأ قتال من يليه من الفرس في خلافة أبي بكر حتى أمده بخالد بن الوليد، وكان ذلك ابتدأ فتوح العراق وفارس توفي ســـنة ١٤هـــ قبل القادســـية (ابن الأثير، أســـد الغابة ج٤/٢٩٩، ابن حجر، الإصابة، ج٣/٣٦٢).

(٢) الأزدي، فتوح الشام ص ٨٣.
البلاذري، فتوح البلدان ص ٢٤٢.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه ١١٧.

(٤) عياض بن غَنْم الفهري القرشي صحابي جليل ممن بايع بيعة الرضوان اشترك في فتوح العراق وكان أحد القواد وهو الذي افتتح معظم الجزيرة، عاش ستين سنة وتوفي سنة ٢٠ بالشام (ابن الأثير، أسد الغابة ج٤/١٦٤، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٣٥٤).

(٥) الطبري، تاريخه، ج٤/٥.

الأمراء والولاة على البلاد المفتوحـــة، ففتح[١] الأنبار وعين عليها الزبرقان بن بدر[٢]، واستمر خالد يسير في بلاد العراق فاتحاً حتى وصل إلى الحيرة فحاصرها، ثم صالحه واليها من قبل كسرى على مبلغ من المال[٣] وكان معظم سكانها من نصارى العرب من المناذرة، فاتخذها خالد قاعدة للفتوح، واستخلف عليها عياض ابن غنم والياً[٤] وكان أبوبكر قد أمره باتخاذها مركزاً للمسلمين[٥]، واستمر خالد في فتوح العراق وتولية العمال عليها، وكان خالد أثناء إقامته في العراق يعد هو الوالي عليها والمتصرف في شؤونها[٦] إلى أن غادرها حينما أصدر أبوبكر رضي الله عنه أمراً لخالد بن الوليد بالتوجه إلى الشام لمساعدة إخوانه الفاتحين هناك، فغادر العراق مسرعاً نحو الشام، واستخلف المثنى بن حارثة الشيباني[٧] بناء على أمر أبي بكر وكان مسير خالد إلى الشام في شهر ربيع الآخر سنة (١٣) هـــ واستمر

---

(١) أبو حنيفة الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال، تحقيق عبدالمنعم عامر وجمال الشيال، مكتبة المثنى بغداد، بدون تاريخ ص ١١٢.
الطبري، تاريخه ج٤/٢١.

(٢) الزبرقان بن بدر بن امرئ القيس التميمي السعدي، قدم في وفد تميم على الرسول ﷺ، فاستعمله على صدقات قومه فأداها واستمر على عمله أيام أبي بكر وعمر، عاش إلى زمن معاوية (ابن الأثير، أسد الغابة ج٢/١٩٤، ابن حجر، الإصابة، ج١/٥٤٤).

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ٢٤٤.
الطبري، تاريخه ج٤/١٤.

(٤) خليفة بن خياط، تاريخه، ١١٨، الطبري، تاريخه ج٤/٥.

(٥) الطبري، تاريخه، ج٤/٥.

(٦) ابن سلام، الأموال ٤٢.

(٧) البلاذري، فتوح البلدان ١١٨.

المثنى على العراق بقية أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه[1].

وكانت بين المثنى وبين قواد فارس خلال هذه الفترة العديد من المراسلات، ووقعت خلالها بعض المعارك مع الفرس في عدة مواقع، وقد سافر المثنى من العراق إلى المدينة لطلب النجدة والمدد، فوصل إليها أثناء مرض أبي بكر الذي توفي فيه، فأوصي أبوبكر عمر أن يمد المثنى وينتدب معه الناس لغزو فارس وأن لا يشغله موت أبي بكر عن ذلك[2].

وكانت ولاية خالد والمثنى للعراق أيام أبي بكر مشحونة بالفتوحات والمعارك العسكرية التي طغت على أعمال الرجلين خلال هذه الفترة، كما برزت العديد من المعارك الخطيرة التي غيرت مجرى التاريخ في تلك الأيام.

ولايـــات الشام:

كانت الشام جزءاً من الإمبراطورية البيزنطية خلال عصر الرسول ﷺ، ولم يكن للمسلمين فيها أي سلطان، وقد مرت بالدولة الإسلامية في بداية عصر أبي بكر الصديق رضي الله عنه ظروف عصيبة صاحبت حروب الردة ومنعت أبا بكر من غزوة الشام إلا ما كان من بعثه لجيش أسامة بن زيد رضي الله عنهما، والذي كان قد أعده الرسول ﷺ للخروج ناحية الشام، وحـــال دون خروجه مرض الرسول ﷺ ووفاته، وقد عاد جيش أسامة إلى المدينة ولم يلق[3] كيداً، وفي الوقت نفسه اتجهت جهود أبي بكر رضي الله عنه لقتال المرتدين في بلاد العرب، ولما فرغ

---

(١) اليعقوبي، تاريخه ج٢/١٣٨.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٢/٤١٤.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٣/٢١٣.

أبوبكر من حروب أهل الردة[١] بدأ بإعداد الجيوش الإسلامية للجهاد ضد الروم في بلاد الشام وذلك بعد عودته من الحج في السنة الثانية عشرة للهجرة[٢].

وقد اختار أبوبكر أربعة من القواد، وجعل كل واحد منهم على رأس ثلاثة آلاف مقاتل وأمره أن يسير في طريق معين وحدد له جهة معينة للفتح[٣]. وهؤلاء الأمراء هم: أبو عبيدة بن الجراح، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة، ويزيد ابن أبي سفيان، فأما (أبوعبيدة بن الجراح) فقد أمره أبوبكر بالتوجه إلى حمص وحدد له طريقاً يسـلكه وأعطاه الولاية على بقية الأمراء في حال اجتماعهم لحرب[٤]، وقد خرج أبوبكر رضي الله عنه لوداع أبي عبيدة بنفسه مع جمع من المسلمين ونصحه بنصائح عديدة، ثم بعد أن سار أبو عبيدة أرسل له أبوبكر مزيداً من النصائح والتوجيهات مع بعض الرسل[٥] وقد استمر أبو عبيدة أميراً على القوم حتى قدم خالد بن الوليد من العراق إلى الشام، وكانت ولاية أبي عبيدة خلال هذه الفترة ولاية عسكرية بالدرجة الأولى حيث كان بقية القواد مشغولين بالفتح في نواحٍ متعددة، إلا أن أبا عبيدة رغم ذلك كان يصدر لهم التوجيهات المختلفة حتى قدم خالد من العراق، وكان نُزل أبي عبيدة بالجابية، أما بقية الأمراء فقد

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١/٢١.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٤/٢٨.

الذهبي، العبر ج١/١٣.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه، ١١٩، البلاذري: فتوح البلدان، ١١٦ ابن طباطبا، محمد بن علي الطقطقا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص ٧٥.

(٤) الأزدي، فتوح الشام، ٧، اليعقوبي، تاريخه ج٢/٤٠٥، ابن الأثير الكامل ج٢/١٣٣.

(٥) الأزدي، المصدر السابق، ١٨، ١٩.

تفرقوا في أماكن أخرى، وقد تعرض المسلمون لخطر شديد نتيجة لاجتماع الروم على حربهم بأعداد كبيرة مما دفع أباعبيدة إلى طلب الاجتماع مع بقية الأمراء الذين كان قد ولاهم على بعض أجزاء الشام أثناء الفتوح أيام أبي بكر رضي الله عنه. وبعد أن استشارهم في الأمر كتب إلى أبي بكر الصديق فوافق رأيه رأيَ الأمراء بالاجتماع لحرب الروم وعدم التفرق، فاجتمع المسلمون في اليرموك وطلب أبوعبيدة من أبي بكر المدد[1] فكتب إلى خالد بن الوليد بالمسير من العراق إلى الشام وإنجاد جند المسلمين فيها، ويكاد ينتهي دور أبي عبيدة كقائد عام لأمراء الشام في عصر أبي بكر بوصول خالد بن الوليد قادماً من العراق، إذ جعل له أبوبكر الأمارة على أرجح الأقوال[2]، ومن الملاحظ أن فترة ولاية أبي عبيدة رضي الله عنه كانت قصيرة، امتدت منذ مغادرته المدينة في أوائل السنة الثالثة عشرة، حتى قدوم خالد، الذي وصل إلى الشام في شهر ربيع الآخر سنة ١٣هـ[3]، وهي قريب من أربعة أشهر، كانت مشحونة بالفتوح والجهاد وعدم التركيز على بلد معين.

ولا يبدو نظام الولاية واضحاً خلال هذه الفترة من ولاية أبي عبيدة للشام كما أن هذه الولاية كانت بالدرجة الأولى على جند أبي عبيدة نفسه، إضافة إلى إمارته على الأجناد الأخرى في حال اجتماعهم، وهذا قليل قبل قدوم خالد من العراق؛

---

(١) الطبري، تاريخه ج٤/٣١، ابن الأثير، الكامل، ج٢/٤٠٨.

(٢) انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ٢٣، ٣٤.

الطبري، تاريخه، ج٤/٣٤.

ابن الأثير، نفس المصدر والصفحة.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ١١٨.

إذ كان كل أمير يجاهد في منطقة منعزلة عن الأخرى كما كان أبوعبيدة خلال هذه الفترة يعقد الصلح في كثير من الأحيان مع أهل البلاد المفتوحة في الشام ويعين عليها من قبله من يتولى أمرها، وهكذا فإن ولاية أبي عبيدة الأولى للشام من قبل أبي بكر ولاية غير واضحة المعالم، نظراً لقصر هذه الفترة، إضافة إلى أنها فترة مشحونة بالجهاد، وكان يشاركه بقية الأمراء الذين كانت لهم صلاحيات مشابهة لصلاحيات أبي عبيدة نفسه، وعلى رأس هؤلاء (عمرو بن العاص) الذي كان أبوعبيدة يوليه أحياناً بعض المعارك في حال اجتماع الأجناد رغم وجود أبي عبيدة نفسه في الجند[١]، ولعل هذه سياسة خاصة لأبي عبيدة الذي اشتهر بالتواضع والزهد.

وقد كان ضمن أمراء الشام خالد بن الوليد، وقد وصل خالد بن الوليد إلى الشام قبيل معركة المسلمين مع الروم في اليرموك، والذي يبدو أن أبابكر أمَّره على المسلمين في الشام إذا قدمها[٢]، وقد كان كل أمير مستقلاً بمن معه من الجند حين وصل خالد، لكن خالداً اقترح على الأمراء أن يجتمعوا على أمير في كل يوم بدلاً من التفرق، وتولى هو الإمارة في أول يوم من أيام اليرموك[٣] ولم تدم إمارته طويلاً إذ سرعان ما توفي أبوبكر، فكأن إمارة خالد امتدت منذ وصوله في شهر ربيع الآخر حتى وفاة أبي بكر في جمادى الآخر، وبهذا كانت ولاية خالد قرابة الشهرين. والذي يبدو أن خالداً كان أميراً لأمراء الشام وإلا لما أصدر عمر قراراً

---

(١) انظر الطبري، تاريخه، ج٤/٣٢.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٤/٣٩.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٤/٣٥.

بعزله وتأمير أبي عبيدة[١]، وهكذا فإن ولاية خالد للشام كانت قصيرة وغير واضحة المعالم سوى ما كان منها في معركة اليرموك وبعض المعارك التي سبقتها، أما في البلدان فلم تكن مستقرة، كما يبدو أن كل أمير من الأمراء الآخرين كان على جنده[٢] كما كانت الحال أيام أبي عبيدة، ومن هنا فلا بد لنا من الإلمام بعجالة بأمراء الشام الآخرين الذين صاحبوا خالداً وأباعبيدة من قبله في الإمارة على أجزاء من الشام أثناء الفتح أيام أبي بكر رضي الله عنه.

فأما عمرو بن العاص فقد كان ضمن الأمراء الذين بعثهم أبوبكر بالجيوش إلى الشام، وقد حدد له أبوبكر الصديق رضي الله عنه طريقاً يسلكه؛ إذ أمره أن يسلك طريق (أيلة)[٣] قاصداً إلى فلسطين[٤].

وقد كان عمرو حين أراد المسير سأل أبابكر رضي الله عنه عن ولايته، وعن حدودها، وهل هو وال على من يقدم عليه من المسلمين، ولكن أبابكر أجابه بأنه الوالي على من معه من المسلمين، ومن أمر باللحاق به وأنه أحد الأمراء في الشام، أما في حالة اجتماعه مع الأمراء الآخرين فأميرهم العام هو أبوعبيدة بن الجراح[٥].

---

(١) الواقدي، فتوح الشام، ٨٥.
البلاذري، فتوح البلدان، ١٢٣.
الطبري، تاريخه، ج٤/٣٤.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ١١٩، البلاذري، فتوح البلدان، ١١٧.

(٣) أَيْلَة، بلد يقع على ساحل البحر الأحمر على خليج العقبة كان يقطنها يهود وتشتهر بالصيد في البحر والزراعة وهي إحدى المحطات المهمة في طريق الحج المصري قديماً ولعلها هي ميناء إيلات في فلسطين حالياً، (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١/٢٩٢، الحميري، الروض المعطار، ٧٠).

(٤) البلاذري، فتوح البلدان ١١٦.
الطبري، تاريخه، ج٤/٢٩.

(٥) الأزدي، فتوح الشام، ٤٨.

وهكذا تحددت ولاية عمرو بمن معه، وبما يفتح من البلاد، كما وجبت عليه طاعة أمير الشام أبي عبيدة بن الجراح مع ملاحظة أن عمراً مستقل إلى حد كبير في المناطق التي يفتحها والتي عينها له أبوبكر، حيث تركزت معظم جهود فتوحاته الأولى في فلسطين.وقد نص بعض المؤرخين على أن أبابكر ولى عمراً فلسطين[١]، كما أنه اشترك مع بقية قواد المسلمين في معركة اليرموك وغيرها من المعارك، وكان له دور كبير فيها، غير أن قصر الفترة بين بعث عمرو في جيش الشام وبين وفاة أبي بكر -وهي قرابة ستة أشهر- تجعل المعلومات المتوفرة عن ولاية عمرو بن العاص لفلسطين خلال هذه الفترة محدودة، وهي في معظمها ولاية عسكرية بالدرجة الأولى نظراً للظروف الجهادية القائمة في بلاد الشام خلال تلك الفترة، إلا أنها تعد ولاية على جزء معين من إقليم الشام الذي كان في الفترة الأولى من عهد أبي بكر تحت ولاية أبي عبيدة، وفي الفترة الثانية تحت ولاية خالد، إلا أن شخصية عمرو كانت تظهر وتتميز عن بقية الأمراء الآخرين في الأحداث المشتركة معهم خلال هذه الفترة[٢].

وأما شرحبيل بن حسنة[٣] فهو أحد قواد الجيوش الإسلامية التي جهزها أبوبكر رضي الله عنه وسيرها إلى الشام في بداية السنة الثالثة عشرة للهجرة[٤]، وقد أمر

---

(١) الواقدي، فتوح الشام، ١٦.
البلاذري، فتوح البلدان، ١١٦.
الطبري، تاريخه ج٤/٢٨.
ابن أبي عدسة التاريخ الكبير، مخطوط، ورقة ٤٧.
(٢) انظر البلاذري، فتوح البلدان، ١٢٣.
(٣) شرَحْبيل بن حَسَنة نسبة إلى أمه وهو من بني تميم وكان حليفاً لبني زهرة. أسلم مبكراً وهاجر إلى الحبشة قاد أحد الجيوش إلى الشام في خلافة أبي بكر وتوفي في طاعون عمواس سنة ١٨ للهجرة (ابن الأثير، أسد الغابة، ج٢/٣٩٠، ابن حجر، الإصابة، ج٢/١٤٣).
(٤) الأزدي، فتوح الشام، ١٥.
خليفة بن خياط، تاريخه، ١١٩.
الطبري، تاريخه، ج٤/٣٩.

أبوبكر شرحبيل بن حَسَنة أن يسلك طريق تبوك متوجهاً إلى الشام وخصص له الأردن[١]، وبهذا يكون شرحبيل أول وال مسلم على الأردن، وقد تولاها قبل فتحها، وحينما أراد شرحبيل مغادرة المدينة متوجهاً إلى الشام ودعه أبوبكر رضي الله عنه ونصحه وأوصاه بمن معه من المسلمين خيراً[٢]، وقد اشترك شرحبيل في الجهاد في بلاد الشام مع بقية الأمراء طيلة عهد أبي بكر رضي الله عنه، وكان مختصاً ببلاد الأردن ولاية شبه منفردة خصه بها أبوبكر قبل خروجه من المدينة المنورة، وكانت بينه وبين أبي عبيدة اتصالات عديدة[٣] تدل على تبعيته لأبي عبيدة ثم لخالد ومن بعده رغم اختصاصه بولاية الأردن، وقد سار الأمر على ذلك طيلة عهد أبي بكر رضي الله عنه واشترك في معارك عديدة مع بقية الأمراء من أهمها معركة اليرموك[٤].

وأما يزيد بن أبي سفيان[٥] فقد كان كذلك أحد الأمراء الذين وجههم أبوبكر إلى الشام وكان أول الأمراء مسيراً[٦]، وقد أوصاه أبوبكر حينما أراد المسير كما أوصى الأمراء الآخرين[٧]، وقد أمره أبوبكر بجهة معينة من

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ١١٦، الطبري، تاريخه، ج٤/٢٨.

(٢) الأزدي، فتوح الشام، ٧ و ١٥.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٤/٤.

(٤) الأزدي، فتوح الشام، ٢١٨.

(٥) يزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي، أسلم عام الفتح وحسن إسلامه واستعمله الرسول ﷺ، كان يسمى يزيد الخير. توفي في خلافة عمر سنة ١٨هـ (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٣٢٨).

(٦) خليفة بن خياط، تاريخه، ١١٩، الطبري، تاريخه ج٤/٢٨.

(٧) الأزدي، فتوح الشام، ١٣، ابن الأثير، الكامل ج٢/٤٠٤، انظر نص الوصية في: ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، دار الفكر، بيروت ج ت ج١/٩٣.

الشام يغزوها وجعله والياً عليها، وحدد له طريق التبوكية (نسبة إلى تبوك) على البلقاء إلى الشام[(١)] وكان هدف يزيد الذي حدده له أبوبكر هو (دمشق)[(٢)] وقد أمده أبوبكر فيما بعد بجيش من المسلمين جعل على رأسه معاوية بن أبي سفيان أخا يزيد[(٣)] وقد كان ليزيد دور كبير في جهاد الروم بالشام، وكانت بينه وبين أبي بكر العديد من المراسلات بخصوص أمر الجهاد وأمور الجند[(٤)]، ويبدو أن يزيد لم يستطع السيطرة على المنطقة التي حددها له أبوبكر طيلة خلافة أبي بكر نظراً لتعاون الروم في الدفاع عنها ولانشغال يزيد مع بقية القواد في العديد من المعارك حتى انتهى عهد أبي بكر و لم تفتح دمشق، وقد كان يزيد أميراً على من معه من الجند بالدرجة الأولى وعلى البلاد التي يفتحها أو يصطلح مع أهلها، كما كان تحت إمرة أبي عبيدة حينما يجتمع القوم كما نص على ذلك أمر أبي بكر، ثم كان تحت إمرة خالد بن الوليد بعد ذلك حتى انقضى عهد أبي بكر. ويمكننا أن نعد ولاية يزيد بالدرجة الأولى ولاية حربية، إلا أنه على وجه العموم كان أحد أمراء الشام المعهود لهم من أبي بكر.

وهكذا نرى أن أمراء الشام لأبي بكر رضي الله عنه كانوا أربعة في البداية، على رأسهم أبوعبيدة بن الجراح، وقد خصص له حمص، وعمرو بن العاص وقد خصص له فلسطين، وشرحبيل بن حسنة وقد خصص له الأردن، ويزيد بن أبي

---

(١) الطبري، تاريخه ٤/٢٨.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ١٢٣، ١١٦.

(٣) ابن أبي عدسة، التاريخ الكبير، مخطوط، ورقة ٤٧.

(٤) الأزدي، فتوح الشام، ٣١، ٧.

سفيان وقد خصص له دمشق. ورغم أن كل واحد من هؤلاء يتمتع باستقلالية في المناطق التي حددت له، إلا أنه في حال اجتماعهم فإن أمير الأمراء في الشام أبوعبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى أن قدم خالد بن الوليد فكان هو الأمير، وانضم أبوعبيدة بكل رضا تحت لوائه مع بقية القواد إلى نهاية عهد أبي بكر.

ونلاحظ أن الأمور لم تكن مستقرة في الشام أيام أبي بكر رضي الله عنه؛ وذلك لظروف الجهاد والفتح في هذه البلاد خلال عهد أبي بكر، ولهذا نرى أوجه النشاط بالنسبة لهؤلاء الأمراء عسكرية بالدرجة الأولى، تتخللها الدعوة إلى الإسلام والقيام بأمور البلاد المفتوحة أو المصالحة.

وقد تحدث عدد من المؤلفين المحدثين عن تقسيم الولايات في عهد أبي بكر، وعدها بعضهم (١٢) ولاية وحصروها في جزيرة العرب وتكاد عباراتهم تتشابه بهذا الخصوص[١]، وقد تجاهلوا الأمصار المفتوحة حديثاً في العراق والشام، ومع علمنا بأن هذه الأمصار دخلت حديثاً في الدولة الإسلامية، وربما قبل أشهر من وفاة أبي بكر، إلا أننا لا يمكننا أن نتجاهل هذه الولايات رغم ظروف الجهاد التي تمر بها. وعلى العموم، فإنه يصعب التفرقة في عصر أبي بكر رضي الله عنه بين الأمراء على الجهاد (أمراء الجند) وبين أمراء الأمصار (الولاة على البلدان) لأن كل واحد منهم يقوم بنفس عمل الآخر وكذلك في السنوات اللاحقة لأبي بكر،

---

(١) انظر: محمد كرد علي، الإدارة الإسلامية في عز العرب، القاهرة ص ٢٤؛ أكرم رسلان ديرانية، الحكم والإدارة في الإسلام، دراسة تحليلية مقارنة، ط١ دار الشروق، جدة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩، ص ٨٥، د. علي حسني الخربوطلي، الإسلام والخلافة، دار بيروت-بيروت ١٩٦٩م، ص ٩٠.

كما سنوضح إن شاء الله تعالى.

ولا يخفى أن هذه الأمصار التي عددناها كان ولاتها يتصلون اتصالات مباشراً بالخليفة في المدينة، فالتقسيم الواضح للولايات الكبيرة صعب حيث لم تكن اليمن -مثلاً- ولاية واحدة كما ذكرها بعضهم، وإنما كانت عدداً من الولايات التي ترجع كل واحدة منها إلى الخليفة مباشرة دون أن يكون لأي وال آخر صلاحيات فيها، ولا سيما في الأمصار المستقرة.

الملامح العامة لنظام الولاية في عصر أبي بكر

لا بد لنا قبل الحديث عن نظام الولاية في عصر أبي بكر الصديق رضي الله عنه من تصور الظروف العامة التي كانت تعيشها الدولة الإسلامية في عصره؛ فقد كان لإعلان وفاة الرسول ﷺ وبيعة أبي بكر ردود فعل في الأمصار الإسلامية المختلفة، حيث كانت الردة الكلية أو الجزئية التي نظر إليها أبوبكر بمنظار واحد قد انتشرت في معظم أنحاء الدولة عدا القلة القليلة منها، وكان لانتشار الردة دور كبير في اضطراب مختلف البلدان، وبالتالي التأثير على جهود ولاة البلدان، سواء في الأمصار المستقرة التي ثبتت على إسلامها؛ كمكة والمدينة والطائف، أو الأمصار التي حدثت فيها الردة؛ كاليمن والبحرين وعمان ونجد، ومن هنا فإنه يجب علينا النظر بعناية في هذه الحوادث التي حدثت في السنة الأولى لولاية أبي بكر، من جهاد المرتدين، ومن توجيه الجهود -بعد ذلك مباشرة- إلى الجهاد الإسلامي لفتح بلاد فارس والشام، وكان للولاة أيضاً دور مصاحب وسابق لهذه الجهود لا يمكن إغفاله.

فقد كان للولاة على البلدان في البلاد المستقرة -كمكة والطائف- دور كبير في تجهيز المجاهدين وإرسالهم للاشتراك في الجهاد ضد المرتدين في بداية عصر أبي بكر، كما كان للولاة دور كبير في بعث المتطوعين للجهاد في الفتوح الإسلامية في بلاد فارس والعراق وفي الشام أيضاً، والاستمرار في هذه الإمدادات طوال عصر أبي بكر[١].

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ١١٥.

وقد اشتركت في ذلك بقية الولايات التي استقر حالها بعد القضاء على المرتدين فيها؛ كاليمن والبحرين ونجد.

وبهذا يتضح أن الولاة على البلدان كان لهم دور كبير في تجهيز الجنود وبعثهم لجبهات الجهاد المختلفة طيلة عصر أبي بكر.

ونحن نعرف أن عصر أبي بكر رضي الله عنه كان قصيراً جداً بالمقارنة بعصور الخلفاء الراشدين الآخرين[١] وكان لهذا العصر دور كبير في عدم وضوح هذا النظام، خصوصاً أن عصره كان مشحوناً بالجهاد، ولم تستقر الأوضاع في معظم الأقاليم الإسلامية، خصوصاً المفتوحة حديثاً، وبالتالي لم تتضح المعالم الرئيسة لهذا التنظيم للبلدان في هذه الأقاليم.

كما نلاحظ أن أبابكر رضي الله عنه كان ينظر إلى حسن اختيار الرسول ﷺ للأمراء والولاة على البلدان فيقتدي به في هذا العمل، ولهذا نجده قد أقر جميع عمال الرسول ﷺ الذين توفي ﷺ وهم على ولاياتهم، ولم يعزل أحداً منهم إلا ليعينه في مكان آخر أكثر أهمية من موقعه الأول ويرضاه؛ كما حدث لعمرو بن العاص[٢].

اختيار الولاة:

في مجال الاختيار، نجد الملامح العامة عند أبي بكر رضي الله عنه تتمثل في أنه يشاور الكثير من الصحابة قبل اختيار أحد من الأمراء؛ سواء على الجند أو على

---

(١) امتد عصر أبي بكر لمدة سنتين وثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً حسب رواية (خليفة بن خياط، تاريخه، ١٢١).

(٢) الطبري، تاريخه، ج٤/٢٩.

البلدان، ونجد أن في مقدمة مستشاري أبي بكر في هذا الأمر عمر بن الخطاب وعلياً بن أبي طالب وغيرهما[1]. كما كان أبوبكر رضي الله عنه يشاور الشخص الذي يريد توليته قبل أن يعينه، وعلى وجه الخصوص إذا أراد أن ينقل الشخص من ولاية إلى أخرى، كما حدث حينما أراد أن ينقل عمرو بن العاص من ولايته التي ولاه عليها الرسول ﷺ إلى ولاية جند فلسطين، فلم يصدر أبوبكر قراره إلا بعد أن استشاره وأخذ منه موافقة على ذلك[2]، كذلك الحال بالنسبة للمهاجر بن أمية الذي خيره أبوبكر بين اليمن أو حضرموت، فاختار المهاجر اليمن فعينه عليها[3].

ومن الأمور التي سار عليها أبوبكر رضي الله عنه أنه كان يعمل بسنة النبي ﷺ في تولية بعض الناس على قومهم إذا وجد فيهم صلحاء، كالطائف وبعض القبائل[4].

وكان أبوبكر رضي الله عنه عندما يريد أن يعين شخصاً على ولاية يكتب للشخص المعين عهداً له على المنطقة التي ولاه عليها[5]. كما أنه في كثير من الأحيان قد يحدد له طريقه إلى ولايته وما يمر عليه من أماكن، خصوصاً إذا كان التعيين مختصاً بمنطقة لم تفتح بعد، ولم تدخل ضمن سلطان الدولة، نجد ذلك

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٢/٤٠٢.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٤/٢٩.

(٣) ابن حبيب، المحبر، ١٨٦، ٢٧٦، الطبري، تاريخه ج٣/٢٧٦.

(٤) الطبري، تاريخه ج٣/٢٦٨.

(٥) القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، وزارة الثقافة، القاهرة د. ت، ج١٠/١٩٢.

متمثلاً في تحديد مناطق الأمراء الذين بعثهم أبوبكر إلى الشام، وكذلك الحال بالنسبة لخالد بن الوليد وعياض بن غنم حينما بعثهما أبوبكر إلى العراق، وحدد لكل منهما طريقاً يسير عليه. وكان أبوبكر واثقاً من أن جميع هؤلاء الأمراء سيصلون إلى أهدافهم المحددة.

وكان أبوبكر يعتمد على خبرات الأمراء والولاة الذين سبق تجربتهم في بعض المناطق، فيصدر أوامره بنقل بعض الولاة والأمراء من منطقة لأخرى حسب ما تقتضيه المصلحة العامة للدولة، فنجد أنه أمر خالداً بترك العراق والتوجه إلى الشام وعينه أميراً بها، كما نقل عمرو بن العاص من ولايته على عمان إلى الشام، وكذلك الحال بالنسبة لبعض ولاة اليمن.

وقد كانت هذه التنقلات بالدرجة الأولى لمصلحة عامة يراها أبوبكر رضي الله عنه، ولتوفر الخبرات الجيدة عند هؤلاء الولاة المنقولين التي لا تتوفر في غيرهم. وقد اضطر أبوبكر رضي الله عنه لربط بعض الأمراء ببعض، وبالتالي الحد من سلطات الأمير السابق أو ضم سلطاته إلى الأمير الجديد، كما حدث للمثنى ابن حارثة في العراق، حينما أمره أبوبكر أن ينضم تحت لواء خالد بن الوليد عندما يصل للعراق، ولكن أبابكر أمر خالداً حينما أراد أن يغادر إلى الشام بإعادة الإمارة مرة أخرى إلى المثنى بن حارثة[1].

كما قام أبوبكر رضي الله عنه أحياناً بضم بعض الولايات إلى بعض، خصوصاً بعد الانتهاء من قتال المرتدين؛ فقد ضم أبوبكر كندة إلى زياد بن لبيد البياضي، وكان والياً على حضرموت، واستمر بعد ذلك والياً لحضرموت وكندة[2].

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ١١٨، الطبري، تاريخه، ج٤/٢٣.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٣/٣٧٠.

وحينما ننظر لمعاملة أبي بكر للولاة نرى أن معاملته معهم كانت تتسم بالاحترام المتبادل الذي لم تشبه شائبة، وحينما نحاول أن نحصر حوادث العزل للولاة أيام أبي بكر نجدها تكاد تكون معدومة، سوى ما ذكرناه من نقل الولاة من مكان لآخر،وهذه ليست من العزل في شيء، غير أننا نجد حادثة ذكرها المؤرخون، وهي حادثة عزل خالد بن سعيد بن العاص من إمارة أحد جيوش الشام، بعد أن عينه عليه، ولكن أبابكر لم يكتف بالسكوت عند عزل خالد بن سعيد، بل إنه أوصى به الأمير شرحبيل بن حسنة ووصفه بأنه كان أحد ولاة الرسـول ﷺ وأنه ما عزله عن تقصير، ولكن عسى أن يكون ذلك خيراً له في دينه[١]. وقد قيل: إن خالد بن سعيد هو الذي استعفى أبابكر من الولاية وأنه أعفاه[٢].

أما عن الاتصالات بين الولاة وبين الخليفة أبي بكر رضي الله عنه، فقد كانت تجري بصفة دائمة، وكانت هذه الاتصالات تختص بمصالح الولاية ومهام العمل، فقد كان الولاة كثيراً ما يكتبون لأبي بكر في مختلف شئوهم يستشيرونه، وكان أبوبكر يكتب لهم الإجابة على استفساراهم، أو يوجه لهم أوامره. وكانت الرسل تأتي بالأخبار من الولاة سواء أخبار الجهاد على جبهات العراق والشام، وقبل ذلك على جبهات حروب المرتدين، كذلك كان الولاة يبعثون بأخبار ولاياهم من تلقاء أنفسهم.

وبالإضافة للاتصال مع الخليفة كان الولاة يتصل بعضهم ببعض عن طريق الرسل أو الاتصال المباشر واللقاءات، وتتمثل هذه اللقاءات والاتصالات بالدرجة

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٤/٢٨.

(٢) الأزدي، تاريخ فتوح الشام، ٧.

الأولى بين ولاة اليمن وحضرموت بعضهم مع بعض، وكذلك الحال بالنسبة لولاة الشام، الذين كانوا كثيراً ما يجتمعون لتدارس أمورهم العسكرية بالدرجة الأولى.

وكانت كثير من مراسلاتِ أبي بكر رضي الله عنه تختص بحث الولاة على الزهد في الدنيا وطلب الآخرة، وكانت بعض هذه النصائح تصدر على شكل كتب عامة رسمية من الخليفة نفسه إلى مختلف الولاة وأمراء الأجناد.

وهذا مثال على أحد الأوامر العامة التي صدرت في عهد أبي بكر:

(بسم الله الرحمن الرحيم. هذا عهد أبي بكر عبدالله بن عثمان خليفة رسول الله ﷺ إلى جميع أمراء الأجناد. إني أوصيكم بتقوى الله أن لا تغلو ولا تفسدوا ولا تطغوا ولا تعقروا بهيمة ولا تذبحوا شاة لا تريدون أكلها ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ولا تهدموا بيعة، ولا تقتلوا الولدان ولا الشيوخ، ولا تعرضوا لهم إلا بسبيل خير وستجدون آخرين من حزب الشيطان في أواسط رؤوسهم أفاحيص[١] فإذا وجدتم أولئك فاضربوهم بالسيوف ضرباً، هذه وصاتي لكم وعهدي إليكم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)[٢].

وهذه الوصية ليست سوى مثال على العديد من الوصايا التي كان يرفعها أبوبكر إلى مختلف الولاة وأمراء الأجناد والأمصار، وبها من التعليمات والأوامر ما يطول شرحه. ويضاف إلى هذه التعاميم العديد من التعليمات الخاصة ببعض الولاة والأمراء، والتي كانت تصدر عن الخليفة في كثير من الأحيان لتحفز الولاة

---

(١) الأفاحِيص: جمع أُفحُوص، وهو الموضع الذي تعمله الطير لتبيض وتفرخ فيه، فيقال: مفحص القطاة ومفحص الدجاجة، (ابن منظور، لسان العرب ج٧/٦٣).

(٢) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٢/١٢١.

على العمل والتنافس في البر والجهاد مثلما كان أبوبكر يكتب لخالد ولعياض بن غنم أثناء فتوحهما في العراق[١]، كذلك من الملاحظ أن الولاية في أيام أبي بكر كانت تمتد بامتداد الفتوح، فكلما سيطر أمراء الأجناد على مناطق في بلاد الفتح في الشام أو العراق كانوا يعينون عليها من جندهم من يقوم بإدارة شئونها وتنظيم أمورها وتعليم الناس دين الإسلام، إضافة إلى اختيارهم لمن يقوم بالقضاء في هذه الأمصار[٢] .

ومن الملاحظ من أن معظم الولاة الذين كان يبعثهم أبوبكر -خصوصاً إلى الشام والعراق- كانوا بالدرجة الأولى ولاة وأمراء للأجناد المسلمين الذين معهم، ولكن في الوقت نفسه حدد لهم أماكن يقصدونها وولاهم عليها، فكانت طبيعة ولايتهم عسكرية بالدرجة الأولى نظراً لظروف هذه البلاد المفتوحة، وكذلك الحال بالنسبة للبلاد التي حدثت فيها الردة فكانت الولايات في عصر أبي بكر على العموم ولايات على الأجناد بالدرجة الأولى، إلا أن التنظيم الإسلامي لم يكن يفرق بين التنظيم العسكري أو المدني وإنما الكل سواء في نظره، غير أن ظروف الجهاد كان لها دور رئيس في توجيه الأحداث، أو في حديث المؤرخين بالدرجة الأولى عن هذا الجهاد وإغفال الجوانب الأخرى التي لم يرد عنها عدا النزر اليسير لهذه الظروف التي أشرنا إليها.

وأما مسؤوليات الولاة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه فكانت بالدرجة

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٤/٢١.

(٢) صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ٣٠٩.

الأولى امتداداً لصلاحياتهم في عصر الرسول ﷺ خصوصاً الولاة الذين سبق تعيينهم أيام الرسول ﷺ.

ويمكن القول: إن أهم مسئوليات الولاة في عصر أبي بكر هي:

١- إقامة الصلاة وإمامة الناس، وهي المهمة الرئيسة لدى الولاة نظراً لما تحمله من معان دينية ودنيوية وسياسية واجتماعية، حيث الولاة يؤمون الناس وعلى وجه الخصوص في صلاة الجمعة، والأمراء دائماً كانت توكل إليهم الصلاة سواء كانوا أمراء على البلدان أم أمراء على الأجناد.

٢- الجهاد كان يقوم به أمراء الأجناد في بلاد الفتح، فكانوا يتولون أموره وما فيه من مهام مختلفة بأنفسهم أو ينيبون غيرهم في بعض هذه المهام؛ كتقسيم الغنائم أو المحافظة على الأسرى أو غير ذلك، وكذلك ما يتبع هذا الجهاد من مهام أخرى؛ كمفاوضة الأعداء وعقود المصالحة معهم وغيرها، ويتساوى في المهمات الجهادية أمراء الأجناد في الشام والعراق وكذلك الأمراء في البلاد التي حدثت فيها الردة كاليمن والبحرين وعمان ونجد، نظراً لوجود تشابه في العمليات الجهادية مع اختلاف الأسباب الموجهة لهذه العمليات.

٣- إدارة شئون البلاد المفتوحة وتعيين القضاة والعمال عليها من قبل الأمراء أنفسهم، وبقرار من الخليفة أبي بكر، أو تعيين منه رضي الله عنه عن طريق هؤلاء العمال.

٤- كذلك فإن من الأمور التي كانت توكل للولاة عموماً أخذ البيعة للخليفة؛ فقد قام الولاة في اليمن وفي مكة والطائف وغيرها بأخذ البيعة لأبي بكر رضي

الله عنه من أهل البلاد التي كانوا يتولون عليها[١].

٥- هناك أمور مالية توكل إلى الولاة أو إلى من يساعدهم ممن يعينهم الخليفة أو الوالي بأخذ الزكاة من الأغنياء وتوزيعها على الفقراء أو أخذ الجزية من غير المسلمين وصرفها في محلها الشرعي، وهي امتداد لما قام به ولاة الرسول ﷺ في هذا الخصوص.

٦- تجديد العهود القائمة من أيام الرسول ﷺ حيث قام والي نجران بتجديد العهد الذي كان بين أهلها وبين الرسول ﷺ بناء على طلب نصارى نجران[٢].

٧- كانت من أهم مسئوليات الولاة إقامة الحدود وتأمين البلاد وهم يجتهدون رأيهم فيما لم يكن فيه نص شرعي؛ حيث نجد أن المهاجر بن أمية أدَّب امرأتين تغنتا بذم الرسول ﷺ وفرحتا بوفاته، وكتب إلى أبي بكر في ذلك فأقره وامتدحه على هذا العمل[٣].

٨- كان للولاة دور رئيسي في تعليم الناس أمور دينهم وفي نشر الإسلام في البلاد التي يتولون عليها. وكان الكثير من هؤلاء الولاة يجلسون في المساجد يعلمون الناس القرآن والأحكام، وذلك عملاً بسنة الرسول ﷺ وتعد هذه المهمة من أعظم المهام وأجلها في نظر الرسول ﷺ وخليفته أبي بكر، وقد اشتهر عن ولاة أبي بكر ذلك حيث يتحدث أحد المؤرخين عن عمل زياد والي أبي بكر على حضرموت فيقول: (فلما أصبح زياد غدا يقرئ الناس

---

(١) انظر، البلاذري، فتوح البلدان، ١١٠.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٣/١٦٥.

(٣) انظر ص ٦٠ من هذا الكتاب.

كما كان يفعل قبل ذلك)[١].

وبهذا التعليم كان للولاة دور كبير في نشر الإسلام في ربوع البلاد التي يتولوها، وبهذا التعليم أيضاً تثبت أقدام الإسلام سواء في البلاد المفتوحة الحديث عهد بالإسلام أو في البلاد التي كانت مسلمة وارتدت، وهي حديثة عهد بالردة جاهلة بأحكام دينها، إضافة إلى أن البلاد المستقرة كمكة والطائف والمدينة كان بها من يُقرئ الناس من الولاة أو الخليفة نفسه، أو من يعينه الخليفة، على التعليم في هذه البلدان.

وقد كان الوالي هو المسئول مسئولية مباشرة عن إدارة الإقليم الذي يتولاه، وفي حالة سفر هذا الوالي فإنه يتعين عليه أن يستخلف أو ينيب عنه من يقوم بعمله حتى يعود إلى عمله، ومن ذلك أن المهاجر بن أمية عينه الرسول ﷺ على كندة، ثم أقره أبوبكر بعد وفاة الرسول ﷺ ولم يصل المهاجر إلى اليمن مباشرة وتأخر نظراً لمرضه فأرسل إلى (زياد بن لبيد) ليقوم عنه بعمله حتى شفائه وقدومه، وقد أقر أبوبكر ذلك[٢]. كذلك كان خالد أثناء ولايته للعراق ينيب عنه في الحيرة من يقوم بعمله حتى عودته[٣].

وثمة ملاحظة جديرة بالانتباه، وهي أننا حينما ندرس سيرة ولاة أبي بكر مقارنة بالولاة من بعده نجد أن الشكاوي ضد ولاة أبي بكر تكاد تكون معدومة، مقارنة بكثرة الشكاوي والاتهامات التي وجهت إلى ولاة الخلفاء من بعده عمر

---

(١) الكلاعي الأندلسي، حروب الردة، ١٩٣.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٣/٢٧١.

(٣) المصدر السابق، ٤/٢٣.

وعثمان وعلي، ويذكر لنا المؤرخون من الشكاوي ضد ولاة أبي بكر أن رجلاً من اليمن قدم إلى المدينة فشكى إلى أبي بكر أن أحد ولاة اليمن قطع يده في سرقة وهو مظلوم، وشاهد أبوبكر الرجل يصلي في الليل، فترجح له أنه مظلوم ثم حدثت سرقة من بيت أبي بكر نفسه، وتبين أن هذا الرجل هو السارق فلم يلتفت أبوبكر لشكايته[1] وعرف أنه كذاب.

وهكذا يتضح لنا أن ولاة أبي بكر كانوا يقومون بسياسة البلدان التي يولون عليها، وتدبير أمورها وإقامة حدود الله فيها، ولم تظهر عليهم شكاوى من قبل الرعية رغم ثقل الأحداث التي أداروها وكثرتها، مع قلة أيام أبي بكر في الحكم مقارنة بغيره.

وهكذا كان الولاة نواباً عن الخليفة في إدارة شؤون الولايات أو الأمصار، فقاموا بواجبهم خير قيام.

ويلاحظ من الدراسة أن ولايات الأمصار في عهد أبي بكر رضي الله عنه تكاد تنعدم فيها الاستفادة على مستوى رسمي من النظم القائمة في هذه البلدان قبل الإسلام، رغم ملاحظتنا وجود استفادة من هذه النظم خلال العصور اللاحقة لأبي بكر خصوصاً ما لا يتعارض منها مع الإسلام. ولعل مرد ذلك يعود إلى عدم الاستقرار في هذه الأمصار واضطراب الأحوال في مختلف أنحاء الدولة الإسلامية خلال معظم عصر أبي بكر بسبب الردة التي حدثت في بداية عصره ثم ظروف الفتح التي أعقبت ذلك، فلم يكن هناك وقت لدراسة هذه النظم والاستفادة منها خلال عصر أبي بكر رضي الله عنه.

---

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج١/٩٨.



الفصل الثاني
الولاية على البلدان
في عصر عمر بن الخطاب

★ أقسام الولايات

- ولايات الحجاز – ولايات اليمن - ولاية البحرين - ولاية مصر

ولايات الشام:

- ولاية حمص والجزيرة - ولاية الأردن - ولاية فلسطين

ولايات العراق وفارس:

- ولاية البصرة – ولاية الكوفة - المدائن - أذربيجان

★ تعيين الولاة في عهد عمر.

★ سياسة عمر مع الولاة



أقسام الولايات

حينما تسلم عمر رضي الله عنه زمام الدولة الإسلامية بعد وفاة أبي بكر الصديق كانت الدولة قد بدأت تمتد في الشام والعراق إضافة إلى سيطرها على مختلف الأقاليم داخل الجزيرة العربية، واستمر هذا الامتداد في عهد عمر، واستمر الاستقرار يمد ظلاله على مناطق مفتوحة حديثاً، وبالتالي زادت الولايات الإسلامية في عصره، وكثرت الأمصار وتعددت البلدان، واقتضى ذلك من عمر تنظيم هذه الولايات وهذه الأمصار أولاً بأول، بل اقتضى الأمراء أحياناً بناء أمصار جديدة تضم المسلمين الفاتحين إضافة إلى من يدخل في هذا الدين من أهل البلاد المفتوحة، وبالتالي لزم إدارة هذه البلدان وتنظيم مختلف شئوها وتدبير أمورها وسياستها، وقد اختلفت هذه الولايات وتنوعت وضم بعضها إلى بعض وتولى عليها أمراء وولاة مختلفون، ووقعت داخل هذه الولايات العديد من الأحداث التي لا بد لنا من المرور بها في عجالة سريعة، ويعد تقسيم الولايات في عهد عمر امتداداً في بعض نواحيه لما كانت عليه في عهد أبي بكر إقليمياً، مع وجود تغييرات في المناصب القيادية لهذه الولايات في كثير من الأحيان.

ولايـــات الحجـــاز:

مكة المكرمة: انقسم الحجاز في عهد عمر إلى عدد من الولايات حسب توزع المدن والبلدان وبعدها عن العاصمة الإسلامية (المدينة المنورة).

وبديهي أن مكة المكرمة اكتسبت أهمية خاصة في الدولة الإسلامية تميزت بها على بقية الأمصار وذلك لأسباب دينية معروفة، وقد دفعت أهمية مكة رسول الله ﷺ إلى تعيين (عتَّاب بن أُسَيْد) أميراً على مكة، واستمر والياً عليها خلال عصر

الرسول ﷺ ثم عصر أبي بكر، وقد توفي عتَّاب على الأرجح في أول أيام خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[١].

وقد تولى مكة بعد عتاب بن أَسِيد (محرز بن حارثة بن ربيعة بن عبد شمس)[٢] وقيل: إن عتاباً استخلفه عليها وأقره عمر ثم عزله[٣]، ولم ترد أخبار تذكر عن ولاية مكة في أيامه.

ثم ولي مكة لعمر (قنفذ بن عمير بن جدعان التميمي)[٤]، وشأنه شأن من

---

(١) هناك تناقض غريب يدعو للتساؤل حول وفاة أمير مكة (عتاب بن أسيد) فكثير من المؤرخين يذكرون أنه توفي في اليوم الذي توفي فيه أبوبكر رضي الله عنه ومنهم خليفة بن خياط في تاريخه ص ١٢٣، وابن الأثير في الكامل ج٢/٤٢٠، والذهبي في تاريخ الإسلام ج١/٣٨٠ وابن حجر في الإصابة ج٢/٤٥١ ثم نجد بعضهم يذكره ضمن ولاة عمر على مكة لسنوات عديدة كما ذكره ابن الأثير ضمن عمال عمر سنة أربع عشرة وخمس عشرة، إلا أنه تحفظ فقال فيها (وكان على مكة عتاب بن أسيد في قول) وهذا التناقض لدى الطبري وابن الأثير جعلني أرجح أن عتاب بن أسيد قد توفي ولم يل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ويؤيد ذلك ما ذكره خليفة بن خياط من وجود ثلاثة ولاة آخرين لمكة ص ١٥٣ مع أن هؤلاء الثلاثة لم تذكر المصادر شيئاً من أخبارهم أثناء ولايتهم لمكة سوى أحدهم كما سيأتي.

وقد ذكر ابن حجر هذا التناقض في الإصابة ج٢/٤٥١ ولم يرجح شيئاً.

(٢) صحابي ولي مكة لعمر. توفي يوم الجمل (الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، تصحيح صالحة عبدالحكيم شرف الدين، ط شرف الدين الكتبي بومباي، الهند ١٣٩٠-١٩٧٠م، ج٢/٥٢ وابن حجر، الإصابة ج٣/٣٦٨.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه ١٥٣، دحلان، إمام الحرمين السيد أحمد زيني، خلاصة الكلام في بيان أمراء المسجد الحرام، القاهرة ١٣٠٥هـ، ص ٣.

(٤) له صحبة ولاه عمر مكة (ابن عبدالبر، الاستيعاب -حاشية على الإصابة- ج٣/٢٨٠، الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ج٢/١٧).

سبقه فلم تذكر أخبار عن مدة ولايته أو أحداثها وبعده تولى مكة لعمر (نافع بن عبدالحارث الخزاعي)[١] وقد توفى عمر رضي الله عنه وهو على مكة[٢] وقد ذكرت المصادر بعض الأحداث عن ولايته مكة منها: شراؤه داراً من صفوان بن أمية بغرض جعلها سجناً وذلك فيما رواه البخاري[٣].

وقد ورد أيضاً أن نافعاً لقي عمر بـ(عُسفان) [٤] أثناء قدومه للحج فقال له عمر: من استعملت عل أهل الوادي (يعني مكة)؟ قال نافع: ابن (أبزى) قال: ومن ابن أبزي؟ قال: مولى من موالينا، فقال: استعملت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم قال: إن الله يرفع بهذا الكتاب قوماً ويضع به آخرين[٥]. كذلك ذكر نافع ضمن الولاة الذين شاطرهم عمر أموالهم في سنة ٢٣هـ[٦].

---

(١) صحابي استعمله عمر على مكة والطائف وكان فاضلاً (الذهبي، تجريد أسماء الصحابة ج٢/٤٠٢).

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٥٣، الطبري، تاريخه ج٥/٤٢، اليعقوبي تاريخه ج٢/١٦١.

(٣) البخاري، صحيحه -كتاب الخصومات- ج٣/٩١.

(٤) عُسْفَان: بلدة شمال مكة على بعد ٨٠ كم في الطريق إلى المدينة، وكانت من المواقع المشهورة في طريق الحج من المدينة في الجاهلية وصدر الإسلام (عاتق غيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ط١ مكة، ١٤٠٢هـ، ص ٢٠٨).

(٥) الدارمي، سننه، ج٢/٤٤٣ الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملحس، ط٣ دار الثقافة، بيروت ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ج٢/١٥١، المحب الطبري، أبو جعفر أحمد، الرياض النضرة في مناقب العشرة، ط٢ مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٧٣هـ-١٩٥٣م، ج٢/٦٩.

(وابن أَبْزَى) هو عبدالرحمن بن أبزى الخزاعي، وهو مولى نافع بن عبدالحارث. له صحبه ورواية وفقه وعلم. ويقال: إن عمر قال فيه (ابن أبزى ممن رفعه الله بالقرآن)، سير أعلام النبلاء، ج٣/٢٠١).

(٦) اليعقوبي، تاريخه ج٢/١٥٧.

وقد ذكر بعض المؤرخين أن عمر عزل نافع بن عبدالحارث وولى مكانه (خالد ابن العاص بن هشام)[١] على مكة[٢] وهذا غريب، إلا إذا كان عمر أعاد نافعاً مرة أخرى قبل وفاته؛ إذ ورد أن نافعاً هو الوالي على مكة حين توفي عمر رضي الله عنه كما ذكرنا، وفي عهد عمر كانت أبرز الأعمال لولاية مكة هي توسعة الحرم المكي، حيث قام عمر بشراء بعض الدور المجاورة للحرم وأمر بهدمها وإدخالها ضمن حرم المسجد وبنى حولها جدراناً قصيرة[٣]، وقد كانت مكة ملتقى الأمراء والولاة من مختلف الأصقاع بالخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبغيره في موسم الحج، وبالتالي كان لمكة دور أساسي كبير كإحدى الولايات الرئيسة للدولة الإسلامية في عهد عمر رضي الله عنه.

ولاية المدينة المنورة:

تعد المدينة المنورة إحدى الولايات الرئيسة في الدولة الإسلامية على عهد عمر، بالإضافة إلى أنها عاصمة الدولة الإسلامية ومقر الخلافة.

ويعد الخليفة هو الوالي المباشر للمدينة، نظراً لأنه كان يقيم فيها وبالتالي كان يتولى شئونها ويسوس أمورها، وخلال غياب الخليفة عمر عن المدينة كان يولي عليها من يقوم مقامه في إدارة شئون المدينة المختلفة، فكان عمر أحياناً يولي على

---

(١) (هو خالد بن العاص بن هشام المخزمي) صحابي أسلم يوم الفتح وولي مكة لعمر وعاش حتى زمن معاوية. (ابن حجر، الاصابة ج١/٤٠٨).

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه ص ١٥٣، ابن عبدالبر، الاستيعاب، حاشية على الإصابة ج١/٤١٠، الذهبي، تجريد أسماء الصحابة ج١/١٥١.

(٣) الفاسي، شفاء الغرام ج١/٢٢٤.

المدينة في بعض أسفاره أو حجة (زيد بن ثابت) رضي الله عنه[١].

كما كان يولي أحياناً عثمان بن عفان أثناء غيابه[٢].

كما ولى عمر علي بن أبي طالب على المدينة عدة مرات أثناء غيابه[٣]، وهكذا فإن عمر سار على سياسة الرسول ﷺ وأبي بكر في الاستخلاف على المدينة في حال غيابه.

وتكتسب ولاية المدينة المنورة أهمية سياسية متميزة بين الولايات المختلفة في تلك الأيام لعدة أسباب، على رأسها أنها مقر الخليفة عمر، ومصدر الأوامر إلى مختلف الأقاليم الإسلامية ومنها تنطلق الجيوش المجاهدة.

يضاف لذلك أنها مقر إقامة الكثير من الصحابة رضوان الله عليهم، والذين كان عمر يمنعهم من الانتشار في الأمصار[٤] لذلك كان يفد إليها الكثير من طلاب العلم الذين يريدون أن يأخذوا القرآن وسنة الرسول ﷺ وفقههما من أفواه الصحابة رضوان الله عليهم.

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٥٣، عمر بن شبة: أبو زيد النميري البصري، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق فهيم محمد شلتوت ط١ السيد حبيب محمود أحمد، جدة، ج٢/٦٩٣، ابن الأثير، الكامل ج٣/٢١، اليافعي اليمني: عفيف الدين عبدالله بن أسعد (مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، الجزء الأول، تحقيق عبدالله الجبوري، الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م، ص ١٥٤.

(٢) اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٤٧.

(٣) ابن أعثم الكوفي، الفتوح ج١/٢٩٣، ابن الأثير، الكامل، ج٢/٥٦١.

(٤) اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٥٧.

الطائف:

تعد الطائف إحدى أهم المدن الإسلامية في عهد عمر رضي الله عنه، حيث كانت تقيم فيها وبالقرب منها مجموعة من القبائل التي كانت تعطي الدولة الإسلامية في كثير من الأحيان موجات بشرية تشارك في أوجه الجهاد المختلفة[١] وقد كانت الطائف مدينة إسلامية منذ أيام الرسول ﷺ، وقد عين الرسول ﷺ (عثمان بن أبي العاص) والياً[٢] عليها، حتى إذا جاء أبوبكر أقره على ما كان عليه، ثم امتدت هذه الثقة أيام عمر بن الخطاب حيث استمر عثمان والياً على الطائف لمدة سنتين من خلافة عمر، وقد تاقت نفس عثمان إلى الجهاد فكتب إلى عمر يستأذنه في الغزو، فقال له عمر: أما أنا فلا أعزلك، ولكن استخلف من شئت، فاستخلف رجلاً من أهل الطائف مكانه[٣]، وعين عمر عثمان على عمان والبحرين[٤].

وقد ورد أن والي عمر على الطـــائف حين وفاته هو (سفيان بن عبدالله الثقفي)[٥] وقد كانت بينه وبين عمر بن الخطاب مكاتبات تتعلق بأخذ الزكاة من

---

(١) د. عبدالجبار منسي العبيدي، الطائف ودور قبيلة ثقيف العربية، الطبعة الثانية، دار الرفاعي، الرياض ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص ٢٠٤، د. نادية حسني صقر، الطائف في العصر الجاهلي وصدر الإسلام ط١، دار الشروق، جدة ١٤٠١هـ، ص ١٢٤.

(٢) ابن حجر، الإصابة ج٢/٤٦٠.

(٣) ابن حبيب، المحبر، ١٢٧، ابن حجر، الإصابة، ج٢/٤٦٠.

(٤) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٣٤.

الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٣٧٤.

(٥) الطبري، تاريخه، ج٥/٤٢.

الخضار والفواكه أو من العسل[١] وكلها تدل على كثرة المزارع ووفرة الإنتاج الزراعي في الطائف أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وقد ظلت مدينة الطائف وما جاورها تنعم بالاستقرار طيلة عهد عمر رضي الله عنه، وقد كانت لأهل مكة متنفساً يقدمون إليه في الصيف[٢] وعدت الطائف إحدى الأمصار الرئيسة التابعة للدولة الإسلامية في عهد عمر.

ولاية اليمن:

كانت اليمن من الولايات الإسلامية الرئيسة أيام الرسول ﷺ، ألا أن أحوالها اضطربت قبيل وفاة الرسول ﷺ، وحينما تولى أبوبكر الخلافة بذل جهوداً كبيرة في إعادة الاستقرار إلى اليمن مرة أخرى، حتى تم له ذلك في أواخر عهده، ونجح في إعادة اليمن إلى تبعية الدولة الإسلامية، وفي السنة الأخيرة من ولايته استفاد أبوبكر من قبائل اليمن التي لم تشارك في الردة في الجهاد ضد الفرس والروم، وعندما تولى عمر رضي الله عنه الخلافة كانت اليمن تنعم بالاستقرار، وقد ضبطت أمورها عن طريق ولاة موزعين في إنحاء اليمن، وقد أقر عمر عمال وولاة أبي بكر رضي الله عنه على اليمن[٣] ، وقد كان يعلي بن أمية (مُنْيَة)[٤] أحد ولاة

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ٦٩.

(٢) نادية حسني صقر، الطائف في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، ١٩.

(٣) يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق د. سعيد عبدالفتاح عاشور، د. محمد مصطفى زيادة، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٣٨٨هـ، ج١/٨٣.

(٤) يعلى بن أمية بن أبي عبيدة التميمي المكي حليف قريش، وهو يعلى بن مُنَيْة بنت غزوان أخت عتبة بن غزوان وينسب إلى أمه أحياناً. أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه وشهد الطائف وتبوك مع الرسول ﷺ وله عدة أحاديث، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/١٠٠.

أبي بكر في اليمن، وقد لمع اسمه في خلافة عمر بن الخطاب، وذكره المؤرخون بعد ذلك على أنه والي عمر على اليمن، واشـــتهر بذلك حتى وفاة عمر رضي الله عنه[١] ومنهم من ذكر أنه ولي صِنعاء[٢]، ولا تناقض بين هذا وذاك، بل الإطلاق صحيح في الحالين، وقد أوردت المصادر العديد من الحوادث التي وقعت لوالي اليمن (يعلي بن أمية) مع بعض الأهالي من اليمن، إضافة إلى حديثها عن بعض القضايا التي قدم أصحابها شكاوى ضد يعلى أمام عمر بن الخطاب، مما استلزم استدعاء يعلى إلى المدينة المنورة عدة مرات حقق خلالها عمر معه عن هذه القضايا[٣]. وفي أثناء غياب يعلى كان عمر أحياناً يعين مكانه من يقوم بعمله، وقد كانت بين يعلى وعمر عدة مكاتبات تتعلق بقضايا الزكاة[٤]، كما ذكر يعلى نفسه ضمن الولاة الذين قاسمهم عمر أموالهم في أواخر خلافته[٥].

وقد ذكر من ولاة اليمن لعمر (عبدالله بن أبي ربيعه المخزومي)[٦] ولعله كان على منطقة محددة من اليمن وهي (الجَنَد) كما صرح بذلك الطبري حيث ذكره ضمن ولاة عمر حين وفاته إذ كان والياً لعمر على الجند بجانب ذكره ليعلي كوال لليمن[٧].

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/٤٢.

(٢) اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٦١.
النويري، نهاية الأرب، ج١٩/٤٠٠.

(٣) يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ج١/٨٣.

(٤) القاسم بن سلام، الأموال، ص ٤٣٦.

(٥) اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٥٧.

(٦) (من بني مخزوم من قريش، أسلم عام الفتح، وهو والد الشاعر المشهور عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة (ابن حجر، الإصابة، ج٢/٣٠٥).
خليفة بن خياط، تاريخه، ١٥٤.

(٧) الطبري، تاريخه، ج٥/٤٢.

وقد لعب أهل اليمن دوراً رئيساً في حركة الفتوح أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فاشتركوا في فتوح الشام وفي فتوح العراق ومصر[١]، وعندما اختطت الأمصار الإسلامية الجديدة في العراق -كالبصرة والكوفة- نزلتها الكثير من القبائل اليمنية وعلى رأسها كندة التي نزلت الكوفة[٢] كما استقرت أعداد أخرى من القبائل اليمنية في الشام، وكان لهم دور كبير في معركة اليرموك[٣]. كما سكنت مجموعة منهم في مصر بعد إنشاء الفسطاط[٤] ولا شك أن هذه الهجرات المنظمة من القبائل اليمنية في عهد عمر قد خطط لها، وقد يكون لأمراء البلدان على اليمن دور كبير في هذا التخطيط وفي عملية توزيع القبائل على الأمصار، ومن هنا كانت اليمن من أهم الولايات الإسلامية على عهد عمر، وكان دورها وتأثيرها واضحاً بالنسبة لمختلف الولايات الأخرى.

ولاية البحرين:

كانت ولاية البحرين تابعة للدولة الإسلامية أيام الرسول ﷺ، ثم ارتدت، ولكن أعان الله أبابكر رضي الله عنه فأصلح أوضاعها وقمع المرتدين فيها، وكان

---

(١) د. عصام الدين عبدالرازق الفقي، اليمن في ظل الإسلام من فجره حتى قيام دولة بني رسول ط١، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٢م، ص ٤٩، ٥٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الأزدي، فتوح الشام ٤٩.

(٤) ابن عبدالحكم، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله القرشي المصري، فتوح مصر وأخبارها، طبع مدينة ليدن، مطبعة بريل ١٩٢٠م، ص ١١٩-١٢٣.

المقريزي: تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بـ (الخطط المقريزية) دار صادر، بيروت، د.ت ج١/٢٩٨.

لواليه العلاء بن الحضرمي فضل القيام بالمهمة. وعندما تولى عمر أمر المسلمين كان العلاء هو والي البحرين، فأقره عمر في بداية خلافته والياً عليها[١]، واستمر على ولايته لها حتى سنة أربع عِشرة على أرجح الأقوال[٢]. وقد اشترك العلاء رضي الله عنه في الجهاد المبكر في نواحي بلاد الفرس، وكان له دور رئيس فيه[٣]، وفي أواخر فترة ولاية العلاء على البحرين أصدر عمر قراراً بعزله عن ولايتها ونقله إلى ولاية البصرة وقد كره العلاء ذلك فتوفي قبل أن يصل البصرة ودفن في البحرين. وقد قيل في سبب عزله: إنه غزا فارساً عن طريق البحر دون إذن من عمر، وكان عمر يكره أن يحمل المسلمين في البحر[٤].

وبعد وفاة العلاء تولى على البحرين عثمان بن أبي العاص الذي يعد الوالي الثاني للبحرين في عهد عمر، ذلك أن عثمان كان والياً على الطائف، فطلب من عمر أن يأذن له في الجهاد، فولاه عمر عمان والبحرين، فسار إلى أرض عمان، وأرسل أخاه الحكم بن أبي العاص إلى البحرين في سنة ١٥ للهجرة[٥].

وفي فترة ولاية عثمان للبحرين أخذ رضي الله عنه يجاهد ما يليه في نواحي بلاد

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٢٢.
ابن أبي عدسة، التاريخ الكبير، ورقة ٦٧.

(٢) اختلف في وفاة (العلاء) فقيل سنة ١٤هـ وقيل سنة ٢١هـ وتخبط المؤرخون في ذلك ومنهم الطبري، كما توقف بعضهم ومنهم ابن حجر وجزم بعضهم أنه توفي سنة ٢١هـ ومنهم الذهبي في سير أعلام النبلاء كما جزم البعض أنه توفي سنة ١٤هـ أو أول ١٥هـ منهم البلاذري في ص ٩٢، وهو أرجح الأقوال ويسنده أن العلاء بعد سنة ١٤هـ ولم يرد له ذكر في الأخبار أو الأحداث التي وقعت رغم أنه كان من قواد المسلمين وولاتهم، وكان قد توجه إلى البصرة بعد توليته لها ولم يصلها ومما يؤيد القول بوفاة العلاء سنة ١٤هـ تولي مجموعة من الولاة للبحرين وللبصرة بعد سنة ١٤هـ ونسيان أمر العلاء.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ٣٧٨.

(٤) الطبري، تاريخه: ج٤/٢١٣.

(٥) خليفة بن خياط، تاريخه ص ١٣٤.

فارس، حتى وصل في بعض فتوحه إلى نواحي السند، وكان يستخدم طريق البحر، وهو الأمر الذي كان يغضب عمر بن الخطاب رضي الله عنه[١]. وقد صدرت أوامر عمر إلى عثمان بن أبي العاص تأمره بالتعاون في فتوحه مع والي البصرة أبي موسى الأشعري، فأصبحت جيوشهما تتعاون في غزو فارس عن طريق البصرة[٢]. وقد اشتهر عن عثمان بن أبي العاص ورعه وبعده عن الوقوع في الحرام[٣]، وقد تولى عثمان ولاية البحرين لعمر مرتين على الأقل؛ إذ أنه ولاه -للمرة الأولى- في السنة الخامسة عشرة ثم احتاج إليه لقيادة بعض الجيوش في نواحي البصرة ليشترك في فتوحاتها[٤].

وقد تولى (عياش بن أبي ثور)[٥] البحرين بعد عثمان بن أبي العاص، ويبدو أن فترته لم تطل.

ثم ولى عمر على البحرين (قدامة بن مظعون)[٦] رضي الله عنه الذي صحبه أبوهريرة وولي له أمر القضاء في البحرين بالإضافة إلى بعض المهام الأخرى.

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ٤٢٠.

(٢) المصدر السابق، ٣٨٠.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٣٧٤.

القاسم بن سلام، الأموال، ١٣٤.

(٤) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٤٩.

(٥) له صحبة، ولاه عمر البحرين ، (الإصابة ج٣/٤٦، أسد الغابة ج٤/١٦١).

(٦) قدامة بن مظعون الجمحي القرشي، أحد السابقين إلى الإسلام هاجر إلى الحبشة، شهد بدراً وبعض المشاهد مع النبي ﷺ توفي سنة ست وثلاثين (ابن سعد الطبقات ج٣/٤٠١، ابن حجر، الإصابة ٣/١٣٨٩).

وخلال فترة ولاية قدامة للبحرين امتدحه الناس[١] إلا أنه حدث في آخر ولايته أن اهم رضي الله عنه بشرب الخمر، فأنكر ذلك وكان عمر رضي الله عنه أقام عليه الحد بناء على الشهادة التي قدمتِ بين يديه على الرغم من أنه خال أولاد عمر بن الخطاب وعلى رأسهم أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها[٢] .

والذي يهمنا هنا أن عمر رضي الله عنه أقام عليه الحد وهو مريض، فغشي عليه قبل إكمـــال الحد، فقال عمر رضي الله عنه: لو مـــات لجلدته بقيتها على قبره[٣]، وقد أثار هذا الموقف غضب قدامة على عمر رضي الله عنه إذ أنه على قناعة ببطلان التهمة الموجهة إليه وأنه شرب من قربة لم يعلم ما فيها فقاءه مباشرة. إلا أن عمر أصر على إرضائه وكان يقول: إني رأيت رؤيا أنه قد أتاني آت في منامي، فقال لي: صالح قدامة فإنه أخوك[٤] ، وقيل: إن عزل قدامة عن ولاية البحرين كان في سنة عشرين للهجرة[٥] .

وقد تولى على البحرين بعد قدامة الصحابي المعروف (أبوهريرة) رضي الله عنه، وقد كان أبوهريرة يتولى بعض المسئوليات في البحرين أثناء ولاية قدامة بن مظعون السابقة، وقد أصدر عمر رضي الله عنه أمراً بتولية أبي هريرة على البحرين بعد عزله لقدامة[٦]، ومن أهم الحوادث التي تنسب إلى أبي هريرة رضي الله عنه أثناء

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ٩٣.

(٢) لمراجعة القصة بالتفصيل انظر: ابن ســعد، الطبقات، ج٥/٥٦٠ وعمر بن شبة، تاريخ المدينة ج٣/٨٤٣، وابن الأثير، أسد الغابة ج٤/١٩٩، وابن حجر، الإصابة ج٣/٢٢٨.

(٣) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/٨٤٤.

(٤) ابن حجر، الإصابة، ج٣/٢٢٩.

(٥) ابن الأثير الكامل ج٢/٥٦٩، ابن كثير، البداية والنهاية ج٧/١٠١.

(٦) البلاذري، فتوح البلدان، ٩٣.

ولايته للبحرين أنه قدم بأموال عظيمة قدرت بخمسمائة ألف درهم من البحرين إلى المدينة المنورة وسلمها لعمر بن الخطاب، ويعزو بعض المؤرخين أسباب تدوين عمر بن الخطاب رضي الله عنه للدواوين إلى هذه الحادثة[١] كما ورد أن أبا هريرة قدم إلى المدينة بأموال تقدر بعشرة آلاف درهم خاصة به فحقق معه عمر عن مصدرها وقسا عليه ببعض العبارات واقمه وسأله بعض الأسئلة عن مصدر هذه الأموال[٢]، وكان أبو هريرة دافع عن نفسه، وبيّن مصدر هذه الأموال، وأنها جاءت عن طرق شرعية فاستقصى عمر فوجدها كما قال[٣] ، ثم إن عمر دعا أبا هريرة ليستعمله مرة أخرى فرفض أبوهريرة ذلك خوفاً من أن يقع تحت طائلة الاتهام وتورعاً من ذلك، فقال له عمر في حواره المشهور: قد عمل من هو خير منك: يوسف، فقال أبوهريرة: ولكن يوسف نبي ابن نبي ابن نبي، وأنا ابن أُمَيْمَة.. إلى آخر الحوار[٤].

وقد ولي البحرين لعمر فيما بعد عثمان بن أبي العاص الثقفي مرة أخرى واستمر والياً عليها حتى توفي عمر رضي الله عنه[٥] ، وقد وردت في كثير من

---

(١) أبو يوسف، الخراج ٤٨، ٤٩، البلاذري، فتوح البلدان، ٤٤٠.
(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ٩٣، ابن سلام، الأموال، ٣٤٢، ٣٤٣.
(٣) ابن حجر الإصابة، ج٤/٢١٠.
(٤) ابن سلام، الأموال، ٣٤٣.
ابن حجر، الإصابة ، ج٤/٢١٠.
(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ٩٣.
خليفة بن خياط، تاريخه، ١٥٤، الطبري، تاريخه ج٥/٤٢.
يلاحظ أن عبدالرحمن عبدالكريم النجم في كتابه البحرين في صدر الإسلام وأثرها على حركة الخوارج والذي أورد فيه ولاة البحرين لعمر في ص ١٥٣، قد خلط فيما يبدو لي بين فترات ولايتهم أو زاد من أُنيبَ من قبل وال فجعله والياً وقد تبين لي ذلك من خلال متابعتي لمصادره التي أوردها في ثنايا بحثه والله أعلم.

النصوص ولاية البحرين مضافة إليها عمان، كما ذكرنا سابقاً في ولاية عثمان بن العاص الأولى للبحرين وعمان، كما ورد أحياناً عند تولية عثمان بن أبي العاص أنه ولي البحرين واليمامة[١] .

وهذه الروايات تعطينا دلالة قوية على مدى ارتباط البحرين بكل من عمان واليمامة، وأن هذين القسمين ربما عُدّا جزءاً من ولاية البحرين خلال عصر عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، ولا يخفي مدى الارتباط الجغرافي والبشري بين هذين الإقليمين وبين البحرين.

وقد يفيدنا تعبير البحرين وما والاها الذي يردده المؤرخون[٢] وجود توابع للبحرين ربما كان المقصود بها عمان واليمامة.

ومن خلال النصوص التاريخية نلاحظ الدور الرئيس لولاية البحرين في عصر عمر باعتبارها مصدراً رئيساً للخراج والجزية، وهو الذي يدلنا دلالة واضحة على مدى ثراء هذه الولاية في تلك الأيام، كما تحدثنا المصادر أيضاً في كثير من الأحيان عن مدى مشاركة قبائل البحرين المسلمة وأمرائها في الجهاد في بلاد فارس والمشرق، وعن دورهم الرئيس في الفتوح خلال تلك الأيام.

ولايـــة مصـــر:

كانت مصر قبل فتحها ولاية تابعة للإمبراطورية البيزنطية تعين عليها والياً من قبلها، وكان لهذا الوالي بعض الصلاحيات، إلا أنه كان يتصل بالقسطنطينية ويأخذ منها الأوامر مباشرة.

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٢/٥٠٨.

(٢) انظر الطبري، تاريخه، ج٥/٤٢.

وقد توجه عمر بن العاص مع جيشه الإسلامي من الشام لفتح مصر في سنة ٢٠ للهجرة[١] وقيل: سنة ١٦ للهجرة[٢]، واكتمل فتح مصر بجهود عمرو ورجاله الذين ساحوا في مختلف الأقاليم المصرية رغم المقاومة الشديدة التي كانوا يلقونها من جند الروم ومساعديهم من الأقباط[٣]، ثم إن عمرو بن العاص توجه بنفسه إلى الإسكندرية عاصمة مصر في تلك الأيام، وحاصرها مدة تزيد على ثلاثة أشهر حتى اصطلح مع المقوقس حاكم مصر من قبل الروم على شروط معينة دخل المسلمون بمقتضاها الإسكندرية.

وقد أغضب هذا الصلح إمبراطور الروم هرقل، فأنكره وبعث الجيوش من البحر إلى الإسكندرية فاستولوا عليها وأغلقوا أبوابها، ولكن عَمراً استطاع أن يفتحها مرة أخرى عنوة[٤].

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٤٢.

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج١٩/٢٨٤.

مما يؤيد الرأي القائل بفتح مصر سنة ١٦ للهجرة أن الأمور كانت مستقرة في مصر خلال السنة الثامنة عشر، حيث أنه في ذلك العام -وهو المسمى بعام الرمادة- طلب عمر بن الخطاب من عمرو بن العاص إمداد المدينة بالمؤن والأطعمة من مصر،وقد تحدث المؤرخون عن ذلك ومنهم خليفة بن خياط الذي جعل إرسال المدد من مصر إلى المدينة سنة ١٨هـ، وجعل فتح مصر في سنة ٢٠ للهجرة.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ٢١٨.

ابن تغردي بردي الأتابكي، جمال الدين أبو المحاسن، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، دار الكتب الوطنية، بدون تاريخ، ج١/٢٤.

(٤) البلاذري، فتوح البلدن، ٢٢٠.

المقريزي، الخطط ج١/١٦٣.

وقد كان سكان مصر حين فتحها في الغالب من الأقباط أهل البلاد الأصليين، بالإضافة إلى مجموعات كبيرة من الروم الذين كانوا يمثلون الجنود والموظفين ورجال الدين، وكان هؤلاء أشد مقاومة للمسلمين من أهل البلاد الأصليين[١].

وقد عامل المسلمون سكان البلاد معاملة حسنة كما عاملوا الروم الذين كانوا في الإسكندرية رغم غدرهم بالمسلمين -غير مرة- معاملة حسنة أيضاً[٢] .

وقد احتاج عمرو بن العاص في أثناء فتوحاته إلى المدد من الخليفة، نظراً لصعوبة مقاومة الروم في مصر، فأمده عمر بن الخطاب بمجموعات من الجنود على رأسها بعض الصحابة منهم الزبير بن العوام[٣] .

وقد فكر عمرو بن العاص في اتخاذ قاعدة لهذا الإقليم الهام والجديد من أقاليم الدولة الإسلامية وذلك بعد فتح الإسكندرية، فاجتمع إليه الفاتحون في نواحي الفسطاط في ذي القعدة سنة ٢١هـ[٤] وبدأ عمرو في توزيع الخطط على القبائل، ووكل هذه المهمة إلى أناس مختصين بعد أن اختط عمرو بن العاص جامعه المشهور.

وقد رغبت بعض القبائل أن تنزل في الجيزة، فبعث عمرو بن العاص إلى الخليفة

---

(١) غستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ص ٢٦٤.

(٢) المكان السابق.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٤٢.

(٤) ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ٩٨، المقريزي، الخطط ج١/١٦٥، محمد عبدالله عنان، مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م، ص ١٣.

عمر في المدينة فوافق على ذلك، بشرط أن يبني لهم من الحصون ما يؤمنهم من العدوان عليهم[١] ، ومع ذلك فقد كان الناس يخرجون إلى الريف بشكل جماعي في بعض فصول السنة بإذن من عمرو بن العاص[٢] .

وقد كان عمرو بن العاص هو الوالي الوحيد الذي تولى فتح مصر بنفسه، وأقره عمر والياً عليها، واستمر في ولايته حتى توفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رغم اختلافه مع عمر في بعض الأحيان، مما كان يدفع عمر إلى التهديد بتأديبه كما سيأتي -إن شاء الله- وكان عمرو هو والي مصر الرئيس على الرغم مما يرد من وجود بعض الولاة الصغار الآخرين في مصر؛ مثل ما ورد عن ولاية عبدالله بن سعد بن أبي السرح على الصعيد إبان وفاة الخليفة عمر[٣].

أما أهم الأحداث التي وقعت في ولاية مصر زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فيقف على رأسها ما يتعلق بالفتوح، حيث أن عَمراً استمر في فتوحه غرباً حتى بلغ انطابلس (طرابلس) وأخذ من قبائل البربر الجزية وقد نهاه عمر عن الامتداد وراء ذلك[٤].

---

(١) ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ١٢٨.

(٢) المصدر السابق، ١٣٩.

(٣) المصدر السابق، ١٧٣.

(٤) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٤٤.

البلاذري، فتوح البلدان، ٢٢٦، ٢٢٧.

ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ١٧٣.

الكندي، محمد بن يوسف، ولاة مصر، تحقيق د. حسين نصار، دار صادر بيروت، د. ت، ص ٣٣.

كما أن عمرو بن العاص قام بعدة أعمال في مجال العمل الداخلي في الولاية منها إصلاحات تتعلق بالزراعة؛ حيث قام عمرو بإقامة الجسور وبناء القناطر، وعين لذلك مجموعات كبيرة من العمال تقوم بتعقب هذه القناطر وإصلاحها (فكانوا لا يدعون ذلك صيفاً ولا شتاءً)[١] مما حمَّل ميزانية الولاية أعباء مالية ضخمة، وبالتالي قلّ ما كان يرسل من خراج إلى المدينة، فكان عمر يكتب إلى عمرو بن العاص في هذا الشأن ودارت بينهما مراسلات كثيرة حول هذه القضية[٢].

كما عامل عمرو بن العاص سكان مصر الإصليين معاملة طيبة، ومن ذلك أنه سمح بعودة بعض بطاركة الأقباط إلى مصر والذين سبق أن عزلهم الروم وطاردوهم، ولم يكتف عمرو بن العاص بعودتهم إلى بلادهم، بل عمل على إعادتهم إلى أعمالهم الكنسية السابقة والتي طردهم منها الروم[٣] مما أورث لدى الأقباط حباً للمسلمين ودفعهم للتمسك بهم، بالإضافة إلى أن الجزية التي أخذها عمرو من السكان كانت أقل مما كان يأخذه الروم منهم، كما أنه استعمل الرحمة معهم فكان ينظرهم في حالة إصابة مزارعهم أو قلة إنتاجهم[٤].

---

(١) ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ١٥١.
غوستاف لوبون، حضارة العرب، ٢٦٤.

(٢) ابن عبدالحكم، فتوح مصر و أخبارها، ص ١٥٨.
مراد محمد علي، الأساليب الإدارية في الإسلام، ص ٤٣.

(٣) المقريزي، أحمد بن علي بن عبدالقادر تقي الدين أبو العباس، القول الأبريزي، مطبعة التوفيق، القاهرة ١٨٩٨م، ص ٤٣.

(٤) ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ١٦١.

وفي أثناء ولاية عمرو بن العاص على مصر قام بحفر خليج (أمير المؤمنين) وكان الهدف منه أن يساعد على إيصال الطعام والمؤن إلى الموانئ الحجازية لتغذية المدينة المنورة وبقية مدن الحجاز بعد أن استعان به عمر بن الخطاب[1].

وقد حفر الخليج من الفسطاط إلى البحر الأحمر (القلزم) وقد تم حفره في سنة واحدة. وعلينا أن نقدر ما بذله عمرو بن العاص من جهد في حفر هذا الخليج وأن نتصور الأعداد التي عملت فيه، مع علمنا بأن الاعتماد الرئيس كان على الأيدي البشرية بالإضافة إلى استخدام الدواب عند الحاجة.

ولئن كان حفر الخليج يهدف بالدرجة الأولى إلى خدمة ولايات أخرى في الدولة الإسلامية تعرضت للجوع ونقص المؤن؛ مثل مكة والمدينة وبقية مدن الحجاز، فإن حفر الخليج -أيضاً- فاتحة خير بالنسبة لمصر، فقد كان له دور كبير في تنشيط التجارة والزراعة داخل مصر نتيجة زيادة الطلب على الصادرات المصرية من زراعة وصناعة، حيث كان المسلمون يدفعون ثمن ما يأخذوه من المصريين من أطعمة وغيرها.

ومن الملاحظ عند دراستنا لفترة ولاية عمرو بن العاص لمصر في عصر عمر كثرة تدخل الخليفة عمر في شئون الولاية المختلفة، وحتى عندما يتخذ عمرو بن العاص منبراً يكتب إليه عمر:

(أما بعد، فقد بلغني أنك اتخذت منبراً ترقى به على رقاب المسلمين أوَما

---

(١) ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ١٦٢.

البلاذري، فتوح البلدان، ٢١٧.

اليعقوبي، تاريخه، ١٥٤، النويري، نهاية الأرب، ج١٩، ٣٢٧.

يكفيك أن تكون قائماً والمسلمون تحت عقبك، فعزمت عليك إلا ما كسرته)[١].

وكذلك عندما يبني رجل غرفة فوق داره، فإن عمر بن الخطاب يكتب إلى عمرو بن العاص بهدم هذه الغرفة خوفاً من اطلاع هذا الرجل على عورات جيرانه[٢].

ولقد كان عمر رضي الله عنه شديد المراقبة لأحوال عمرو بن العاص بمصر، فعندما تأخر عمرو بن العاص في إرسال الخراج إلى المدينة طلب عمر من عمرو أن يرسل إليه رجلاً من أهل مصر فبعث إليه عمرو رجلاً من كبار القبط فسأله عمر عن مصر وعن خراجها قبل الإسلام وبعده فعرف أحوالها[٣].

وكان عمرو بن العاص كثيراً ما يستشير عمر بن الخطاب في الأمور التي تعرض له في هذه الولاية، من ذلك أن مجموعة من جنود الفتح أصروا على عمرو ابن العاص أن يقسم الأراضي بينهم، فكتب في ذلك إلى عمر يسأله فكتب إليه عمر بإقرارها في أيدي القبط حتى تكون فيئاً للمسلمين[٤]، كذلك مشاورته في قضية إلقاء الجارية في نهر النيل، وقد رفض عمر ذلك[٥].

---

(١) ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ٩٢.
- ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد، المقدمة، دار القلم بيروت ١٩٧٨، ص ٢٦٩ "ونحن نعتقد أن الخليفة قصد من هذا أن لا يحس عمرو بعلوه على الناس إذ كان عمر يخشى من ذلك لكن مجرد اتخاذ المنبر عمل مشروع لا شيء فيه".

(٢) ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ١٠٤.

(٣) المصدر السابق، ١٦١.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ٢١٥.

(٥) المقريزي، الخطط، ج١/١٦٦.
ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ١٥٠.
السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج١/١٢٧.

وكان عمرو بن العاص يخشى مراقبة عمر بن الخطاب، ويعلم مدى حرصه على إقامة العدل بين الناس، وعلى إقامة الحدود الشرعية، فكان يبذل جهده حتى لا يصل إلى عمر من الأخبار إلا ما يسره، ومن ذلك أن عبدالرحمن بن عمر بن الخطاب ورجلاً أخر شربا شراباً دون أن يعلما أنه مسكر فسكرا، ثم إنهما جاءا إلى عمرو بن العاص يطلبان منه أن يقيم عليهما الحد فزجرهما عمرو وطردهما، فقال له عبدالرحمن: (إن لم تفعل أخبرت أبي، قال عمرو: فعلمت أني إن لم أقم عليهما الحد غضب عليَّ عمر وعزلني، ثم إن عمراً جلدهما أمام الناس وحلق رأسيهما داخل بيته، وكان الأصل العقاب بالحلق مع الجلد في وقت واحد وأمام الناس، فجاءه كتاب من عمر يعنفه على عدم حلقه أمام الناس، وكان فيه: (تضرب عبدالرحمن في بيتك وتحلق رأسه في بيتك وقد عرفت أن هذا يخالفني، إنما عبدالرحمن رجل من رعيتك تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين، ولكن قلت له: ولد أمير المؤمنين وقد عرفت أن لا هوادة لأحد من الناس عندي في حق يجب لله عليه)[1].

وقد وجهت ضد عمرو بن العاص بعض الشكاوي أثناء ولايته بعضها من جنوده المسلمين، وبعضها من أهل البلاد من الأقباط، ومما دعا عمر رضي الله عنه إلى استدعاء عمرو بن العاص عدة مرات لمعاتبته، بل وأحياناً لمعاقبته على ما بدر

---

(١) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/٨٤١.

- ابن الجوزي: أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تحقيق الدكتورة زينب إبراهيم القاروط، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٤٤١.

- المحب الطبري، الرياض النضرة في مناقب العشرة، ج٢/٤٢.

منه، ومن ذلك ما تقدم به أحد المصريين ضد ابن لعمرو بن العاص ضربه بالسوط، مما جعل عمر بن الخطاب يستدعي عمراً وابنه ثم يأمر المصري بالقصاص من ابن عمرو بن العاص، ويقول له: لو ضربت أباه عمراً لما حلنا بينك وبين ذلك، والتفت عمر إلى عمرو بن العاص، وقال قولته المشهورة: (متى استعبدتم الناس وقد ولدهم أمهاتهم أحراراً)[١].

وكذلك يدخل في هذا الباب ما تقدم به أحد الجنود من أن عمرو بن العاص اتهمه بالنفاق وكتب معه عمر إلى عمرو بن العاص أمراً بأن يجلس عمرو أمام الناس فيجلده هذا الرجل إذا ثبت صدق ما ادعاه بشهادة شهود، وقد ثبت بالشهادة أن عمراً رماه بالنفاق، فحاول بعض الناس أن يمنع الرجل من ضرب عمرو، وأن يدفع له الإرش مقابل الضرب، ولكنه رفض ذلك، وعندما قام على رأس عمرو ليضربه سأله: (هل يمنعني أحد من ضربك؟ فقال عمرو: لا فامضِ لما أمرت به، قال: فإني قد عفوت عنك)[٢].

كما ورده عدة روايات تدل على أن عمر بن الخطاب قد أرسل المفتش الرسمي للدولة (محمد بن مسلمة) إلى عمرو بن العاص، في مصر ليقاسمه أمواله[٣]، وليست هذه المقاسمة خاصة بعمرو بن العاص، وإنما شملت مجموعة أخرى من العمال قاسمهم عمر أموالهم بالطريقة نفسها[٤] مع أن الجميع كانوا أهل فضل وديانة ولا يتهمون

---

(١) ابن أعثم الكوفي: الفتوح، ج٢/٨٢.
ابن الجوزي: مناقب عمر بن الخطاب، ٩٩.
(٢) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/٨٠٨.
(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ٢٢١.
ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ١٤٦.
(٤) القاسم بن سلام، الأموال، ٣٤٢، البلاذري، فتوح البلدان، ٣٧٧.
ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ٦٢.

بخيانة[١]، وهكذا نرى أن أية شكوى كانت تقدم ضد عمرو بن العاص كانت تجد الاهتمام من عمر بن الخطاب، ولهذا نجد أن عمرو بن العاص كان يحسب لعمر ألف حساب ويشعر بمراقبته لكافة تصرفاته.

وقد استفاد عمرو بن العاص من خبرة الأقباط في قضايا الخراج والجزية، فاستخدمهم في هذا العمل[٢].

كذلك اشتهر عن عمرو منعه لجنوده من الزراعة والاشتغال بها ومعاقبة من يخالف ذلك بناء على أوامر من عمر بن الخطاب[٣]، وكان هذا بالطبع لتفريغ الجنود لأمور الجهاد، وعدم الركون إلى الدعة أو الارتباط بالأرض، حيث أن حركة الجهاد تتطلب في كثير من الأحيان الانتقال من مكان إلى مكان. بالإضافة إلى ذلك، فإن الجند كان لهم من الأرزاق التي تصرف من بيت المال ما يغنيهم عن ذلك، وهكذا تبين أن مصر في عصر عمر بن الخطاب دخلت ضمن الولايات الإسلامية، وقد استطاع واليها عمرو بن العاص -بمتابعة من الخليفة عمر- تنظيم أمورها في سنوات قليلة حتى أخذت مكانتها كولاية كبرى من ولايات الدولة، وجرى فيها من الأحداث ما يدل على استقرار أوضاع الولاية بالرغم من المخاطر التي كانت تحدق بها من جراء محاولة الروم المستمرة استعادتها عن طريق غزو الإسكندرية من ناحية البحر.

وقد كانت هذه الولاية أرضاً خصبة لانتشار الإسلام فيها في عهد الخليفة عمر نظراً لما ظهر فيها من عدل بين الناس ورحمه لم يعهدهما أهلها من قبل، بالإضافة

---

(١) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ٤٦.

(٢) ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ١٥٢.

(٣) المكان السابق.

إلى اقتناعهم بحقائق الإسلام وتعاليمه السمحة فأصبحوا جنداً من جنوده.

وقد كانت الأمور الإدارية في مصر تمضي بطريقة بسيطة؛ إذ كان عمرو هو الوالي وهو المسئول عن الخراج، ولا يمنع هذا من استعانة عمرو ببعض الولاة على مناطق أخرى تابعة له كما مرّ، ولكن الوالي الرئيس والمسئول أمام الخليفة هو عمرو بن العاص طوال فترة حكم عمر بن الخطاب، وقد استفاد عمرو من بعض أهل البلاد في ترتيب أمور الخراج، وتنظيم شئونها المالية.

ولايـــات الشـــام

إمرة أمراء الشام:

دخل المسلمون بلاد الشام أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأخذوا ينتشرون بها فاتحين، وقد توزع بها الأمراء حسب توجيهات أبي بكر. وقد توفي أبوبكر الصديق رضي الله عنه والشام لم تستقر بعد؛ نظراً لظروف الجهاد، ومع ذلك فقد كانت المسئوليات والمناطق في بلاد الشام محددة بأمراء معينين حتى قبل الفتح، منذ أن توجهت الجيوش من المدينة.

وحينما توفي أبوبكر الصديق رضي الله عنه كان المسئول عن جيوش الشام وبلادها هو خالد بن الوليد رضي الله عنه، وكان المسلمون إبان وفاة أبي بكر يحاصرون دمشق بقيادة خالد بن الوليد[١] رضي الله عنه، ومع أن خالداً من أفضل القواد والولاة، إلا أن أول عمل لعمر رضي الله عنه بعد توليه الخلافة كان إصداره أمراً بعزل خالد بن الوليد عن ولاية الشام وتعيين أبي عبيدة بن الجراح مكانه[٢] أميراً لأمراء الشام، ومسئولاً مباشراً عنهم ووالياً على الجماعة فيها[٣].

وكان عزل خالد مثار استفهام كثير من الناس أيام عمر رضي الله عنه وحتى

---

(١) البلاذري، فتوح الشام، ١٢٧.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٢٢.
الطبري، تاريخه ج٤/٥٦.
اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٣٩.
النويري، نهاية الأرب، ج١٩/٣٤٢.
اليافعي، مرآة الجنان، ١/١٠٣.

(٣) بدران: الشيخ عبدالقادر، تهذيب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر ط٢، دار المسيرة بيروت ١٣٩٩هـ، ج١/١٥٢.

عصرنا الحاضر، وقد كتب كثير من الناس عن هذا العزل وأسبابه، ومنهم من ذكر أن عمر كان يرى أن أبا عبيدة أكثر اعتدالاً من خالد وأقدر على التروي منه[١] ، ومنهم من حمل على موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه دون أن يدرك المغزى الذي رمى إليه عمر من عزل خالد!.

يقول باحث معاصر من هؤلاء بعد كلام طويل: (فقصارى ما نفهم من ذلك أن خالداً كان جديراً بالبقاء في منصبه، ولم يكن مستحقاً لعزله، وليس ذلك بشيء إلى جانب ما رأينا من نصب الميزان في القضية كما نصبه خليفة الإسلام)[٢] .

وعندي -في مقام التعليق على النتيجة التي انتهى إليها الباحث- أن هذا الباحث لو أدرك مدى تصور عمر بن الخطاب لفائدة عزل خالد لما جعل ميزانه أعدل من ميزان عمر كما عبر عن ذلك في جرأة لا معنى لها، ولما نسب لنفسه فهم القضية أكثر من الخليفة العادل الذي كان يعيش كل أبعادها، ولكن الأمر في حقيقته جد مختلف بين الموقفين؛ فعمر كان يريد تحطيم التوكل على الأشخاص وإثبات أن النصر يرجع للعقيدة لا للقيادة.

ومن خلال دراسة الموضوع تبينا اضطراب الآراء في عزل خالد بن الوليد؛ فالطبري يروي أن عمر كان ساخطاً على خالد منذ أيام أبي بكر الصديق، وأنه

---

(١) عبدالواحد ذنون طه، إدارة بلاد الشام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، بحث منشور في مجلة آداب الرافدين جامعة الموصل، العدد السادس عشر، ١٩٨٦م، ص ٢٩٥.

(٢) راضي عبدالله عبدالرحيم، النظام الإداري والحربي في الدولة العربية الإسلامية على عهد الخلفاء الراشدين، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم التاريخ بجامعة القاهرة في العام الجامعي ١٣٩٩، ص ١٣٢، وانظر ما كتبه من ص ١٢٤ حتى ص ١٣٢.

سعى إلى عزله مراراً، ولكنه لم ينجح فلما تولى عمر بادر إلى عزله[١]. كما يرى اليعقوبي أن عمر كان سيئ الرأي في خالد لقول كان يقوله في عمر[٢] إلى غير ذلك من الآراء التي آثرت عدم إيرادها وتفصيلها[٣].

وهكذا يبدو لي أن عزل عمر لخالد رضي الله عنه كان بسبب النجاح الكبير الذي حققه خالد بن الوليد رضي الله عنه في فتوحاته، فإن هذا النجاح قد أرجعه البعض إلى شخصية خالد، فأراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه تطهير الناس من هذا التصور الجاهلي الذي كاد أن يوقع بعض المسلمين في الفتنة، مما دفع عمر إلى أن يبين للناس -بهذا العزل- أن النصر من عند الله سبحانه وتعالى، وليس من عند خالد بن الوليد. وقد كان هذا التصرف من عمر في محله، وجاء في وقته، ويؤيد هذا الرأي الذي ذهبنا إليه أن عمر رضي الله عنه قال: (إني لم أعزل خالداً عن سخط ولا خيانة، ولكن الناس فتنوا به، فخفت أن يوكلوا إليه ويبتلوا به، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع وأن لا يكونوا بعرض فتنة)[٤] ، كما روي عن عمر أنه لما تولى قال: (لأعزلن خالداً حتى يعلم أن الله إنما ينصر دينه)[٥].

وهكذا تبين النصوص السابقة أن السبب الرئيس لعزل خالد رضي الله عنه كان خشية عمر على الناس من الافتتان بشخصية خالد رضي الله عنه، وخشيته

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٤/٣٠، ٥٦.

(٢) تاريخه، ج٢/١٣٩.

(٣) ذكر بعض من هذه الآراء على إجمالها اليافعي في مرآة الجنان، ج١/١٠٣.

(٤) الطبري، تاريخه ج٤/٤٠٦.

"وإن لا يكونوا بعرض فتنة أي أن لا يتعرضوا للفتنة".

(٥) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٢٢.

أيضاً على خالد من الافتتان بنفسه حينما يرى من نفسه ما يرى، فيتصور -ولو للحظات- أنه سبب الانتصار.

ونحن حينما ندرس هذه القضايا يجب أن لا تسيطر علينا عقليات العصر الحديث وموازينه المادية في مثل هذه القضايا الهامة، بل يجب أن ندرك الميزان الأول عند هؤلاء الأسلاف، وهو ميزان العقيدة، والثقة في الله قبل الأسباب، وطرح الدنيا وابتغاء ما عند الله.

ومن العجيب أن بعض كتاب عصرنا -حين يتجاهل المغزى العميق لعزل خالد- يغضب لهذا العزل، بينما لم يغضب خالد نفسه لذلك، وأدرك المعنى الذي قصده الخليفة عمر بن الخطاب، وتلقى أمره بالقبول، وعمل جندياً مخلصاً في جيش المسلمين، و لم يؤثر عليه هذا القول كما تصور هؤلاء، كما لم يؤثر -وهذا هو الأهم- على المسلمين في انتصاراتهم التي استمرت كما كانت قبل عزل خالد، وقد استمر خالد دون توقف عن العطاء والجهاد، وكان يُوْلِي قائده الجديد كل محبة وولاء، وينصح له في مختلف الأمور، ويبعث إليه ما يقع في يده من غنائم[1].

وقد خشي عمر كما خشي خالد نفسه من إثارة الفتنة بين الناس بسبب هذا العزل، فخطب خالد في الناس ونهاهم عن الفتنة[2] وقال قولته المشهورة: (والله لو ولى عليَّ عمر امرأة لسمعت وأطعت)[3].

ومن جهة أخرى كتب عمر بن الخطاب إلى الأمصار وبيّن سبب عزله لخالد عن ولايته؛ حيث أكد أنه لم يعزل خالداً عن سخطة ولا خيانة، ولكن الناس فتنوا

---

(١) انظر ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج١/١٧٦.

(٢) أبو يوسف، الخراج، ١٦٠.

(٣) اليافعي مرآة الجنان، ج١/١٠٣.

به، كما بين لهم أنه إنما أراد منهم أن يعلموا أن الله هو صانع النصر، وليس خالداً أو غيره[١].

وهذا الكتاب العام الذي أصدره عمر إلى الأمصار يعد تبرئة لساحة خالد، حتى لا يكون هناك مجال لاتهامه، خصوصاً في الأمصار البعيدة عن الحادثة والتي قد يكثر فيها الحديث والتخمين عن أسباب العزل.

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن الأمير الجديد أباعبيدة بن الجراح أخذ يعامل خالداً معاملة خاصة ومثالية حتى قيل: إنه أخفى عليه قرار العزل لعدة أيام، وتصرف معه خلالها كأنه الجندي وخالد هو الأمير[٢]، وهذا يعطينا دلالة واضحة على عظمة نفوس هؤلاء واختلاف مقاييسهم عن مقاييسنا، وقد قيل: إن مدة ولاية خالد على الشام كانت سنة وأياماً[٣] وهي في الغالب في أيام أبي بكر الصديق، حيث أن عمر بادر إلى عزله كما ذكرنا.

من المعروف أن قرار عمر بن الخطاب بعزل خالد بن الوليد عن ولاية الشام قد تضمن كذلك تولية أبي عبيدة بن الجراح على ما كان يتولاه خالد قبل عزله[٤] وقد وصل خطاب العزل والتولية أثناء حصار المسلمين لدمشق، وكان خالد قد

---

(١) انظر محمد حميد الله الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ٤٥٩.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ١٢٢.
المحب الطبري، الرياض النضرة، ج٢/٤١٨.

(٣) الأزدي، فتوح الشام، ١٠٥.
البلاذري، فتوح البلدان، ١٢٢، ١٢٣.

(٤) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٢٢.
اليعقوبي، تاريخه ج٢/١٣٩.
ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج١/١٥٧.
الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/١٥.

عقد صلحاً مع أهل دمشق دون أن يعلم أنه معزول، وحاول بعض الجند الاعتراض على هذا الصلح بحجة أن خالداً كان قد عزل، ولكن أباعبيدة أقر هذا الصلح وقال: إنه يُجِيْرُ على المسلمين أدناهم[١].

وقد كانت لأبي عبيدة رضي الله عنه خبرة سابقة بالإمارة، ترجع إلى أيام الرسول ﷺ الذي استعمله عدة مرات[٢]، كما استعمله أبوبكر الصديق على الشام وأجنادها قبل قدوم خالد بن الوليد من العراق[٣] وبالتالي كان لأبي عبيدة ما يؤهله للقيام بمهمته خير قيام، بالإضافة إلى مدح الرسول ﷺ له وتلقيبه بلقب (أمين هذه الأمة) وشهادة الرسول ﷺ له بالجنة[٤].

وفي خلال ولاية أبي عبيدة على الشام برزت على مسرح الأحداث العديد من الأمور والقضايا الخاصة بهذه الولاية، والتي برز فيها دور أبي عبيدة وبتوجيه من عمر في كثير من الأحيان.

وكانت أهم القضايا التي استنفدت جهد أبي عبيدة هي قضية استمرار الفتوحات، ففي أثناء ولاية أبي عبيدة تم فتح دمشق التي بدأ حصارها أيام خالد ابن الوليد[٥]، ثم حدثت بعد ذلك وقعة (فحل) في الأردن، وهي من أهم المعارك التي خاضها المسلمون، وكانت في أواخر سنة ١٣هـ وكان قائد المسلمين فيها

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ١٢٩.
(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٢٠.
(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٢١.
(٤) المصدر السابق، ج١/٦.
(٥) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٢٦.
البلاذري، فتوح الشام، ١٢٢.

أبوعبيدة بن الجراح[١] ، وفي أيام أبي عبيدة فتحت بعلبك[٢] على يد خالد بن الوليد[٣] وفتحت حمص[٤] على يد أبي عبيدة نفسه[٥] واستمر المسلمون في فتوحاتهم في بلاد الشام بعد معركة اليرموك[٦] الشهيرة حيث فتحت القدس[٧] أيام أبي عبيدة بالإضافة إلى العديد من المواقع الأخرى التي فتحت أثناء ولاية أبي عبيدة على الشام، سواء تلك التي فتحها بنفسه وبجنده، أو فتحها بعض القواد الآخرين التابعين لأجناد أبي عبيدة في الشام.

ولم يتوقف أبو عبيدة عن الجهاد حتى وفاته، وقد كان عمر يتابع الفتوحات

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ١٢٢.

"فِحْل" موقع في الشام بين طبرية وبيسان كانت فيه وقعة بين المسلمين والروم في السنة الرابعة عشرة للهجرة وكانت من أكبر المعارك، قتل فيها من الروم قرابة ٨٠ ألف رجل وكان النصر فيها حليفاً للمسلمين. انظر الأزدي فتوح الشام، ص ١١١، خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٢٦، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤/٢٣٧.

(٢) بعلبك: مدينة مشهورة، تقع في لبنان حالياً، د. صلاح الدين المنجد، معجم أماكن الفتوح، ص ٢٠.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٢٧.

ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج١/٧٦.

(٤) حمص، مدينة مشهورة تقع في سوريا حالياً، صلاح الدين المنجد، معجم أماكن الفتوح، ص ٤١.

(٥) خليفة بن خياط، تاريخ، ١٣٠.

(٦) الأزدي، فتوح الشام، ٢١٧.

خليفة بن خياط، تاريخه، ١٣٠.

(٧) الأزدي، فتوح الشام، ٢٤٦، خليفة بن خياط، تاريخه، ١٣٤.

بنفسه ويصدر التعليمات إلى أبي عبيدة عن طريق الرسل أو عن طريق الكتب[١]. وبالإضافة إلى ذلك فقد كان عمر يطلب من أبي عبيدة الأخبار والتقارير المستمرة عن هذه الفتوحات[٢] فكان أبوعبيدة يكتب له عن ذلك ويرسل تقارير فورية عن حال الفتوح في الشام[٣]، وكان أبوعبيدة يعين من قبله عمالاً على الكور والمناطق التي يتم فتحها[٤].

وقد اشتهر أبوعبيدة رحمه الله بزهده الشديد وورعه، ومع ذلك فإنه لم يسلم من امتحان عمر له عدة مرات ليتبين ثباته على هذا الزهد، ففي أثناء قدوم عمر إلى الشام في إحدى زياراته أراد أن يدخل دار أبي عبيدة ليعرف ما عنده من المتاع، وقد زار بقية الأمراء، فقال عمر لأبي عبيدة: إنه لم يبق أمير من أمراء الأجناد إلا استزارني غيرك، فقال أبوعبيدة: (يا أمير المؤمنين إني أخاف أن أستزيرك فتعصر عينيك في بيتي[٥]، قال عمر: استزرني، قال أبوعبيدة: فزرني، فأتاه عمر فإذا بيته خاو إلا من فرسه وإذا هو فراشه وسرجه، وإذا هو وسادته، وإذا كسر يابسة في كوة بيته، فجاء بها فوضعها على الأرض بين يديه، وأتاه بملح جريش وكوز فيه ماء، فلما نظر عمر إلى ذلك بكى ثم التزمه إليه -وعانقه- وقال: ما من أحد من أصحابي إلا وقد نال من الدنيا ونالت منه غيرك، فقال

---

(١) انظر ابن أعثم الكوفي، ج١/١٥٨.

(٢) المصدر السابق، ج١/٢١٥.

(٣) انظر إلى مجموعة من هذه التقارير: محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ٤٣٨-٤٦٢.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ١٥٥.

(٥) تعصر عينيك في بيتي: أي تشدد في النظر إليه حتى تعرف ما فيه.

أبوعبيدة: ألم أخبرك أنك ستعصر عينيك في بيتي)[١] .

وفي اختبار آخر أجراه عمر لأبي عبيدة بعث عمر إلى أبي عبيدة بأربعة آلاف أو بأربعمائة دينار، وقال للرسول: انظر ما يصنع بها، فقسمها أبو عبيدة، فلما أخبر الرسول عمر قال: الحمد لله الذي جعل في الإسلام من يصنع هذا[٢] .

وقد كان أبوعبيدة رحمه الله متواضعاً منصفاً لرعيته[٣] ؛ وقد ذكر عنه رحمه الله أنه كان خشن الملبس، فكان يظهر للناس وعليه لباس الصوف العادي، فعوتب على ذلك فقال: ما كنت بالـــذي أترك ما كنت عليه زمـــن الرســـول ﷺ[٤] .

وحينما تولى أبوعبيدة على الشام أخذ ينظم أمورها ويعين الأمراء من قبله على المناطق المختلفة في الشام، وأخذ يعيد تنظيمها، حيث كان على بعضها أمراء سابقون، فمنهم من أقره أبوعبيدة ومنهم من عزله. يقول خليفة ابن خياط: (فولى أبوعبيدة حين فتح الشام يزيد بن أبي سفيان على فلسطين وناحيتها، وشرحبيل

---

(١) الأزدي، فتوح الشام، ٢٥٥، ٢٥٦.
المحب الطبري، الرياض النضرة ج٢/٤١٧.
الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/١٧.
(لُبَد الفَرَسْ) ما يوضع للسرج من صوف أو نحوه بعضه على بعض (ابن منظور، لسان العرب ج٣/٣٨٦).
(الكوة) الثقب في حائط البيت، (لسان العرب، ج١٥/٢٣٦).
(الملح الجريش) المجروش كأنه قد حك بعضه بعضاً فتفتت" لسان العرب ج٦/٢٧٢.

(٢) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/٨٣٧.

(٣) المحب الطبري، الرياض النضرة، ج٢/٤١٩.

(٤) عبدالحميد بخيت، عصر الخلفاء الراشدين، التاريخ الديني والسياسي والحضاري، دار المعارف، مصر، ١٩٦٧.

ابن حسنة على الأردن، وخالد بن الوليد على دمشق، وحبيب بن مسلمة[(١)] على حمص ثم عزله، وولى عبدالله بن قرط الثمالي[(٢)] ، ثم عزله، وولي عبادة بن الصامت[(٣)] ثم عزله ورد عبدالله بن قرط)[(٤)] ، وكان يبعث أحياناً بعض أصحابه لتولي مناطق من الشام لفترة معينة، ذلك أن أبا عبيدة بعث معاذ بن جبل على الأردن[(٥)] .

ومن ذلك إنابته بعض الناس مكانه حين كان يسافر للجهاد؛ فقد أناب سعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل[(٦)] على دمشق حين خروجه إلى بيت المقدس[(٧)] .

---

(١) حبيب بن مسلمة: فهري قرشي له صحبه يسيرة، اشترك في فتوح الشام أيام أبي بكر وعمر. كان من أمراء اليرموك وغيرها من الوقائع سكن دمشق وولاه معاوية أرمينية فمات بها سنة ٤٢هـ (ابن سعد، الطبقات ج٧/٤٠٩، خليفة بن خياط الطبقات ٢٨، ٣٠١؛ ابن الأثير، أسد الغابة ج١/٣٧٤، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج٣/١٨٨).

(٢) عبدالله بن قُرْط الثُّمَالي الأزدي: له صحبه ورواية، اشترك في فتوح الشام واستعمله أبوعبيدة على حمص كما استعمله معاوية على حمص، واستشهد في الشام سنة ٥٦هـ (خليفة بن خياط، الطبقات ١١٤، ابن الأثير، أسد الغابة ج٣/٢٤٣، الإصابة ج٢/٣٥٨).

(٣) عبادة بن الصامت بن قيس من بني عمرو بن عوف من الخزرج صحابي أنصاري أحد النقباء في بيعة العقبة ومن أعيان البدريين ممن جمع القرآن في عهد النبي ﷺ شهد المشاهدة مع الرسول ﷺ واشترك بعد ذلك في فتوح الشام وأخذ يعلّم الناس بها وولي بعض الأعمال في فلسطين. توفي بالرملة من قرى فلسطين سنة ٤٤هـ (خليفة بن خياط، الطبقات ص ٩٩، ٣٠٢، ٣٠٣، ابن الأثير، أسد الغابة ج٣/١٠٦، الذهبي سير أعلام النبلاء ج٢/٥، ابن حجر العسقلاني، الإصابة ج٢/٢٦٨).

(٤) تاريخه، ١٥٥.

(٥) الأزدي، فتوح الشام، ٢٤٨.

(٦) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أحد العشرة المبشرين بالجنة من السابقين الأولين إلى الإسلام في مكة صهر عمر بن الخطاب في أخته فاطمة أسلم عمر في بيته، هاجر إلى المدينة شهد المشاهد مع الرسول ﷺ عدا بدر شارك في اليرموك وفتوح الشام توفي في المدينة سنة ٥١هـ (ابن سعد، الطبقات ج٣/٣٧٩، خليفة بن خياط، الطبقات ص ٢٢، ابن عبدالبر، الاستيعاب ج٢/٢ ابن الجوزي، صفة الصفوة ج١/٣٦٢، ابن الأثير أسد الغابة ج٢/٣٠٦، ابن حجر، الإصابة ج٢/٤٦.

(٧) ابن أعثم الكوفي، الفتوح ج١/٢٨٩.

وكان أبوعبيدة رحمه الله طوال فترة ولايته على الشام مثالاً للرجل الصالح الورع التقي الذي يتقدي به بقية أمرائه ويقتدي به العامة، وكانت وفاة أبي عبيدة رحمه الله وهو في الثامنة والخمسين من عمره، وذلك في طاعون عمواس في السنة الثامنة عشرة للهجرة، وقد استخلف معاذ بن جبل مكانه[١] . وكان معاذ بن جبل رحمه الله في نواحي الأردن، والجيوش معه مصابة بالطاعون، فأصيب معهم معاذ، وتوفي بعد أبي عبيدة بأيام[٢] فمات ولم يغير شيئاً من الأمور، وحينما علم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بوفاة أبي عبيدة ووفاة معاذ من بعده عين على أجناد الشام يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه، وفرق أمراء آخرين على نواحي الشام[٣] ، وقد كان يزيد صاحب خبرة سابقة في إمارة الأجناد، إذ كان على رأس أحد الجيوش التي بعثها أبوبكر إلى الشام للفتح، كما أن أباعبيدة قد استخلفه عدة مرات على دمشق أثناء غزواته[٤] ، بالإضافة إلى أنه سبق تولية يزيد أيام الرسول ﷺ على تيماء[٥] ، وهذا يعد تزكية له.

---

(١) الأزدي، فتوح الشام، ٢٦٧.
خليفة بن خياط، ١٣٨، البلاذري، فتوح البلدان، ١٤٥.
ابن الجوزي: أبو الفرج عبدالرحمن بن علي، تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، مكتبة الآداب، مصر، د.ت، ص ١٢١، المحب الطبري، الرياض النضرة، ٤٢٣.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٣٨.
البلاذري، فتوح البلدان، ١٤٥.

(٣) الأزدي، فتوح الشام، ٢٧٤.
البلاذري، فتوح البلدان، ١٤٥.

(٤) المصدر السابق، ١٣٧.
النويري، نهاية الأرب، ج١٩/١٦٠.

(٥) ابن حبيب، المحبر، ١٢٦.

وفي ولاية يزيد جرت بعض الحوادث؛ من أهمها أن عمر رضي الله عنه كتب إلى يزيد بن أبي سفيان بولاية الشام، وأمره أن يغزو قيسارية[١] وذلك في كتاب واحد، فنهض يزيد بذلك وحاصر قيسارية ثم مرض قبل أن يتم فتحها فغادر دمشق ففتحها معاوية وكتب إلى يزيد فكتب يزيد بذلك إلى عمر بن الخطاب[٢]، وقد ذكر أن عمر حينما ولى يزيد على أجناد الشام حدد أمراء آخرين وزعهم على المناطق واختص يزيد بفلسطين والأردن[٣].

وتعد فترة يزيد على الشام قصيرة؛ لذلك يقل الحديث عنها في المصادر التاريخية، وقد توفي يزيد في السنة الثامنة عشرة، وقبيل وفاته استخلف أخاه معاوية ابن أبي سفيان على ما كان يتولاه وكتب إلى عمر كتاباً بذلك، وكانت مدة ولاية يزيد قريباً من السنة[٤].

ولاية معاوية بن أبي سفيان: ولاه عمر بن الخطاب ما كان يتولاه أخوه يزيد قبل وفاته وكتب له كتاباً[٥] بذلك، وكانت له خبرة سابقة، إذ اشترك مع جيوش الفتح في عدة معارك وقاد معارك هامة أيام أخيه يزيد منها فتح قيسارية[٦]، وقد

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ١٤٥.

(٢) الأزدي، فتوح الشام، ٢٧٦، البلاذري، فتوح البلدان، ١٤٦.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ١٤٥، ١٤٦.

(٤) محمد حميدالله، الوثائق السياسية للعصر النبوي والخلافة الراشدة، ٤٩٣.

(٥) الأزدي، فتوح الشام، ١٤٦.

البلاذري، فتوح البلدان، ١٤٦.

(٦) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٤١.

البلاذري، فتوح البلدان ١٤٦، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/٥٣.

أجرى عمر تعديلات في إدارة الشام بعد وفاة يزيد، فقد حدد لمعاوية جند دمشق وخراجها، وأمَّر شرحبيل بن حسنة على جند الأردن وخراجها كما أن عمر حد من سلطات معاوية في القضاء والصلاة حيث بعث إليه برجلين من أصحاب رسول الله ﷺ وجعلهما على القضاء والصلاة[١]، وهذا فيه تحديد لسلطات معاوية خصوصاً أن الصلاة وكلت إلى غيره وكان الأمير في العادة هو أمير الصلاة، ولعل هناك أسباباً دفعت عمر إلى هذه السياسة الجديدة التي بدأت تظهر في الأقاليم الأخرى، وبالأسلوب نفسه الذي نهجه مع معاوية تقريباً.

وقد اشتهر معاوية بالحلم والبذل مما جعل مجموعات من الناس تلحق بولايته من العراق وغيرها[٢].

وقد قام عمر بتعيين بعض الأمراء في الشام، وجعل ولايتهم من قبل معاوية[٣].

وخلال ولاية معاوية على بلاد الشام كان في بعض الأحيان يقوم بغزوات ضد الروم في شمال الشام وهي ما عرفت بالصوائف[٤].

وفي الوقت نفسه نجد الأوضاع قد بدأت تستقر في بلاد الشام نظراً لهدوء المعارك وتقلص سلطات الروم، وبالتالي استمر أهل الشام في أيام معاوية في التعرف على الإسلام، وزاد انتشار الإسلام بينهم نظراً لهدوء الأوضاع، ولانتشار

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ١٤٦.

بخش: صلاح الدين خودا، حضارة الإسلام، ترجمة د. علي حسني الخربوطلي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١م، ص ١١٣.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/٦٩.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ١٣٥.

(٤) ابن كثير، البداية و النهاية، ٧/١٢٥.

الدعاة في تلك الأيام، وقد كتب إليه عمر بتتبع من بقي من الروم في الشام ففتح عسقلان صلحاً، وكانت قد فتحت قبل ذلك، ثم انتفضت وخشي معاوية من انتفاضتها مرة أخرى، فجعل فيها بعض المرابطين من المسلمين[١] .

وقد حاول الروم إثارة الاضطرابات في بعض المواقع الأخرى في الشام أيام معاوية، إلا أن عمر كان باستمرار يحذر معاوية منهم وبالتالي لم يترك لهم فرصة للانتفاض على المسلمين[٢] .

وقد استمر معاوية والياً على الشام بقية عصر عمر حتى وفاته رضي الله عنه[٣] مع وجود أمراء آخرين في مناطق معينة من الشام لهم اتصالهم المباشر بالخليفة في المدينة المنورة، إلا أن معاوية يعد أشهرهم، حيث كان والياً على البلقاء والأردن وفلسطين وأنطاكية وقلقية ومعرة مصرين وغيرها من مدن الشام[٤] وقد سماه بعض المؤرخين والي الشام[٥]، بينما تحفظ بعضهم فقالوا حين ذكروا ولاة عمر (ومعاوية بن أبي سفيان على بعض الشام)[٦] ولكن بعضهم ذكر أنه قبل موت

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ١٤٨.

(٢) المكان السابق.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٥٤.

(٤) الطبري، تاريخه، ج٤/٢٥، ابن الأثير، الكامل، ج٣/٢١.

(أنطاكية وقَلْقية ومَعَرَّة مِصرَين هي من كور الشام، أما أنطاكية فهي داخلة في تركيا حالياً، وأما معرة مصرين فهي بلدة بقرب حلب وأما البَلْقَاء فهي كورة تقع في الأردن حالياً ومن أشهر مدنها السلط. (انظر صلاح الدين المنجد، معجم أماكن الفتوح ص ٢١، ١٦، ٩١).

(٥) خليفة بن خياط، تاريخه ١٥٤/١٦١.

(٦) اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٦١.

عمر جمع الشام كلها لمعاوية بن أبي سفيان[1] .

وهكذا يتضح لنا أن الذين صرح المؤرخون باتفاق -بأنهم تولوا الشام كلها حقيقة هما خالد بن الوليد، ثم أبوعبيدة بن الجراح، حيث ورد أنهما وليا على الشام كلها[2] أما من جاءوا بعد ذلك فقد حددت ولاياتهم بمناطق معينة، وكانوا فيما يبدو مختصين بهذه المناطق إلا ما ذكرنا من جمع الشام لمعاوية على أغلب الآراء.

ولعل ولاية أبي عبيدة كانت ولاية على الأجناد أكثر منها ولاية على البلدان نظراً لظروف الجهاد في وقته، ثم حينما بدأت الأوضاع تستقر في الشام ظهرت ترتيبات وتقسيمات إدارية جديدة، وهذا هو الظاهر.

على أنه لا يغيب عنا أنه قد وجدت ولايات لبلدان محددة من الشام أيام أبي عبيدة، وقد كانت هذه الولايات إما مرتبطة بوالي الشام كما في أيام أبي عبيدة حيث رتب جماعات من الأمراء والمرابطين في البلاد المفتوحة[3] ، أو مستقلة عنه كما وقع في ولاية من جاءوا بعد أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه ١٥٥.
الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٨٨.
(٢) الطبري، تاريخه، ج٤/١٨٨.
(٣) ابن الأثير: الكامل ج٢/٤٩٥.

ولاية حمص والجزيرة[١]:

تعد حمص إحدى مدن الشام المهمة في أيام الروم، وقد غزاها المسلمون في ذي القعدة سنة أربع عشرة للهجرة وقيل: خمس عشرة وتمكنوا من فتحها بقيادة أبي عبيدة بن الجراح[٢]. وقد استمر أبوعبيدة فترة من الوقت يتولى أمر حمص، وعندما أراد المسير للجهاد في نواحي أخرى من الشام ولّى على حمص (عبادة بن الصامت) فتولاها فترة من الزمن[٣]، وقد ولى أبوعبيدة مجموعة أخرى من الأمراء على حمص في فترات غيابه[٤] إلا أن أبا عبيدة كان هو الوالي الرئيس لها ومنها يدير بقية بلاد الشام، وفي فترة ولاية أبي عبيدة اضطر المسلمون إلى إخلاء حمص في السنة الخامسة عشرة استعداداً لمعركة في اليرموك، وردوا على أهل حمص ما أخذوه من جزية وخراج، وقالوا: قد شغلنا عن نصرتكم والدفاع عنكم، مما أثار إعجاب أهالي حمص غير المسلمين، فقالوا: لَولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والهضم ولندفعن جند هرقل مع عاملكم، وقد قام اليهود الذين في

---

(١) الجَزِيْرَة: سميت الجزيرة لأنها تقع بين دجلة والفرات وهي إقليم واسع يشتمل على العديد من المدن أهمها الرّها والرّقة ونصيبين وماردين وغيرها وفيها ديار بكر وديار مضر وقسم منها اليوم في سوريا وقسم في العراق وقسم في تركيا (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢/١٣٤، صلاح الدين المنجد، معجم أماكن الفتوح ص ٣٢).
وأما حمص فهي المدينة المشهورة في سوريا حالياً.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه ١٢٧، الطبري، تاريخه، ج٤/١٥٣، ابن الأثير، الكامل ج٢/٤٩١، ابن كثير، البداية والنهاية ج٧/٥٢.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ١٣٧، ابن الأثير، تاريخه ج٢/٤٩٢.

(٤) خليفة بن خياط، تاريخه ١٥٥.

المدينة مع النصارى بنفس الموقف، فقالوا: والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن نغلب ونجهد، فأغلقوا الأبواب وحرسوها وانتظروا، فلما انتصر المسلمون على الروم في اليرموك أظهر أهل حمص الفرح وأقاموا الاحتفالات وأدوا الخراج[١] للمسلمين.

وهذه القصة تعطينا دلالة قوية على العدل الذي لمسه أهالي حمص قبل إسلامهم من المسلمين حتى دفعهم ذلك إلى تفضيل حكمهم على حكم بني دينهم من الروم، وحين حضرت أباعبيدة الوفاة استخلف (عياض بن غنم)[٢] على حمص فأقره عمر على حمص والجزيرة وقنسرين[٣]، وقد أصدر عمر أمراً إلى عياض بالتوجه لفتح الجزيرة، فخرج في سنة ١٨هـ بجيش قوامه خمسة آلاف رجل فاتحاً في بلاد الجزيرة، حيث استطاع أن يفتح العديد من المواقع والبلدان في بلاد الجزيرة وما جاورها واستطاع أن يفتح الطرق والمعابر إلى بلاد الروم[٤] للجهاد

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان ١٤٣.

(٢) عِيَاض بن غَنْم: أبو سعد الفهري صحابي من المهاجرين الأولين شهد بدراً وما بعدها، أول من جاز الدروب إلى بلاد الشام غازياً وهو الذي افتتح معظم بلاد الجزيرة توفي سنة ٢٠هـ وعمره ٦٠ سنة، (خليفة بن خياط، الطبقات ٢٨، ابن الأثير، أسد الغابة ج٤/١٦٤، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج٢/٣٥٤، ابن كثير، البداية والنهاية ج٧/١٠٣).

(٣) البلاذري، فتوح البلدان ١٧٧، ابن أعثم الكوفي، الفتوح ج١/٣٢٥. قِنَّسْرِين، مدينة بالشام كانت قريبة من حلب وعامرة، ولكن الروم هاجموها ودمروها سنة ٣٥٥هـ - ياقوت الحموي معجم البلدان ج٤/٤٠٤، صلاح الدين المنجد، معجم أماكن الفتوح، ٧٨.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان ١٧٦، ابن عبدالبر، الاستيعاب (حاشية على الإصابة) ج٣/١٣٨، ابن الأثير، الكامل ج٢/٥٣٤، ٥٦٩.

فيها، كما استطاع أن ينظم أمور البلاد المفتوحة في الجزيرة ويعين عليها النواب[١]، وقد امتدت ولاية عياض حوالي سنتين على حمص والجزيرة وتوابعهما، وفي خلالها قابل عمر عدة مراتٍ للتباحث معه في شؤون الولاية[٢]، وقد اشتهر عن عياض كرمه حتى إنه كان يسمى (زاد الراكب) لإطعامه رفقته ما عنده من زاد، وقيل: إنه إذا سافر مع قوم آثرهم بزاده فإن نفد نحر لهم جمله[٣]، وقد توفي عياض بن غنم سنة ٢٠هـ في مدينة حمص على أرجح الأقوال[٤].

وبعد وفاة عياض ولى عمر بن الخطاب على حمص والجزيرة (سعيد بن عامر بن حُذَيْم)[٥] وكان من القواد المساعدين لعياض في فتوحه في الجزيرة[٦]، وله دور كبير فيها، وقد كانت فترة ولايته قصيرة؛ إذ توفي في السنة نفسها التي تولى فيها ولم تكن فترة ولايته طويلة، ومع ذلك فقد كان سعيد مثار إعجاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك بسبب حوادث معينة وقعت منه أثناء ولايته، من ذلك أن عمر استبطأ الخراج من سعيد، فعاتبه قائلاً: ما لك تبطئ في الخراج؟

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخ ١٣٩، البلاذري، فتوح البلدان، ١٧٩.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان ٣٥.

(٣) ابن الأثير، أسد الغابة ج٤/١٦٥، ابن حجر العسقلاني، الاصابة ج٣/٥٠.

(٤) ابن عبدالبر، الاستيعاب (حاشية على الإصابة) ج٣/١٣٨، الذهبي العبر ج١/١٨، ابن حجر، الإصابة ج٣/٥٠.

(٥) سعيد بن عامر بن حُذَيْم الجُمحي القرشي. أسلم قبل خيبر وشهدها وما بعدها مع الرسول ﷺ، اشتهر بالورع، وكثيراً ما كان ينصح عمر بن الخطاب، اشترك في فتوح الشام وولاه عمر فيها وله أخبار طويلة في الزهد، توفي في خلافة عمر سنة ٢١هـ (خليفة بن خياط، الطبقات ص ٢٥، ابن الجوزي، صفة الصفوة ج١/٦٦٠، ابن الأثير، أسد الغابة ج٢/٣١١، ابن حجر العسقلاني، الإصابة ج٢/١٣، ابن كثير، البداية والنهاية ج٧/١٠٣).

(٦) البلاذري، فتوح البلدان ١٨٠.

فقال سعيد: أمرتنا أن لا نزيد الفلاحين على أربعة دنانير، فلسنا نزيدهم على ذلك، ولكنا نؤخرهم إلى غلاقم، فقال عمر: لا عزلتك ما حييت[١] وكأنه أعجبه رأفة سعيد: بالفلاحين وصبره عليهم، وقد قيل: إن أهل ولايته شكوه إلى عمر، وقالوا: إنه مصاب، وكانت تصيبه غشية وهو بين ظهراني القوم فسأله عمر في إحدى زيارات سعيد له، فقال: يا سعيد ما هذا الذي يصيبك؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين ما بي من بأس، ولكني كنت ضمن من حضر (خُبَيْب بن عَدِي)[٢] حين قتل وسمعت دعوته، فوالله ما خطرت على قلبي، وأنا في مجلس قط إلا غشي عليّ، فزادته تلك المقالة عند عمر خيراً[٣].

وقد قيل: إن عمر طلب في زيارته للشام أن ترفع إليه أسماء الفقراء فرفعت إليه رقعة فوجد فيها اسم سعيد بن عامر[٤]، وقد قيل: إن عمر قال له: إن أهل الشام يحبونك، قال سعيد: لأني أعاونهم وأواسيهم[٥].

---

(١) ابن سلام، الأموال، ٥٥. النويري، نهاية الأرب ج١٩/١٧٧.

(٢) خُبَيْب بن عَدِي: صحابي أنصاري شهد بدراً وأحداً مع النبي ﷺ وأرسله الرسول مع أصحاب الرجيع فأسر مع بعض أصحابه وبيع إلى مشركي مكة فقتل هناك صبراً وهو يقول:

ولست أبالي حين أقتل مسلما ... على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

(خليفة بن خياط، الطبقات ٩٥، ابن الجوزي، صفة الصفوة ج١/٦١٩، ابن الأثير، أسد الغابة ج٢/١٠٣، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١/٢٤٧، وكذلك الفاسي: محمد بن أحمد الحسني المكي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، القاهرة ١٣٧٩هـ ج٤/٣٠٥).

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ج٣/١٧٤.

(٤) د. منير العجلان، عبقرية الإسلام في أصول الحكم، الطبعة الثانية، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٦٥، ص ٣٠٧.

(٥) ابن حجر، الاصابة ج٢/٤٨.

وفي أثناء ولاية سعيد قام ببناء عدد من المساجد في مدن الجزيرة[1] وقد توفي سعيد في سنة ٢٠هـ، بعد ولاية دامت قرابة ستة أشهر[2] ، أحبه فيها أهل ولايته وخصوصاً حمص، وبعد وفاته ولى عمر مكانه (عمير بن سعد الأنصاري)[3] على حمص والجزيرة، وضم إليه أماكن أخرى عديدة وكان من زهاد الصحابة[4] ، وفي أثناء ولايته على حمص كان مسؤولاً عن نصف الشام إضافة إلى الجزيرة[5] ، وفي ولايته قام رحمه الله بالعديد من الفتوح في بلاد الجزيرة من نواحي الفرات وقام بتنظيمها[6] ، كما قام ببناء المساجد في البلاد المفتوحة[7] ، وعمير هذا هو صاحب القولة الشهيرة (لا يزال الإسلام منيعاً ما اشتد السلطان، وليس شدة السلطان قتلاً بالسيف وضرباً بالسوط ولكن قضاء بالحق وأخذاً بالعدل)[8] ، وفي عهده قام بإجلاء بعض النصارى من بلاد الشام نظراً لخيانة

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ١٨٢.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج٢/٤٨.

(٣) عمير بن سعد بن قيس من بني عمرو بن عوف من الأنصار شهد أبوه بدراً وكان هو صغيراً وصحب عمير الرسول ﷺ وشهد تبوك وبعض المشاهد معه ثم اشترك في فتوح الشام وولاه عمر حمص وقد اختلف في وفاته، فقيل: في عهد عمر وقيل: في عهد معاوية (ابن سعد، الطبقات، ج٧/٤٠٢، ابن حجر، الاصابة ج٢/٣٢).

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/١٠٤، ٥٥٧.

(٥) المصدر السابق، ج٢/٥٥٨.

(٦) البلاذري، فتوح البلدان، ١٨١، ١٨٣، ١٨٦.

(٧) المصدر السابق، ١٨٢.

(٨) محمد كرد علي، الإدارة الإسلامية في عز العرب، ٣٣.

أحدثوها وخرّب بلادهم بعد أن عوضهم عنها[١]. ويرى بعض المؤرخين أن عميراً استمر والياً على حمص حتى وفاة عمر بن الخطاب[٢] بينما يرى الذهبي أنه استعفى عمر من الولاية، ويؤكد الذهبي رأيه هذا بقصة عظيمة تدل على مدى زهد عمير هذا، ومفادها أن عمر جلس حولاً لا يأتيه خبر من عمير، فكتب إليه عمر أقبل بما جبيت من الأموال، فأخذ عمير جرابه وقصعته وإدواته وعلقها على عصاه وأقبل إلى المدينة يسير على قدميه، فدخل المدينة وقد شحب واغبّر وطال شعره، فتوجه إلى عمر وسلم عليه، فقال عمر: جئت تمشي؟ قال: نعم. قال أما كان أحد يتبرع لك بدابة؟ قال عمير: لم يفعلوا و لم أسألهم، فسأله عمر عن المال، فقال: الذي جبيته وضعته في مواضعه ولو نالك منه شيء لأتيتك به، فقال عمر: جددوا لعمير عهداً بولايته، فرفض عمير العودة إلى ولايته، وعندما سأله عمر عن سبب ذلك، قال: إني قلت لرجل نصراني: أخزاك الله، وليس هذا من حقي وأصر عمير على رفض الولاية[٣].

وقد امتحنه عمر عدة مرات ليتأكد من صدق زهده[٤]، وذكر أن عمر قال فيه: وددت أن لي رجالاً مثل عمير بن سعد أستعين بهم على أعمال المسلمين[٥].

والراجح أنه ترك العمل لعمر في آخر خلافة عمر رضي الله عنه نظراً لأن عمر ضم ولايته إلى ولاية معاوية كما ذكرنا ذلك عند حديثنا عن معاوية بن أبي سفيان.

---

(١) ابن سلام، الأموال، ١٨٢.

(٢) الطبري، تاريخه ج٥/٤٢.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٥٦١.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٥٦٢.

(٥) ابن حجر الإصابة، ج٣/٣٢.

وولاية حمص والجزيرة كانت على ما يبدو ولاية واحدة ومركزها حمص، ومنها امتد المسلمون إلى بلاد الجزيرة. ومع ذلك فقد أورد المؤرخون ولاة معينين للجزيرة منذ أيام أبي عبيدة بن الجراح إلى أيام عمير بن سعد، ثم معاوية بن أبي سفيان. وقد كان أشهر من تولى أمر الجزيرة وبرز اسمه مقروناً بها من هؤلاء الأمراء عياض بن غنم الفهري الذي بعثه أبوعبيدة إلى الجزيرة(١).

وقد خرج عياض إلى الجزيرة يصحبه مجموعة من الأمراء الذين عينوا على الجزيرة، فتوجه كل أمير إلى كورته(٢) وكانت من أهم المدن التي فتحها عياض صلحاً مدينة (الرُّهَا)(٣) وقد سلمت معظم مدن الجزيرة على صلح أهل الرّها(٤). وقد استمرت فتوح عياض في الجزيرة وتنظيمها حتى بعد وفاة أبي عبيدة نظراً لتولي عياض منطقة حمص والجزيرة وتوابعها، وبالتالي اتصلت جهوده بعد توليته بجهوده التي كان يقوم بها أيام أبي عبيدة، ففتح مواقع عديدة في الجزيرة(٥).

وقد استفاد عياض بن غنم من (حبيب بن مسلمة الفهري) في فتوح الجزيرة، حيث وجهه لفتح بعض المواقع أثناء ولايته الجزيرة لأبي عبيدة أو لنفسه(٦) وقد قيل: إن عمر جعل ولاية الجزيرة مستقلة في يد حبيب بن مسلمة وضم إليه بعض الأقاليم الأخرى المفتوحة حديثاً بجوار الجزيرة(٧).

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٥٥؛ البلاذري، فتوح البلدان، ١٧٦.
(٢) الطبري، تاريخه، ج٤/١٩٦.
(٣) (الرُّها) مدينة بالجزيرة فوق حران، ومكانها اليوم جنوب شرق تركيا صلاح الدين المنجد، معجم أماكن الفتوح ٥٢.
(٤) ابن سلام، الأموال ٢٦٧.
(٥) الذهبي، العبر، ١/١٧.
(٦) البلاذري: فتوح البلدان، ١٨٦، ابن الأثير، الكامل ج٢/٤٩٦.
(٧) خلية بن خياط، ١٥٥.

وقد كان ضمن أمراء الجزيرة الذين تقدموا على جيوشها خالد بن الوليد رضي الله عنه، وذلك بأمر من أبي عبيدة، ولكن عمر عزله فيما بعد في السنة السابعة عشرة وصودرت بعض من أمواله[١]، كما كان ضمن الأمراء الذي تولوا الجزيرة (الوليد بن عقبة)[٢] وكان أميراً على العرب الموجودين في الجزيرة[٣] وهم في الغالب قبائل عربية متنصرة سكنت الجزيرة. كذلك كان ضمن الأمراء الذين تولوا بعض المواقع في الجزيرة (عُتْبَة بن فَرْقَد)[٤] وقد ولاه عياض بن غنم بعد فتح الموصل، وذلك في السنة الثامنة عشرة للهجرة[٥].

وقد كان هناك تعاون بين ولاة حمص وولاة العراق فيما يتعلق بفتح الجزيرة، حيث اشترك جيش العراق مع جيش الشام في ذلك[٦].

ثم إنه بعد عياض تولى على حمص والجزيرة ولاة آخرون مرّ ذكرهم، وهم في

(١) الطبري، تاريخه، ج٤/٢٠٥، ابن الأثير، الكامل، ج٢/٥٣٥.

(٢) الوليد بن عقبة ابن أبي مُعَيْط من مسلمة الفتح له صحبة قليلة وقد بعثه الرسول ﷺ على صدقات بني المصطلق وقد كان أميراً فاتحاً ولاه عمر على صدقات بني تغلب، واشترك في فتوح الشام وقد ولاه عثمان على الكوفة وقد اعتزل الفتنة بعد قتل عثمان، (ابن سعد الطبقات ج٦/ ٢٤، خليفة بن خياط الطبقات، ١١، ابن الأثير، أسد الغابة ج٥/٩٠، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج٣/٤١٢).

(٣) الطبري، تاريخه، ج٤/١٩٥، ابن الأثير، الكامل ج٢/٥٣٢.

(٤) عُتبة بن فَرْقَد السلمي، صحابي شهد بعض المشاهد مع النبي ﷺ ثم اشترك في فتوح الشام والعراق، ولاه عمر بعض الولايات، توفي في الكوفة (ابن الأثير، أسد الغابة ج٣/٣٦٦، ابن حجر، الإصابة ج٢/٤٥٥).

(٥) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٣٩.

(٦) الطبري، تاريخه، ج٤/١٩٦.

الأصل ولاة على حمص، إلا أنهم في الوقت نفسه كانوا مسؤولين عن الجزيرة فكأن الجزيرة على ما يبدو تابعة لحمص ضمنياً، ورغم وجود أمراء متفرقين فيها إلا أن مرجعهم كان لولاة حمص حتى نهاية عصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وقد واجهت عمر مشكلة عرب الجزيرة الذين رفضوا تأدية الجزية، وخصوصاً نصارى تغلب، وهددوا بالهجرة إلى بلاد الروم وخشي عمر من ذلك[١]، وكان يطمع في إسلامهم فضاعف عليهم الصدقة ورضوا بذلك وكانت نسبة الاستقرار والإقامة في حمص من قبل المسلمين عالية نظراً لقربها من خط الدفاع ضد الروم[٢].

ولاية الأردن:

تعد ولاية الأردن إحدى ولايات الدولة الإسلامية، وكانت ملحقة ضمنياً بولاية الشام منذ أيام أبي بكر الصديق، مع وجود والٍ محدد لها منذ أيام أبي بكر وقبل مغادرة الأجناد إلى الشام. فقد حدد شرحبيل بن حسنة والياً على الأردن[٣]، وجاء عمر بن الخطاب وشرحبيل هو الوالي على الأردن، وقد استكمل شرحبيل في عهد عمر فتح المتبقي من بلاد الأردن، وذلك في السنة الخامسة عشرة وهو تحت إمرة أبي عبيدة[٤] الوالي العام لبلاد الشام.

وقد خرج شرحبيل للاشتراك في بعض الغزوات مع جيوش الشام وخلف على

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/٧٦.

(٢) عبدالواحد طه، إدارة بلاد الشام، ٣٠١.

(٣) انظر تفصيلات ذلك في الفصل الأول ص ٧١.

(٤) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٣٠.

الذهبي، العبر، ١/١٥.

عمله بالأردن من ينوب عنه[1]، وقد تولى شرحبيل الأردن لعدة سنوات ثم رأى عمر أن يعزله وذلك على أرجح الأقوال في السنة السابعة عشرة للهجرة[2]، وقد أثار هذا العزل حفيظة شرحبيل فخشي أن يُتَّهَم عند الناس، فسأل عمر بن الخطاب: أعن سخطة عزلتني يا أمير المؤمنين؟ قال له عمر: لا إنك كما أحب، ولكن أريد رجلاً أقوى من رجل، قال: نعم فاعذرني في الناس لا تدركني هُجْنَة، فقام عمر في الناس وقال: أيها الناس، إني والله ما عزلت شرحبيل عن سخطة ولكني أردت رجلاً أقوى من رجل[3]، وهذه الحكاية تدلنا على السبب الرئيس لعزل عمر بن الخطاب لشرحبيل من ولاية الأردن وقيادة الجند الذي كان عليه، ويبدو أن عمر فرق جنده على الأمراء الآخرين بعد عزله[4].

وقد ذكر أن عمر أعاد شرحبيل على الأردن بعد وفاة أبي عبيدة[5] بن الجراح في طاعون عمواس، ولو صح هذا فإن شرحبيل لم يتمكن من القيام بمهمته هذه نظراً لأنـــه توفي بعد أبي عبيدة بزمن يسير حيث توفي في طاعون عمواس في

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٤/١٥٧.

ابن سلام، الأموال، ١٣٢.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٤/٢٠٣.

بدران، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر، ج٦/٣٠٢.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٤/٢٠٤.

الهُجْنَة: ما يعيب من الكلام (الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج٤/٢٧٩، ابن الأثير، الكامل، ج٢/٥٦٢).

(٤) الطبري، تاريخه ج٤/٢٠٤.

(٥) المكان السابق.

السنة الثامنة عشرة[١].

وقد ولى عمر على الأردن بعد عزله شرحبيل معاوية بن أبي سفيان في السنة السابعة عشرة للهجرة[٢].

ويبدو أن الأردن في السنة الثامنة عشرة ارتبط ارتباطاً مباشراً بوالي الشام، سواء أيام أبي عبيدة حيث كا ن يبعث بمعاذ بن جبل على الأردن أم في أيام يزيد بن أبي سفيان حيث دلت الروايات على استعمال يزيد لمعاوية على أماكن أخرى في غير الأردن[٣]، ولكن بعد ذلك استقرت ولاية الأردن في يد معاوية بن أبي سفيان إضافة إلى بعض المناطق الأخرى على التدريج، حيث نصت الروايات في سنوات ٢١، ٢٢ على أن معاوية كان والياً على الأردن والبلقاء[٤]، ثم أصبح معاوية والياً على الشام عموماً[٥]، وهنا لا بد من التنبيه على أن الولايات كانت تجري فيها تغييرات مستمرة تبعاً للظروف العسكرية والظروف العامة للدولة في تلك الأيام فكانت الأردن أحياناً تستقل وأحياناً تضم لها أقاليم وأحياناً تنزع منها أقاليم وتضم إلى الشام أو إلى فلسطين إلى غير ذلك مما لا يتسع المقام لذكره.

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه ١٣٨، ابن حجر، الإصابة ج٢/١٤٣، بدران، تهذيب تاريخ دمشق، ج٦/٣٤، ابن عبدالبر، الاستيعاب (حاشية على الإصابة) ج٢/١٤١.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٤/٢٠٥، ابن الأثير، الكامل ج٢/٥٦٢.

(٣) الأزدي، تاريخ فتوح الشام، ٢٤٨.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ١٤٦.

(٥) الطبري، تاريخه، ج٤/٢٥٠.

ابن الأثير، الكامل، ج٣/٢١.

ولاية فسلطين:

تعد فلسطين جزءاً هاماً ورئيساً من بلاد الشام، وقد كان الروم يعلقون عليها أهمية كبيرة قبل أن يفتحها المسلمون، وكان أول الولاة على فلسطين عمرو بن العاص الذي وجهه أبوبكر رضي الله عنهما مع الجيوش لفتح الشام، وحدد وجهته إلى فلسطين وعدَّه والياً عليها(١).

وقد قام عمرو بن العاص بفتح العديد من المواقع في فلسطين؛ بعضها أثناء خلافة أبي بكر والبعض الآخر في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه(٢) وقد كان عمرو بن العاص والياً على فلسطين في أول خلافة عمر وبالتالي يخضع للتوجيه الكامل من قبل الوالي العام للشام أبي عبيدة بن الجراح(٣) حتى يُظَن أن أبا عبيدة هو الذي ولى عمراً على فلسطين، والمعروف أن الذي ولاه عمر بن الخطاب(٤) ولا فرق في ذلك إذ أن توليته من قبل أبي عبيدة لا بد فيها من موافقة عمر على ذلك وإقراره له.

وقد قسم عمر رضي الله عنه فلسطين على رجلين بعد فتح بيت المقدس في السنة الخامسة عشرة للهجرة (وجعل علقمة بن حكيم(٥) على نصف فسلطين

---

(١) انظر ولاية الشام في عهد أبي بكر في الفصل الأول ص ٤٥.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ١٤٤.

(٣) الأزدي، فتوح الشام، ٢٥٤.

(٤) خليفة بن خياط، تاريخه ١٥٥.

(٥) علقمة بن حكيم، أدرك النبي ﷺ وشهد اليرموك وفتوح الشام وكان من قواد أبي عبيدة واشترك في فتوح فلسطين مع عمرو بن العاص وولاه فيها عمر (ابن حجر، الإصابة ج٣/١١).

وأسكنه الرملة[١] وجعل علقمة بن مُجَزِّز[٢] على نصفها الآخر وأسكنه إيليا[٣][٤]). ويبدو أن عمرو بن العاص استفيد منه في قضايا الفتوح المستمرة في ذلك الوقت، وقد اتجه الأميران إلى أعمالها في فلسطين مع من معهما من الجنود والمساعدين[٥].

ويبدو أن أبا عبيدة خلال هذه الفترة كان بنفسه يتولى الإشراف على هذين الأميرين وعلى أحوال فلسطين بصفة عامة إلى أن توفي رحمه الله في السنة الثامنة عشرة للهجرة[٦].

وقد كان عمرو بن العاص خلال هذه الفترة وما بعدها والياً على قسم من أقسام فلسطين إلى أن اتجه إلى مصر[٧] ولم يكن والياً على فلسطين كلها كما يتصور البعض.

وقد (ولى عمر يزيد بن أبي سفيان فلسطين مع ما ولاه من أجناد الشام)[٨].

---

(١) الرَّمْلَة: (إحدى مدن الشام المشهورة في أيام الفتوح وتقع في فلسطين المحتلة حالياً -صلاح الدين المنجد، معجم أماكن الفتوح، ص ٥٢).

(٢) علقمة بن مُجزِّز، صحابي جليل استعمله الرسول ﷺ في بعض سراياه وكان مع جيوش المسلمين في اليرموك وغيرها من فتوح الشام (ابن حجر، الاصابة ج: ٥٠٥/٢).

(٣) إيليا هي مدينة القدس (بيت المقدس).

(٤) الطبري، تاريخه، ج١٦٠/٢.

ابن الأثير، الكامل ج٥٠١/٤.

(٥) االطبري، تاريخه ج١٦٠/٤

(٦) انظر تفاصيل ذلك في هذا الفصل ص ١١٨-١١٩.

(٧) الكندي، ولاة مصر، ٣٠.

(٨) البلاذري، فتوح البلدان، ١٤٦.

واستمر يزيد يقوم بدوره إلى أن توفي، فعين عمر مكانه معاوية بن أبي سفيان. وقد نص المؤرخون على أن معاوية كان على الأردن والبلقاء وفلسطين[1] وبالطبع فإن معاوية كان يستعين بالولاة الذين وزعهم على أقسام فلسطين، وقد تتبع معاوية بأمر من عمر ما تبقى من فلسطين أو ما انتقض منها بالفتح والتنظيم[2].

وقد قام معاوية ببعض الإجراءات الخاصة مثل نقل بعض السكان من أماكن إلى أماكن أخرى تأميناً للدولة ومنعاً لانتفاض البلاد وخروجها من أيدي المسلمين[3]، وقد استمر معاوية هو المسؤول مسؤولية مباشرة عن فلسطين إلى أن توفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه[4].

وهكذا من خلال ما سبق يتبين لنا ما كانت عليه أحوال ولاية الشام أثناء خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد اتضح لنا أن الولاية كانت عبارة عن ولاية عامة لأجناد الشام كانت في البداية في يد خالد ثم أبي عبيدة ثم خلفاء أبي عبيدة من بعده، كما كانت هناك ولايات صغيرة داخلة ضمن هذه الولاية الكبرى، ومن أهمها ولاية حمص وتوابعها كالجزيرة وغيرها، وكذلك ولايات الأردن وفلسطين، وكنت كل ولاية من هذه الولايات قد توزع فيها صغار الولاة، أو الأمراء الفرعيون الذين يديرون شؤون هذه المدن والأمصار الصغيرة. كما لا يغيب عنا هنا أن نذكر أن الحالة السياسية والحربية لبلاد الشام كانت في أول عهد عمر مضطربة الأحوال نتيجة الجهاد المستمر بين المسلمين والروم،

(١) الطبري، تاريخه ج٤/ ٢٥٠.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان ١٤٨.

(٣) المكان السابق.

(٤) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٥٥.

ونتيجة الانتفاض المستمر الذي كان يحدث في هذه الولايات بدعم خاص من الروم، وخصوصاً في المناطق التي يسهل اتصال الروم بها كالمناطق الساحلية وغيرها، وبالتالي فإن لهذه الأحداث تأثيراً قوياً على اضطراب الأمور في هذه الولايات خصوصاً في السنوات الأولى من خلافة عمر رضي الله عنه، كما لا يفوتني هنا أن أذكر أن المسميات الإقليمية المعروفة كالأردن وفلسطين والجزيرة وغيرها لم تكن محددة وثابتة بحدود جغرافية معينة توضح حدود كل ولاية، بل كانت تخضع لمد وجزر، فقد تضم بعض أجزاء الأردن وفلسطين، وقد تضم بعض أجزاء فلسطين لدمشق، وقد تضم بعض أجزاء حمص للجزيرة، والعكس صحيح، وبالتالي لم يكن هناك تحديد دقيق لهذه المسميات، ولا لهذه الولايات، إذ كان لدى القوم في هذه الفترة ما يشغلهم عن ذلك، كما أن القوم لم يتنافسوا على الامارة فالكثير من الولاة يتمنى لو أعفي من ولايته وانصرف للجهاد، كما أن هذه الولايات كانت تضم إضافةإلى الأمراء بعض المساعدين من ولاة الخراج والقضاة والمعلمين والأئمة والقواد العسكريين، وغير ذلك من المساعدين الضروريين للولاة، وقد لاحظنا أن السمة الغالبة لولاة الشام في عهد عمر كانت الزهد في الدنيا رغم اقبالها عليهم.

كما لا يفوتني هنا أن أذكر أن ولاية الشام قد حظيت بعناية خاصة من عمر ابن الخطاب لم تنلها غيرها من الولايات، إذ قام بزيارتهما عدة مرات حتى قيل: إنها وصلت إلى أربع مرات منها مرتين في سنة ست عشرة دخلها فيهما ومرتين في سنة سبع عشرة لم يدخلها في الأولى منهما بسبب الطاعون(١).

---

(١) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/٨٢٢، الطبري، تاريخه ج٤/٢٠٠، ٩٩، ابن الأثير، الكامل ج٢/٥٠٠.

وقد كان عمال الشام وكثير من الأجناد يجتمعون حين قدوم عمر إلى الشام ويتلقون منه التعليمات والنصائح، وكان من أشهر اجتماعات عمر بأمراء الشام اجتماع (الجابية)[1] المشهور، والذي ألقى فيه عمر بن الخطاب خطبته البليغة المشورة في ذلك اليوم[2]، وقد كانت ثمة أسباب وراء زيارات عمر المتعددة للشام، إذ أنه قدم مرة لاستلام بيت المقدس بناء على طلب أهلها أن يسلموها لعمر شخصياً، ثم قدم مرة أخرى لقسمة مواريث من مات من المسلمين في طاعون عمواس. وقد حدثت واقعة طريفة لعمر عندما استقبله الأمراء في إحدى مرات قدومه للشام فقد كان (أول من لقيه يزيد -بن أبي سفيان- ثم أبوعبيدة ثم خالد، على الخيول عليهم الديباج والحرير، فترل وأخذ الحجارة فرماهم بها وقال: سرع ما ندت بكم البطنة وتالله لو فعلتموها على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم، فقالوا: يا أمير المؤمنين إنها يلامقة وإن علينا السلاح، فقال: فنعم إذاً وركب حتى دخل الجابية)[3].

وقد كان عمر يوجه إلى أمراء الشام بالكتب المختلفة، منها ما يتعلق بتعاونهم في كثير من الأحيان في مواقف معينة[4].

---

(١) الجَابِيَة: قرية من أعمال دمشق من ناحية الجولان قرب مرج الصفر شمالي حوران، ويقال لها جابية الجولان (عبدالواحد طه، إدارة بلاد الشام ٢٩٩).

(٢) عمر بن شبة، تاريخ المدينة ج٣/٨٢٦.

(٣) الطبري، تاريخه ج٤/١٥٨.

اليَلاَمِقَة: جمع يَلْمَق، وهو القباء المحشو بالصوف أو غيره (ابن منظور، لسان العرب، ج١٠/٣٣٢) ولعلهم وضعوها حتى تخفى أسلحتهم التي صحبوها معهم حتى لا يغدر بهم الأعداء.

(٤) انظر الطبري، ج٤/١٥٦، ١٥٧.

ولاشك أن الولاة في الشام قد واجهتهم العديد من المشكلات الجديدة التي لم تكن لهم خبرة سابقة بها، أو معرفة بالحلال والحرام فيها، وكانوا يستشيرون فيها الخليفة عمر رضي الله عنه[١].

ومما لاشك فيه أن ولاة الشام كان لهم دور كبير في نشر الإسلام في مناطقهم في تلك الأيام، وكان لهم دور أكبر في تعليم الناس أمور دينهم ودنياهم، إذ أن هدفهم بالدرجة الأولى كان التمكين للإسلام والتمهيد له عن طريق المعاملة الحسنة والدعوة إلى الله بالحكمة.

وقد اهتم الولاة بإنزال المسلمين وتوزيعهم على بلاد الشام حسب الأهمية العسكرية لتلك البلدان والمواقع، وكان عمر يوجه الأمراء بإنزال جماعات من المسلمين في بلدان معينة يؤمرون بالمرابطة فيها، وخص عمر البلدان الساحلية وبعض الثغور الشمالية لبلاد الشام بذلك الاهتمام[٢].

وفي خلافة عمر ضربت الدراهم من قبل ولاة الشام المسلمين، إلا أنها كانت على الطراز البيزنطي[٣].

---

(١) على سبيل المثال استشار عمرو بن العاص عمرَ بن الخطاب في نوع من الشراب كان يشربه الروم وهل هو محرم أم لا، فاستفهم منه عمر عن صفات هذا الشراب ومميزاته، ثم أفتاه بجواز شربه (الأزدي، فتوح الشام ٢٥٤).

(٢) انظر: عبدالواحد طه، إدارة بلاد الشام، ٣٠١، ٣٠٢.

(٣) المرجع السابق، ٣٠٢، ٣٠٤.

ولايات العراق وفارس:

بدأت الفتوحات في العراق أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكانت في البداية تحت إمراة المثنى بن حارثة الشيباني إلى أن قدم خالد بن الوليد إلى العراق فجعل أبوبكر الولاية له، فلما أمره بالمسير إلى الشام أعاد أبوبكر الولاية مرة أخرى إلى المثنى بن حارثة(١). وحينما تولى الخلافة عمر بن الخطاب في السنة الثالثة عشرة كان المثنى هو والي العراق، وقد فتحت فيه بعض المواقع، إلا أن المسلمين لم يتركزوا فيه و لم تقم فيه الأمصار، بل كان المسلمون مجاهدين فاتحين يتنقلون من جهة إلى جهة، وقد أعد عمر في أول أيام خلافته جيشاً لغزوالعراق عين عليه (أبا عبيد بن مسعود الثقفي)(٢) وأمر المثنى بن حارثة بالسمع والطاعة له(٣).

وقد أثار عزل المثنى عن ولاية العراق تساؤل الناس حيث كان المثنى أول الأمراء الفاتحين في العراق، وقد حالفه النجاح في كثير من أعماله الحربية، وقد عزل المثنى في الوقت نفسه الذي عزل فيه خالد، مما أثار استغراب الناس فقال عمر: (إني لم أعزلهما عن ريبة ولكن الناس عظموهما فخشيت أن يوكلوا

---

(١) انظر تفصيلات ذلك في الفصل الأول ص ٦٣.

(٢) (أبو عبيد بن مسعود الثقفي): والد المختار بن أبي عبيد الثائر المشهور، أسلم في عهد رسول الله ﷺ واستعمله عمر على جيش العراق وقاد معركة الجسر المشهورة مع الفرس واستشهد فيها أول سنة ١٤هـ (الذهبي، تاريخ الإسلام ج٢/٩، ابن حجر، الإصابة ج٤/١٣١).

(٣) خليفة بن خياط، ١٢٤.

البلاذري، فتوح البلدان، ٢٥١.

ابن الأثير، الكامل، ج٢/٤٣٣.

إليهما)[١] ومع عزل المثنى فقد كان جندياً مخلصاً اشترك مع أبي عبيد في معظم معاركه وأبلى بلاء حسناً[٢].

وقد كان لأبي عبيد بن مسعود الثقفي أثناء ولايته على العراق فتوحات عظيمة ومعارك كبرى خاضها ضد الفرس، ومن أشهرها وقعة الجسر التي استشهد فيها أبوعبيد نفسه كما استشهد فيها العديد من القواد والجنود المسلمين وجرح فيها المثنى بن حارثة الشيباني[٣].

وقد كانت فترة ولاية أبي عبيد بن مسعود الثقفي قصيرة لم تمتد سوى بضعة أشهر، وكانت جهوده فيها بالدرجة الأولى جهوداً حربية جهادية، نظراً إلى أن الفتوح لم تكن قد انتهت بعد في العراق، إضافة إلى ما حدث في عهده من انتفاض الفرس في معظم المناطق، بناء على توجيه وتشجيع من حكومة فارس[٤] فشغل أبوعبيد بإعادة الأوضاع وبالجهاد عن أمور التنظيم. وقد اشتهر أبوعبيد بتواضعه ومعاملته الحسنة لجنوده وتسويته نفسه معهم؛ فقد حدث أن قدم لجنده طعام من إحدى القرى الفارسية وفُضِّل أبوعبيد بشيء عن جنده، حيث أعد له طعام خاص فقال لهم: (أأكرمتم الجند بمثله وقريتموهم؟ قالوا: لا فرده، وقال: لا حاجة لنا فيه بئس المرء أبوعبيد أن صحب قوماً من بلادهم أهرقوا دماءهم دونهم

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٤/١٥٥.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢/٥.

ابن كثير، البداية والنهاية ج٧/٢٨.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٢٤ - البلاذري، فتوح البلدان ٢٥٢، الطبري، تاريخه ج٤/٦٩، ابن الأثير، الكامل ج٢/٤٤٠.

(٤) ابن الأثير، الكامل ج٢/٤٣٤.

أو لم يهريقوا فاستأثر عليهم بشيء يصيبه. لا والله لا يأكل مما أفاء الله عليهم إلا مثل ما يأكل أوساطهم)[1]. وقد كانت وفاة أبي عبيد رحمه الله في معركة الجسر التي وقعت في شعبان أو رمضان سنة ١٣هـ[2].

وبعد قتل أبي عبيد بن مسعود أصبحت أحوال العراق مضطربة، وبقي فيها المثنى بن حارثة بعد أبي عبيد بعضاً من الوقت يدير أمور الجند فيها ويناوش الفرس قدر استطاعته، وفي الوقت نفسه أعد عمر بن الخطاب جيشاً عظيماً مدداً للمسلمين في العراق واختار لقيادته (جرير بن عبدالله البَجلي)[3] وكان معظم الجيش من قبليته (بَجيلة)[4] وقد توجه هذا الجيش إلى العراق واشترك مع المثنى بن

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٤/٦٥.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٢٤، البـلاذري، فتوح البلدان، ٢٥٣، ابن الأثير، البداية والنهاية ج٧/٢٨.

(٣) جرير بن عبدالله: بن صابر البجلي أسلم قبل حجة الوداع على الراجح وشهدها مع الرسول ﷺ وقد دعا له الرسول ﷺ وأمّره على أحد السرايا وروى بعض الأحاديث عن رسول الله ﷺ وقد أمّره عمر في أول خلافته على بجيلة فسار فيهم إلى العراق فاتحاً مجاهداً، وكان لهم أثر عظيم في فتوحها ثم سكن الكوفة وكانت وفاته حوالي سـنة ٥٣هـ (ابن الأثير، أسد الغابة ج١/٢٧٩، ابن حجر، الإصابة ج١/٢٣٢).

(٤) (بَجِيْلة) بطن من بني أنمار من القحطانية يتفرعون إلى عدة بطون كانوا يسكنون في المناطق الممتدة بين السروات إلى (تُربَة) وهي المنطقة الواقعة بين الحجاز ونجد واليمن وقد وقعت بينهم حروب في أول الإسلام تفرقوا على أثرها، فاستطاع جرير بن عبدالله أن يجمعهم ثم توجه بهم إلى العراق في هذه الفتوح وانتشروا بعد ذلك في البلاد المفتوحة (عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ج١/٦٣).

حارثة في بعض المعارك[١] وكان أشهرها معركة (البُوَيْب)[٢] إضافة إلى قيامه بالإغارات على مجموعة من المواقع الفارسية والأسواق التجارية في مختلفة نواحي العراق[٣]، وقد قيل أن المثنى كانِ أميراً على جنده، وأن جرير بن عبدالله كان أميراً على جنده، فاختلف الرواة فيمن كان الأمير العام على الجند[٤].

ونلاحظ في هذه الفترة أن (عتبة بن غزوان)[٥] أحد قواد المسلمين كان معه مجموعة من الجنود يغير على الفرس في نواحي البصرة[٦] وفي الوقت نفسه قام بإنشاء البصرة مما سنفصله فيما بعد.

وقد كتب المسلمون في العراق إلى عمر بن الخطاب يعلمونه أن الفرس قد استعدوا بجيوش عظيمة لحربهم، فجمع عمر رضي الله عنه الجموع من مختلف الجهات لتوجههم إلى العراق في أول محرم سنة ١٤هـ (فأراد أن يغزو بنفسه وعسكر لذلك فأشار عليه العباس بن عبدالمطلب وجماعة من مشايخ أصحاب

---

(١) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج١/١٧١.

(٢) (البُوَيْب) نهر كان بالعراق في موضع الكوفة (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١/٥١٢).

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ٢٥٤، ابن الأثير الكامل، ج٢، ٤٤٥، انظر، أحمد عادل كمال، الطريق إلى المدائن، الطبعة الأولى، دار التعايش، بيروت ١٣٩٢هـ، ص ٤٤٩ - ٤٧١.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ٢٥٤.

(٥) عتبة بن غزوان، صحابي جليل من أوائل المسلمين في مكة ممن هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية وهاجر إلى المدينة، شهد بدراً وغيرها من المشاهد مع النبي ﷺ توفي سنة ١٥هـ وقيل ١٧هـ (ابن سعد، الطبقات ج٣/٩٨، ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج١/٣٨٧، ابن الأثير، أسد الغابة ج٣/٣٦٢، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٣٠٤، ابن حجر، الإصابة، ج٢/٤٤٥).

(٦) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٢٨.

ابن الأثير، الكامل، ج٢/٤٨٧.

رسول الله ﷺ بالمقام وتوجيه الجيوش والبعوث ففعل ذلك)[١] حيث وقع اختيار عمر بن الخطاب بعد عدة مشاورات على سعد بن أبي وقاص لقيادة الجيش المتوجه إلى العراق[٢].

وقد دعا عمر سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ثم قال له: (يا سعد إن الله تبارك وتعالى إذا أحب خلقاً حببه إلى خلقه، وإني موجهك إلى أرض العراق لتكون أميراً على جميع من قدمت عليه، فسر وقل: لا حول ولا قوة إلا بالله واعلم أني لست أترك أحداً يطيق حمل السلاح إلا وجهت به إليك، وأنا أرجو أن يفتح الله على يديك، ثم جمع له عمر رضي الله عنه الناس من كل أوب حتى صار سعد في سبعة آلاف)[٣].

وقد كتب عمر رضي الله عنه إلى كل من المثنى بن حارثة وجرير بن عبدالله البجلي بالسمع والطاعة لسعد بن أبي وقاص، وكانا قد تنازعا قبل ذلك على الإمارة[٤]، وأنهى عمر بهذا الأمر تنازع جرير بن عبدالله والمثنى، ويعد هذا الأمر تولية لسعد على أجناد العراق سواء التابع منها للمثنى أو لجرير أو لمن سبقهم من القواد أو أسلم من الفرس، إضافة للجنود الذين يصحبون سعداً نفسه، ويبدو أن المثنى بن حارثة قد انتفضت عليه جراحه التي أصابته يوم الجسر فمرض منها

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ٢٥٥.

(٢) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج١/١٧٢.

الطبري، تاريخه، ٤/٨٣.

(٣) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج١/٧٣.

(٤) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٢٩.

ومات قبل أن يصل سعد بن أبي وقاص إلى العراق[١]، وقد كانت الظروف العامة في العراق تتطلب توحد المسلمين في القيادة إضافة إلى اجتماع الجند نظراً للاستعدادات المكثفة التي كان الفرس يقومون بها خلال تلك الفترة لضرب المسلمين ضربة قوية في محاولة لطردهم من بلاد العراق.

وعندما وصل سعد بن أبي وقاص إلى العراق ضم إليه الأجناد الذين كانوا في العراق، كما بقي بعض منهم في مواقع حددها لهم سعد بن أبي وقاص[٢]. وقد توالت الكتب على سعد من عمر توجهه لكيفية العمل في جنده وتقسيمهم، كما جاءت كتب سعد إلى عمر تصف له الوضع كأنه يشهد الناس وأماكنهم، ثم إن سعداً قسم الجيش وعيَّن الأمراء والعرفاء وأصحاب الرايات[٣]، كما أن سعد بن أبي وقاص عين قاضياً، وعين قابضاً للأموال، وأعد تنظيماً كاملاً للأجناد الموجوده معه[٤] وفي الوقت نفسه وصل أخو المثنى بن حارثة ومعه زوجة أخيه المثنى إلى سعد بوصية من المثنى، حدد فيها لسعد طريقة مفصلة لقتال الفرس[٥]، فاستفاد

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ٢٥٦.
ابن أعثم، الفتوح، ج١/١٧٤.
الطبري، تاريخه ج٤/٨٩.
ابن الأثير، الكامل، ج٢/٤٥٣.

(٢) أحمد عادل كمال، القادسية، الطبعة الأولى، دار النفائس، بيروت، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، ص ٣٢.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٤/٨٧.
ابن الأثير، الكامل ج٢/٤٥٢.

(٤) الطبري، تاريخه ج٤/٨٨.

(٥) الطبري، تاريخه ج٤/٨٩، ابن الأثير، الكامل ج٢/٤٥٢.

بهذه الوصية من خبرة الأمير السابق المثنى بن حارثة، وأخذ سعد بن أبي وقاص يبث جنوده للإغارة على أماكن محددة، ولتأديب الناس الذي انتفضوا على المسلمين[١] وفي الوقت نفسه استعد الفرس للقاء المسلمين، وعينوا عليهم قائدهم المشهور رستم الذي جلب الجنود من مختلف أنحاء فارس للقاء المسلمين وحربهم.

وبعد اجتماع المسلمين والفرس، دارت مفاوضات، وتبودلت الرسل بين رستم وسعد، وتبين خلال هذه المفاوضات النجاح الكبير الذي حققه سعد في اختياره لهؤلاء المندوبين الذين أوقعوا الرعب من كلامهم في قلوب الفرس[٢].

وقد كانت أهم أعمال سعد خلال هذه الفترة هي قيادته لمعركة القادسية في سنة ١٥هـ[٣] والتي انتصر فيها المسلمون انتصاراً باهراً وقتلوا رستم قائد الفرس، ثم كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بالتوجه إلى المدائن عاصمة الفرس[٤]، وبالفعل توجه سعد إلى المدائن واستطاع أن يفتحها، ودخل إيوان كسرى وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾[٥] .. الآية، ثم قرأ ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ*وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ*وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا

---

(١) الطبري، تاريخه ج٤/٩١.
ابن الأثير، الكامل ج٢/٤٦٠.

(٢) للاطلاع على تفاصيل هذه المفاوضات انظر، البلاذري، فتوح البلدان ٢٥٧، الطبري، تاريخه ج٤/٩٥، ابن الأثير، الكامل ج٢/٤٥٦.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه ١٣٠.
الطبري، تاريخه ج٤/١١٢، ابن الأثير، الكامل، ج٢/٤٠٥، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/٤٧.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٢/٥٠٥.

(٥) سورة إبراهيم، آية ٤٤.

فَاكِهِينَ*كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [1]، ودخل جند المسلمين المدائن مكبرين ومهللين يرددون: (**هذا ما وعدنا الله ورسوله**)[2] وولى عمر سعد بن أبي وقاص ما غلب عليه وعين بعض المساعدين له.

وبعد فتح المدائن تغير الوضع بالنسبة لبلاد العراق؛ إذ تأكد فيها توزيع المسؤولية، وتقسيم البلاد، وتمصيرها، وفصل ولاية البصرة، وإنشاء الكوفة، واستقلال كل واحدة منها بوالٍ يختلف عن الآخر مع بقاء التعاون فيما بينهما. وقد كانت البصرة قد بدأت بالظهور على مسرح الأحداث كولاية قبيل معركة القادسية، إلا أن انتصار القادسية وسقوط المدائن في يد المسلمين يعد بداية مرحلة جديدة وقوية في بلاد العراق، بدأ فيه تنظيم الولايات يأخذ شكلاً معيناً وبارزاً تتضح فيه الملامح العامة سواء ولاية البصرة أو ولاية الكوفة، وما ألحق بكل منهما من المدن والقرى التي كانت تتبع كلاً منهما من أقاليم فارس والعراق، أو ما استقل عنهما من الولايات في بلاد فارس وهو ما سنتعرض له بشيء من التفصيل إن شاء الله.

---

(١) سورة الدخان، آية ٢٥ - ٢٨.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٤/٧٤.

ابن الأثير، الكامل ج٢/٥٠٨.

ابن كثير، البداية والنهاية ج٧/٦١.

ولاية البصرة:

كانت مجموعة من أجناد المسلمين قد وهبت نفسها للجهاد في نواحي البصرة منذ أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه، لم يكن لهم بلد معين، إذ كانوا يقومون بمهاجمة المواقع الفارسية في تلك المنطقة وذكر من هؤلاء (قطبة بن قتادة)(١).

وحينما جاءت خلافة عمر بن الخطاب وجّه إلى نواحي البصرة قبل إنشائها (شُرَيْح بن عامر)(٢) -أحد بني سعد بن بكر- مدداً لقطبة بن قتادة، ثم ولاه عمر على نواحي البصرة، وقتل في إحدى المعارك(٣). ثم قام عمر بن الخطاب بارسال (عتبة بن غزوان) إلى نواحي البصرة مع مجموعة من الجند وولاه عليها، وذلك في السنة الرابعة عشرة وليس في السادسة عشرة كما يرجح ذلك صالح أحمد العلي؛ إذ يقول: (ويزعم بعض المؤرخين أن عتبة أرسل سنة ١٦هـ بعد معركة القادسية أو جلولاء ولكن الأغلبية المطلقة من المؤرخين يؤكدون أنه أرسل سنة ١٤هـ مما يجعلنا نرجح روايتهم)(٤).

ويذكر الطبري أن الخليفة عمر وجه عتبة في حوالي خمسمائة جندي إلى

---

(١) انظر الفصل الأول، ص ٦٣.

(٢) شُرَيْح بن عامر بن قيس بن عامر من بني سعد بن بكر له صحبة، وولاه عمر البصرة فقتل في نواحي الأهواز، (ابن عبدالبر، الاستيعاب، حاشية على الإصابة ج٢/١٤٦، ابن حجر، الاصابة ج٢/١٤٧).

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه ١٥٥.
ابن الأثير، أسد الغابة ج٢/٣١٥.
ابن حجر، الإصابة، ج٢/١٤٧.
النويري، نهاية الأرب ج١٩/٢٣٤.

(٤) صالح أحمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، الطبعة الثانية، دار الطليعة، بيروت ١٩٦٩، ص ٣٦.

البصرة، وودعه وأوصاه، كما كان يوصي الولاة والأمراء، فوصل البصرة في ربيع الأول أو الآخر سنة ١٤هـ وكتب إلى عمر يصف له وضعه ويستشيره فيه[١]، ثم إن عتبة رضي الله عنه استطاع فتح (الأُبلة)[٢] والاستيلاء عليها وفر منها جنود الفرس، وبذلك بدأت مرحلة استقرار المسلمين في منطقة البصرة وبدأ عتبة اتصالاته بعمر بن الخطاب ليستشيره في المكان الذي يقيم فيه المسلمون مصراً يعيشون فيه.

وكان عتبة قد نزل (الخُريبة)[٣]، (فكتب إلى عمر يعلمه بتروله إياها وأنه لا بد للمسلمين من غزوهم. فكتب إليه أن اجمع أصحابك في موضع واحد وليكن قريباً من الماء والمراعي، واكتب إليّ بصفته فكتب إليه أني وجدت أرضاً كثيرة القضبة في طرف البر إلى الريف ودونها منابع ماء فيها قصباء، فلما قرأ الكتاب قال: هذه أرض نظرة قريبة المشارب والمراعي والمحتطب، وكتب إليه أن انزلها الناس فأنزلهم إياها فبنوا مساكن القصب)[٤] وقد كان اختيار هذا المكان بناء على موافقة عمر رضي الله عنه، حيث كان حريصاً على عدم وجود فاصل مائي بين البصرة وبين

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٤/١٤٩.

وانظر أيضاً، ابن الأثير، الكامل، ج٢/٤٨٥.

(٢) (الأُبلّه) بلدة على شاطئ دجلة في زاوية الخليج وهي أقدم من البصرة وكانت بها جيوش من قبل كسرى (ياقوت الحموي، معجم البلدان ج١/٧٧، وصلاح الدين المنجد، معجم أماكن الفتوح، ٦).

(٣) (الخُرَيْبَة) موضع قرب البصرة كان فيه بلدة للفرس (صلاح الدين المنجد، معجم أماكن الفتوح، ٤٤).

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ٣٤١.

المدينة عاصمة الخلافة[١]. إضافة إلى أن عتبة اتبع ابتداء نصيحة عمر قبل البحث عن المكان، حيث قال له: انزل أقصى البر من أرض العرب وأدنى الريف من أرض العجم[٢].

وبعد الاتفاق على المكان بين الوالي عتبة والخليفة عمر بدأ عقبة الخطوات التنفيذية لتمصير البصرة، فكان عتبة أول من مصّر البصرة حيث بدأ بتخطيط المدينة بنفسه واستعان ببعض الخبراء في هذا المجال، وكان أول ما خط فيها مسجداً من قصب، ثم بنى داراً للإمارة قرب المسجد وجعل في المنطقة رحبة واسعة[٣]، ثم جعل أناساً مختصين يخططون الشوارع ويقسمون الأراضي على القبائل، وكان لعمر دور في تحديد عرض الشوارع والأزقة[٤]، وقد ذكر أن بناء البصرة كان ابتداء بالقصب، فكانوا إذا غزوا نزعوا ذلك القصب ثم حزموه ووضعوه حتى يعودوا من الغزو فيعيدوا بناءه كما كان[٥].

وقد كانت مرحلة ولاية عتبة على البصرة مرحلة تأسيسية وهامة في حياة هذه

---

(١) د. محمد المعتصم، المدينة الإسلامية وخصائصها، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر العدد الثاني، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص ٢٢٧.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٤/١٥٠.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٢٩.

البلاذري، فتوح البلدان ٣٤١.

(٤) النويري، نهاية الأرب، ج١٩/٣٤١.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان ٣٤٢.

ياقوت الحموي، فتوح البلدان ج١/٤٣٢.

الولاية، إذ يعد بحق المؤسس الحقيقي للبصرة وتنسب إليه[١]، كما أن فترة ولايته كانت حافلة بالعديد من الأعمال الجليلة، ومنها مجموعة من الفتوح قام بها في بلاد الفرس القريبة منه على ضفيّ دجلة والفرات[٢]، ويذكر بعض المؤرخين أن سعد بن أبي وقاص كان يكتب بالأوامر إلى عتبة فوجد عتبة في نفسه شيئاً إذ كان يعد ارتباطه بالخليفة عمر مباشرة، فسافر إلى الحج والتقى بعمر بن الخطاب رضي الله عنه فاستعفاه فأبى عمر أن يعفيه وعزم عليه ليرجعن إلى عمله ثم انصرف فمات في الطريق إلى البصرة، فلما بلغ عمر موته قال: أنا قتلته، لولا أنه أجل معلوم، وأثنى عليه خيراً، وكانت وفاته في السنة السابعة عشرة[٣].

كان عتبة قبل مغادرته للحج قد استخلف على البصرة (مجاشع بن مسعود السلمي)[٤] وكان غائباً في أحد الجيوش، فجعل مكانه المغيرة بن شعبة، إلى أن يقدم مشاجع، وخلال هذه الفترة قام المغيرة برد إحدى غارات الفرس على البصرة، ونجح في ذلك فكتب إلى عمر بن الخطاب في المدينة وكان عتبة بن

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١/٣٠٦.

صالح أحمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية للبصرة، ٣٦.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٢٧، ١٢٨.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ٣٣٩.

الطبري، تاريخه، ج٤/٢١٤.

ابن الأثير، الكامل ج٢/٥٣٩.

الذهبي، أسير أعلام النبلاء، ج١/٣٠٥.

(٤) مُجَاشِع بن مسعود السلمي له رواية عن النبي ﷺ اشترك في فتوح العراق، توفي سنة ٣٦هـ في وقعة الجمل.

(ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، حيدر أباد، الهند، ١٣٢٧هـ، ج١٠/٣٨).

غزوان عنده فقال له: من استعملت على البصرة؟ قال عتبة: مجاشع بن مسعود، فقال عمر: أتستعمل رجلاً من أهل الوبر على أهل المدر؟ يقصد رجلاً أعرابياً على قوم من الحاضرة. ثم إن عمر أخبره بما كان من أمر المغيرة، وقيامه بصد الأعداء وأمر عتبة بالعودة[١] لولايته، إلا أن عتبة توفي قبل أن يصل إلى البصرة، فلما علم عمر بوفاته استعمل المغيرة بن شعبة والياً عليها[٢]، وقد كان المغيرة من قواد البصرة ومشاهيرها قبل أن يولى عليها، وكانت له العديد من المعارك والفتوحات ضد الفرس أيام عتبة بن غزان[٣]، ثم إن المغيرة واصل الفتوحات في فارس بعد توليته على البصرة، ففتح العديد من البلدان[٤].

وقد ذكر أن أول من وضـــع ديوان البصرة هو المغيرة بن شعبة أثناء ولايته هذه[٥]، وقد استمر المغيرة بن شعبة والياً على البصرة إلى أن عزله عمر رضي الله عنه في السنة السابعة عشرة من الهجرة[٦] بعد التهمة الموجهة إلى المغيرة بالزنا، والتي استدعى فيها عمر الشهود وحقق معهم وحكم فيها عمر بجلد ثلاثة من الشهود وعفا عن الرابع لتراجعه عن الشهادة، وهذه القضية حكم فيها عمر

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ٣٣٩، الطبري، تاريخه، ج٤/٢١٤، ابن الأثير، الكامل ج٢/٤٨٨.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ٣٣٩، الطبري، تاريخه، ج٤/٢١٤.
ابن الأثير، الكامل، ج٢/٢٤٠.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ٣٣٨.

(٤) خليفة بن خياط، تاريخه ١٣١، البلاذري، فتوح البلدان، ٣٧٠.

(٥) ابن حجر، الإصابة، ج٣/٤٥٢.
وانظر، عبدالجبار منسي العبيدي، إدارة الأمصار الإسلامية ودور الثقفيين فيها، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي، العدد ١٧، ١٤٠١ - ١٩٨١ بغداد، ص ١٤١.

(٦) خليفة بن خياط، تاريخه ١٣٥.

بنفسه، ونعتقد والله أعلم أن حكم عمر كان صائباً ولا داعي لأن يفتعل بعض المؤرخين القدماء أو المحدثين اجتهادات لمحاولة إثبات التهمة على المغيرة في الوقت الذي نجد فيه القاضي العادل الورع عمر بن الخطاب لم يثبت التهمة عليه، فبرأه وجلد الشهود الثلاثة، ولكنه والله أعلم عزله من باب الاحتياط والمصلحة، وولاه عمر فيما بعد على أماكن أخرى.

وجدير بالذكر أن محاولة بعض الكتاب إثبات التهمة على المغيرة إنما هي اتهام له ولعمر رضي الله عنهما[1] في سياق واحد، وهو أمر لا يجوز في حق عمر الذي جلد ابنه.

وبعد عزل المغيرة بن شعبة ولّى عمر على البصرة أبا موسى الأشعري رضي الله عنه، وكتب عمر إلى أهل البصرة: (أما بعد، فإني قد بعثت أبا موسى أميراً عليكم ليأخذ لضعيفكم من قويكم وليقاتل بكم عدوكم وليدفع عن ذمتكم وليحصي لكم فيأكم ثم ليقسمه بينكم ولينقي لكم طرقكم)[2].

وكان قدوم أبي موسى إلى البصرة في سنة ١٧هـ وأمره عمر أن يسير إلى

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول هذه القضية انظر:
البلاذري، فتوح البلدان، ٣٤١، اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٤٦.
الطبري، تاريخه، ج٤/٢٠٦، ٢٠٧.
ابن الأثير، الكامل ج٢/٥٤٠.
النويري، نهاية الأرب، ج١٩/٣٤٥ - ٣٤٧.
الذهبي، سير أعلام النبلاء ج٣/٢٧.
ابن كثير، البداية والنهاية ج٧/٨٢.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٤/٢٠٧.

بعض المواقع الفارسية لفتحها[1]. ويعد أبوموسى -بحق- أشهر ولاة البصرة أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد فتحت في أيامه المواقع العديدة في فارس، فكان يجاهد بنفسه ويرسل القواد للجهات المختلفة من البصرة، وفي أيامه تمكن من فتح (الأهواز)[2] وما حولها بالإضافة إلى العديد من المواقع المهمة، وكانت فترة ولايته حافلة بالجهاد، فعند تصفحنا للكتب التاريخية نجد أن أبا موسى كانت له في كل عام فتوحات مشهورة وعظيمة في بلاد الفرس[3]، كما أن أبا موسى تعاون مع الولاة المجاورين له في كثير من الحروب والفتوحات، فتعاون مع والي البحرين في فتح بعض المواقع في فارس[4]، كما تعاون مع والي الكوفة في فتح مواقع أخرى[5] إلى الشرق والشمال من الكوفة، إضافة إلى فتوحاته الخاصة التي قام بها بنفسه أو قام بها بعض قواده من أهل البصرة، وقد قام أبو موسى بجهود كثيرة لتنظيم المناطق المفتوحة وتعيين العمال عليها وتأمينها وترتيب

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه ١٣٥.

(٢) الأهْوَاز: كورة عظيمة كانت تضم سبع كور بين فارس والبصرة، وهي خوزستان حالياً في إيران اليوم، ومدينة الأهواز ما تزال قائمة على نهر كارون الذي يمد شط العرب في إيران (صلاح الدين المنجد، معجم أماكن الفتوح، ١٦).

(٣) للاطلاع على تفاصيل فتوح أبي موسى، انظر:

خليفة بن خياط، تاريخه، ١٣٨،١٣٩،١٤٩ - ١٥٢.

البلاذري، فتوح البلدان، ٣٠٤، ٣٠٨، ٣٧١.

(٤) خليفة بن خياط، تاريخه ١٥٠.

البلاذري، فتوح البلدان، ٣٨٠.

(٥) ابن أعثم، الفتوح، ج٢/٢٧.

مختلف شؤونها[١].

وقد جرت العديد من المراسلات بين أبي موسى وعمر بن الخطاب في مختلف القضايا، منها توجيهه لأبي موسَى في كيفية استقباله للناس في مجلس الإمارة[٢]، ومنها نصيحته لأبي موسى بالورع والعمل على إسعاد الرعية، وهي رسالة قيمة قال فيها عمر: (أما بعد، فإن أسعد الناس من سعدت به رعيته، وإن أشقى الناس من شقيت به رعيته، إياك أن ترتع فيرتع عمالك، فيكون مثلك عند ذلك مثل البهيمة نظرت إلى خضرة من الأرض فرتعت فيها تبغي السمن وإنما حتفها في سمنها)[٣].

وهناك العديد من المراسلات الأخرى التي دارت بين عمر وأبي موسى في قضايا كثيرة من أهمها كتاب عمر إليه في القضاء وهو الذي اعتمد عليه المسلمون فيما بعد كأساس من أسس القضاء عند المسلمين وقد تولى شرحه العديد من الباحثين المسلمين[٤]، وقد كانت استفهامات أبي موسى الأشعري عن تأريخ

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ٣٠٨، ٣٧١.

(٢) ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ١٣٠.

(٣) المصدر السابق، ١٢٩.

(٤) انظر نص الكتاب في الدارقطني، علي بن عمر، سنن الدارقطني، عالم الكتب، بيروت د. ت جـ ٢٠٦/٤، الماوردي، الأحكام السلطانية ص ٧١، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٦٣/١، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٩٣/١٠ وقد شرحه ابن القيم الجوزيه في كتابه إعلام الموقعين بما يزيد على ٤٧٧ صفحة، انظر: ابن القيم أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر، بيروت جـ ١ ص ٨٥- ٤٠١، جـ٢، ص ٣ - ١٦١.

الكتب التي يرسلها له عمر دافعاً لعمر لتحديد التأريخ وجعله من هجرة الرسول ﷺ[١]، كما كاتبه في التجارة وضرائبها بين المسلمين وأرض الحرب[٢]، وهناك العديد من الرسائل بين عمر وأبي موسى تدل على نواح إدارية وتنفيذية مختلفة كان يقوم بها أبو موسى بتوجيه من عمر، وقد جمع معظم هذه المراسلات محمد حميد الله في كتابه عن الوثائق السياسية[٣]، وكان أبو موسى كثيراً ما يقرأ كتب عمر على الناس[٤]، وكثيراً ما يبعث أبو موسى بالأموال إلى عمر بن الخطاب في المدينة من ولايته؛ ففي إحدى المرات وصل أبوهريرة رضي الله عنه بثمانمائة ألف درهم من عند أبي موسى[٥]، كما قدم أبو موسى نفسه إلى عمر في المدينة ومعه ألف ألف درهم[٦].

وقد قام أبو موسى أثناء ولايته بالعديد من الإصلاحات لأهل البصرة، منها حفره نهراً لأهل البصرة بأمر من عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٧].

وفي أيام أبي موسى نشب نزاع بين أهل الكوفة وأهل البصرة نتيجة فتح بعض المواقع، وزعم كل فريق أن الفتح لهم فاختصموا إلى عمر فحل النزاع واصطلح الفريقان بعد أن كاد يقع بينهم شيء من المكروه[٨]، وقد حدثت بعض الشكاوى

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ٥١.

(٢) محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ٥١٨.

(٣) طالع: محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة.

(٤) انظر ابن أعثم الكوفي، الفتوح جـ٢/٤.

(٥) ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ١٠٠.

(٦) أبو يوسف، الخراج، ٤٩.

(٧) البلاذري، فتوح البلدان، ٣٥١.

(٨) ابن أعثم، الفتوح، ج٢/٢٧.

من الرعية ضد أبي موسى رفعوها إلى عمر رضي الله عنه، فحلها بنفسه ووجه أبا موسى للتصرف بما يرفع الظلم عنهم[١].

وتعد فترة ولاية موسى على البصرة من أفضل الفترات، حتى لقد عبر عنها أحد أحفاد البصريين فيما بعد، وهو الحسن البصري رحمه الله، فقال: (ما قدمها راكب خير لأهلها من أبي موسى)[٢]، إذ أن أبا موسى رحمه الله كان -إضافة إلى إمارته- خير معلم لأهلها، حيث علّمهم القرآن وأمور الدين المختلفة[٣] واشتهر أبو موسى بأنه هو الذي فقه أهل البصرة وأقرأهم، فكان له فضل عليهم[٤] يميزه عن الولاة الآخرين الذين سبقوه أو لحقوه.

وقد توفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأبو موسى على البصرة، وكان ضمن وصيته أن يُقرّ أبو موسى على البصرة بعده أربع سنين[٥].

وفي زمن عمر بن الخطاب كانت العديد من المدن في فارس، والتي فتحت في زمنه تخضع للبصرة وتدار من قبل والي البصرة الذي يعين عليها العمال من قبله، ويرتبطون به ارتباطاً مباشراً، وهكذا عُدَّ أبو موسى من أعظم ولاة عمر وارتبط به

---

(١) ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ٩٥، ١٣١.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٣٨٩.

(٣) المصدر السابق، ج٢/٣٩٠.

(٤) ابن حجر، الإصابة، ج٢/٣٦٠.

(٥) خليفة بن خياط، تاريخه ١٥٤.

الطبري، تاريخه ج٥/٩.

ابن الأثير، الكامل، ج٣/٧٧.

الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٣٩١.

ابن حجر، الإصابة ج٢/٣٦٠.

ارتباطاً مباشراً، وعُدَّت مراسلات عمر مع أبي موسى من أعظم المصادر التي كشفت سيرة عمر مع ولاته وبيّنت ملامح أسلوبه في التعامل معهم.

ولاية الكوفة:

قبل أن يرسل عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص بجنوده إلى العراق كان قد بعث إليها جرير بن عبدالله البجلي الذي اشترك مع المثنى بن حارثة الشيباني في العديد من المعارك ضد الفرس.

وقد ورد أن عمر رضي الله عنه حينما وجه جرير بن عبدالله حدد له غزو بعض الأقاليم، وهي تلك التي وجدت فيها الكوفة[1] فيما بعد، فكان يغزو في تلك النواحي، ثم إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث سعد بن أبي وقاص بجنده إلى العراق، وولاه صلاة ما غلب عليه في حربه[2].

ولقد قاد سعد رضي الله عنه العديد من المعارك ضد الفرس في مواقع مختلفة في نواحي العراق، وكانت أشهر هذه المعارك معركة القادسية التي اشتهر بها سعد بن أبي وقاص وأصبح اسمه مقروناً بها، ومهدت لفتح المدائن عاصمة الفرس، وبالفعل تقدم سعد رضي الله عنه زاحفاً إلى المدائن حتى تمكن من فتحها في أواخر سنة ١٦هـ[3]، وقد أقام سعد بن أبي وقاص بعض الوقت في المدائن[4]، وأخذ ينظم الثغور الخاصة بولايته، وذلك قبل إنشاء الكوفة، فحدد أربعة ثغور، وأقام عليها

---

(١) ابن سلام، الأموال، ٧٩.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٤/٨٤.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان ٢٦٢، ابن الأثير، الكامل، ج٢/٥١٣.

(٤) الطبري، تاريخه ج٤/١٩٤.

وانظر د. طاهر مظفر العميد، تأسيس مدينة الكوفة، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي العدد السادس ص ١٠٠.

الأمراء لترتيب أمورها[١]، لكن الذين نزلوا المدائن من المسلمين خافوا من أوبئتها (فشكوا ذلك إلى عمر بن الخطاب، فقال عمر: أتصبر بالمدائن الإبل؟ قالوا: لا إن بها بعوضاً، قال: فإن العرب لا تصبر ببلاد لا تصبر فيها الإبل، فارتادوا. قال: فخرجنا ونحن نريد الحيرة فلقينا رجل من أهل الحيرة وهو يريد أن يصرفنا عنها، فقال: أدلكم على بلدة ارتفعت عن البعوضة وتطأطأت عن البقة، وطعنت في البرية وخالطت الريف، فدلنا على الكوفة فاختط الناس ونزلوا)[٢] وكان بناء الكوفة في السنة السابعة عشرة[٣] وقد كان المسلمون جربوا العديد من المواقع لاتخاذها مصراً بناء على أوامر عمر، قبل أن يصلوا إلى مكان الكوفة فلم ترق لهم تلك الأماكن إلى أن دلّوا على مكان الكوفة[٤]. ويبدوا أن أرضها لم يسبق أن سكنت قبل المسلمين أو أقيم عليها بلدان[٥].

وكان تمصير الكوفة ابتداء يسير وفق تخطيط معين ومتفق عليه بين سعد وعمر بحيث يكون الموقع ملائماً للسكان وطبيعتهم وأعرافهم، فكان اختيارهم لما يصلح لإبلهم نظراً لأن ذلك يصلح لهم وليس لإبلهم فقط، وذلك لطبيعة حياتهم القبلية التي اعتادوا عليها، وقد كان بناء الكوفة في البداية بالقصب ثم وقع فيها حريق شـــديد أتى على معظم بيوت القصب فأذن لهم عمر بعد ذلك بالبناء باللّبن

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٤/١٩٤.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٣٨.

(٣) المصدر السابق، ١٤١.

الطبري، تاريخه، ج٤/١٩٠.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ٢٧٤.

(٥) طاهر مظفر العميد، تأسيس الكوفة، ١٠٥.

والطين[1]، ووكل عمر أمر التخطيط وتوزيع الأراضي والإشراف على سعة الشوارع وتنظيمها قبل البناء إلى مجموعة من الخبراء في هذا المجال، وحدد لهم مقدار عرض الشوارع والأزقة وتنظيم الأراضي -كما فعل بالبصرة[2]- وفي تخطيط الكوفة تم تحديد موقع للمسجد العام في المدينة، وكذلك خصص مكاناً لبيت المال، وبنى داراً خاصة بأمير الكوفة، إضافة إلى تخصيص أراضٍ رحبة بجوار المسجد تكون متنفساً للمسجد يستفيد منها أهل المدينة في بعض الأوقات والمناسبات[3]. وقد وزع السكان في الكوفة على أساس قبلي؛ إذ خصص لكل قبيلة منطقة معينة للسكن[4].

ويعد سعد بن أبي وقاص أول ولاة الكوفة بعد إنشائها، بل إنه هو الذي أنشأها بأمر من عمر، وكان له الولاية عليها وعلى المناطق المجاورة لها قبل بناء

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٤/١٩١.
ابن الأثير، الكامل ج٢/٥٢٨.

(٢) اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٥٠، الطبري، تاريخه، ج٤/١٩١.
ابن الأثير، الكامل ج٢/٥٢٩.
د. محمد حسين الزبيدي، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول للهجرة، القاهرة ١٩٧٠م، ص ٢٢.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ٢٧٦.
الطبري، تاريخه، ج٤/١٩٢.
ابن الأثير، الكامل ج٢/٥٢٩.
محمد المعتصم، المدينة الإسلامية وخصائصها، ص ٢٤٠.
طاهر مظفر العميد، تأسيس مدينة الكوفة، ١١٢.

(٤) المرجع السابق، ١١٣.

الكوفة، وقد استمر سعد والياً على الكوفة، وقام بدوره على أكمل وجه، وكانت له فتوحات عظيمة بعد استقراره بالكوفة في نواحي بلاد فارس[١]. كما كان له مجموعة من الإصلاحات الزراعية في ولايته، ومن ذلك أن مجموعة من الدهاقين سألوا سعداً أن يحفر لهم نهراً لصالح المزارعين في مناطقهم، فكتب سعد إلى عامله في المنطقة يأمره بحفر النهر لهم فجمع العمال وحفر النهر[٢].

وقد كان سعد ينظم أمور المناطق التابعة للكوفة ويعين عليها الولاة من قبله بعد التشاور مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

وقد أعجب عقلاء أهل الكوفة بسعد بن أبي وقاص وامتدحوه، فحين سأل عمر بن الخطاب أحد مشاهير الكوفة عن سعد أجاب: (أنه متواضع في جبايته عربي في نمرته أسد في تأمره يعدل في القضية ويقسم بالسوية ويبعد بالسرية ويعطف عليها عطف البرة وينقل علينا خفيا نقل الذرة)[٣] كما سأل عمر جرير ابن عبدالله عن سعد بن أبي وقاص وولايته، فقال جرير: (تركته في ولايته أكرم الناس مقدرة وأقلهم هو لهم كالأم البرة يجمع لهم كما تجمع الذرة أشد الناس عند البأس وأحب قريش إلى الناس)[٤] . ومع اقتناع خيار أهل الكوفة وعقلائها بسعد

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ٢٩٩، خليفة بن خياط، تاريخه ١٣٩، اليعقوبي، تاريخه ج٢/١٥١.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان ٢٧٣.

(٣) المحب الطبري، الرياض النضرة في مناقب العشرة، ج٢/٤٠١، (النَمِرة) بردة من الصوف يلبسها الأعراب (الجوهري، الصحاح ج٢/٨٣٨ (تأموره) كذا في النص في أكثر من طبعة ولعلها (تأمره) أي إمارته وقيادته -انظر الجوهري، الصحاح، ج٢/٥٨٢.

(البَرَة) أي الأم البرة بولدها الحانية عليه (الجوهري، الصحاح، ج٢/٥٨٨) (الذرة) أصغر النمل، ج٢/٦٦٣.

(٤) ابن حجر، الاصابة، ج٢/٣٤.

وامتداحهم له، فقد وقعت بعض الشكاوى ضده من قبل بعض عوام الناس، فقد وشي به إلى عمر، وقالوا: إنه اتخذ قصراً، وجعل له باباً يحجبه عن الناس، وأن الناس يسمونه (قصر سعد) فبعث عمر محمد بن مسلمة وأمره أن يحرق باب القصر، ثم يرجع، ففعل ذلك محمد بن مسلمة، وعاد إلى المدينة برسالة من سعد يبين له حقيقة الحال وينفي ما قاله الناس عنه، فقبل عمر قول سعد وصدقه[1].

ثم إن أناساً من أهل الكوفة سعوا بسعد مرة أخرى إلى عمر، وقالوا: إنه لا يحسن الصلاة، وحينما سئل سعد عن ذلك، قال: أما أنا فكنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ لا أخرم عنها أركد في الأولين وأحذف في الأخريين، فقال عمر: ذاك الظن بك يا أبا اسحاق، ثم إن عمر بعث رجالاً يسألون عنه في الكوفة، فكانوا يمرون على المساجد يسألون الناس عنه، فكانوا لا يأتون مسجداً إلا قالوا خيراً وأثنوا على سعد حتى أتوا مسجداً من مساجد بني عبس، فقال رجل منهم: أما إذا سألتمونا عنه، فإنه: (كان لا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية، ولا يغزو بالسرية، فقال سعد: اللهم إن كان كاذباً فأطل عمره وأدم فقره وأعم بصره، وعرّضه للفتن، فأصيب فيما بعد بدعوة سعد؛ فكان شيخاً هرماً فقيراً أعمى يتعرض للإماء في السكك، فإذا قيل له: قال كبير مفتون أصابتني دعوة سعد)[2].

وقد ذكر أن عمر أرسل محمد بن مسلمة ليتحقق من صحة الشكوى، وأنه دار في

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ٢٧٦، ابن الأثير، الكامل، ج٢/٥٣٠.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ٢٧٧، الطبري، تاريخه ج٤/٢٣٦.

المحب الطبري، الرياض النضرة، ج٢/٣٩٣.

الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/١١٣.

ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/١٠١.

مساجد الكوفة يسأل عن سعد وقد قيلت المقالة السابقة أمامه[١].

ويبدوا أن عمر لم يقتنع بهذا الاتهام الذي وجه لسعد، ومع ذلك فقد عزله، ولعل ذلك العزل كان تكريماً لسَعد في منظوره ومنظور عمر، وليس تثبيتاً للتهمة، وإنما هو إكرام لسعد بأن لا يبقى في بلد يوجد فيه من ينتقده في صلاته، مع أنه كان أقرب أهل البلد اتصالاً برسول الله ﷺ، وتلقى طريقته في الصلاة من الرسول ﷺ وقلده فيها.

ولعل مما يؤيد ما ذكرناه أن عمر عزله واعتذر عن ذلك، وقال: إني لم أعزله لعجز ولا خيانة[٢]، وقد كان عزله في سنة ٢٠هـ[٣].

ويرجح مؤرخ معاصر أن عزل سعد لم يكن عن عجز ولا خيانة، ولكن خوف الفتنة؛ نظراً (لأن جيوش الفرس كانت تتجمع للغزو والثأر فليس من المصلحة إذكاء فتنة في الكوفة لا تعرف نتائجها، ولعل عمر سرّ أن يكون سعد إلى جانبه في المدينة يستشيره)[٤].

وقد خسرت الكوفة بعزل سعد بن أبي وقاص والياً صالحاً وقوياً من

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٤/٢٣٦، ابن كثير، البداية والنهاية ج٧/١٠٦.

(٢) ابن أبي شيبة: أبوبكر عبدالله بن محمد العبسي، كتاب التاريخ مخطوط تحت رقم ٩٤٠٩، مكتبة برلين الملكية، نسخة مصورة على ميكروفلم من مقتنيات الجامعة الإسلامية بالمدينة ورقة ١١١، خليفة بن خياط، تاريخه ١٤٩.
السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج١/١٣٥.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه ١٤٩، الطبري، تاريخه، ج٤/٢٣١.
ابن الأثير، الكامل، ج٢/٥٦٩، الذهبي، العبر، ج١/١٩.

(٤) راضي عبدالرحيم، النظام الإداري والحربي، ١٢٣.

أعظم الولاة عليها.

وبعد عزل سعد عن الكوفة أصدر عمر قراراً بتعيين عمار بن ياسر على الصلاة فيها، ويلاحظ أن عماراً رضي الله عنه كان ضمن القادة الذين كانوا في الكوفة، يستعين بهم سعد بن أبي وقاص أثناء ولايته عليها[1] ولذلك كانت لدى عمار خبرة سابقة شبه كاملة عن الولاية قبل أن يتولى عليها.

وتختلف ولاية عمار هذه عن ولاية سعد، إذ أن عمر جعل مع عمار أناساً آخرين يشتركون معه في المسؤولية ويتقاسمون المهام، فكان عمار على الصلاة وابن مسعود على بيت المال (وعثمان بن حنيف)[2] على مساحة الأرض[3] لذلك اختلف الوضع إلى حد ما في الولاية في هذه المرحلة عما كان عليه أيام سعد، ولا يمكننا تجاهل هذا التوزيع الجديد للمسؤوليات في الولاية، وقد قام كل منهم بما نيط به من أمور، فكان عمار يقوم بالصلاة، وينظم أمور الولاية وشؤونها، ويقود الجيوش، فقام ببعض الفتوح، واشترك أهل الكوفة في أيامه في عدد من المعارك ضد الفرس الذين جمعوا الجموع ضد المسلمين، فكان عمار يدير ولايته بمقتضى تلك الظروف الحربية حسب توجيهات عمر بن الخطاب، فاشترك أهل الكوفة في

---

(١) أبو يوسف، الخراج، ٣٢.

(٢) عثمان بن حنيف: صحابي أنصاري أوسي شهد أحداً والمشاهد بعدها مع الرسول ﷺ اشتهر باستعمال عمر له على مسح السواد بعد فتح العراق، كما استعمله على البصرة. توفي في خلافة معاوية (خليفة بن خياط، الطبقات، ١٣٥، ابن الأثير، أسد الغابة ج٣/٣٧١، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٣٢٠، ابن حجر، الإصابة، ج٢/٤٥٩).

(٣) ابن أبي شيبة، كتاب التاريخ، ورقة ١١٠.
خليفة بن خياط، تاريخه، ١٤٩.

معركة (نهاوند)[١] أيام عمار، كما اشتركوا في فتح بعض المواقع بعد نهاوند[٢]، وقيل: إن الاستعداد لمعركة نهاوند قد بدأ الاشتغال به أيام سعد، وأنها وقعت أيام نائب سعد على الكوفة، وليس بعد تولية عمار، وإنما قبيل توليته أو أثنائها[٣].

ولقد استمر عمار يؤدي مهمته في ولاية الكوفة إضافة إلى ابن مسعود رضي الله عنه الذي كان على خراج الكوفة، وكان ابن مسعود -إضافة إلى قيامه بالشؤون المالية للولاية- يقوم بتعليم الناس القرآن[٤] وأمور الدين.

وقد ورد أن عمر حين بعثه كتب إلى أهل الكوفة: إني قد بعثت إليكم عماراً أميراً وابن مسعود معلماً ووزيراً وهما من النجباء من أصحاب محمد ﷺ من أهل بدر فاسمعوا لهما واقتدوا بهما، وقد آثرتكم بعبدالله على نفسي[٥].

وفي أثناء عمل ابن مسعود على بيت مال الكوفة حدث بينه وبين سعد بن أبي وقاص نزاع في مال اقترضه سعد أيام إمارته وأصرّ ابن مسعود على إعادة المال[٦].
وقد أُثر عن عمار رضي الله عنه تواضعه الشديد أثناء ولايته على الكوفة حتى

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ٣٠٠.
الطبري، تاريخه ج٤/٢٤٦.
(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ٣١٣.
(٣) الطبري، تاريخه ج٤/٢٣٦، ٢٤٦.
(٤) ابن سعد، الطبقات، ج٣/١٥٧.
الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٤٧٥.
(٥) ابن سعد، الطبقات، ج٣/١٥٧.
الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٤٨٦.
(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/١١٤.

إنه كان يشـــتري علفاً لبهائمه ويحمله على ظهره كسائر الناس مع أنه أمير الكوفة[(١)].

وكانت ولاية عمار لأهل الكوفة قرابة سنة وتسعة أشهر، وعزله عمر بناء على عدة شكاوى من أهل الكوفة ضده، وقد ورد في سبب عزله أن أناساً من أهل الكوفة كتبوا إلى عمر في عمار، وقالوا: (إنه ليس بأمير ولا يحتمل ما هو فيه، ونزا به أهل الكوفة فكتب عمر إلى عمار أن أقبل، فخرج بوفد من أهل الكوفة، ووفد رجال ممن يرى أنهم معه فكانوا أشد عليه ممن تخلف، فجزع فقيل له: يا أبا اليقظان ما هذا الجزع؟ فقال: والله ما أحمد نفسي عليه ولقد ابتليت به)[(٢)]. وقد اتهم أهل الكوفة عماراً بتهم ناقشه فيها عمر أمام وفد الكوفة ثم قام بعزله، وقال له عمر: أساءك العزل؟ فقال عمار: ما سرني حين استعملت ولقد ساءني حين عزلت[(٣)] وقيل: إنه قال: ما فرحت حين وليّتني ولا حزنت حين عزلتني[(٤)] كما ذكر أنه استعفى عمر حين أحس بكراهية أهل الكوفة له فأعفاه عمر ولم يعزله عزلاً[(٥)].

ولقد وقف عمر حائراً إزاء أهل الكوفة بعد عزل عمار، وأحس بأنهم

---

(١) ابن سعد، الطبقات ج٣/٢٥٥.

(٢) الطبري، تاريخه ج٤/٢٦١.

(٣) ابن سعد الطبقات، ج٣/٢٥٦، الطبري، تاريخه، ج٤/٣٦١.

ابن الأثير، الكامل ج٣/٣٢، ابن كثير، البداية والنهاية ج٧/١٢٦.

(٤) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٢/٨١.

(٥) النويري، نهاية الأرب، ج١٩/٣٦٨.

متمردون على أمرائهم، فقد شكوا سعداً، ثم شكوا عماراً، وتوقع عمر من أهل الكوفة موقفاً شبيها بذلك إذا عين عليهم رجلاً آخر، فقال عمر: (من عذيري من أهل الكوفة إن استعملت عليهم القوي فَجّرُوه، وإن استعملت عليهم الضعيف حقّروه)(١) ثم إن عمر استشار أهل الكوفة، فقال لهم: من تريدون يا أهل الكوفة؟ فقالوا: أبا موسى(٢) فذكر أنه ولاه فترة ثم شكوه فعزله(٣) والأصح أن أبا موسى في تلك الفترة كان والياً على البصرة، فربما ضمت الكوفة إلى ولايته مؤقتاً، والثابت أن عمر رضي الله عنه ولّى (جبير بن مطعم)(٤) على الكوفة ثم عزله قبل أن يتجه إلى الكوفة، نظراً لأن عمر أمره بكتمان خبر التعيين، ولكن الخبر انتشر بين الناس فغضب عمر وعزله(٥).

ودار في المدينة حوار بين عمر وبين الصحابة فيمن يوليه، فقال عمر: أعياني أهل الكوفة، فإن استعملت عليهم ليّنا استضعفوه، وإن استعملت عليهم شديداً

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ٢٧٩.

(٢) الطبري، تاريخه ج٤/٢٦٢.
ابن الأثير، الكامل، ج٣/٣٢.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٤/٢٦١، ٢٦٢.

(٤) جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف: من أكابر قريش وأعلمهم بالأنساب قدم على النبي ﷺ مندوباً لقريش في فداء أسرى بدر ثم أسلم قبل فتح مكة على الأرجح له بعض الروايات عن النبي ﷺ كان عمر بن الخطاب يستشيره كثيراً في الأنساب، توفي حوالي سنة ٥٨هـ.
(ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج١/٧٤٠، ابن الأثير، أسد الغابة ج١/٢٧١، ابن حجر، الإصابة ج١/٢٢٥).

(٥) الطبري، تاريخه ج٤/٢٥٠.
ابن الأثير، الكامل، ج٣/٢٠.

شكوه، ولوددت أني وجدت رجلاً قوياً أميناً مسلماً أستعمله عليهم، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، أنا أدلك على الرجل القوي الأمين المسلم. قال: ومن هو؟ قال: عبدالله بن عمر. قال عمر: قاتلك الله، والله ما أردتُ الله بها[1] . ثم إن عمر رضي الله عنه استشار الناس، وقال: من يعذرني من أهل الكوفة ومن تجنِّيهم على أمرائهم، إن استعملت عليهم عفيفاً استعضفوه. وإن استعملت عليهم قوياً فجّروه، ثم قال: أيها الناس، ما تقولون في رجل ضعيف غير أنه مسلم تقي وآخر قوي مشدّد أيهما أصلح للإمارة؟ فتكلم المغيرة بن شعبة، فقال: يا أمير المؤنين إن الضعيف المسلم إسلامه لنفسه وضعفه عليك وعلى المسلمين، والقوي المُشدد فشداده على نفسه وقوته لك وللمسلمين فأعمل في ذلك رأيك، فقال عمر: صدقت يا مغيرة، ثم ولاه الكوفة، وقال له: انظر أن تكون ممن يأمنه الأبرار ويخافه الفجّار، فقال المغيرة: أفعل ذلك يا أمير المؤمنين[2]، واتجه المغيرة بعد ذلك إلى ولايته وأخذ يقوم بأعبائها. وأثناء ولايته للكوفة قام المغيرة بنشاط عسكري ضخم وكان صاحب خبرة سابقة العراق وفي غزوها، إذ سبق له الاشتراك في فتوحاتها السابقة المختلفة، كما كانت له خبر في إدارة الولاية وشؤونها؛ إذ سبق أن تولى على البصرة.

وكان من أشهر أعمال المغيرة أثناء ولايته على البصرة فتح (همذان)[3] في سنة

---

(١) ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ١١٨.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٤/٢٦٢، ابن أعثم، الفتوح، ج٢/٨١.
عبدالملك بن حبيب، تاريخه، مخطوط ورقة ١٠٨.

(٣) (هَمَذَانْ) إحدى المدن الفارسية، وتقع في الجبال واشتهرت ببردها وعذوبة مائها وهي حالياً إحدى المدن الإيرانية المشهورة (البغدادي: عبدالمؤمن بن عبدالحق، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق محمد البجاوي ج٣/١٤٦٤، هزاع بن عيد الشمَّري، المعجم الجغرافي لدول العالم، القاهرة، ١٩٨١ ص ٩٩).

٢٣هـ[١] كما اشترك المغيرة وجيش الكوفة في فتح (أذربيجان)[٢] في سنة ٢٢هـ[٣]، وقد استمر المغيرة يؤدي واجبه والياً للكوفة إلى أن توفي عمر بن الخطاب وهو عليها[٤].

وفي أيام ولاة الكوفة المختلفة كانت تتبع الكوفة العديد من المناطق والثغور، وكان والي الكوفة يقوم بتعيين الأمراء في المواقع المفتوحة كهمذان[٥] بالإضافة إلى قيامه بترتيب أمور الثغور والمواقع بالتشاور مع عمر بن الخطاب. كما كان هؤلاء الأمراء أنفسهم يقومون بتعيين من ينوب عنهم في ثغورهم إذا غادروها لأي سبب، فكان والي الكوفة مسؤولاً مسؤولية مباشرة أمام الخليفة عن هذه الثغور التابعة لولايته[٦] والتي كانت تمتد وتتسع تبعاً للفتوحات التي كان يقوم بها أجناد الكوفة.

وجدير بالذكر في هذا المقام أنه وجد في الكوفة أيام عمر بعض المساعدين الذين يقومون بمساعدة الوالي في مختلف الشؤون وعلى رأس هؤلاء المساعدين بعض القضاة الذين اشتهروا في الكوفة أيام عمر[٧]. كما كان منهم بعض

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٥١.
البلاذري، فتوح البلدان، ٣٠٦.

(٢) (أذْرَبيجان) إقليم كبير يقع في شمال بلاد الفرس به العديد من المدن فتح في أيام عمر بن الخطاب يقع في شمال إيران حالياً وهو الآن جمهورية مستقلة (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١/١٢٨، د. صلاح الدين المنجد، معجم أماكن الفتوح،ص ٨).

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه ١٥١، الذهبي، العبر، ج١/١٩.

(٤) خليفة بن خياط، تاريخه ١٥٥، الطبري، تاريخه ج٥/٤٢، ابن الأثير، الكامل ج٣/٢٠.

(٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥/٤١٠.

(٦) لمعرفة بعض ثغور الكوفة ومن كان يتولاها انظر:
البلاذري، فتوح البلدان، ٣١٧، ابن الأثير، الكامل ج٢/٥٣٠.

(٧) انظر أسماء قضاة عمل على الكوفة في كتاب د. صبحي محمصاني تراث الخلفاء الراشدين في الفقه والقضاء، الطبعة الأولى دار العلم للملايين بيروت، ١٩٨٤م، ص ١٦٥.

الموظفين الخاصين بالخراج أو بعض من يتولى تعليم الناس، إضافة إلى القواد الذين كانوا يقودون أجناد الكوفة في مختلف الجبهات العسكرية التي كانت تشترك فيها أجناد الكوفة، كما كان الولاة يستعينون ببعض الأشخاص للنيابة في مقر الولاية في حال أسفارهم المختلفة سواء للقاء الخليفة أو للجهاد وغير ذلك.

ونحن هنا نلاحظ أنه وجد بين أهل الكوفة من يتصيدون أخطاء الولاة أو من يحاولون افتعال أخطاء تحسب عليهم، وبالتالي شكا عمر نفسُه من كثرة شكاياهم لولاهم، مع أنه ولّى عليهم بعض أفقه الناس وأعلمهم كسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، الذي كان من أحسن الناس صلاة، ومع ذلك شكوه وذكروا في دعواهم أنه لا يحسن الصلاة، وهو من أعلم الناس بالصلاة، ومع ذلك عزله عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ونحن نلاحظ بصفة عامة كثرة الشكاوى ضد الولاة من أهل الكوفة بدءاً من أواخر عهد عمر، واستمرت بعد ذلك في عهد عثمان ومنها ظهرت الفتنة.

ومن الممكن أن يكون آخر عهد عمر بداية لتنظيمات سياسية معينة بدأت تكيد للولاة وتذيع الأخبار السيئة عنهم وتكثر من الشكاوى ضدهم.

كما أننا لا ننسى دور أهل الكوفة في الفتوحات العظيمة التي حدثت في بلاد الفرس وتعاونهم أيضاً في فتوح الجزيرة مع جيوش الشام، ولكننا نتوقع -كما أسلفنا- أن بداية التنظيمات السرية التي أدت إلى ظهور الفتنة في عهد عثمان كانت قد بدأت في الكوفة في أواخر عهد عمر، وكانت تهدف إلى إضعاف الدولة عن طريق الوشاية بالولاة واتهامهم وشكواهم، وهذا ما أحسّ به عمر بن الخطاب حينما أعلن تذمره من سلوك أهل الكوفة.

الولايات الأخرى في فارس والعراق:

مرّ فيما سبق كيف استمرت الفتوحات في العراق وفارس، وكيف جرى تنظيمها عن طريق ولايتين رئيستين هما ولايتا البصرة والكوفة، وقد وجدت العديد من الولايات التي انبثقت في الأساس من هاتين الولايتين، وكانت تابعة لإحداهما أو أصبحت شبه مستقلة ومتصلة بالخليفة مباشرة، نظراً لمجريات الأحداث وللاتصالات والتوجيهات التي كانت تصدر من الخليفة إلى ولاة هذه الولايات، ومنها:

المدائن: وقد كانت عاصمة كسرى، وتم فتحها من قبل سعد بن أبي وقاص - كما سبق- واستقر بها سعد فترة من الوقت ثم انتقل منها إلى الكوفة بعد تمصيرها، وقد كان ضمن جيش سعد سلمان الفارسي رضي الله عنه، وهو الذي اشترك في العديد من المعارك ضد الفرس، وكان له دور كبير في دعوتهم إلى الإسلام قبل القتال[1] وقد ولاه عمر بن الخطاب على المدائن، فسار في أهلها سيرة حسنة وكان مثال المسلم الصالح في تسامحه وتواضعه وزهده، وقد وردت العديد من الحكايات التي تدل على تواضعه وزهده أثناء ولايته على المدائن، من ذلك أن رجلاً غريباً جاء إلى السوق فاشترى شيئاً، ورأى سلمان وهو لا يعرفه فسخره الرجل ليحمل له، فحمل سلمان للرجل فمر بقوم، فقالوا: نحمل عنك يا أبا عبدالله؟ فقال الرجل: من هذا؟ قالوا: هذا سلمان صاحب رسول الله ﷺ. فقال

(١) الطبري، تاريخه، ج٤/١٧٣.
ابن سلام، الأموال ٣٣.
ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/٦٥.

الرجل: لم أعرفك، وطلب من سلمان أن يضع العلف؟ فأبى سلمان حتى أوصل علف الرجل إلى مترله[١].

وقد اشتهر عن سلمان رضي الله عنه أنه كان يأكل من عمل يده، فقد كان يشتري الخوص ثم يقوم بنسجه، وبيعه، ويأكل من ثمنه، ويتصدق بما كان يأتيه من بيت المال[٢]، ولعل تولية سلمان رضي الله عنه على المدائن تعد رمزاً لمعانٍ عديدة أدركها عمر رضي الله عنه قبل أن يوليه، فكان سلمان خير قدوة لقومه أهل فارس دفعهم إلى الإسلام والرضا بهذا الدين، وقد ذكر أنه رضي الله عنه كان يرفض الولاية لولا أن عمر أجبره على قبولها، فكان يكتب إلى عمر يطلب الإعفاء فيرفض عمر ذلك[٣]، وقد اشتهر عن سلمان رضي الله عنه زهده (فكان يلبس الصوف، ويركب الحمار ببرذعته بغير إكاف ويأكل خبز الشعير وكان ناسكاً زاهداً)[٤].

وقد استمر سلمان يعيش في المدائن إلى أن توفي على أرجح الأقوال في سنة

---

(١) ابن سعد، الطبقات ج٤/٨٨.
الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٥٤٦.
(٢) ابن سعد، الطبقات، ج٤/٨٨.
ابن الجوزي، تلقيح فهوم أهل الأثر، ١٣٨، ابن الأثير، أسد الغابة ج٢/٣٢١، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٥٢٦، ٥٤٧، ابن حجر، الإصابة، ج٢/٦٣.
(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٥٤٧.
(٤) المسعودي، مروج الذهب ج٢/٣٠٦.
(البُرْذعة: ما يوضع على الحمار أسفل الرجل، والإِكَاف: المركب والأقتاب التي توضع على الحمار للركوب (ابن منظور، لسان العرب ج٨/٨، وج ٩/٨).

٣٢هـ[١] في خلافة عثمان بن عفان. ويبدو أن سلمان لم يكن والياً على المدائن في أواخر أيام عمر رضي الله عنه، إذ أن عمر قد عين حذيفة بن اليمان على المدائن[٢]، و لم يذكر المؤرخون عزل عمر لسلمان، فلعله استعفى عمر، فوافقه بعد أن كان يمانع في إعفائه وولى بعده حذيفة بن اليمان.

وقد ورد العديد من الأخبار عن ولاية حذيفة على المدائن؛ منها: كتاب عمر إلى أهل المدائن بتعيين حذيفة والياً عليهم، وأمر عمر أهل المدائن بالسمع والطاعة لحذيفة[٣] وقد استمر حذيفة والياً على المدائن بقية أيام عمر، وكذلك طيلة خلافة عثمان[٤]، وقد طلب عمر من حذيفة أن يقدم عليه في المدينة فكمن له عمر على الطريق ليراه ويرى حالته التي يقدم عليها، فلما رآه على الحال التي خرج عليها أتاه فالتزمه، وقال: أنت أخي وأنا أخوك[٥].

وقد اشترك حذيفة في العديد من الفتوحات، خصوصاً سنة ٢٢هـ[٦] مما يدل على أنه كان الوالي على المدائن في تلك السنة. وقد كان حذيفة يؤدي دوره

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١/٥٥٤، ابن حجر الإصابة، ج٢/٦٣.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٣٦٣، ابن حجر، الإصابة ج٢/٦٣.

(٣) ابن الأثير، أسد الغابة، ج١/٣٩٢.
الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٣٦٣.

(٤) ابن الأثير، أسد الغابة، ج١/٣٩٢.
الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٣٦٤.
ابن حجر، الإصابة، ج١/٣١٨.

(٥) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٤٨.

(٦) ابن عبدالبر، الاستيعاب، (حاشية على الإصابة)، ج١/٢٧٨.

كوال للمدائن بقية عهد عمر ويمارس صلاحياته المدنية والعسكرية حتى وفاة عمر رضي الله عنهما. ولعل حذيفة لم يكن على المدائن وحدها، وإنما كانت المدائن جزءاً من ولايته ويؤيد ذلك بعض مرويات الطبري[١].

أذربيجان:

أثنا ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة كتب إليه عمر بن الخطاب بتولية حذيفة ابن اليمان على أذربيجان، وهي لم تفتح، بعد فسار إليها حذيفة بجموع من المسلمين، فقاتل أهلها قتالاً شديداً لعدة أيام ثم صالحوه بشروط خاصة، وذلك في سنة ٢٢هـ[٢].

ويبدو أن حذيفة لم يستمر طويلاً في ولاية أذربيجان، إذ تقول الروايات: إن عمر عزله وولى مكانه (عتبة بن فرقد السلمي)[٣] والأرجح أن عمر لم يعزل حذيفة، وإنما نقله ليتولى المدائن بعد أن استعفى سلمان عن ولايتها[٤].

وكان لعتبة دور كبير في فتوح أذربيجان إضافة إلى جهود القواد الآخرين كحذيفة وغيره من قادة الفتح، وهذا جعل عتبة السلمي على خبرة ودراية بالمنطقة وسكانها، مما سهل مهمته الإدارية والقيادية بعد تعيينه والياً عليها، وفي أيام ولايته حدثت بينه وبين عمر العديد من المراسلات، من ذلك أن عتبة بن فرقد حين جاء

---

(١) انظر الطبري، تاريخه، ج٤/٢٤٧.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٥١.

البلاذري، فتوح البلدان، ٣٢١.

(٣) المصدر السابق، ٣٢٢.

(٤) انظر ص ١٧٧-١٧٨ من هذا الكتاب.

إلى أذربيجان وجد عندهم نوعاً من الحلوى الطيبة تسمى (الخبيص) ففكر أن يصنع منها لعمر بن الخطاب، وبالفعل صنع منها وغلفها بما يحفظها من الجلود وغيرها وبعث بها إلى عمر بن الخطاب في المدينة، فلما تسلمها عمر ذاق الخبيص فأعجبه، فقال عمر: أكل المهاجرون أكل منه شبعه؟ قال الرسول: لا إنما شيء خصك به، فأمر عمر بردها على عتبة في أذربيجان، وكتب إليه: يا عتبة إنه ليس من كدك ولا كدِّ أبيك، فأشبع المسلمين في رحالهم مما تشبع منه في رحلك، وإياك والتنعم وزي أهل الشـرك ولبوس الحرير، فإن رسول الله ﷺ نهى عن لبوس الحرير[1].

وقد رويت الحادثة بروايات مختلفة يؤكد بعضها بعضاً، وقد كان لعتبة دور كبير في إخضاع ولاية أذربيجان للحكم الإسلامي سواء باستكمال الفتوح في مناطقها التي لم تصل إليها الجيوش الإسلامية أو تثبيت أقدام الإسلام في المناطق المفتوحة والتي حاول أهلها الانتفاض على المسلمين، فقام عتبة بما يلزم نحوهم[2]، كما كان لعتبة دور كبير في قتال الأكراد والسيطرة على مناطقهم[3].

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ٣٢٢، ٣٢٣.
ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ١٢٧، ١٢٦، ١٤٧.
المحب الطبري، الرياض النظرة، ج٢/٨٢.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٥١.
الطبري، تاريخه، ج٤/٢٥٥.
ابن الأثير، الكامل، ج٣/٢٧، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/١٢٢.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ٣٢٩.

وقد استمر عتبة والياً على أذربيجان بقية خلافة عمر رضي الله عنه وجزءاً من خلافة عثمان[١].

وقد وجد العديد من ولاة عمر على مناطق مختلفة في العراق وفارس، منهم من كان مستقلاً بولايته، ومنهم من كانت ولايته مرتبطة بإحدى الولايتين الكبيرتين في العراق اللتين هما محورا الإدارة والقيادة لبلاد العراق وفارس (الكوفة أو البصرة).

ومن هذه البلدان التي اختصت بولاة: (الموصل)[٢] التي تولاها مجموعة من الأمـــراء لعمر، وعملوا على تمصيرها، واختطوا بها مسجداً جامعاً وبنوا فيها المنازل[٣]، ومنها انطلق الولاة والقواد للتوسع في المناطق المجاورة ومد نفوذ المسلمين، وكان من أشهر ولاتها عتبة بن فرقد وهو الذي فتحها[٤].

ومن الأماكن التي اشتهرت بوجود ولاة عليها أيام عمر (حلوان) [٥] وقد فتحت في عهد عمر، فكانت بها جيوش انطلقت لفتح أماكن أخرى مجاورة لها[٦] وممن اشتهر بولايتها وخرج منها مجاهداً عدة مرات جرير بن عبدالله الذي كان يمدّ الأقاليم الأخرى بأجناد من حلوان[٧].

---

(١) المصدر السابق، فتوح البلدان، ٣٢٣.

(٢) المدينة المشهورة في شمال العراق حالياً.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ٣٢٧.

(٤) المصدر السابق.

(٥) (حُلْوَان) في آخر حدود السواد مما يلي الجبال في بغداد من أكبر مدن العراق.
(ياقوت، معجم البلدان ج٢/٣٩٠، د. صلاح الدين المنجد، معجم أماكن الفتوح، ٤٢).

(٦) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٤٠.
البلاذري، فتوح البلدان، ٣٢٩.

(٧) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٤٤.

كما كان ضمن الولاة الذين اشتهروا في تلك المناطق (النعمان بن مقرن المزني)[١] وقد ولاه عمر على (كسكر)[٢] فاستمر والياً عليها ثم زهد في الولاية وكتب إلى عمر بن الخطاب يستعفيه بكتاب قال فيه: (مثلي ومثل كسكر كمثل رجل شاب إلى جنبه مومسة تلون له وتعطر، فأنشدك الله لما عزلتني عن كسكر وبعثني إلى جيش من جيوش المسلمين فكتب إليه عمر أن إئت الناس بنهاوند فأنت عليهم)[٣] وقد قاد النعمان بن مقرن المسلمين ضد الفرس في معركة نهاوند سنة ٢١هـ فانتصر المسلمون واستشهد النعمان في المعركة وكان دعا الله أن يرزقه الشهادة فاستجيبت دعوته[٤]. وكان لحسن قيادته وإخلاصه أثر عظيم في انتصار المسلمين في نهاوند.

وقد وجدت العديد من الولايات الصغيرة في بلاد فارس كان يليها مجموعة من الأمراء يتصلون بطريقة مباشرة بعمر بن الخطاب في المدينة أو عن طريق بعض الولاة الكبار في الكوفة والبصرة وغيرها.

---

(١) صحابي جليل اشترك مع الرسول ﷺ في فتح مكة ووكل إليه لواء قومه واشترك في فتوح العراق وولاه عمر واستشهد في (نهاوند) سنة ٢١هـ، (ابن سعد، الطبقات ج٦/١٨، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٣٥٦ ابن حجر، الإصابة ج٣/٥٦٥).

(٢) كَسْكَر: كورة واسعة في العراق تتركز بين الكوفة والبصرة، وأصبح مركزها فيما بعد واسط (ياقوت، معجم البلدان ج٤/٤٦١، كي لسترنج بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بغداد، ١٣٧٣هـ، ص ٦٣).

(٣) الطبري، تاريخه ج٤/٢٣٩.

(٤) خليفة بن خياط، تاريخه، ٤٨.

البلاذري، فتوح البلدان، ٣٠١، الطبري، تاريخه ج٤/٢٣٩.

ابن الأثير، الكامل ج٣/١٣، ابن كثير، البداية والنهاية ج٧/١١٠.

وكان قواد الجيش في مختلف غزواقم يعينون الأمراء في المواقع التي يفتحوها فيتبعوهم إدارياً؛ فمنهم من ولّي بواسطة أجناد الكوفة ومنهم من ولي بواسطة أجناد البصرة، فأصبحوا يديرون أعمالاً وبلاداً تابعة لها أو لغيرها، وكان أمراء الجهاد كثيراً ما يحملون معهم بعض الأشخاص المعينين أمراء على البلدان، حتى التي لم تفتح بعد؛ فهذا (سارية بن زنيم)[1] حين وجهه عمر لقتال الفرس كان معه في جنده الذين وجهوا إلى فارس أمراء عينهم عمر على فارس وما وراء ذلك[2]، كما كان المسلمون في كثير من الأحيان يولون على بعض بلاد فارس قوماً قد أسلموا من أهلها؛ فقد ولى أبوعبيد بن مسعود الثقفي أحد أمراء الفرس على منطقته بعد أن أسلم وحسن إسلامه[3].

وقدكان المسلمون يستفيدون من دهاقين الفرس في أمور كثيرة، وكان هؤلاء الدهاقين يتجاوبون مع المسلمين نظراً لعدل المسلمين وحسن معاملتهم، فكانوا يقومون بحفر الأنهار والقنوات إذا طلب منهم المسلمون ذلك، كما كانوا يقومون بعمل الجسور بناءً على طلب المسلمين في كثير من الأحيان خصوصاً لملاقاة جيوش الفرس، فقد طلب أبو عبيد بن مسعود من الدهاقين أن يقيموا جسراً حينما عزم على حرب الفرس في معركة الجسر المشهورة فأقاموه[4]، وفي عهد

---

(١) من بني بكر بن عبد مناة من كنانة، صحابي من الشعراء، اشتهر بعدوه وكان من أمراء الفتح في فارس أيام عمر بن الخطاب (عبدالقادر بدران، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ج٦/٤٣، الذهبي، تاريخ الإسلام ج٢/٤٩، ابن حجر، الإصابة ج٢/٢).

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/٢.

(٣) ابن أعثم الكوفي، الفتوح ج١/٦٦.

(٤) خليفة بن خياط، تاريخه ١٢٤.
البلاذري، فتوح البلدان، ٢٥٢.
الطبري، تاريخه، ج٤/٦٩.
ابن أعثم، الفتوح، ج١/١٦٨.
ابن الأثير، الكامل ج٢/٤٣٨.

عمر ضربت بعض النقود الإسلامية في بلاد فارس في حوالي سنة ٢٠هـ وتحمل هذه النقـــود عبارات عربية وفارسية مشتركة ويحتفظ المتحف العراقي ببعض منها[١].

ومن خلال ما سبق نلاحظ أن ولايات فارس والعراق ظهرت موحدة في بداية عصر عمر، ممثلة في ولاية العراق، ثم تطورت هذه الولاية فيما بعد، وتشعبت تبعاً للفتوح، وتبعاً لاستقرار المسلمين وتمصير الأمصار في بلاد العراق، وقد ارتكز محور الإدارة لتلك البلاد في عهد عمر على ولايتي البصرة والكوفة، وكانت الكوفة في البداية تمثل الثقل الإداري الأكبر عند إنشائها في إمارة سعد وكان لها نوع من السيطرة على البصرة وغيرها، ثم أصبحت المدينتان متعاونتين في كثير من الأحيان ضد العدو الفارسي المشترك، وكثيراً ما وقع النزاع بينهما على تبعية أماكن الفتوح.

كما نلاحظ كثرة الأمراء الذين يتداولون الولاية[٢] وكثرة الشكايات الصادرة من أهل العراق من العرب ضد ولاهم، وخصوصاً أهل الكوفة الذين لا نكاد نجد شخصاً تولى عليهم ولم يعيبوه، وهذا ما جعل عمر رضي الله عنه يتألم من هذه الظاهرة.

---

(١) وداد علي القزاز، الدراهم المضروبة على الطراز الساساني للخلفاء الراشدين في المتحف العراقي، بحث في مجلة المسكوكات، الجزء ١، المجلد ١، بغداد ١٩٦٩م، ص ١٣.

(٢) تعرضت فيما سبق للأمراء الأساسيين الذين تولوا لفترة طويلة ومؤثرة في هذه البلدان، وقد تركت بعض من تولوا لفترة قصيرة، أو من تولى نيابة عن أحد الأمراء، كما أنني لم أتوسع في الولايات الصغيرة ولم أدقق التفصيل في الأماكن التابعة لكل ولاية والتي كانت تتعرض للتغير باستمرار وإلا لطال الموضوع.

ونحن نلحظ أثناء دراسة الولاية والولايات في عصر عمر في بلاد العراق وفارس كثرة تنقل الولاة، ففي بعض الأحيان نجد أحد الولاة يتنقل من ولاية إلى أخرى مرة أو أكثر في العام الواحد، وقد يعبر المؤرخون أحياناً عن ذلك بأن عمر عزل الوالي الفلاني عن كذا وكان الأجدر التعبير بما يوحي بنقله من ولاية إلى أخرى، فليست المسألة مسألة عزل، كما يظن الكثيرون، وقد تحدث العديد من المؤلفين المحدثين عن التقسيمات الإدارية للولايات في عهد عمر رضي الله عنه وحددوها بثمانية أقسام[1]، إلا أن الأمر في نظري أكبر من ذلك، وهذا التقسيم فيه نظر، إذ يصعب مثل هذا التحديد الدقيق الذي ذهبوا إليه نظراً لكثرة التغيير وتغير مراحله وتطوره زمنياً.

ومن خلال دراستنا للولايات والولاة في عهد عمر في مختلف أقاليم الدولة الإسلامية نجد أن الدولة أخذت تتسع بشكل كبير في معظم مناطقها، ولذلك نجد الاستقرار يسود بعض الولايات، وهي الولايات الواقعة في داخل الجزيرة العربية كاليمن والحجاز والبحرين ونجد وعمان، فلم تقع فيها أحداث عسكرية أو فتن سياسية، وبالتالي لعبت دوراً رئيساً في تصدير المجاهدين إلى الأماكن التي تحتاج إلى ذلك، ولهذا كان دور الولاة الرئيس فيها هو إعداد المجاهدين وإرسالهم إلى جبهات القتال في فارس والعراق أو الشام، إضافة إلى ضبط أمور البلاد التي يتولونها، مع تعليم الناس أمور الدين المختلفة وإقامة شعائر الإسلام وأحكامه بين

---

(١) انظر د. علي حسني الخربوطلي، الإسلام والخلافة ص ٩٠، د. أكرم رسلان ديرانية، الحكم والإدارة في الإسلام، ص ٩٨، حسيني، الإدارة العربية، ص ٨٠، د. توفيق اليوزبكي، دراسات في النظم العربية والإسلامية ص ١٠٤، خودا بخش، حضارة الإسلام ص ١١٥، محمد عبدالمنعم خميس، الإدارة في صدر الإسلام، دراسة مقارنة ص ١٥٤.

الناس في ولايتهم.

وفي الجانب الآخر نجد أن الولاة في العراق وفارس وبلاد الشام مجاهدون وفاتحون وقادة جيوش قبل أن يكونوا إداريين وولاة نظاميين فقط. ولهذا فإن الحديث عن ولاة العراق وفارس أو الشام ومصر في تلك الفترة لا يمكن التفريق فيه بين ولاة البلدان وبين قادة الجند؛ إذ أن هؤلاء الولاة على البلدان هم -في الوقت نفسه- قادة الجند، وذلك نظراً لظروف الفتح وعدم الاستقرار واستمرار روح الجهاد والعسكرية.

كما أن هؤلاء الولاة لاقوا الصعاب الشديدة، و لم تكن الأمور ميسرة لهم بعد الفتح كما يتصور البعض، إذ أن الأعداء في كثير من الأحيان كانوا يحاولون استرداد البلاد من أيدي المسلمين وطردهم بكل ما أوتوا من قوة ويعدون لذلك الجيوش الرهيبة، وبالتالي يضطر المسلمون إلى إعادة ترتيب أوضاعهم وإلى التخلي عن بعض المدن والمواقع مؤقتاً والتجمع بحسب الظروف الحربية ومعاودة الفتح مرة أخرى.

وكثير من المواقع في بلاد فارس وفي مصر وفي الشام فتحت مرتين أو ثلاث، وعلينا أن نتصور هنا مقدار الجهود المبذولة في مثل هذه الحالات وكثرة التضحيات وتدهور الترتيبات الإدارية فضلاً عن الخسائر العسكرية التي تقتضي إعادة التنظيم مرة أخرى من جديد.

وقد تطرقنا لبعض الأحداث التي تعرضت لها هذه الولايات، وذكرنا صوراً من أعمال الولاة في مناطقهم وصوراً من إدارتهم لبلادهم واتصالهم بمركز الخلافة في المدينة من خلال الأحداث التي تعرضت لها المصادر، وهي صور كافية للدلالة على طبيعة سير الأحداث وعلى أسلوب الولاة في علاجها.

تعيين الولاة في عهد عمر:

لقد اختلف عصر عمر عن عصر أبي بكر اختلافاً كبيراً لعدة أسباب وظروف صاحبت خلافة عمر.

فمن المعروف أن أبا بكر اعتمد في معظم ولايات البلدان على الولاة الذين عيّنهم الرسول ﷺ حيث رأى أن تعيين الرسول لهم بمثابة تزكية عالية من النبي ﷺ يصعب معها إحداث تغيير أو عزل لهؤلاء الذين عينهم الرسول ﷺ، ولهذا فقد كان اجتهاد أبي بكر في اختيار الولاة وتعيينهم محدوداً نظراً لعدم اتساع الدولة في أيامه اتساعاً كبيراً ونظراً لاعتماده على الولاة الذين كان الرسول ﷺ قد عينهم.

أما في عصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد اختلف الوضع إلى حد كبير حيث اتسعت البلاد الإسلامية نتيجة الفتوح العظيمة في الشام والعراق ومصر، كذلك توفي بعض الولاة أو استعفوا في بعض المناطق التي كانوا قد ولّوا عليها أيام الرسول ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه.

يضاف لذلك طول خلافة عمر رضي الله عنه والتي حفلت بالأحداث، وكذلك بناء الأمصار الذي يعني امتداد الدولة وتوسعها داخلياً وخارجياً. كل ذلك كان دافعاً لبروز العديد من حوادث التعيين في عهد عمر واتضاح صورها وطريقة عمر الخاصة في هذه التعيينات، سواء كانت تعيينات جديدة أم مجرد نقل أو عزل أو استبدال.

ومهما يكن الأمر، فإن عمر كان يتميز في اختياره للولاة بأسلوب خاص يستحق الوقوف عنده.

لقد امتاز عمر رضي الله عنه بأسلوبه الخاص في مشاورة شيوخ الصحابة في مختلف شؤون الدولة وعلى رأس ذلك تعيين الولاة[1]، وكان ذلك يعينه على

(١) محمد عبدالقادر خريسات، عمر بن الخطاب والولاة، مجلة المؤرخ العربي، بغداد العدد ٢٥، سنة ١٤٠٤هـ، ص ١٦٢.

الصواب واتخاذ الخطولات الصحيحة، فقد ذكر البلاذري أن عمر بن الخطاب كان له مجلس في المســجد يجلس فيه مع شــيوخ المهاجرين يحدثهم في أمور الدولة[١]، ولا شك في أن أمور تعيين الولاة أو عزلهم كان يستأثر بنصيب وافر من هذه المشاورات مع شيوخ الصحابة رضوان الله عليهم، كما كان عمر رضي الله عنه يجمع الناس في المسجد في دعوة عامة يستشير فيها عامة الناس في أمور تعيين الأمراء والقوّاد بعد أن يكون استشار خاصتهم.

وقد وردت عدة حوادث تدل على ذلك؛ منها أن عمر رضي الله عنه حين جمع الجيوش للعراق قبل أن يوجه سعد بن أبي وقاص إليها صعد المنبر وخاطب الناس قائلاً: "يا أيها الناس، إني كنت عازماً على الخروج معكم، وإن ذوي اللّب منكم قد صرفوني عن هذا الرأي وأشاروا على بأن أقيم وأبعث رجلاً من الصحابة يتولى أمر الحرب" ثم استشار الناس فيمن يبعث، وفي هذه الأثناء وصل كتاب من سعد بن أبي وقاص وكان غائباً في بعض الأعمال لعمر فأشار الناس على عمر بسعد رضي الله عنه ووافق ذلك حسن رأي عمر في سعد، فاستعفاه وولاه حرب العراق وسلم إليه الجيش[٢].

كما أن عمر رضي الله عنه استشار الصحابة فيمن يوليه على الكوفة ثم سألهم فيمن يوليه عليهم، فقال لهم: ما تقولون في تولية رجل ضعيف مسلم أو رجل قوي مسدد فتحدث المغيرة بن شعبة نيابة عن الحضور فقال: أما الضعيف المسلم فإن إسلامه لنفسه وضعفه عليك، وأما القوي المسدّد فإن سداده لنفسه وقوته

---

(١) فتوح البلدان، ٢٦٦.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٤/٨٤.

ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ٧٩.

للمسلمين، فولى عمر المغيرة على الكوفة[١]، وهذه الحادثة تعطينا دلالة قوية على استشارة عمر للناس فيمن يوليه، وعلى أخذ رأيهم في الصفة التي يجب أن يكون عليها الوالي، وكان عمر -إضافة إلى استشارته لشيوخ الصحابة وذوي الخبرة منهم- كثيراً ما يستشير الشباب، وعلى رأسهم عبدالله بن العباس رضي الله عنه في الوقت الذي كان والده العباس عم الرسول ﷺ حياً وذا عقل وتجربة، مما دفع العباس إلى تقديم العديد من النصائح إلى ابنه حينما أحسّ بثقة عمر فيه واستشارته له[٢].

وكان عمر كثيراً ما يقول للناس أشيروا عليّ... دلوني على رجل أستعمله... وكان يدعو الصبيان ويستشيرهم يبتغي حدة عقولهم[٣].

وقد كان عمر حين يختار الولاة أبعد الناس عن المحاباة والمجاملة في هذه الأمور، فهو يرى البعد عن استعمال الأقارب حتى إنه قال: (من استعمل رجلاً لمودة أو قرابة لا يشغله إلا ذاك، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين، ومن استعمل فاجراً وهو يعلم أنه فاجر فهو مثله)[٤].

بل إن عمر بن الخطاب ذهب إلى أبعد من ذلك، حيث تخلص من أضغانه

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٤/٢٦٢.
ابن الأثير، الكامل ج٣/٣٢.

(٢) ابن الأزرق، أبو عبدالله، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق د. علي سامي النشار، الجمهورية العراقية، وزارة الإعلام ١٩٧٨، ج٢/١٢٥.

(٣) ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب ١٩١.

(٤) ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ١٢٠.
محمود شيت خطاب، عمر بن الخطاب الفاروق القائد، الطبعة الثانية مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ ص ٥٧.

وحقده بالكلية، وذلك حين عين رجلاً سبق أن قتل أخاه الصحابي الجليل زيد ابن الخطاب في معركة اليمامة[١] ولئن كان تعيين ذلك الرجل على القضاء وليس على أحد البلدان، إلا أنه يعطينا دلالة قوية على نزاهة عمر في التعيين وعدم تعصبه لقرابته سلباً أو إيجاباً. وكان في تعيينه يعتمد بالدرجة الأولى على مراعاة المصلحة العامة للأمة الإسلامية، فكان عمر يقول: "لا يقيم أمر الله إلا رجل لا يضارع ولا يصانع، ولا يتبع المطامع، ولا يقيم أمر الله إلا رجل لا ينتقض غربه، ولا يكظم في الحق على حزبه"[٢].

وقد كان عمر إضافة إلى ذلك يختبر عماله قبل أن يوليهم، وقد يطول هذا الاختبار كما يوضحه الأحنف بن قيس[٣] حين قال: قدمت على عمر بن الخطاب رضوان الله عليه فاحتبسني عنده حولاً، فقال: يا أحنف قد بلوتك وخبرتك فرأيت أن علانيتك حسنة وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك وأنّا كنا نتحدث إنما يهلك هذه الأمة كل مناقفق عليم، ثم قال له عمر: أتدري لم احتبستك؟ وبيّن له أنه أراد اختياره ثم ولاه[٤].

كما أن عمر كان يستمر في مراقبة الشخص حتى يلي العمل، ويتابعه بعد ذلك

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه ١٠٨.

(٢) أبو يوسف، الخراج، ١٦.

(٣) الأحنف بن قيس: واسمه الضحاك بن قيس من بني تميم أدرك النبي ﷺ ولم يره ودعا له النبي ﷺ في غيابه لامتداحه دعوة النبي ﷺ إلى الخير، وكان أحد الحكماء والدهاة العقلاء في أيام عمر قدم في وفد البصرة إلى عمر فاستبقاه في المدينة قريباً من السنة ثم أرسله إلى البصرة وأمر واليها بأن يعلي مترلته ويأخذ برأيه، توفي بالكوفة سنة ٦٧هـ (ابن أبي حاتم، أبي محمد عبدالرحمن، الجرح والتعديل، ط١، الهند، ١٣٧٢هـ، ج٤/٤٥٧، ابن الأثير، أسد الغابة، ج١/٥٥).

(٤) ابن الجوزي مناقب عمر بن الخطاب، ١١٧.

أثناء عمله، فقد استعمل عمر رجلاً من بني أسد على عمل فدخل ليسلم على عمر، فأتى عمر ببعض ولده فقبّله، فقال الأسدي: أتقبل يا أمير المؤمنين؟ فوالله ما قبلت ولداً لي قط. فقال عمر: فأنت والله بأولاء الناس أقل رحمة، لا تعمل لي عملاً أبداً، فرد عهده[١].

كما أن عمر امتحن أحد الأشخاص حينما أراد أن يوليه وأمره بكتمان الخبر وقد شاع الخبر، فعلم عمر بذلك، فعدل علن تولية الرجل[٢].

ومن الملاحظ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان في كثير من الأحيان يولي بعض الناس على قومهم إذا رأى في ذلك مصلحة ورأى الرجل جديراً بالولاية، ومن ذلك توليته (جابر بن عبدالله البجلي) على قومه بجيله[٣] حينما وجههم إلى العراق، وكذلك تولية (سلمان الفارسي) على المدائن[٤] بعد فتحها وتوليته (نافع بن الحارث) على مكة[٥] و(عثمان بن أبي العاص) على الطائف[٦]. ولعله كان يرمي من وراء ذلك إلى أهداف معينة يستطيع تحقيقها ذلك الشخص أكثر من غيره، ويتمثل هذا بالدرجة الأولى في تعيين سلمان على المدائن، إذ أنه بذلك يلفت أنظار الفرس إلى الإسلام، ويستطيع سلمان أن ينشره بينهم ويكون مثلاً وقدوة للفرس في اتباعه.

---

(١) المصدر السابق، ١٢٠.
(٢) الطبري، تاريخه، ج٤/٢٥٠.
ابن الأثير، الكامل، ج٣/٢٠.
(٣) انظر ص ١٤٧ من هذا الكتاب.
(٤) انظر ص ١٧٧ من هذا الكتاب.
(٥) انظر ص ٩١ من هذا الكتاب.
(٦) انظر ص ٩٤ من هذا الكتاب.

ومما يلفت النظر في هذا الجانب أن عمر نهى في عدة حوادث عن توليه أهل البادية على أهل الحاضرة[١] (وهذه نظرة اجتماعية سلوكية في آن واحد معاً، في اختيار الموظفين. فلكل من أهل الوبر والمدر طبائع خاصة وخصائص وعادات وأعراف مختلفة. ومن الطبيعي أن يكون العامل عارفاً بنفسية الرعية، وليس من العدل أن يولي رجلاً جاهلاً بها، فقد يرى العرف نكراً وقد يرى الطبيعي غريباً، فيؤدي ذلك إلى غير ما يتوخاه المجتمع من أهداف يسعى إلى تحقيقها)[٢] . ولعل توليته أيضاً لأناس على أقوامهم يدخل في هذا القبيل، وهو معرفة النفسيات والأعراف السائدة لدى هؤلاء الأقوام، فربما يكون ثمة عمل متعارف على قبوله بل واستحبابه عند قوم معينين يكون نفسه عملاً مشيناً ومستقبحاً عند قوم آخرين أو العكس، وبالتالي فإن تعيين أناس على أقوامهم قد يساعد على فهم طبائع هؤلاء الأقوام والأعراف السائدة في مناطقهم.

وقد ذكر بعض الباحثين ولعل أحدهم نقل عن الآخر أن عمر كان يختار ولاته من العرب لقدرتهم على فهم الشريعة أكثر من غيرهم[٣] .

---

(١) الطبري، تاريخه ج٤/ ١٥١.

(٢) ظافر القاسمي: نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، الحياة الدستورية، الطبعة الثانية، دار النفائس، بيروت ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ص ٤٧٣.

(٣) انظر ما كتبه د. علي حسني الخربوطلي، الإسلام والخلافة ص ٩٢، وما كتبه د. صبحي الصالح، النظم الإسلامية ٣٠٩، وأكرم رسلان ديرانية، الحكم والإدارة في الإسلام، ٩٦، وكذلك د. توفيق سلطان اليوزبكي، دراسات في النظم العربية والإسلام، مطبوعات جامعة الموصل ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ص ١٠٤.

وكذلك محمد عبدالقادر شيبة الحمد، السياسة الإدارية في عهد عمر بن الخطاب، رسالة ماجستير، المعهد العالي للقضاء، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص ٢١٨، وكذلك د. عبدالجبار منسي العبيدي، إدارة الأقطار الإسلامية ودور الثقفيين فيها، ص ١٤١.

وهذا الكلام يجب التحفظ في قبوله، إذ أن عمر حينما كان يجد من المسلمين غير العرب من يستطيع القيام بواجبه مع فهم الشريعة، فإنه يوليه، كما حدث مع سلمان الفارسي، وكما حدث مع بعض دهاقين فارس الذين كانوا بمجرد إسلامهم يبقون على ما كانوا عليه قبل الإسلام من ولاية[1] ، فليس من الحكمة أن يذكر أن عمر كان يختار ولاته من العرب، وإذا كان هذا قد حدث في الغالب، فليس لأنهم من العرب، بل لقدم إسلامهم وفضلهم وتفانيهم وسبقهم غيرهم في هذا المجال.

كما أنه من الملاحظ زمن عمر بن الخطاب ارتباط تعيين الولاة على البلدان في معظم الأحيان بقيادة الجهاد والإمرة على الأجناد؛ نظراً للظروف الجهادية التي كانت تعيشها الدولة الإسلامية في تلك الأيام، فلو درسنا أحوال الأمراء -خصوصاً في أول عهد عمر- لوجدناهم -في الغالب- قواد جيوش اشتهروا بين الناس بقيادتهم معارك شهيرة أكثر من شهرتهم بإدارة شؤون البلدان والولاية عليها. ومن هؤلاء خالد بن الوليد وأبوعبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص وأبوموسى الأشعري وعمير بن سعد، وعتبة بن غزوان، وعياض بن غنم، وغيرهم من الأمراء الذين تولوا في البلاد المفتوحة وهم -كذلك- من الذين شاركوا في فتحها. فلذلك يصعب الفصل بين ولاية الأجناد وولاية البلدان في هذه الفترة؛ نظراً لتلازمها ووقوع الولايتين (الجهادية والإدارية) للمنطقة في يد رجل واحد في معظم الأحيان.

وقد اشتهر عن عمر رضي الله عنه أنه حينما كان ينتهي من اختيار الوالي

---

(١) انظر ص ١٨٣ من هذا الكتاب.

واستشارة المستشارين يكتب للوالي كتاباً يسمى عهد التعيين أو الاستعمال عند كثير من المؤرخين، ويمكننا أن نسميه مجازاً (المرسوم الخلافي في تعيين العامل أو الأمير) وقد وردت العديد من نصوص التعيين لعمال عمر[١] ولكن المؤرخين يكادون يتفقون على (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا استعمل عاملاً كتب عليه كتاباً وأشهد عليه رهطاً من المهاجرين والأنصار واشترط عليه شروطاً في الكتاب)[٢].

ويلاحظ هنا اهتمام عمر بقرار التعيين وكتابته، وكذلك اهتمامه بوجود شهود يشهدون على هذا القرار، وعلى شروط عمر على هذا الوالي.

وقد كان اختيار عمر رضي الله عنه للعمال يتم على أساس عدم رغبة الشخص في العمل وعدم حرصه على الولاية، فإذا لاحظ أن الشخص حريص على أن يولّى لم يولّه؛ فقد ذكر (أن فتى شاباً كان قد أعجب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلما أراد الفتى الخروج إلى بلده قال: يا أمير المؤمنين اخلني فإن لي حاجة فأخلاه، فقال: إني أردت الانصراف إلى بلدي، فإن رأى أمير المؤمنين أن يوليني القضاء، فقال عمر رضي الله عنه: لقد كدت تغرّني، إن هذا الأمر لا يقوم به من أحبه)[٣].

كما وردت قصة أخرى عن عمر مفادها أن رجلاً نادى عمر رضي الله عنه واستوقفه فحدّث عمر، وقال له: يا أمير المؤمنين تستعملني، فضربه عمر على

---

(١) انظر مثلاً محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ٤٠٧.

(٢) انظر، الطبري، تاريخه، ج٥/٢١.

وكذلك ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ١١٤.

(٣) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/٨٥٦.

جبينه وقال: سبحان الله إن كاد هذا الفتى ليغرّني، لقد قال ما قال وإني لا أرضى له عملاً[١] وقد ذكر عن عمر أنه قال: (لا يحب الإمارة أحد فيعدل)[٢] وعمر من هذا المنطلق يحس أن من كان حريصاً على الإمارة محباً لها فحرصه حرص دنيوي بالدرجة الأولى وهو لا يولي من كان همه الدنيا؛ لأنه لا يعدل كما قال عمر.

ومن الملاحظ أيضاً في قرارات التعيين أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمجرد أن تولى الخلافة عمد إلى عزل بعض الولاة لهدف جوهري رآه في مصلحة الأمة لا لتقصير من هؤلاء الولاة كما بينه هو نفسه، وعلى رأس هؤلاء المعزولين خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة الشيباني، وهما من خيار قواد الأمة وأنجحهم. واضطر عمر بعد عزلهم إلى تعيين من يحل محلهم من الأمراء الذين لا يقلون عنهم في تحمل المسؤولية.

كما يلاحظ أيضاً أنه في سنة (١٨هـ) وهي السنة التي انتشر فيها الطاعون بين المسلمين في بلاد الشام توفي العديد من الأمراء، ولعلنا نستطيع أن نسميها (سنة وفيات الأمراء) فاضطر عمر أن يولي مكانهم من يحل محلهم من المسلمين، بل إن الحال اضطربت، إذ أن بعض من يولّى كان يموت بالمرض في زمن قريب من الأول، ومن الأمراء الذين ماتوا فيها أبوعبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وشرحبيل بن حسنة، ويزيد بن أبي سفيان وغيرهم[٣]، كما أنه من الملاحظ أنه وقعت في الفترة من سنة ١٦هـ حتى سنة ٢٠هـ تقريباً العديد من حالات

---

(١) المكان السابق.

(٢) المكان السابق.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه ١٣٨.

العزل لبعض الولاة، مما اضطر عمر رضي الله عنه أن يستبدل هؤلاء بغيرهم وبالتالي صدور قرارات تعيين عديدة خلال تلك الفترة، كذلك فإن حوادث الوفاة أو الاستعفاء كانت تقتضي صَدور قرارات تعيين جديدة ويكون الوالي الجديد في الغالب صاحب خبرة في المنطقة التي يتولى عليها، وقد يكون من مساعدي الوالي السابق أو من أصحاب الخبرة الآخرين. وقد حدث أن أعاد عمر بن الخطاب بعض الولاة المعزولين والذين سبق عزلهم بتهم تبين لعمر عدم صحتها، ومن هؤلاء المغيرة بن شعبة وسعد بن أبي وقاص، إلا أن سعداً استعفى عمر ولم يرض بالعودة.

كما أنه حدثت بعض التنقلات للولاة من منطقة إلى أخرى، كنقله عثمان بن أبي العاص إلى البحرين ونقله العلاء بن الحضرمي من البحرين وغير هؤلاء، كل ذلك أوجد حركة تغيير بين الولاة من منطقة لأخرى، ومع كل هذه الحركات من قبل عمر في العزل والتعيين، إلا أنه كان يحترم الولاة القدماء ويحتفظ بحقوقهم ويأمر الوالي الجديد باحترام من سبقه واستشارته فيما يعِنُّ له من أمور[١].

ويبدو أن عمر بن الخطاب كان يقوم بكتابة أموال العامل الجديد قبل أن يوجهه إلى عمله ويسجل ذلك[٢] حتى يكتشف فيما بعد مقدار نمو أموال الوالي بعد التعيين ومباشرة العمل، فإن أحس بنمو كبير في مال الوالي بعد ذلك عاقبه

---

(١) محمد كرد علي، الإدارة الإسلامية في عز العرب، ٣٤، ٣٥.

(٢) ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ١٢٠.

السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج١/١٤١.

جودا بخش، حضارة الإسلام، ١١٣.

وقد يقاسمه ماله[١] .

ويبدو أن كثيراً ممن كان يقع عليهم اختيار عمر كانوا يتورعون عن ولاية الناس ويحرصون على أن يعفيهم من هذه الولاية، ومنهم يعلي بن أمية والي اليمن الذي طلب أن يشترك في الجهاد، فقال له عمر: ارجع إلى ولايتك، فإن عملاً بالحق جهاد حسن[٢] .

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ١٢١.

محمد كرد علي، الإدارة الإسلامية في عز العرب، ٣٨.

(٢) القاسم بن سلام، الأموال، ٧١١.

سياسة عمر مع الولاة:

امتاز عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بكثرة الأحداث وتشعبها وطول الفترة الزمنية، مما مكن المؤرخين من رصد أهم الملامح العامة لسياسته مع ولاته.

لقد وضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه أهدافاً محددة للولاة عند تعيينهم، وكان رضي الله عنه يوضح باستمرار للولاة وللرعية الهدف الرئيس من توليتهم، وقد قال أمام الناس مرات عديدة: (أيها الناس، إني بعثت عمالي هؤلاء ولاة بالحق عليكم ولم أستعملهم ليصيبوا من أبشاركم ولا من دمائكم ولا من أموالكم، ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم أمر دينكم وسنتكم، فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إليّ ومن كانت له مظلمة عند أحد منهم فليقم أُقِيدُه منه وقد رأيت رسول الله ﷺ يقيد من نفسه)[١]. وكذلك ما قاله عمر رضي الله عنه في موسم الحج أمام الرعية وأمام ولاتهم: (أيها الرعية، إن لنا عليكم حقاً: النصيحة بالغيب، والمعاونة على الخير، أيتها الرعاة إن للرعية عليكم حقاً، اعلموا أنه لا حلم إلى الله أحب ولا أعم نفعاً من حلم إمام ورفقه وأنه ليس جهل أبغض إلى الله ولا أعم من جهل إمام وخرقه، اعلم أنه من يطلب العافية فيمن بين ظهرانيه يترل الله عليه العافية من فوقه)[٢].

---

(١) أبو يوسف، الخراج، ١٢٥.

الطبري، تاريخه، ج٥/١٩، ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ٩٤.

ابن تيمية، السياسة الشرعية، ١٥٠.

محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ٤٠٦.

(٢) ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ٧٩.

كما أن عمر رضي الله عنه كان يحس في نفسه ويشعر الناس بمسؤوليته المباشرة عن أية مظلمة تقع من أحد من الولاة و لم يغيرها، حيث يقول: (أيما عامل لي ظلم أحداً وبلغتني مظلمته و لم أغيرها فأنا ظلمته)[١]. كما كان عمر بن الخطاب إذا استعمل عاملاً قال له: (إني لم أستعملك على دماء المسلمين ولا على أعراضهم ولا على أستارهم، ولكن استعملتك لتقيم فيهم الصلاة وتقسم بينهم فيأهم وتحكم بينهم بالعدل)[٢].

كما كان عمر رضي الله عنه إذا وجه عماله قال لهم: (إني لم أبعثكم جبابرة ولكن بعثتكم أئمة، فلا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تحمدوهم فتفتنوهم ولا تمنعوهم فتظلموهم)[٣] كما يبين عمر ويكرر ما كان يذكره عن الولاة ومهام الولاية في أحد خطب الجمعة حيث يقول: (اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار إني إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم، وأن يقسموا بينهم فيأهم وأن يعدلوا، فإن أشكل عليهم شيء رفعوه إليّ)[٤].

وقد وردت العديد من النصوص التي رويت عن عمر رضي الله عنه في هذا الموضوع في مناسبات عديدة، وكلها تتحدث عن مهام الولاة وتحددها، وهي في الغالب لا تخرج في مضمونها عما ذكرناه من إقامة أمور الدين من صلاة وجهاد وزكاة وغيرها، وحل المنازعات، والعدل بين الناس، وقسمة الفيء بين المسلمين،

---

(١) المصدر السابق، ١١٦.

(٢) المحب الطبري، الرياض النضرة، ج٢/٧٩.

(٣) أبو يوسف، الخراج، ١٢٥.

(٤) الطبري، تاريخه، ج٥/١٩.

وقد ترك عمر بابه مفتوحاً لتلقي أي شكاية ضد أحد من هؤلاء، فهو يقول: (ولكن استعملتهم ليعلموكم كتاب ربكم وسنة نبيكم، فمن ظلمه عامله بمظلمة فليرفعها إليّ حتى أقصه منها). فعمر هنا يشعر الولاة بالسياسة التي يتبعها معهم، ويهدد من يظلم أحداً من الناس.

و لم يكتف الخليفة عمر بحسن اختياره الولاة، وإنما قام بمراقبة مستمرة للوالي قبل التعيين بعد مباشرته للعمل، وكان رضي الله عنه دائم الكتابة والاتصال بعماله، مذكّراً إياهم بتلك الواجبات والمسؤوليات المنوطة بهم[١] وما أكثر النصوص الواردة من هذه الكتب في المصادر المختلفة[٢].

وكان عمر رضي الله عنه يؤكد من خلال شروطه قبل التعيين، ومن خلال كتبه لولاته على أهمية فتحهم الأبواب للناس، وسماع شكاياهم، وعدم إغلاق الأبواب دون حاجات الناس[٣]. وقد اشتهرت قصة عمر في إحراق باب سعد بن أبي وقاص في الكوفة حينما جعل لبيته باباً يغلقه دون الناس إذا أراد الخلوّ بأهله، فلم يعجب ذلك عمر فأرسل إليه من أحرق[٤] الباب.

وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب للولاة باستمرار عن ضرورة المساواة بين الناس والعدل بينهم، وقد ذكر له أن قوماً قدموا على عامل له فأعطى العرب وترك الموالي، فكتب عمر إلى ذلك الوالي: (أما بعد، فبحسب المرء من

---

(١) ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ١١٤.

(٢) للاطلاع على بعض هذه النصوص انظر د. محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، من ص ٣٢٧ حتى ٣٩٤.

(٣) المحب الطبري، الرياض النضرة ج٢/٧٩.

(٤) انظر ص ١٦٧ من هذا الكتاب.

الشر أن يحقر أخاه المسلم، وفي رواية كتب إليه: ألا سويت بينهم؟)[1] وكان عمر يكتب إلى ولاته بكتب يأمرهم فيها بالمساواة بين من أسلم من الموالي وبين العرب في الحقوق والواجبات، فيقول لهم: (من أعتقتم منهم فأسلموا فألحقوهم بمواليهم، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، واجعلوهم على أسوهم في العطاء)[2].

وقد كان عمر يكتب إلى ولاته بالعدل حتى مع غير المسلمين من رعاياهم فكتب مرة إلى أبي عبيدة يأمره أن يمنع المسلمين من ظلم أحد من أهل الذمة[3] وهو هنا لم يحرض أبا عبيدة على منع ظلمه -كأمير- للذميين بل أشعر أن أي ظلم يقع على المسلمين وعلى الذميين هو المسؤول عنه، وبذلك فهو يحرضه على أن يبذل جهده لعدم إيقاع الظلم عليهم من غيرهم.

وكان عمر بن الخطاب حريصاً على نزاهة عماله وعفتهم عن أموال الرعية، واستغنائهم بأموالهم عن أموال الغير، ولعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أحس بهذه القضية الخطيرة، وأحس أنه لكي يضمن نزاهة عماله، فلا بد له أن يغنيهم عن الحاجة إلى أموال الناس. وقد دار بينه وبين أبي عبيدة حوار مفهومه أن أبا عبيدة قال لعمر بن الخطاب: دنّست أصحاب رسول الله ﷺ يعني باستعمالهم، فقال له عمر: يا أبا عبيدة، أما إن فعلت فاغنهم بالعمالة عن الخيانة[4]، يعني إذا استعملتهم في شيء فأجزل لهم في العطاء والرزق، حتى لا يحتاجوا إلى الخيانة أو

---

(١) محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ٥٢٣.

(٢) صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ٣٥٣.

(٣) أبو يوسف، الخراج ١٠٧.

(٤) المصدر السابق، ١٢٢.

إلى الناس. وقد كان عمر يصرف لأمراء الجيش والقرى وجميع العمال من العطاء ما يكفيهم بالمعروف نظير عملهم (على قدر ما يصلحهم من الطعام وما يقومون به من الأمور)[١] وكان عمر يحرص على نزاهة العمال عما بأيديهم من الأموال العامة، فيقول لعماله: (قد أنزلتكم من هذا المال ونفسي منزلة وصي اليتيم. من كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف)[٢] وقد فرض عمر لجميع عماله مرتبات محددة وثابتة سواء يومية أو شهرية أو سنوية، وقد ورد ذكر بعضها في المصادر التاريخية منها ما كان طعاماً ومنها ما كان نقوداً محددة[٣] وكان عمر يضرب المثل لعماله ولعموم الناس بعفته عن الأموال العامة للدولة وعن أموال الناس، فمع أن في إمكانه الأخذ من بيت المال، إلا أنه كان يردد باستمرار حين الحديث عن أموال بيت المال: (ما أنا فيه إلا كأحدكم) وقد قال عمر: أنزلت مال الله عندي بمنزلة مال اليتيم، فإن استغنيت عففت عنه وان افتقرت أكلت بالمعروف[٤]، وعمر نفسه إذا احتاج إلى المال أتى صاحب بيت المال فطلب منه قرضاً موقتاً فربما صعب على عمر تسديد ذلك القرض فيأتيه صاحب بيت المال فيلزمه بدفعه[٥]، وقد توفي عمر وعليه دين كبير لبيت المال[٦].

---

(١) أبو يوسف، الخراج ٥٠.

(٢) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٢/٦٩٤.

الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، نصيحة الملوك، تحقيق الشيخ خضر محمد خضر، الطبعة الأولى، مكتبة الفلاح، الكويت ١٤٠٢، ص ٢٤٦.

(٣) انظر مثلها في ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ١٠٢.

(٤) الماوردي، نصيحة الملوك، ٢٤٦.

(٥) ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ١٠٢.

(٦) ابن أبي شيبة، كتاب التاريخ، ورقة، ١١٠.

وقد حرص عمر باستمرار على تقشف ولاته وزهدهم، فكان يتمسك بالولاة الزهاد ويعينهم على الأعمال، وكان في نفسه زاهداً في الدنيا فيضرب لهم المثل العملي في ذلك بخشونته في ملبسه ومطعمه[١] وبعمله الدائم على توطين نفسه على التعب، وعدم التنعم أو الركون إلى الترف، وكان يلبس من الصوف المرقع، ويحمل القربة على كتفه[٢]، إلى غير ذلك من الأعمال التي تدل على زهده وتقشفه وتواضعه وحمله نفسه على ما تكره، ومن كتبه لعماله: (إياكم والتنعم وزي أهل العجم واخشوشنوا)[٣]، وقد حدث أن قام عمر بن الخطاب بتمزيق جبة أحد ولاة أبي بكر حينما رآه يلبس الديباج[٤] فلم يطق عمر صبراً أن يراه على هذه الحال، ولشدة حرص عمر رضي الله عنه على زهد أمرائه وتقشفهم كان يراقبهم حتى وهم في بيوهم وتأتيه أخبارهم، فقد بلغه أن امرأة أحد العمال تزين بيتها بأستار جيدة، فكتب إليه عمر بتمزيق ما كانت تصنعه زوجته ونهاه عن ذلك ووبخه[٥].

وقد ذكر أن عمرو بن العاص قدم المدينة، وكان قد اختضب بالسواد فبدا كأنه شاب، فلم يعجب عمر بن الخطاب ذلك فتجاهله، وكأنه لا يعرفه حين سلّم عليه، ثم قال له عمر: من أنت؟ فقال: عمرو بن العاص، فقال له عمر: أرضيت بعد أن كان يقال لك: كهل قريش أن يقال لك: شاب من شباب قريش[٦].

---

(١) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/٦٩٥.

(٢) محمد كرد علي، الإدارة الإسلامية في عز العرب، ٢٩.

(٣) د. صبحي محمصاني، تراث الخلفاء الراشدين، ١٤٩.

(٤) الطبري، تاريخه ج٤/٢٨.

(٥) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/٨١٩.

(٦) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/٨٥٤.

وقد ذكر أن عمر بن الخطاب أثناء زيارته للشام دخل بيت يزيد بن أبي سفيان (فإذا بيت مستور، فوضع عمر رضي الله عنه طيلسانه ثم طفق بتلك الستور يقطعها، وأخذ الآخر يقول: أعوذ بالله من غضب الله وغضب أمير المؤمنين، فقال: (ويحك أتلبس الحيطان ما لو ألبســته قوماً من الناس لسترهم من الحر والقر)[١] ووبخه لتنويعه طعامه[٢] وقد عاقب أحد الولاة حينما علم أنه اتخذ حماماً بأن استقدمه إلى المدينة وألبسه جبة غليظة وأمره أن يرعى غنماً في المدينة قرابة ثلاثة أشهر حتى أحس عمر بندم ذلك الرجل على ما بدر منه، فأعاده مرة أخرى إلى ولايته بعد أن أعطاه درساً[٣]. وقد عاقب عاملاً آخر بعقاب قريب من هذه العقوبة ولعلها هي نفس الرواية[٤].

وقد كتب سعد بن أبي وقاص حينما كان على الكوفة إلى عمر يستأذنه في بناء منزل يسكنه فكتب إليه (ابن ما يسترك عن الشمس ويُكنُّك من الغيث)![٥].

وكتب عمر إلى أبي موسى في البصرة: (قد بلغني أنه فشا لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومركبك ومطعمك ليس للمسلمين مثلها، فإياك يا عبدالله أن تكون بمنزلة البهيمة التي مرت بواد خصيب فلم يكن لها همة إلا السِّمَن وإنما حتفها في السمن)[٦].

---

(١) عمر بن شبة، تاريخ المدينة ج٣/٨٣٢.

(القَر) شدة البرد (الجوهري، الصحاح، ج٢/٧٨٩).

(٢) المكان السابق.

(٣) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/٨١٨.

(٤) ابن الجوزي، مناقب عمر، ١٢٢.

(٥) المحب الطبري، الرياض النضرة، ٨٠.

(٦) الماوردي، نصيحة الملوك، ٢٩٩.

وهكذا تتضح معالم سياسة عمر مع ولاته في حثهم على الزهد وتطبيقه على نفسه أولاً. ولهذا ورد عدد من ولاته ضمن الزهاد وفيهم أبوعبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وسلمان الفارسي وعمير بن سعد والنعمان بن مقرن وسعيد بن عامر بن حذيم وغيرهم، ولعل حرص عمر وعماله على الزهد والتقشف في الدنيا قد دفعهم إلى العدل بين الناس والزهد فيما عندهم، وأن لا تأخذهم في الله لومة لائم، ومعروف أنه بالزهد ينال الولاة الاحترام والتقدير في أعين الناس، وهذا ما كان عمر رضي الله عنه حريصاً عليه كل الحرص، حيث كان يولي عناية خاصة لاحترام الناس لولاتهم وتقديرهم لهم، ويبذل في ذلك مختلف الأسباب (فكان عمر على شدة فيه مع عماله إذا أحس باعتداء أو شبه اعتداء وقع على أحدهم يشتد على المعتدين في تلك الناحية ليبقى للعامل هيبة توقره في الصدور ومهابة يلحم بها العامة والخاصة)[1] كما كان عمر رضي الله عنه حريصاً على احترام ولاته حتى بعد عزلهم، فقد عزل خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة وشرحبيل بن حسنة ثم تكلم عمر عنهم أما الناس وبرأ ساحتهم وأظهر تقديره لهم، وذكر أنه لم يعزلهم لضعف ولا خيانة وإنما لمصالح أخرى، فحفظ بذلك هيبة هؤلاء الأمراء واحترامهم بين الناس، حتى بعد عزله لهم.

كما أن عمر رضي الله عنه بلغه أن أهل العراق حصبوا أميرهم فخرج غضبان فصلى في الناس وسها في صلاته لشدة غضبه من هذا الاعتداء الذي وقع على أميره[2].

---

(١) محمد كرد علي، الإدارة الإسلامية في عز العرب، ٣٦.

(٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج١/١٢٧.

وقد استمر عمر رضي الله عنه في متابعة أحوال الولايات وحاجات الأمة الإسلامية طوال فترة خلافته، وكان في هذه الفترة يصدر إلى الولاة أوامر عامة تنفذ في مختلف الولايات، وهي شبيهة (بالتعاميم) الرسمية في وقتنا الحاضر، وكان عمر يكتب تلك الكتب العامة لتطبيقها في مختلف الولايات، فمن ذلك ما كتبه عمر إلى الأمراء في تعليم الغلمان العوم والرماية والكتابة[١] ومن ذلك ما كتبه عمر رضي الله عنه إلى أمراء الأمصار في صلاة التراويح وجمع الناس على إمام واحد بعد أن أحس بخطورة الوضع، نتيجة انقسام الناس في المساجد على أئمة مختلفين ونتيجة التشاحن الذي وجد بين بعض الناس بسبب تفضيلهم بعض القراء على بعض وذلك في السنة الرابعة عشرة من الهجرة[٢].

كما كان ضمن هذه التعليمات العامة كتاب من عمر رضي الله عنه إلى الأمصار وولاتها يحث فيه على الاهتمام بالخيل وتنميتها وضرورة وجود أعداد منها في هذه الأمصار معدة للظروف والطوارئ على أيدي خبراء مختصين[٣]. وليس ما ذكرنا هنا سوى أمثلة لهذه التعاميم التي كانت تصدر من قبل عمر لولاته، والتي تدل على تتبعه للأحوال في هذه الولايات واتباع سياسة عامة عن طريق هذه الكتب التي ترسل إلى الأمصار.

---

(١) ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب.

محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ٤٨٦.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه ١٢٩.

عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٧١٣.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٤/١٩٦.

صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ٤٩١.

هذا ومن الجدير بالذكر أن أي قرار يصدر في المدينة إثباتاً أو منعاً يعد -حتى دون الكتابة لهذه الأمصار- أمراً عاماً يسود مختلف أنحاء الدولة ويجب على الولاة اتباعه بمجرد علمهم به، سواء كتب الخليفة لهم به أم لم يكتب.

وقد كان عمر رضي الله عنه يحث ولاته باستمرار على عيادة المرضى والاجتماع بالضعفاء، ويعاقب ولاته الذين لا يعملون ذلك بالعزل أحياناً[١].

وكان عمر رضي الله عنه يأمر الولاة باستشارة ذوي الرأي والخبرة من رعاياهم، وقد يحدد لهم أحياناً مدى هذه الاستشارة وحدودها، فقد كتب إلى سعد بن أبي وقاص رحمه الله: "شاور فلاناً وفلاناً في أمر حربك ولا تولهما من الأمر شيئاً، فإن كل صانع هو أعلم بصنعته"[٢].

وقد كان عمر رضي الله عنه يرفض تدخل أحد بينه وبين عماله إذا غضب على أحد منهم، فقد عتب عمر على أحد العمال فطلب من امرأة عمر أن تكلم عمر فيه، وكانت قريبة لهذا العامل، وأراد منها أن تعلم فقط ما الذي أغضب عمر عليه، حيث أنه لم يفهم سبب غضبه، فقالت امرأة عمر: يا أمير المؤمنين، فيم وجدت عليه؟ قال عمر: يا عدوة الله إنما أنت لعبة يلعب بك ثم تتركين[٣]، ومتى كنت تدخلين بيني وبين المسلمين؟ ولما سأل العامل زوجة عمر عما صنعت، قالت له: وددت أني لم أعرفك، ما زال يوبخني حتى تمنيت أن الأرض انشقت

---

(١) المحب الطبري، الرياض النضرة، ج٧٣/٢.

(٢) ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ١١٨.

(٣) كان عمر يقصد من هذا الكلام ردع زوجته عن التدخل في أمور الدولة، وخصوصاً أن عمر كان يدرك أن سؤالها كان لوجود قرابة بينها وبين الوالي، وإلا فإن نظرة عمر والمسلمين عموماً إلى المرأة أعظم من هذا.

فدخلت فيها، ثم توجه العامل إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه وطلب منه أن يسأل عمر عن سبب غضبه عليه، فلم يجبه عمر حتى تركه شهرين أو ثلاثة[١].
فهذه القضية تدلنا على أن عمر أراد من العامل أن يكتشف خطأه بنفسه؛ لأنه في موقع المسؤولية ويجب أن يعرف الصحيح من الخطأ، كما تدل على حرص عمر رضي الله عنه على تأديب واليه ورفضه أن يتدخل أحد في ذلك سواء أكانت زوجته، أم كان عثمان، أم غيرهما، فمبدأ التدخل مرفوض عند عمر إذا كان لمصلحة شخص على حساب العمل.

وكثيراً ما كان عمر يكتب لولاته ناصحاً لهم وموضحاً السياسة التي يجب أن يكونوا عليها، فقد كتب إلى أبي موسى الأشعري يقول له: (أما بعد، فإن للناس نفرة عن سلطانهم، فأعوذ بالله أن تدركني وإياك عمياء مجهولة وضغائن محمولة. أقم الحدود ولو ساعة من نهار، وإذا عرض لك أمران أحدهما لله والآخر للدنيا فآثر نصيبك من الله فإن الدنيا تنفد والآخرة تبقى وأخيفوا الفساق واجعلوهم يداً ورجلاً، وعُد مرضى المسلمين واشهد جنائزهم وافتح لهم بابك وباشر أمورهم بنفسك، فإنما أنت رجل منهم، غير أن الله جعلك أثقلهم حملاً. وقد بلغني أنه قد فشا لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها، فإياك يا عبدالله أن تكون بمنزلة البهيمة مرت بوادٍ خصيب فلم يكن لها همٌّ إلا السمن، وإنما حتفها في السمن. واعلم أن العامل إذا زاغ زاغت رعيته وأشقى الناس من شقي به الناس والسلام)[٢].

---

(١) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/٨١٨.
ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ١١٨.

(٢) ابن قتيبة الدينوري: أبو محمد عبدالله بن مسلم، عيون الأخبار، دار الكتب المصرية ١٣٧٣ هـ، ص ١١، محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعصر النبوي والخلافة الراشدة، ٤٣٦.
النفرة عن السلطان: كراهيته والبعد عنه - (عمياء مجهولة)- جاهلية عمياء، والضغائن هي الأحقاد.

ولعل هذا الكتاب يعطينا توضيحاً لسياسة عمر رضي الله عنه مع رعيته وما كان يطلبه منهم، ويرى أن عليهم التقيد به في أعمالهم، وقد كتب عمر رضي الله عنه كتباً أخرى إلى الولاة منها ما كتب لمعاوية، ومنها ما كتب لأبي موسى ولأبي عبيدة ولسعد بن أبي وقاص وغيرهم(١).

وهكذا فقد كان يسوس ولاته بالعدل باحترامهم وإعطائهم حقوقهم ويأمرهم بالعدل ويتابع تنفيذهم لأوامره ويستمر في سياستهم، وفي متابعته لهؤلاء الولاة ولما يستجد من أحداث.

وكان عمر باستمرار يوصي عماله بالرفق بالناس واتّقاء دعوة المظلوم والاهتمام بالفقراء والمساكين(٢).

ومن خلال المكاتبات والمراسلات التي دارت بين عمر وولاته يمكننا أن نتعرف على السياسة التي اتبعها عمر، والسنن التي استحدثها في متابعة سير الأمور وتصريف شؤون الولايات الإدارية، فقد اشتهر عن عمر حثه ولاته على إنجاز العمل وعدم تعطيله، فقد كتب إلى أبي موسى الأشعري: (لا تؤخر عمل اليوم لغد، فتدال عليك الأعمال)(٣) وهذا المبدأ الإداري العظيم الذي شعر به عمر كان حريصاً على تطبيقه بنفسه وتبليغه إلى ولاته، ولشدة حرصه على إنجاز الولاة للأعمال الموكلة إليهم، فقد منعهم من الاشتغال بالتجارة وغيرها مما يكون على حساب العمل في الولاية(٤).

---

(١) انظر بعض هذه الكتب في عمر بن شبة، تاريخ المدينة ج٢/٧٧٥.

(٢) الماوردي، نصيحة الملوك، ٢٩٩، ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب ١٣٠، المحب الطبري، الرياض النضرة، ٧٩.

(٣) ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ١٢٩.

(٤) محمد عبدالقادر خريسات، عمر بن الخطاب والولاة، ص ١٦٥.

وقد قدم أبو موسى الأشعري على عمر في المدينة (ومعه كاتب نصراني فرفع كتابه فأعجب عمر ولم يعلم أنه نصراني، فقال لأبي موسى: أين كاتبك حتى يقرأ الكتاب على الناس، فقال أبو موسى: يا أمير المؤمنين، إنه لا يدخل المسجد، قال: لم؟ أجنب هو؟ قال: لا، ولكنه نصراني. فانتهره عمر وقال: لا تدنوهم وقد أقصاهم الله ولا تكرموهم وقد أهانهم الله، ولا تأمنوهم وقد خوّنهم الله، وقد نهيتكم عن استعمال أهل الكتاب فإنهم يستحلون الرشا)[1] يعني بذلك قبولهم للرشوة أحياناً.

كما كانت المراسلات تدور بين عمر وولاته فيما يستجد من أمور، فقد جرت مكاتبة بين عمر وسعد بن أبي وقاص بعد فتح العراق حول قسمة الأراضي على الجند الفاتحين، ولكن عمر رضي الله عنه استشار الصحابة، فاستقر الرأي على عدم قسمتها، فكتب إلى سعد في ذلك[2]. ومن هذه المشاورات أيضاً ما دار بين عمر رضي الله عنه وبعض ولاته حول كتابة التاريخ على الكتب والتي انتهت بتعميم من عمر بأن يؤرخ الناس من هجرة رسول الله ﷺ[3].

وكان عمر يحث ولاته على إجادة اللغة العربية وقد يعاقب من يخطئ منهم في كتاباته، فقد ورد (أن عمر كتب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما: إن

---

(١) المصدر السابق، ٤٩.

وردت القصة بمعناها عند ابن الأزرق: بدائع السلك، ٢٧.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ٢٦٦.

القاسم بن سلام، الأموال، ٧٤.

(٣) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٢/٧٥٨؛ خليفة بن خياط، تاريخه ٥١، محمد حميد الله، الوثائق السياسة للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ٥٢١.

كاتبك الذي كتب إليّ لحن فاضربه سوطاً... وإن كاتب عمرو بن العاص كتب إلى عمر رضوان الله عليه فكتب "بسم" ولم يكتب فيها "سيناً" فكتب عمر إلى عمرو أن اضربه سوطاً، فضربه فقيل له: في أي شيء ضربك؟ قال: في سين)[1].

وهكذا كان عمر يحاسب الكتّاب على أخطائهم الإملائية، وكان عمر مع ثقته بالولاة وحسن اختيارهم لموظفيهم يتأكد بنفسه من هؤلاء الموظفين ويمتحن قدراتهم وإخلاصهم، فقد طلب من أبي موسى -وكان على البصرة- أن يرسل إليه شخصاً معيناً من موظفي الولاية كان يثق به أبو موسى، مما أثار شك عمر، فلما وصل الموظف امتحنه عمر وسأله عدة أسئلة حتى يتبين له معرفة الموظف بالواجبات ومعرفته بالقرآن والسنن والفرائض، ومن ثم أمره بالرجوع إلى عمله وأوصى أبا موسى بالمحافظة عليه[2].

كما أن عمر رضي الله عنه كان يطلب من الولاة أن يرسلوا وفوداً من أهل البلاد ليسألهم عن بلادهم، وعن الخراج المفروض عليها ليتأكد بذلك من عدم ظلمهم، ويطلب شهادتهم، فكان يخرج إليه مع خراج الكوفة عشرة من أهلها، ومع خراج البصرة مثلهم، فإذا حضروا أمامه شهدوا بالله أنه مال طيب، ما فيه ظلم مسلم ولا معاهد[3]، وكان هذا الإجراء كفيلاً بمنع الولاة من ظلم الناس؛ إذ لو حدث هذا لرفعه هؤلاء الموفدون إلى أمير المؤمنين وأخبروه به، كما أن عمر في الغالب كان يقوم بمناقشة هؤلاء الموفدين وسؤالهم عن بلادهم وعن ولاتهم

---

(١) ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ١٢٩.

(٢) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٢/٣٠.

(٣) أبو يوسف، الخراج ١٢٤.

وسلوكهم معهم[١].

وكما كان عمر رضي الله عنه يرسل البريد إلى الولاة في الأمصار فقد كان يأمر عامل البريد عندما يريد العودة إلى المدينة أن ينادي في الناس عن الذي يريد إرسال رسالة إلى أمير المؤمنين حتى يحملها إليه دون تدخل من والي البلد، وكان صاحب البريد نفسه لا يعلم شيئاً عن هذه الرسائل، وبالتالي يكون المجال مفتوحاً أمام الناس لرفع أي شكوى أو مظلمة إلى عمر نفسه دون أن يعلم الوالي أو رجاله بذلك، وحينما يصل حامل الرسائل إلى عمر ينثر ما معه من صحف ويقرأها عمر ويرى ما فيها[٢].

وقد حرص عمر رضي الله عنه على إرسال المعلمين إلى الأمصار لتعليم الناس أمور دينهم المختلفة، فقد أرسل عبدالله بن مسعود[٢] إلى البصرة، كما كان أبو الدرداء رضي الله عنه يعلم الناس القرآن في دمشق[٣]، كما بعث عمر عشرة من المعلمين إلى أبي موسى في البصرة، على رأسهم خادم رسول ﷺ الله أنس بن مالك رضي الله عنه[٤]. فقاموا بمهمتهم خير قيام، كما أن الولاة أنفسهم كانوا من أهم المعلمين في الأمصار[٥].

---

(١) ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ٨٧.

(٢) انظر عمر بن شبه، تاريخ المدينة، ج٢/٧٦١.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء ج٢/٣٣٦.

(٤) أبو ضـيعة الدينوري، الأخـبار الطـوال، تحقيق عبدالمنعم عامر، ط١، القاهرة ١٩٦٠م، ص ١١٨.

(٥) انظر عبدالجبار منسي العبيدي، إدارة الأمصار الإسلامية ودور الثقفيين فيها، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي، العدد السابق عشر ١٤٠١هـ، بغداد، ص ١٣٧.

وقد برزت العديد من التطورات الإدارية والحضارية في عهد عمر، حيث ظهرت الحاجة إلى إقامة بلدان إسلامية خاصة بالمسلمين، وذلك بعد اتساع الفتوح الإسلامية وضم العديد من البلاد المفتوحة إليها. وكانت أشد المناطق حاجة لوجود مناطق عمرانية خاصة بالمسلمين تلك المناطق التي وصلت إليها قبائل عربية مسلمة بكاملها أحياناً. ومن أهم هذه المناطق العراق ومصر؛ ففي العراق أنشئت البصرة والكوفة، وفي مصر أنشئت الفسطاط، وبالطبع فإن هذه المدن لم تنشأ جزافاً، بل كانت هناك مراسلات ومشاورات بين عمر بن الخطاب وبين الولاة الذين باشروا إنشاء هذه المدن أو الأمصار، وقد امتدت هذه المشاورات بدءاً من فكرة الإنشاء مروراً باختيار المواقع(١) ونوع البناء وتطوره وتفصيلات المدينة نفسها وشوارعها ومساجدها وأسواقها وكان عمر يطلع على كل هذه التفصيلات بل ويتدخل تدخلاً مباشراً، وقد يعيّن من قبله من يقوم بتحديد اتساع الشوارع والأسواق(٢). ويتم البناء في هذه المدن تحت إشراف عمر، مع مباشرة إدارية ومعمارية من هؤلاء الولاة. ولهذا فإن البناء في هذه المدن احتاج إلى جهود خاصة من الولاة، ومتابعة وإشراف من عمر نفسه حتى استقرت الحال فيها، وبعد إنشاء هذه الأمصار الإسلامية أخذت تبرز جوانب إدارية واجتماعية جديدة استرعت الانتباه وتطلبت من عمر وولاته اتخاذ التدابير الكفيلة بمصلحة الأمصار وسكانها.

وكان من أهم التدابير التي اتخذها عمر تدوين الدواوين المختلفة، ليس في المدينة

---

(١) انظر ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ٩١.

(٢) انظر ص ١٠٤ و ص ١٦٤ من هذا الكتاب.

فحسب بل في كل مصر من هذه الأمصار الإسلامية الناشئة حديثاً، أو التي استقر بها المسلمون وطبعوها بطابعهم الخاص كبعض مدن الشام، وبعض الأمصار الفارسية.

وقد تنوعت الدواوين في الأمصار، فكان فيها دواوين الخراج والفيء وما يقبض من الأموال ودواوين الجند ودواوين العطاء[١].

ويذكر بعض الباحثين أن كل مصر قد كتب دواوينه بلغة ذلك البلد قبل وصول المسلمين إليه، فقد كتبت دواوين العراق بالفارسية، ودواوين الشام بالرومية، ودواوين مصر بالقبطية، وقد تولى أهل هذه البلاد الأصليين كتابة الدواوين وترتيبها لعدم وجود من يتقن ذلك من المسلمين[٢]، ومن المعروف أن عمر قد عين كتَّاباً عرباً على دواوين الأمصار[٣].

وهنا يبرز تساؤل: هل هؤلاء العرب كانوا علىعلم باللغة التي كتبت فيها دواوين البصرة والكوفة مثلاً وهي الفارسية؟ أم أن الكتابة لم تكن باللغة الفارسية أصلاً؟.. وقد رجعت إلى تراجم هؤلاء الرجال الذين وردت أسماؤهم في الكتّاب العرب، فلم أجد إشارة إلى معرفتهم بالفارسية، وبالتالي بقي هذا الاستفهام قائماً. ويبدو لي -والله أعلم- أن الذين ذكروا أن دواوين الشام كانت بالرومية والعراق بالفارسية ومصر بالقبطية قد عمموا بذلك وخلطوا بين دواوين الخراج ودواوين

---

(١) الطبري، تاريخه ج٥/٢٢؛ الماوردي، الأحكام السلطانية ١٩٩، ابن تيمية، السياسة الشرعية، ٤١.

(٢) محمد كرد علي، الإدارة الإسلامية في عز العرب، ٤٥.

(٣) انظر أسماء كتاب ديوان الكوفة والبصرة لعمر في؛ خليفة بن خياط تاريخه، ١٥٦.

الجند والعطاء، فالذي يبدو أن دواوين الجند ودواوين العطاء كانت في عهد عمر ابتداء بالعربية سواء في المدينة أم في الأمصار، و لم تستخدم لغات أخرى، أما اللغات الأخرى فقد استخدمت في دواوين الخراج في الأمصار امتداداً لما كانت عليه قبل الإسلام، ويؤيد ما ذهبت إليه ما ذكره الماوردي في قوله:

(وكان الديوان موضوعاً على دعوة في ترتيب الناس فيه معتبراً بالنسبة وتفضيل العطاء ومعتبراً بالسابقة في الإسلام وحسن الأثر في الدين، ثم روعي في التفضيل عند انقراض أهل السوابق بالتقدم في الشجاعة والبلاء في الجهد. فهذا حكم ديوان الجيش في ابتداء وضعه على الدعوة القريبة والترتيب الشرعي، وأما ديوان الاستيفاء وجباية الأموال فجرى هذا الأمر فيه بعد ظهور الإسلام بالشام والعراق على ما كان عليه من قبل، فكان ديوان الشام بالرومية؛ لأنه من ممالك الروم، وكان ديوان العراق بالفارسية؛ لأنه كان من ممالك الفرس، فلم يزل أمرهما جارياً على ذلك إلى زمن عبدالملك بن مروان)[1].

وقد ذكر ابن خلدون كلاماً قريباً من هذا[2].

وعلى هذا، فالأرجح أن دواوين الجند والعطاء في الأمصار كانت باللغة العربية وكان القائمون عليها من العرب -كما ذكرنا سابقاً- ويؤيد ذلك أيضاً ما يرويه البلاذري من أن ديوان خراج السواد وسائر العراق لم يزل بالفارسية حتى ولي الحجاج[3]. أما الدواوين الأخرى فلم يورد لنا عنها شيئاً.

---

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ٢٠٢.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، ٢٤٤.

(٣) انظر البلاذري، فتوح البلدان، ٢٩٨.

وقد شملت هذه الدواوين أسماء الناس في الأمصار ومقدار أعطياتهم ومواليدهم، بل حتى النفساء من نسائهم[١] وهذا يعطينا دلالة قوية على دقة هذه الدواوين وتتبعها لأحوال الناس، وقد اهتم عمر اهتماماً خاصاً بالمدائن والثغور الجديدة وفرض العطاء لمن يسكنها[٢] وبالتالي حافظ عليها قوية.

ويرى الماوردي أن الأمة قد أجمعت على الدواوين، حيث لم يعارض عمر أحد من الصحابة في وضعها وطريقتها[٣]. كما تبع إنشاء الدواوين في عهد عمر إنشاء بيوت المال في أنحاء الولايات الإسلامية، فخصص عمر كل مصر وولاية ببيت مال، وحدد أشخاصاً معينين للقيام بشؤونه، وترتيب أموره وضبط دواوينه[٤]. وكان أمين بيت المال مستقلاً إلى حد كبير عن سلطة الوالي، لدرجة أنه قد يحتاج الوالي إلى المال لخاصة شؤونه، فلا يستطيع أن يتصرف إلا إذا أقرضه صاحب بيت المال، وقد يطالبه برد المال المقترض ويغلظ له في القول؛ كما حدث بين ابن مسعود، وسعد بن أبي وقاص[٥]، كما اهتم عمر رضي الله عنه بالقضاء في مختلف الولايات فوزع القضاة على الأمصار[٦] بعد أن كان الوالي هو القاضي في السابق فأصبح القضاء مستقلاص عن الولاية ويتمتع بحمايتها، وقد ورد ذكر العديد من القضاة الذين ولاهم عمر في مختلف الأمصار[٧].

---

(١) البلاذري، المصدر السابق، ٤٢٨.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٤/١٦٤.

(٣) نصيحة الملوك، ٢٩٩.

(٤) حسيني، الإدارة العربية، ١٠١.

(٥) انظر ص ١٧٠ من هذا الكتاب.

(٦) نجدة خماش الإدارة في العصر الأموي، دار الفكر، دمشق ١٤٠٠هـ، ص ٣٢٧.

(٧) انظر خليفة بن خياط، تاريخه ١٥٤، والكندي، الولاة والقضاة، ٣٠٢.

وقد اهتم عمر رضي الله عنه بتنمية القوى الجهادية في الأمصار، حيث فرض العطاء لسكانها، وجعل فيها دواوين خاصة بالجند لضبطهم ومعرفة عددهم وصرف الأعطيات لهم وإعدادهم للدفاع أو الهجوم عند الحاجة، كما أن عمر رضي الله عنه اتخذ خطوات مدروسة نحو إعداد خيول مدربة جاهزة للجهاد في كل مصر من أمصار المسلمين، كما قام بإقطاع أناس في البصرة أراضي فضاء ليقيموا عليها مكاناً لتنمية الخيول وتدريبها[١]. وقد جهّز عمر في كل من البصرة والكوفة قرابة أربعة آلاف فرس، وجعل شؤون هذه الخيل في نفر من أهل تلك البلاد، وكذلك جعل في كل مصر من الأمصار على قدر حاجتها (فإن نابتهم نائبة ركب قوم إلى أن يستعد الناس)[٢].

كما أمر رضي الله عنه باتخاذ دور الطعام من دقيق وغيره لعابر السبيل والمنقطع[٣].

وقد احتاج عمر إلى الطعام من الأمصار في عام الرمادة حينما أصابت المجاعة منطقة الحجاز، فكتب إلى أمراء الأمصار في مصر والشام، فوصلت الأطعمة من الشام ومصر إلى المدينة المنورة[٤] وهذه العملية كانت بحاجة إلى ترتيبات معينة

---

(١) القاسم بن سلام، الأموال ٣٥٣.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٤/١٩٦.

(٣) ابن حبيب: عبدالملك، تاريخ عبدالملك بن حبيب، مخطوط مصوّر على ميكروفلم تحت رقم ٩٦٥ في معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطارَ جامعة فرانكفورت، ألمانيا الغربية ورقة ١٠٦.

(٤) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٢/٧٤٣.
الطبري، تاريخه، ج٤/٢٢٤، ابن الأثير، الكامل ج٢/٥٥٦.
النويري، نهاية الأرب، ج١٩/٣٥١.

في هذه الأمصار.

وكان عمر رضي الله عنه يراقب هذه الأمصار ويناقش وفود الحجاج منها في كل عام، ويسألهم عن أمرائهم وعن بلادهم، وكذلك يسال الوفود التي تقدم إلى المدينة من هذه الأمصار[1]. ومع ذلك فلم يكتف عمر بسؤال هذه الوفود، بل عزم على أن يزور هذه الأمصار ويتفقد أحوالها بنفسه، حيث قال: (لئن عشت إن شاء الله لأسيرن في الرعية حولاً، فإني أعلم أن للناس حوائج تقطع دوني، أما عمالهم فلا يرفعونها إليّ وأما هم فلا يصلون إليّ، فأسير إلى الشام فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى الجزيرة فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى البحرين فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى الكوفة فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين. والله لنعم الحول هذا)[2] وقد طبق عمر شيئاً من هذا، خصوصاً في ولاية الشام، حيث سار إليها عدة مرات وتفقد أحوالها ودخل بيوت ولاتها وأمرائها[3] ليعرف أحوالهم عن كثب؛ فقد دخل دار أبي عبيدة رضي الله عنه، وشاهد حالته وتقشفه ودار بينه وبين امرأة أبي عبيدة حوار شديد ألقت فيه اللوم على عمر نتيجة ما يعيشون فيه من تقشف، كما زار دار خالد بن الوليد، و لم يجد عنده شيئاً يلفت النظر سوى أسلحته التي كان منشغلاً

---

(١) المحب الطبري، الرياض النضرة، ج٢/٧٢.

(٢) عمر بن شبة، تاريخ المدينة ج٣/٨٢١.

الطبري، تاريخه ج٥/١٨.

ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ١٢١.

(٣) عمر بن شبة، تاريخه، ج٣/٨٢٢، الطبري، تاريخه، ج٤/٩٩، ابن الأثير، الكامل، ج٢/٥٠٠ وفيه ذكر لعدد المرات التي قدم فيها عمر إلى الشام.

بإصلاحها، وقد كان عمر أثناء دخوله على هؤلاء يدخل فجأة؛ إذ يصحبه رجل فيطرق الباب على الوالي فيتكلم الرجل ويطلب الإذن بالدخول له ولمن معه، دون أن يعلموا أنه عمر، وحينما يدخل عمر إلى الدار يقوم بالتمحيص فيها والاطلاع على ما فيها من أثاث[١]. وقد سمع عمر رضي الله عنه أن يزيد بن أبي سفيان ينوع في طعامه، فانتظر حتى إذا حان وقت عشاء يزيد استأذن عليه عمر، فلما رأى طعامه نهاه عن الإسراف في الطعام[٢]. ولم يكتف عمر بالمراقبة عن طريق هذه الزيارات، بل عمد إلى طريقة أخرى، وهي إرسال كميات من الأموال إلى الولاة وإرسال من يراقبهم حتى يعرف كيف يتصرفون فيها، (فأرسل إلى أبي عبيدة بخمسمائة دينار فعمد إليها أبوعبيدة فقسمها كلها، فكانت امرأته تقول: والله لقد كان ضرر دخول تلك الدنانير علينا أكثر من نفعها، ثم إن أبا عبيدة عمد إلى خلق ثوب كنا نصلي فيه فيشققه، ثم جعل يصرّ فيه من تلك الدنانير الذهب ويبعث بها إلى مساكين، فقسمها عليهم حتى فنيت)[٣]. وعمل عمر الشيء نفسه مع ولاة آخرين في سفرته تلك إلى الشام[٤]، ولم يكتف بمراقبته للعمال أثناء سفره، بل كان يستقدمهم إلى المدينة ثم يوكل من يراقبهم في أكلهم وشربهم ولباسهم، ويفعل ذلك بنفسه أيضاً. يضاف إلى ذلك أن عمر رضي الله عنه كان إذا أراد الحج كتب إلى ولاته يستقدمهم في الحج ويناقشهم في تصرفاتهم

(١) انظر ما ورد عن دخول عمر على ولاته في الشام في قصص طويلة عند عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/٨٣٠ - ٨٣٧.

(٢) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/٨٣١.

(٣) المصدر السابق، ج٣/٨٣٧.

(٤) ابن الجوزي، مناقب عمر ٧٤.

ويراقبهم ويترك المجال مفتوحاً أمام الحجاج الآخرين القادمين من بلادهم في إبداء ما يريدونه من ملاحظة عليهم، أو تقديم ما يشاؤون من شكاوى ضدهم ومحاسبتهم عليها[١] . وكانت هناك فائدة أخرى من حضور الولاة إلى الموسم وهي أنه ربما كان بعض الولاة يمنعون أصحاب المظالم من الخروج بشكاياتهم إلى عمر، وبالتالي فإن غياب الولاة عن مناطقهم كان يفتح المجال أمام هؤلاء المظلومين للخروج وإيصال شكاياتهم إلى عمر، ولو بعد موسم الحج.

وكان عمر شديد المراقبة لعماله (حتى كانوا يقولون: إن علمه بما يأتي من أقطار عمله كعلمه بمن يأتي منه، حتى إن العامل من عماله ليتهم أقرب الناس إليه أنه يرفع عليه)[٢]. وهكذا كان الولاة باستمرار يشعرون أن عليهم مراقبة سرية من عمر بن الخطاب، ويشكون في أقرب الناس إليهم، وأنهم يكتبون عنهم تقارير سرية إلى مقر الخلافة في المدينة[٣].

وبالإضافة إلى ما سبق، فقد كان لدى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما يشبه جهاز التفتيش على الولاة، وكان على رأسه (محمد بن مسلمة) الذي كثيراً ما كان يبعثه عمر لتفقد أحوال الولاة والتحقيق في الشكايات، ومقابلة الناس والسماع منهم ونقل آرائهم عن ولاتهم إلى عمر مباشرة، وقد أرسله عمر عدة مرات للتحقيق في قضايا مهمة كان على رأسها التهم التي وجهت إلى سعد بن أبي وقاص أثناء ولايته على الكوفة.

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٤/٢٦٢، أبو يوسف، الخراج، ١٢٥.

(٢) الماوردي، نصيحة الملوك، ٢١٤.

(٣) انظر ص ١٦٧ من هذا الكتاب.

وهكذا فإن عمر مع حرصه على حسن الاختيار للولاة ابتداء، فقد كان حريصاً على متابعة تصرفات الولاة ومراقبتهم في كل شيء حتى في أحوالهم الخاصة كما يقال، لأنها تعبر عن تصرفاتهم مع العامة.

كما كان عمر رضي الله عنه حريصاً كل الحرص على حفظ الأوراق الخاصة بالولايات وبالخلافة عموماً وكان أكثر حرصه على حفظ المعاهدات التي يجريها الولاة مع أهل البلاد المفتوحة منعاً لظلم أحد، فقد ورد[1] أنه كان هناك تابوت لعمر بن الخطاب فيه كل عهد كان بينه وبين أحد ممن عاهده.

ويمكننا أن نطلق على هذا التابوت "الأرشيف" أو "الملفات" الخاصة بأعمال الخلافة، ولعل الولاة أيضاً كانوا يحتفظون بأوراقهم ومكاتباتهم للعودة إليها عند الحاجة وحتى لا تلتبس عليهم الأمور.

وعلينا -بعد ذلك كله- حين النظر إلى الولاة وإلى الولايات أن نتذكر أنهم كانوا يحكمون مناطق متطورة ومتغيرة، ومجتمعات مختلفة يوجد فيها المسلم والذمي، وفيها العالم والجاهل والضعيف والقوي والمرأة والرجل، كما أننا يجب أن نتذكر أن المجتمعات الإسلامية في عهد عمر كانت مجتمعات متنوعة ومتعددة، فمنها مجتمعات وبلدان راسخة في الإسلام، ومنها مجتمعات نشأت حديثاً في ظل الإسلام، وهي الأمصار الجديدة؛ كالكوفة والبصرة والفسطاط، وهناك مجتمعات أخرى متغيرة كانت في الأصل غير إسلامية ثم بدأ يطرأ عليها التحول والتغيّر، وبدأت تتحول إلى الإسلام، وبدأ المسلم يسكن مع غيره في مدينة واحدة. وهكذا كان على الولاة أن يتعاملوا مع هذه المجتمعات المتغيرة، وبالتالي اختلفت بعض

---

(١) المقريزي، الخطط، ج١/٢٩٥.

الولايات عن بعض في أحوالها الداخلية، ومع ذلك فقد كان عمر يستشعر حاجة كل ولاية، ويطالب الولاة بتلبية تلك الحاجات المتغيّرة والمتطورة، من تعليم وجهاد وغيره. بل ويتابع بنفسه كافة تصرفات ولاته، عاملاً بالعدل معهم، موفراً لهم احترامهم، ومطالباً بإقامة العدل بين الناس، ورعاية شؤون ولاياتهم بالحق وإقامة الدين وشعائره ونشر تعاليمه بين الناس.

الفصل الثالث
الولايـة على البلـدان
في عصـر عثمان بن عفان

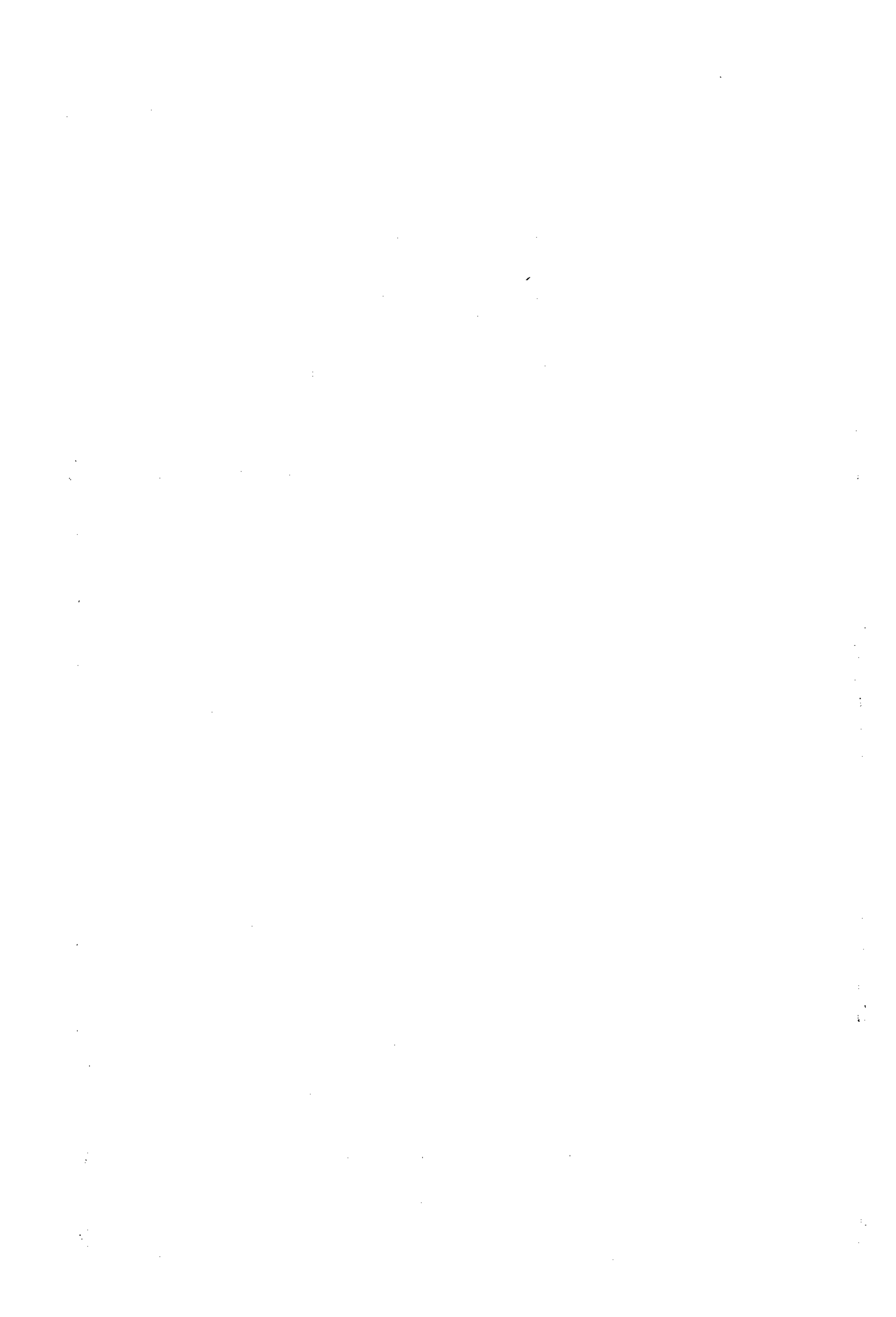
الولايات في عصر عثمان

- مكة المكرمة
- المدينة المنورة
- البحرين واليمامة
- اليمن وحضرموت
  - الشام
  - أرمينية
  - مصر
  - البصرة
  - الكوفة

★ سياسة عثمان مع الولاة في عهده

★ دور الولاة في إدارة الدولة في عصر عثمان

★ أثر الولاة في أحداث الفتنة



الولايات في عصر عثمان

مكة المكرمة:

توفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه وواليه على مكة (خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي)[١] وقد أبقاه عثمان رضي الله عنه فترة من الوقت يصعب تحديدها ثم قام بعزله[٢]، ولم ترد أخبار عن سبب ذلك، إضافة إلى صعوبة تحديد أهم أعماله، وقد قام عثمان رضي الله عنه بعد عزله بتولية (علي بن ربيعة ابن عبد العزى)[٣].

ثم قام عثمان رضي الله عنه بعد ذلك بتولية مجموعة من الأمراء على مكة يصعب تحديد فترات ولاياتهم؛ ومنهم (عبدالله بن عمرو بن الحضرمي)[٤] الذي كان أحد عمال عثمان على مكة، كما أن النصوص تثبت أن عثمان رضي الله

---

(١) قتل أبوه مع قريش يوم بدر، وأسلم هو يوم الفتح وأقام بمكة. تولى لعمر ثم لعثمان على مكة، وعاش إلى زمن معاوية ويزيد وتولى لهما على مكة (البلاذري، أنساب الأشراف ق ٤ ج١/٣٥٤، الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ص ١٥١، ابن حجر، الإصابة ج١/٤٠٨).

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٥٣، ١٧٨، الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ج١/١٥١. ابن حجر، الإصابة، ج١/٤٠٨.

(٣) من بني عبد شمس ولد لأبوين مسلمين على عهد النبي ﷺ ولم تعرف له صحبة، شهد الجمل مع جيش عائشة وبها قتل، (الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ج١/٣٩٣، ابن حجر، الإصابة، ج٣/٨١).

(٤) حليف بني أمية وهو ابن أخ العلاء بن الحضرمي، ولد على عهد النبي ﷺ، وله رواية عن عمر، (ابن عبدالبر، الاستيعاب حاشية على الإصابة، ج٢/٣٥٠، الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ج١/٣٢٥، ابن حجر، الإصابة، ج٢/٣٥١).

عنه قد أعاد خالد بن العاص بن هشام على مكة مرة أخرى، ولعل إعادته كانت في الشهور الأخيرة، والتي وقع فيها حصار عثمان رضي الله عنه[1]، ومن المؤكد أن عثمان عزل خالداً -كما أشرنا- في بداية خلافته وكان قد ولاه عمر بن الخطاب، ووردت أسماء العديد من ولاة عثمان بعد عزله، وتؤكد بعض المصادر أن عثمان توفي وخالد على مكة، فقام علي رضي الله عنه بعزله وتولية غيره[2]، وهذه الرواية على ما يبدو أثبت من الروايات التي تذكر أن عبدالله بن الحضرمي هو الوالي على مكة حين قتل عثمان[3].

وتعد الروايات عن مكة في عهد عثمان قليلة جداً سوى ما ذكر من أمر توسعة المسجد الحرام في عهده، وذلك في السنة السادسة والعشرين[4] وقد أمر عثمان بهدم بعض الدور القريبة من المسجد وتوسعته منها، فرفض بعض أهلها ذلك ورفضوا استلام أثمان منازلهم، مما أغضب عثمان رضي الله عنه حتى قال: إنما جرأكم عليّ حلمي عنكم فقد فعل بكم عمر هذا فلم يصح به أحد فاحتذيت على مثاله فصيحتم بي، ثم أمر بهم إلى الحبس حتى كلم فيهم فأطلقهم[5].

وقد تميزت مكة في عهد عثمان بالهدوء المستمر رغم ما ذكر في بعض الأمصار

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/١٤٠.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه ١٧٨.
الفاسي، العقد الثمين، ج٤/٢٦٨.

(٣) ومن هذه الروايات ما ذكره الطبري في تاريخه، ج٥/١٦٥، ابن الأثير الكامل، ج٣/٢٧، النويري، نهاية الأرب، ج٢٠/٢٧.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٣/٨٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/١٥١.

(٥) الأزرقي، أخبار مكة ج٢/٦٨؛ ابن الأثير، الكامل ج٣/٨٧.

من فتنة في أواخر عهد عثمان، ويعلل الأستاذ أحمد السباعي هذا الهدوء بقوله: (وأحسب أن من أهم أسباب الهدوء في مكة أن عمال عثمان عليها كانوا لا يملكون اضطهادهم، بقدر ما يملك غيرهم من الأمصار لاتصال العائلات الكبيرة فيها بأقربائهم من كبار المهاجرين بالمدينة، وسهولة نقل الأخبار والشكاوى بين المدينتين كلما دعت الحاجة إلى نقلها من طريق المترددين من الأقارب)(١).

وهذا الكلام من وجهة نظري فيه اتهام شديد لولاة عثمان، وكأنهم يترصدون الناس ليضطهدوهم، مع أن تقواهم وتورعهم هو الذي كان يمنعهم من ظلم الناس أو اضطهادهم، وليس قرب المكان أو بعده، كما أن في هذا الكلام اتهاماً لبقية ولاة عثمان على الأمصار الأخرى بصفة إجمالية غير دقيقة. ومن المعروف في عصر عثمان وغيره أن بعد المكان لم يمنع أحداً من الوصول إلى الخليفة وتقديم الشكوى ضد الولاة أو غيرهم، فضلاً عن أن مكة تحتل مكانة خاصة لوقوع موسم الحج فيها كل عام، وبالتالي فإن الخليفة في الغالب مقيم فيها أيام الحج ويتولى شؤونها ويقود الحجيج، وفي حال غيابه عن شهود الحج يبعث من يقوم مقامه في الناس أو يعين أمير مكة أميراً على الحج.

المدينة المنورة:

تعد المدينة المنورة من أهم المدن الإسلامية في عهد عثمان، وبها مركز الخلافة، وإليها تفد الوفود من مختلف الأمصار والأجناد الإسلامية، ويقيم بها كثير من

---

(١) أحمد السباعي، تاريخ مكة، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، الطبعة الرابعة، مطبوعات نادي مكة الثقافي، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م - ج١/٧٠.

شيوخ الصحابة المهاجرين والأنصار، وبذلك تكتسب أهمية خاصة، وقد كان عثمان بحكم خلافته مقيماً بها ويتفقد أحوالها حتى إنه كان يسأل عن أسعار المواد الغذائية وعن أخبار الناس[١] ويناقشهم في أمورهم.

وكان عثمان رضي الله عنه إذا سافر إلى الحج يستخلف أحد الصحابة على المدينة حتى يرجع، وكثيراً ما كان يستخلف زيد بن ثابت رضي الله عنه[٢] ، وهو بهذا يسير على سنة الرسول ﷺ وصاحبيه في الاستخلاف على المدينة في حال السفر، وكان في المدينة بيت مال وديوان للأعطيات كغيرها من الأمصار، وتعد المدينة من أكثر الأمصار الإسلامية هدوءاً خلال عصر عثمان سوى ما حدث في أيامه الأخيرة من اضطراب الأحوال فيها بعد وصول جيوش الفتنة وحصار عثمان وخروج بعض كبار الصحابة منها.

البحرين واليمامة:

توفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى البحرين (عثمان بن أبي العاص الثقفي)[٣] فأقره عثمان بن عفان عليها فترة من الوقت. وتدل الروايات على أن عثمان بن أبي العاص كان على ولاية البحرين بعد مبايعة عثمان بثلاث سنين أي

---

(١) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/٩٦١، ٩٦٢.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٧٨.

من الملاحظ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يكثر من استخلاف زيد بن ثابت على المدينة أثناء غيابه، انظر ص ٩٣ من هذا الكتاب.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ٣٨٠، الطبري، تاريخه ج٥/٣١.

سنة ٢٧هـ بدليل مشاركته بجيشه مع جيش البصرة في بعض الفتوح[١]، ويبدو أن التعاون الذي بدأ بين ولاية البحرين وولاية البصرة في عهد عمر أخذ يشتد ويقوى في عهد عثمان، خصوصاً بعد تولية (عبدالله بن عامر بن كريز)[٢] على البصرة، حيث أصبح عامل البحرين أحد القواد التابعين لعبد الله بن عامر والي البصرة، كما أن النصوص التاريخية تفيد تبعية ولاية البحرين للبصرة -إلى حد ما- واندماجها معها بحيث أصبح ابن عامر يعين العمال عليها من قبله[٣].

ويؤكد أحد الباحثين هذا التعاون في قوله: (وفي زمن الخليفة عثمان بن عفان ألحقت البحرين بالبصرة عندما أصبحت الأخيرة قاعدة لفتوح فارس وجنوب إيران، فصار ولاتها تابعين لأمير البصرة، وقد عزّز هذا صلة البصرة بالبحرين ووثقها)[٤].

وقد ذكر من ولاة عثمان على البحرين (مروان بن الحكم)[٥] و(عبدالله بن

---

(١) انظر خليفة بن خياط، تاريخه، ١٥٩، ابن خلدون، تاريخه، ج٢/١٣١.

(٢) عبدالله بن عامر بن كريز: من بني عبد شمس من قريش، ولد بمكة في السنة الرابعة للهجرة، حنّكه الرسول ﷺ في عمرة القضاء وتفل في فيه فتلمظ فدعا له الرسول ﷺ، ولي البصرة لعثمان واشتهر بفتوحه في المشرق توفي في خلافة معاوية (ابن سعد الطبقات، ج٥/٤٤، ابن قتيبة، المعارف، ١٤٠).

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٨٠.

(٤) عبدالرحمن النحم، البحرين في صدر الإسلام، ١٤١.

(٥) مروان بن الحكم بن أبي العاص من بني عبد شمس ولد زَمن النبي ﷺ، روى عن عمر وعثمان وغيرهم من الصحابة كان كاتب عثمان بن عفان تولى الخلافة الأموية ثم تولى أبناؤه من بعده حين توفي في سنة ٦٥هـ (الزبيري مصعب بن عبدالله، نسب قريش، تصحيح ليفي بروفنسال، القاهرة، ٦٥٩، ١٦٠، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج٣/٤٧٨).

سوار العبدي)[١]، وقد توفي عثمان وعبدالله على البحرين[٢]، وقد كان للبحرين في أيام عثمان دور كبير في بعث الأجناد لفتوح شرق فارس، كما كان لواليها عثمان بن أبي العاص دور كبير في تلك الفتوح[٣]، وما ورد من نصوص تاريخية عن البحرين في خلافة عثمان يدور في الغالب حول هذا الأمر، وتكاد تندر النصوص التفصيلية عن البحرين خلال تلك الفترة، سوى ما ذكر من اشتراك بعض الأفراد المنتمين إلى قبائل البحرين خصوصاً من هاجر منهم إلى البصرة في أحداث الفتنة وفي مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه[٤]، أما الأوضاع في داخل البحرين فيبدو أنها كانت مستقرة حتى وفاة عثمان رضي الله عنه.

أما اليمامة فقد كانت في عهد عمر رضي الله عنه تابعة لولاية البحرين وعمان إلى حد كبير، بل إن والي البحرين هو الذي كان يبعث عليها الأمراء أحياناً، أما في عهد عثمان رضي الله عنه فالذي يبدو أن اليمامة كان عليها والياً من قبل عثمان مباشرة، وقد ورد ذكره في أحداث الفتنة بعد مقتل عثمان مباشرة، إذ وصلته بعض الكتب في تلك الفترة ممن غضبوا لمقتل عثمان[٥].

---

(١) عبدالله بن سوار العبدي: أحد قواد عبدالله بن عامر بن كريز، وقد اشترك معه في العديد من المعارك والفتوح في المشرق، ولعله هو عبدالله بن سوار الذي ذكره ابن حجر ضمن عمال النبي ﷺ على البحرين (ابن سعد، الطبقات ج٥/٤٦، ابن حجر، الإصابة ج٣/٩٢).

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٨٠، ابن خلدون، العبر، ج٢/١٥١).

(٣) انظر محمد بن ناصر الملحم، البحرين في القرن الأول الهجري، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم التاريخ والحضارة بكلية العلوم الاجتماعية بالرياض للعام الجامعي ١٤٠٤ - ١٤٠٥هـ، ص ١٩٤.

(٤) المرجع السابق ٢٠٩.

(٥) الطبري، تاريخه ٥/١٨١، وقد ذكر الطبري أن اسمه سَبْرَة بن عمرو العنبري، و لم أقف له على ترجمة.

اليمن وحضرموت:

لم تكن الولاية في اليمن وحضرموت طوال عهد الخلفاء الراشدين مركزة في مكان واحد، بل وجدت ولايات متعددة يقيم في كل واحدة منها عامل مختص بإقليمه، وكان ذلك امتداداً لما كانت عليه أيام الرسول ﷺ، حيث بعث الرسول ﷺ إلى اليمن وحضرموت ما يقرب من عشرة عمال أو أكثر[(١)].

وقد توفي عمر رضي الله عنه وعامله على اليمن (يعلي بن مُنيَّة) وكان في طريقه إلى المدينة بناء على طلب عمر إذ جاءه كتاب يخبره بوفاة عمر وبيعة عثمان واستعمال عثمان له على صنعاء، فاستمر على صنعاء إلى وفاة عثمان رضي الله عنه[(٢)].

وكان على مدينة الجَنَد (عبدالله بن أبي ربيعة) الذي استمر والياً عليها طيلة عهد عثمان رضي الله عنه[(٣)].

ويبدو أن هناك ولاة آخرين كانوا على بقية مدن اليمن ولكن المصادر الرئيسة ركزت على هذين الواليين في الغالب، كما أن المصادر لم تفصل القول في أحداث اليمن خلال عصر عثمان، كما يقل إيرادها للمراسلات بين عثمان وولاته في اليمن سوى ما ذكر من أوامر عامة مرسلة لكافة الولاة[(٤)].

---

(١) راضي دغفوس، اليمن في عهد الولاة، بحث منشور في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الجامعة التونسية، العدد ١٠٧ - ١٠٨ المجلد ٢٥ لعام ١٩٧٩م، ص ٤٩.

(٢) الخزرجي، أبو الحسن، الكفاية والإعلام، مخطوط مصوّر ميكروفلم معهد المخطوطات العربية، القاهرة رقم ٧٣٦ تاريخ، ١٤، وراضي دغنوس، اليمن في عهد الولاة، ٦٠.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٧٩، الطبري تاريخه، ج٥/١٤٨، الخزرجي، المصدر السابق ورقة ١٤.

(٤) انظر، محمد بن علي الأكوع الحولي، الوثائق السياسية اليمنية قبيل الإسلام حتى سنة ٣٣٢هـ، ط١ دار الحرية بغداد ١٣٩٦ - ١٩٧٦، ص ١٨٧، ١٨٨.

وقد اشتهر عن أهل اليمن خلال عصر عثمان طاعتهم وانقيادهم لولاتهم؛ يدل على ذلك ما روي من أن عثمان رضي الله عنه بعث رجلاً ثقفياً إلى اليمن فلما عاد سأله عثمان عن أهلها، فقال: (رأيت قوماً ما سئلوا أعطو حقاً كان أو باطلاً)[١].

ومن المعروف أن العديد من القبائل اليمنية هاجرت خلال الفتوح في أيام عمر ابن الخطاب إلى الأمصار الإسلامية الجديدة سواء في العراق أو مصر أو الشام، وبالتالي فإن صلات اليمن وأهلها بهذه الأمصار كانت مستمرة، كما أن الهجرات -ولو بشكل فردي من اليمن إلى بقية هذه الأمصار- لم تتوقف طيلة عهد عثمان، حيث نجد لأناس من يهود اليمن دوراً خطيراً في أحداث الفتنة التي قامت أواخر عهد عثمان، واستشهد فيها عثمان رضي الله عنه، وعلى رأس هؤلاء الوالغين في الفتنة (عبدالله بن سبأ)[٢] الذي تظاهر بالإسلام، وأخذ يجول في الأمصار الإسلامية ويبذر فيها شرور الفتنة[٣].

وبعد مقتل عثمان رضي الله عنه ترك اليمن عدد من ولاتها، وقدموا إلى الحجاز للمشاركة فيما يجري من أحداث، ومنهم يعلي بن منية وعبدالله بن أبي ربيعة[٤].

وهكذا فقد وجدت العديد من الولايات داخل الجزيرة العربية، إلا أنها تفاوتت

---

(١) حسن سليمان محمود، تاريخ اليمن السياسي في العصر الإسلامي، الطبعة الأولى، بغداد ١٩٦٩م، ص ٧٩.

(٢) عبدالله بن سبأ، أصله من اليمن كان يهودياً من أمة سوداء فأظهر الإسلام وطاف ببلاد المسلمين ليبعدهم عن طاعة أمرائهم ويلقي بينهم الفتنة، وإليه تنسب السبئية، وهم أول الرافضة وقد خالف علياً رضي الله عنه، فنفاه إلى المدائن (بدران، تهذيب تاريخ دمشق ج٧/٤٣١).

(٣) انظر: رسالة ماجستير للدكتور سليمان بن حمد العودة بعنوان عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة، وقد طبعته دار طيبة بالرياض عام ١٤٠٥هـ، انظر ص ٣٩ من الكتاب.

(٤) الطبري، تاريخه، ج٥/١٦٦.

اليماني: تاج الدين عبدالباقي بن عبدالمجيد، تاريخ النحف المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن تحقيق مصطفى حجازي، مطبعة مخيمر القاهرة ١٩٦٥م، ص ١٥.

فيما بينها في الأهمية، فلا مقارنة مثلاً بين اليمامة والبحرين ومكة والمدينة؛ إذ يفاوت الثقل السياسي والبشري والمعنوي لهذه الولايات الأخيرة، وبناءاً على ذلك وقعت أحداث مختلفة في كل من هذه الولايات خلال عهد عثمان واختلفت مواقف سكانها من الخليفة عثمان، في أواخر خلافته.

ولاية الشام:

يتبادر إلى الذهن حين نتحدث عن ولاية الشام أيام الخليفة عثمان رضي الله عنه اسم (معاوية بن أبي سفيان) رضي الله عنه، ولعلنا نذكر أن أول من ولّى معاوية على بعض جيوش الشام هو أبوبكر الصديق رضي الله عنه، ثم في خلافة عمر تولى بعض مناطق الشام، وفي أواخر عهد عمر كان يتولى معظم الشام[١]، حيث ضمت إليه بعض المناطق لظروف خاصة لمقتضيات الأحداث. وحينما جاء عثمان إلى الخلافة، كان معاوية رضي الله عنه -كما ذكرنا- والياً على معظم الشام فأقره عثمان عليها[٢]، كما أقر بعض الولاة الآخرين على ولايتهم كاليمن والبحرين ومصر وغيرها من الولايات.

وقد تطورت الأحداث وضمت إلى معاوية بعض المناطق الأخرى حتى أصبح معاوية هو الوالي المطلق لبلاد الشام، بل أصبح أقوى ولاة عثمان، وأشدهم نفوذاً، ولعلنا نذكر هنا أنه في بداية خلافة عثمان كان هناك ولاة آخرون؛ منهم (عمير بن سعد الأنصاري) وكان على حمص، وينافس معاوية بن أبي سفيان في المكانة

---

(١) انظر ص ١٢٥، ١٤١ من هذا الكتاب.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٥٥.

لدى عثمان رضي الله عنه، إلا أن عميراً مرض مرضاً أعياه عن القيام بأعباء الولاية، فطلب من الخليفة عثمان أن يعفيه، فأعفاه وضم ولايته إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه[١] وبذلك زاد نفوذ معاوية فامتد إلى حمص التي ولى عليها من قبله (عبدالرحمن بن خالد بن الوليد)[٢].

كما توفي (علقمة بن محرز)، وكان على فسلطين فضم عثمان ولايته إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه[٣] فاجتمعت الشام لمعاوية بعد سنتين من خلافة عثمان رضي الله عنه، وأصبح الوالي المطلق فيها طيلة السنوات الباقية من خلافة عثمان حتى توفي عثمان وهو عليها كما هو معروف.

وقد كانت فترة ولاية معاوية على الشام مليئة بالأحداث، حيث كانت الشام من أهم مناطق الجهاد، ومع أن الشام في داخلها قد استقرت أوضاعها وسادها الإسلام وقلت محاولات الروم لإثارة القلاقل فيها، إلا أن الشام كانت متاخمة لأرض الروم، وبالتالي كان المجال مفتوحاً أمام معاوية للجهاد في تلك النواحي،

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ١٨٨، الطبري، تاريخه، ج٥/٦٩.

(٢) عبدالرحمن بن خالد بن الوليد: كان غلاماً على عهد رسول الله ﷺ ثم أصبح من فرسان قريش وفضلائها. اشترك مع معاوية في صفين وغيرها وكان من أمراء معاوية، وتوفي في خلافته "ابن قدامة، ا لتبيين في أنساب القرشيين، ٣٠٩، ابن حجر، الإصابة، ج٣/٦٧".

(٣) انظر ما كتبه ابن العربي، في العواصم من القواصم، بتحقيق محب الدين الخطيب والذي له تعليقات جيدة حول هذا الموضوع في ص ٨١، ٨٢، ٨٣.

وكذلك ما كتبه، صادق إبراهيم عرجون في كتابه عثمان بن عفان: ط١ القاهرة ١٣٦١هـ في ص ٢١٢ و ٢١٣ وكذلك ما كتبه راضي عبدالله عبدالرحيم في رسالته: النظام الإداري والحربي ... ص ٨٦.

وقد كانت الشام أيام عثمان تقوم بأعمال جهادية تقليدية إضافة إلى أعمال جهادية بحرية تعد جديدة في حينها على المسلمين.

ومن أهم أعمال معاوية الجهادية غزوة (قبرص)[١] وهي أول غزوة بحرية إسلامية. يقول البلاذري: (غزا معاوية بن أبي سفيان في البحر غزوة قبرس الأولى، ولم يركب المسلمون بحر الروم قبلها، وكان معاوية استأذن عمر في غزو البحر فلم يأذن له، فلما ولي عثمان بن عفان كتب إليه يستأذنه في غزوة قبرص ويعلمه قربها وسهولة الأمر فيها، فكتب إليه: إني قد شهدت ما رد عليك عمر -رحمه الله- حين استأمرته في غزو البحر. فلما دخلت سنة سبع وعشرين كتب إليه يهون عليه ركوب البحر إلى قبرس فكتب إليه عثمان: فإن ركبت البحر ومعك امرأتك فاركبه مأذوناً لك وإلا فلا، فركب البحر من عكا ومعه مراكب كثيرة وحمل امرأته)[٢] وهذه الغزوة كانت سنة ٢٧ أو ٢٨هـ[٣].

وهذا النص يعطينا دلالة قوية على المفاوضات التي كانت تجري بين معاوية وعثمان رضي الله عنه في شؤون الجهاد وغيرها. وقد تمكن معاوية من فتح قبرص

---

(١) (قُبْرُص) أو قبرس كما كانت تسمى، جزيرة في شرقي البحر الأبيض المتوسط، وهي مشهورة وبها دولة يتقاسمها الأتراك المسلمون واليونان النصارى حالياً (ياقوت الحموي، معجم البلدان ج٤/٣٠٥، صلاح الدين، المنجد، معجم أماكن الفتوح، ٧٠).

(٢) فتوح البلدان، ١٥٧، (واصطحاب معاوية لامرأته، لمزيد من الاطمئنان من عثمان على أرواح المسلمين).

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه ١٦٠، وذكرها في حوادث سنة ٢٨هـ.

الذهبي، العبر، ج١/٢١، وذكرها في حوادث سنة ٢٧هـ، وليس لدينا ما يرجح إحدى السنتين.

بصفة نهائية سنة ٣٢هـ ونقل إليها مجموعة من المسلمين قدر عددهم باثني عشر ألف مسلم بنوا فيها المساجد ونشروا فيها الإسلام[١].

وفي أثناء ولاية عثمان كان معاوية يبعث الصوائف إلى أرض الروم في كل عام ويولي عليها القواد والأمراء من قبله[٢] فتقوم بالجهاد والفتح ونشر الإسلام في بلاد الروم.

وقد قام معاوية بالغزو بنفسه حتى وصل في سنة ٣٢هـ إلى مضائق القسطنطينية[٣] عاصمة الروم، وهذا يعطينا دلالة قوية على مقدار قوة جيش الشام الذي استطاع أن يقطع أرض الروم في آسيا الصغرى - (تركيا حالياً)- حتى وصل إلى القسطنطينية نفسها والتقى مع جيشها.

وقد كان لمعاوية دور كبير في فتح بلاد (أرمينية)[٤] فقد ذكرت بعض الروايات أن معاوية هو الذي وجه (حبيب بن مسلمة الفهري) بجيش من أهل الشام لفتح أرمينية[٥]، كما اشتركت جيوش أخرى في فتحها، وكان معظم أجنادها من أهل الشام.

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ١٥.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٨٠.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه ١٦٧، الذهبي، العبر ٢٤/١.

(٤) أرمينية: بكسر أوله وفتحه إقليم كبير يقع بين بحر الخزر - البحر الأسود - شرقاً ووادي الفرات غرباً وهو مقسم حالياً بين ثلاث دول: إيران وتركيا والاتحاد السوفيتي. (ياقوت الحموي معجم البلدان ج١٥٩/١، صلاح الدين المنجد، معجم أماكن الفتوح ص ١١).

(٥) خليفة بن خياط، تاريخه ١٦٣، البلاذري فتوح البلدان، ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج١٠٨/٢، قدمة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ٣١٦.

وتعد ولاية الشام في أيام عثمان ولاية واسعة، وبالتالي فقد كانت بحاجة إلى تولية عدد من الأمراء في بعض المناطق حيث يساعدون على إدارتها والقيام بشؤونها.

ومن أهم عمال معاوية على مناطق الشام (حبيب بن مسلمة) على (قنسرين) و(عبدالرحمن بن خالد بن الوليد) على حمص وشمال الشام و (أبو الأعور بن سفيان)[١] على الأردن و(عبدالله بن قيس الفزاري)[٢] على نواحي البحر، كما كان على القضاء أبو الدرداء رضي الله عنه[٣].

وكان لمعاوية ثقله السياسي في الدولة الإسلامية أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه، إذ كان ضمن الولاة الذين جمعهم عثمان ليستشيرهم حين بدأت ملامح الفتنة تلوح في الأفق، كما ظهرت له آراء خاصة في هذا الاجتماع وجهها إلى عثمان وإلى شيوخ الصحابة[٤]، بل كانت له آراء وجهها إلى الناس جميعاً بإذن من عثمان في موسم الحج[٥].

---

(١) أبو الأعور بن سفيان، ويسمى عمرو بن سفيان السلمي، واشتهر بكنية (أبو الأعور السلمي)، أدرك الجاهلية واختلف في صحبته، شهد فتوح الشام واشتهر في فتح بعض مواقعها أيام عمر، حارب مع معاوية في صفين، أدرك خلافة مروان بن الحكم.
ابن حجر، الإصابة، ج٢/٥٤١.

(٢) عبدالله بن قيس الفزاري: يكنى أبا بحريه وهو من كبار التابعين، شهد خطبة عمر بالجابية، له رواية عن كثير من الصحابة، اشتهر بفقهه وورعه، مات في خلافة الوليد بن عبدالملك. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤/٥٩٤.

(٣) الطبري، تاريخه ٥/١٤٨.

(٤) عمر بن شبة، تاريخ المدينة ٣/١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٣، ابن الأثير الكامل ج٣/١٤٩.

(٥) عمر بن شبة، تاريخ المدينة ٣/١٠٩١.

أرمينية:

بدأت الجيوش الإسلامية بالتوجه إلى أرمينية لأول مرة في عصر الخليفة عثمان ابن عفان رضي الله عنه، حيث توجه أول جيش إسلامي إلى تلك المنطقة من بلاد الشام -وهي من أقرب الولايات إليها- يقوده حبيب بن مسلمة الفهري، وقوامة حوالي ثمانية آلاف مقاتل، واستطاع هذا الجيش أن يفتح العديد من المواقع في أرمينية[١]، إلا أنه أحسّ بالخطر نتيجة تجمع حشود من الروم لمساعدة الأرمن في حروبهم ضد المسلمين، فطلب المساعدة من الخليفة الذي أمر بتسيير جيش من الكوفة قوامه ستة آلاف رجل تقريباً، يقوده (سلمان بن ربيعة الباهلي)[٢]. وقد حدث نزاع بعد ذلك بين حبيب بن مسلمة وسلمان بن ربيعة، وقف الخليفة عثمان عليه، فقام بالكتابة إلى القوم وحل المشلكة التي بينهما[٣]، ويبدو أن سلمان بن ربيعة تولى قيادة الجيوش الإسلامية حيث كتب إليه عثمان بإمرته على أرمينية، ثم توغل سلمان بن ربيعة في أرمينية[٤] ثم في بلاد (الخزر)[٥] فاتحاً ومنتصراً حتى وقعت معركة حامية بين جيشه وقوامه عشرة آلاف رجل وجيش ملك الخزر

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ٢٠١، ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٢/١٠٨.

(٢) سلمان بن ربيعة: ابن يزيد بن عمرو بن سهم بن غنم له رواية عن عمر بن الخطاب ولاه عمر قضاء البصرة، اشتهر بغزواته في خلافة عثمان واستشهد في إحدى تلك الغزوات في خلافة عثمان رضي الله عنه (ابن سعد، الطبقات، ج٦/١٣١).

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ٢٠١.

ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٢/١١١، قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ٣٢٦.

(٤) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٦٣، اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٦٢، ابن أعثم، الفتوح، ج٢/١١٢.

(٥) الخَزَر: من بلاد الترك في آسيا الوسطى، وهي الآن في جنوب الاتحاد السوفيتي. (ياقوت الحموي، معجم البلدان ج ٣٦٧، صلاح الدين المنجد، معجم أماكن الفتوح ٤٤).

وقوامه ثلاثمائة ألف -كما تقول الروايات- فقتل سلمان وجميع جنوده في سنة ٢٩هـ[١]. وقد كتب عثمان رضي الله عنه إلى (حبيب بن مسلمة) أن يسير مرة أخرى إلى بلاد أرمينية فاتحه بجيشه، وقام بفتح المواقع مرة أخرى وثبت أقدام المسلمين فيها، وعقد بعض المعاهدات مع أهل البلاد[٢]، ثم رأى عثمان رضي الله عنه أن يوجهه إلى ثغور الجزيرة لخبرته بها وقدرته عليها، وعين مكانه على أرمينية (حذيفة بن اليمان) بالإضافة لولايته[٣] على أذربيجان حيث قام بعدة غزوات نحو بلاد الخزر[٤] من أرمينية.

وبعد ما يقرب من سنة عزله عثمان وولى على أرمينية المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، فاستمر والياً عليها من قبل عثمان رضي الله عنه حتى توفي عثمان وهو عليها وعلى أذربيجان في الوقت نفسه[٥].

وقد دخلت مناطق أرمينية لأول مرة في الدولة الإسلامية في خلافة عثمان، واختلفت الروايات حول تاريخ فتحها[٦].

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٦٣، البلاذري، فتوح البلدان ٢٠٦، اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٦٢، ابن أعثم، الفتوح، ج٢/١١٣.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٦٣، البلاذري، فتوح البلدان، ٢٠٤، ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ٢/١١٤، قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ٣٢٨.

(٣) اليعقوبي، تاريخه ج٢/١٦٨.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٣/١١١.

(٥) اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٦٨.
ابن أعثم، الفتوح، ج٢/١١٦، ابن الأثير، الكامل، ج٣/١٨٦.

(٦) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٦٣، وقد جعلها سنة ٢٩هـ.
البلاذري، فتوح البلدان، ٢٠١ وقد جعلها سنة ٢٥هـ
ابن الأثير، الكامل، ج٣/٨٣، وقد جعلها سنة ٢٥هـ.
ولعل بداية البعوث إلى أرمينية كانة سنة ٢٥هـ واستكمال فتحها واستقرارها تحت لواء الدولة الإسلامية كان سنة ٢٩هـ.

وتعد هذه الولاية إضافة جديدة أضافها عثمان إلى الدولة الإسلامية و لم تكن فتحت قبله، وقد لقي المسلمون عناءً شديداً في فتحها وتنظيمها وضبط أمورها.

ولاية مصر:

كان والي مصر في خلافة عمر بن الخطاب هو عمرو بن العاص الذي حكمها ما يقرب من أربع سنوات[١] وتوفي عمر وهو وال عليها، وقد أقره عثمان بن عفان في بداية خلافته فترة من الوقت، وكان يساعده في عمله في بعض نواحي مصر (عبدالله بن سعد بن أبي السرح)[٢] الذي كان مصاحباً لعمرو بن العاص منذ أيام فتوحه في فلسطين حيث كان ضمن قــواده، واشترك معه في فتوح مصر[٣]، وقد عينه عمر على بعض صعيد مصر بعد فتحها[٤]. ويبدو أن عمرو بن العاص وعبدالله بن سعد بن أبي السرح حدث بينهما خلاف في وجهات النظر، فوفد عمرو بن العاص على عثمان بعد مبايعته بالخلافة، وطلب منه عزل عبدالله بن سعد عن ولاية الصعيد، فرفض عثمان ذلك وذكر له أن عمر هو الذي ولى ابن أبي السرح، وأنه لم يأت بما يوجب العزل، فأصر عمرو على عزله، وأصر عثمان على عدم موافقته. ونتيجة لإصرار كل من الطرفين على رأيه، رأى عثمان

---

(١) ابن تغردي بردي، النجوم الزاهرة، ج١/٧٧.

(٢) عبدالله بن سعد بن أبي السرح: القرشي العامري، أسلم وهاجر إلى المدينة ثم ارتد وأهدر رسول الله ﷺ دمه ثم عفا عنه يوم الفتح، وروى بعد ذلك عن النبي ﷺ وحسن إسلامه، اشترك في فتوح الشام ومصر وولاه عمر على بعض نواحي مصر، ثم ولاه عثمان عليها، توفي سنة ٣٦ هـــ بفلسطين (الذهبي، سير أعلام النبلاء ج١/٣٣، بدران، تهذيب تاريخ دمشق ج٧/٤٣٥).

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء ج٣/٣٣، المقريزي، الخطط، ج١/٢٨٩.

(٤) ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ١٧٣، الكندي، ولاة مصر ٣٣.

أن من الأصلح عزل عمرو نفسه عن مصر وتولية عبدالله بن أبي السرح مكانه، وهذا ما حدث بالفعل[١]. وفي هذه الظروف قام الروم بالإغارة على الإسكندرية والاستيلاء عليها سنة ٢٥هـ وقتلوا جميع من فيها من المسلمين سوى من هرب منهم، فطلب الأقباط من أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه أن يرد عمرو على أجناد مصر لطرد الروم من الإسكندرية، فعين عثمان عمراً على ولاية الإسكندرية، ووجهه بالأجناد لحرب الروم فقاتلهم واستطاع تطهير الإسكندرية منهم وهدم أسوارها حتى لا يتمكن الروم من تحصين أنفسهم فيها في حالة استيلائهم عليها مرة أخرى، وقد عامل عمرو أهل القرى الذين لم يشتركوا في حرب المسلمين معاملة طيبة، وأعاد إليهم أموالهم التي استولى عليها الروم، واستعادها المسلمون منهم[٢].

ثم إن عثمان أراد أن يعيد عمراً على ولاية أجناد مصر وحربها وأن يجعل عبدالله بن سعد على الخراج، إلا أن عمراً رفض ذلك، وقال: أنا كماسك البقرة بقرنيها وآخر يحلبها، فجمع عثمان الصلاة والخراج لعبدالله بن[٣] سعد[٤]. وتكاد الأخبار تندر عن ولاية عمرو في مصر خلال عهد عثمان رضي الله عنه سوى ما

---

(١) ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ١٧٣، ١٧٤، البلاذري، فتوح البلدان، ٢٢٥، الكندي، ولاة مصر، ٣٤.

(٢) ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ١٧٥، المقريزي، ج١/٢٩٩.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ٢٢٥، الكندي، ولاة مصر، ٣٣؛ المقريزي، الخطط ج١/٢٩٩، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج١/١٥٥.

(٤) من الملاحظ أن هناك اضطراباً واضحاً في المصادر التاريخية حول قضية عزل عمرو بن العاص عن مصر وهل هو مرة واحدة، أو مرتان في خلافة عثمان، ومعظم المصادر لم تشر إلى ذلك، وإنما خلطت الأحداث فذكرت عزله بعد تولية عثمان مباشرة ثم ذكرت حربه للروم في الإسكندرية سنة ٢٥هـ، ثم ذكرت عزله سنة ٢٧هـ، ومن الذين أجادوا في عرض القضية بوضوح: البلاذري، فتوح البلدان ص ٢٢٥، والمقريزي في خططه، ج١/٢٩٩.

ورد من دوره في الجهاد، سواء في رد الروم وطردهم عن الإسكندرية وتثبيت الأمن في أنحاء مصر، أم في قضايا الخراج التي دارت فيها بين عثمان وبين عمرو وخلافات في الرأي فيها[١]. كما أننا نجد عدداً من النصوص التي ترد حول مقدار خراج مصر في ولاية عمرو أثناء خلافة عثمان[٢].

ولاية عبدالله بن أبي السرح:

بعد عزو عمرو بن العاص عن مصر مرة أخرى أو عن ولاية الإسكندرية على أرجح الآراء، وبعد رفضه ما اقترحه عثمان رضي الله عنه من ولايته على الأجناد وولاية ابن أبي السرح على الخراج، أقر عثمان عبدالله بن أبي السرح مرة أخرى على مصر، وأصبح هو الوالي الرسمي لمصر، والمدير الفعلي لولاية مصر بأجنادها وخراجها ومختلف شؤونها، وقد درج المؤرخون - في الغالب- إذا ذكروا اسم عبدالله بن أبي السرح وتولية عثمان له على ولاية مصر على أن يقولوا: لقد ولى عثمان على مصر عبدالله بن أبي السرح أخاه من الرضاعة[٣] وإيراد عبارة (أخيه من الرضاعة) مقرونة بالتولية تعد إيحاء من المؤرخين باتهام عثمان رضي الله عنه، وأنه لهذه الأخوة من الرضاعة ولاه على مصر. ونحن لا نرى هذا الذي يراه المؤرخون، ولكي نرد على هؤلاء وعلى ما يغمزون به أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه نستعرض جهود عبدالله بن سعد في مصر، وجهاده في نواحيها المختلفة أثناء ولايته.

من الجدير بالذكر أن عبدالله بن سعد كان على خبرة ودراية تامة بأحوال

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ٢١٧.

(٢) انظر ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ١٦١.

(٣) انظر ابن الأثير، الكامل، ج٣/٨٨.

مصر ونواحيها نتيجة اشتراكه مع جيش عمرو في فتحها، ونتيجة ولايته على بعض النواحي أثناء خلافة عمر، وكذلك أول خلافة عثمان، مما أهّله لأن يصبح والياً عاماً على مصر، فكان أقوى المرشحين لتلك الولاية بعد عمرو بن العاص نتيجة تلك الخبرات، ويبدو أن عبدالله بن سعد تمكن من ضبط خراج مصر حتى زاد ما كان يجمعه من الخراج على ما كان يجمعه عمرو بن العاص قبله.

ولعل مرد ذلك إلى اتباع عبدالله بن سعد لسياسة جديدة في المصروفات اختلفت عن سياسة عمرو، وبالتالي زادت أموال الخراج المتوفرة في مصر، مما لفت انتباه الخليفة عثمان إلى هذا الفرق فوجه نوعاً من العتاب إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه(١).

وقد قام عبدالله بن سعد أثناء ولايته بالجهاد في عدة مواقع، فكانت له فتوح مختلفة لها شأن عظيم، فكان من غزواته غزو أفريقية سنة ٢٧هـ وفتوحه فيها، وقتله ملكها جرجير وكان يصاحبه في تلك الغزوات مجموعة من الصحابة؛ منهم عبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمر وعبدالله بن عمرو بن العاص وغيرهم، وانتهت الغزوة بصلح مع بطريق أفريقية على تأدية الجزية للمسلمين(٢) وقد عاد ابن أبي السرح إلى أفريقية مرة أخرى ووطد فيها الإسلام، وذلك في سنة ٣٣هـ(٣)، كما كان من أهم أعمال عبدالله بن سعد بن أبي السرح غزوه لبلاد النوبة، وتسمى

---

(١) ابن الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ١٦١؛ البلاذري، فتوح البلدان، ٢١٧.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٥٩، ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها ١٨٣، البلاذري، فتوح البلدان، ٢٢٧، ٢٢٨، الطبري، تاريخه ج٥/٤٧، قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ٣٤٤.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١/٨٠.

غزوة الأساودة أو غزوة الحبشة عند بعض المؤرخين، وقد وقعت هذه الغزوة سنة إحدى وثلاثين للهجرة، وقد دار قتال شديد بين أجناد المسلمين وجنود النوبة وأصيب بمجموعة من المسلمين نظراً لإجادة أهالي النوبة للرمي، وقد انتهت الغزوة بصلح وقعه عبدالله بن سعد مع أهالي النوبة بوضع جزية محددة عليهم[١]. ويعد عبدالله بن سعد بحق أول قائد مسلم تمكن من اقتحام النوبة، وقاتل أهلها وفرض عليهم الجزية، واستقرت الحال على ذلك في أيامه بين أهل النوبة وبين المسلمين.

كذلك كان من أهم أعمال عبدالله بن سعد العسكرية غزوة (ذات الصواري)، وهي غزوة بحرية قادها عبدالله بن سعد لقتال ملك الروم في البحر، وقد التقت مراكب المسلمين مع مراكب الروم ووقع بينهم قتال شديد انتهى بهزيمة الروم هزيمة منكرة وانتصار المسلمين انتصاراً عظيماً، وهي من أولى الغزوات الإسلامية في البحر وقد انتصر فيها المسلمون رغم أن عدوهم كان أحسن منهم خبرة وأقوى سفناً، واختلف في تأريخ هذه الوقعة؛ فقيل: سنة ٣٤ وقيل ٣٥[٢] وهو الأرجح. وقد كان استعداد المسلمين لهذه الغزوة استعداداً دقيقاً ومنظماً، واحتاج إلى عناية خاصة بالسفن، ورغم أنهم لم تكن لديهم خبرة كافية في هذا المجال، إلا أنهم -كما يبدو- استعانوا بالأقباط في مصر في بناء السفن وتسييرها كما تدل على ذلك النصوص[٣]، وقد ظهرت بوادر النقمة على عثمان وعلى واليه عبدالله

(١) ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ١٨٨، البلاذري، فتوح البلدان، ٢٣٩؛ الطبري، تاريخه، ج٤/٢٣٠؛ قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ٣٥٢.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٦٨، ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها ١٩٠، ابن أعثم الكوفي، الفتوح ج٢/١٢٨، الكندي، ولاة مصر، ٣٦، الذهبي، العبر، ج١/٢٥.

(٣) انظر عمر بن شبة، تاريخ المدينة ج٣/١١١٨.

ابن الأثير، الكامل، ج٣/١١٨، ابن كثير، البداية والنهاية ج٧/١٥٨.

ابن سعد من بعض أصحاب الفتن خلال هذه الغزوة[١] وعلى رأسهم (محمد بن أبي حذيفة)[٢].

والجدير بالذكر أن الأخبار عن مصر خلال أيام عبدالله بن سعد قليلة إلى حد ما، سوى ما ذكرناه من جهود عسكرية، يضاف إلى ذلك بعض الحوادث البسيطة، منها قيام ابن سعد بتغيير المصلى الذي كان قد اختاره عمرو بن العاص إلى مكان آخر رأى أنه أفضل منه[٣].

كما ورد ذكر لقاضي مصر (عثمان بن قيس بن أبي العاص)[٤] أيام ولاية عبدالله بن سعد، حيث كان عبدالله يرفع القضايا والشكايات إليه فينظر فيها[٥]، وقد كان قاضياً في مصر منذ أيام عمر بن الخطاب حيث أمر عمرو بن العاص بتعيينه على القضاء[٦].

وقد كان عبدالله بن سعد حين يسافر خارج مصر يقوم بتعيين من ينوب عنه

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/٧، ابن الأثير، الكامل، ج٣/١١٨.

(٢) محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس القرشي، ولد بالحبشة وكان أبوه حذيفة ابن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس قديم الإسلام في مكة، وهاجر إلى الحبشة وقد استشهد والده في اليمامة فتولى عثمان رعايته والنفقة عليه وكان ممن حرض على عثمان واستولى على مصر وسيَّر فيها جيشاً لقتل عثمان (ابن سعد، الطبقات ج٣/٨٤، الفاسي العقد الثمين ج١/٤٥٤).

(٣) الكندي، ولاة مصر، ٣٧.

(٤) عثمان بن قيس بن أبي العاص: لم أقف له على ترجمة سوى ما ذكرته هنا من توليه القضاء زمن الخليفة عمر.

(٥) الكندي، الولاة والقضاة، ٣٠٢، ٣٠٣.

(٦) ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ٢٣٠.

في القيام بشؤون الولاية وكان يخصص نائباً على الخراج ونائباً على الجند[١] وقد كانت فترة ولاية عبدالله بن سعد على مصر محمودة على العموم لدى المصريين ولم يروا منه ما يكرهون، يقول عنه المقريزي: (ومكث أميراً مدة ولاية عثمان رضي الله عنه كلها محموداً في ولايته)[٢].

وذكر الذهبي قريباً من هذه العبارة مادحاً لعبدالله بن سعد سيرته[٣]. وكل هذا يؤكد أن اختيار عثمان رضي الله عنه لابن أبي السرح والياً على مصر كان اختياراً موضوعياً بالدرجة الأولى.

وفي أواخر ولاية عبدالله بن سعد على مصر بدأت علامات الفتنة تظهر في مصر وانتشرت بين الناس الإشاعات الباطلة التي تدعو للثورة على عثمان، وكان وراءها أناس من أصحاب الفتنة حركهم عبدالله بن سبأ اليهودي، وكان لعبدالله ابن سعد دور رئيس في مقاومة بوادر الفتنة ومحاولة تهدئة الأوضاع، وقد كتب عبد الله بن سعد إلى عثمان فيما كان يفعله محمد بن أبي حذيفة وأصحابه. ومن قوله في ذلك: (إن محمداً قد أفسد عليّ البلاد)-هو ومحمد بن أبي بكر-[٤] فكتب إليه: "أما ابن أبي بكر، فإنه يوهب لأبيه ولعائشة، وأما ابن أبي حذيفة فإنه ابني

---

(١) المقريزي، الخطط، ج١/٢٠٠.

(٢) الخطط ج١/٢٩٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ج٣/٣٤.

(٤) محمد بن أبي بكر الصديق: ولد في حجة الوداع سكن مصر بعد فتحها وكان من الناقمين على عثمان وصحب جيش الثوار من مصر إلى المدينة، ولاه (علي) مصر ثم قتل على يد جيش الشام سنة ٣٧هـ (ابن قدامة، التبيين في أنساب القرشيين، ٢٧٨، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٤٨١).

وابن أخي وتربيتي وهو فرخ قريش" فكتب إليه: "إن هذا الفرخ قد استوى ريشه ولم يبق إلا أن يطير"[١].

وهذه المراسلات التي دارت بين عثمان وعبدالله بن سعد تكشف لنا عن مدى المتابعة الدقيقة من قبل عبدالله بن سعد لأحوال ولايته، واكتشافه لإرهاصات الفتنة، ومحاولته التعاون مع الخليفة للقضاء عليها، وإحساسه بالمسؤولية تجاه الأحداث، إلا أن الأمور بدأت تتطور على غير ما كان يتوقع، فقد أصر ابن أبي حذيفة على اتهام عثمان واتهام عبدالله بن سعد معه، وأخذ يكيل التهم لهم ويصدر الإشاعات هو ومن معه، ومن ذلك أن عثمان بعث إليه مالاً في مصر، فأخرج ابن أبي حذيفة المال لعامة الناس، وقال: إن عثمان يريد أن يرشوني، فزاده ذلك في نظر العامة تعظيماً[٢]، وأخذ يشتد في المكر لإثارة الناس على عثمان وواليه، ومن ذلك (أن ابن أبي حذيفة كان يكتب الكتب على ألسنة أزواج النبي ﷺ ثم يأخذ الرواحل فيضمرها، ثم يأخذ الرجال الذين يريد أن يبعث بذلك معهم، فيجعلهم على ظهور البيوت، فيستقبلون بوجوههم الشمس لتلوحهم تلويح المسافر، ثم يأمرهم أن يخرجوا إلى طريق المدينة بمصر، ثم يرسلون رسلاً يخبرون بهم الناس ليلقوهم، وقد أمرهم إذا لقيهم الناس أن يقولوا: ليس عندنا خبر، الخبر في الكتب، ثم يخرج محمد بن أبي حذيفة والناس كأنه يتلقى رسل أزواج النبي عليه السلام فإذا

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٣/٢٦٥، وانظر: قطعة من تاريخ البلاد (سيرة عثمان بن عفان) لمجهول، ولعلها قطعة من كتاب مرآة الزمان لأبي المظفر سبط ابن الجوزي، مخطوط تحت رقم ٣٢٣٨، مكتبة آيا صوفيا، استانبول تركيا، ورقة ٢١٦.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٣/٢٦٥، الفاسي، العقد الثمين ج١/٤٥٥.

لقوهم قالوا: لا خبر لكم عندنا عليكم بالمسجد فيقرأ عليهم كتب أزواج النبي ﷺ فيجتمع الناس في المسجد اجتماعاً ليس فيه تقصير ثم يقوم القارئ بالكتاب، فيقول: إنا لنشكو إلى الله وإليكم ما عمل في الإسلام وما صنع في الإسلام فيقوم أولئك الشيوخ من نواحي المسجد بالبكاء. ثم يقول ثم يترل عن المنبر وينفر الناس بما قرئ عليهم)[١].

وهذا النص يدل على مدى الترتيب الدقيق لأصحاب الفتنة في مصر، فضلاً عن مقدرتهم على التزييف وخداع الناس حتى اغتر بهم كثير من العامة، ونقم كثير من الناس بسببهم في مصر على الخليفة عثمان وعلى واليه عبدالله بن سعد، فدارت المراسلات في ذلك بين عثمان وعبدالله بن سعد فاستدعى عثمان عمار بن ياسر رضي الله عنه وأمره بالمسير إلى مصر قائلاً له: (يا أبا اليقظان إن لك سابقة وقدماً وقد عرفك الناس بذلك وقد استمرح أهل مصر واستعلى أمرهم وبغيهم علي، فأنا أحب أن أبعثك إليهم فتعتبهم من كل ما عتبوا وتضمن ذلك عليّ وتقول بالمعروف وتنشر الحسنى فعسى الله أن يطفئ بك ثائرة ويلم بك شعثاً ويصلح بك فساداً. وأمر له بنفقة)[٢]، ثم إن عماراً توجه إلى مصر والتف حوله السبئيون في مصر، وخشي عليه عبدالله بن سعد كما خشي من تأجج نار الفتنة فكتب إلى عثمان في المدينة عن أحوال عمار فكتب عثمان إليه يأمره بتسيير عمار إلى المدينة فسيره عبدالله بن سعد إلى المدينة[٣]، واستمر ابن أبي حذيفة ومن معه

---

(١) الكندي، ولاة مصر، ٣٨، وانظر عمر بن شبه، تاريخ المدينة، ج٤/١١٥٤.

(٢) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/١١٢٢.

(٣) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/١١٢٣.

الطبري، تاريخه، ج٥/٩٩، أبوبكر بن العربي، العواصم من القواصم، تحقيق محب الدين الخطيب، ص ٦٤، حاشية (١)، ابن الأثير، الكامل، ج٣/١٥٥

من أصحاب الفتنة في تحريكها بعد سفر عمار بن ياسر، بل إنهم استغلوا سفره وأخذوا يشيعون بين الناس أن عثمان اضطهده وآذاه وكانوا يترصدون الأحداث ليستغلوها في صالحهم، مما زاد من الفتنة بين المصريين وكثرت الإشاعات، مما دعا أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه أن يستدعي ولاته للتباحث معهم في أمور الفتنة وإرهاصاتها التي بدأت تطفو على السطح، فتوجه عبدالله بن سعد إلى المدينة بموجب طلب عثمان، وعين من يخلفه على ولاية مصر وخراجها، واشترك في الاجتماع الذي عقد في المدينة بين عثمان وولاته وشهده بعض الصحابة رضوان الله عليهم، وأدلى فيه عبدالله بن سعد بما لديه من آراء في القضية ثم عاد أدراجه إلى مصر[١]، إلا أن الأمور قد تغيرت عليه إذ إن محمد بن أبي حذيفة قد ثار هو ومن معه على نائب عبدالله بن سعد على مصر فأخرجوه من الفسطاط ودعوا إلى خلع عثمان والثورة عليه[٢]، واستولوا على حكم مصر، ثم إن عبدالله بن سعد قدم إلى مصر حتى إذا وصل إلى النواحي الشرقية منها وجد خيلاً وجنوداً لابن أبي حذيفة تمنعه من دخول مصر رغم إلحاحه عليهم، وذكر لهم أنه إنما أراد أن يكلم جنوده، فلما رأى ذلك منهم توجه إلى نواحي فلسطين وأقام بها ولم يرجع إلى عثمان، وفي الوقت نفسه لم يتمكن من دخول مصر[٣]، ثم أخذ محمد بن أبي حذيفة يكاتب عثمان في المدينة باسم أهل مصر بعبارات قاسية صدَّر إحداها بقوله: من الملأ من المسلمين إلى الخليفة المبتلى. أما بعد، فالحمد لله الذي أنعم

---

(١) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/١١٢٠، البلاذري، فتوح البلدان، ٢٢٩، الكندي، ولاة مصر، ٣٨، ابن الأثير، الكامل، ج٣/١٥٨، ابن تغردي بردي، النجوم الزاهرة، ج١/٩٤.

(٢) الطبري، تاريخه ج٥/٢٢٦، الكندي، ولاة مصر، ٤٠.

(٣) بدران، تهذيب تاريخ دمشق ج٧/٤٢٦.

علينا وعليك واتخذ علينا فيما آتاك الحجة ... إلخ الكتاب[١]، ويرد عثمان على كتب القوم، وفي الفترة نفسها حاول عثمان تهدئة الأوضاع (فبعث سعد بن أبي وقاص إلى أهل مصر يعطيهم بِما سألوا، فبلغ ذلك ابن أبي حذيفة فخطبهم، ثم قال: ألا إن الكذّاب كذا وكذا بعث إليكم سعد بن مالك ليقل جماعتكم ويشتت كلمتكم ويوقع التخاذل فيكم فانفروا إليه فخرج إليه منهم مائة أو نحوها فلقوه بمرحلة بني سعد[٢] وقد ضرب فسطاطه وهو قائل فقلبوا عليه فسطاطه وشجوه وسبوه، فركب راحلته وعاد راحلاً من حيث جاء)[٣].

واستمر محمد بن أبي حذيفة والذين معه يدبرون الأمور في مصر، واستطاعوا إثارة الفتنة بها وعملوا على إخراج الجيش الذي توجه إلى المدينة وتمكن من قتل عثمان رضي الله عنه[٤] وكان هذا ما أراده أصحاب الفتنة ومحركوها الرئيسيين.

وبعد مقتل عثمان توفي عبدالله بن سعد في فلسطين[٥]، ثم تمكن جيش لمعاوية من أسر محمد بن أبي حذيفة وقتله[٦].

وهكذا كانت ولاية مصر في أول أمرها هادئة مستقرة إلى أن تمكن مثيرو الفتنة

---

(١) انظر نص الكتاب في عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/١١٢٠.

(٢) مرحلة بني سعد: بحثت عنها فلم أقف لها على تعريف، ويوحي الخبر أنها إحدى المراحل في طريق مصر الحجاز، وأنها قريبة من مصر أو داخله في حدودها.

(٣) الكندي، ولاة مصر، ٣٩، ٤٠.

(٤) عمر بن شبة، تاريخ المدينة ج٣/١١٢٥، الطبري، تاريخه، ج٥/١٠٩، الكندي، ولاة مصر، ص ٤١.

(٥) الكندي، ولاة مصر، ٤٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٣٥، مجهول قطعة من تاريخ البلاد، سيرة عثمان بن عفان ورقة ٢٠٩.

(٦) ابن سعد: الطبقات ج٣/٨٤.

من أمثال عبدالله بن سبأ من الوصول إليها وإثارة الناس فيها، فكان[١] لهم وللمتأثرين بهم دور كبير في مقتل عثمان رضي الله عنه، كما أن الأحوال في مصر نفسها اضطربت نتيجة طرد الوالي الشرعي لها واستيلاء أقوام آخرين على الأمور بطريقة غير شرعية وقد تمكنوا خلال تلك الفترة من بث الكراهية في قلوب الناس لخليفتهم عثمان نتيجة مكائد قاموا بها وأكاذيب لفقوها ونشروها.

ولاية البصرة:

استشهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وواليه على البصرة أبو موسى الأشعري[٢]، وكان المجتمع البصري في تلك الفترة قد بدأ يشهد تغيرات أساسية في بنيته السكانية والاجتماعية، حيث أصبحت البصرة من أكبر المعسكرات الإسلامية؛ إذ هاجرت إليها العديد من القبائل وقام جندها بفتح الكثير من المواقع، وبالتالي اكتسبت أهمية خاصة في بداية عهد عثمان[٣] وقد انشغل الناس بأمورهم الخاصة إضافة إلى الأمور العامة من جهاد وغيره، وبالتالي فإن الولاية على مثل هذه المنطقة وكذلك ما يتبعها من أقاليم أخرى تعد مهمة ليست

---

(١) انظر إلى مرويات الطبري عن سير ابن سبأ إلى مصر وأقاويله التي فتن الناس بها، (تاريخه، ج٥/٩٨).

وانظر إلى كتاب، سليمان بن حمد العوده، عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، ط١، دار طيبة، الرياض ١٤٠٥هـ، وانظر أحمدِ راتب عرموش، الفتنة ووقعة الجمل رواية سيف بن عمر الضبي الأسدي، الطبعة الأولى دار النفائس، بيروت ١٣٩١هـ،١٩٧٢م.

(٢) انظر ص ١٦٢ من هذا الكتاب.

(٣) صالح العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، ١٤١؛ صادق عرجون، عثمان بن عفان، ٢١٠.

باليسيرة، وتتطلب دراية خاصة بإدارة تلك الولاية. ولعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يحس بمقدرة أبي موسى الخاصة على إدارة تلك الولاية، حيث أوصى الخليفة من بعده أن يترك أبا موسى في الولاية من بعده أربع سنوات بعد وفاته[١].

وقد كانت فترة ولاية أبي موسى للبصرة فترة جهاد وكفاح برز فيها دور أهل البصرة، كما برز فيها أبو موسى رضي الله عنه قائداً أو فاتحاً، ففي تلك الفترة قام أبو موسى بفتح العديد من المواقع في بلاد فارس، إضافة إلى تثبيته لأقدام المسلمين في المواقع المفتوحة سابقاً والتي حاول أهلها الانتفاض بعد وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقام أبو موسى بغزوهم وتثبيت الإسلام في تلك الربوع[٢].

وبالإضافة إلى دور أبي موسى في الفتوح، فإنه قام بدور مهم في تنظيم الري وحفر القنوات والأنهار في البصرة أثناء ولايته زمن الخليفة عثمان، وقد قام بحفر قناة لجلب مياه الشرب إلى البصرة اعتمد عليها الناس بعد ذلك في شربهم[٣]، كما بدأ في مشاريع لحفر قنوات أخرى، إلا أن عزله عن الولاية حال دون إتمامها، فقام خليفته عبدالله بن عامر بن كريز بإتمامها[٤].

ولم تستمر ولاية أبي موسى على البصرة طويلاً، إذ قام عثمان بعزله سنة ٢٩،

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان ٣٢٢؛ الذهبي، سير أعلام ا لنبلاء ج٢/٣٩١.

(٢) للاطلاع على تفاصيل فتوح أبي موسى وجهاده في تلك الفترة، انظر: خليفة بن خياط، تاريخه ١٥٧، ١٥٩، البلاذري، فتوح البلدان ٣٧٢، ٣٧٥، ٣٨٠، الذهبي، العبر، ج١/٢٠.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ٣٥١.

(٤) المكان السابق.

-كما ترجح معظم الروايات- وعيّن مكانه عبدالله بن عامر بن كريز[١].

ويورد المؤرخون عدة روايات حول عزل أبي موسى نستخلص منها أن هناك مشكلة قامت بين أبي موسى وبين جند البصرة اختلف في سببها، فقيل: إنها ترجع إلى أن أبا موسى أراد غزو قوم من الأكراد قد نكثوا العهد وحث الناس على الجهاد وذكر في حديثه فضل الماشي، فخرج بعض جنوده مشاة بعد أن حملوا أناساً على رواحلهم، فلما شاهدوا أبا موسى راكباً نازعوه وجادلوه وتعلقوا بدابته وأوقفوه وقالوا: ارغب في المشي كما رغبتنا ومنعوه عن السير فضربهم بسوطه[٢].

وهناك رواية أخرى تذكر في سبب عزل عثمان لأبي موسى أنه نشب نزاع بين أهل البصرة وأهل الكوفة نتيجة خلاف على فتح أحد الأماكن التي اشترك الجندان في فتحها في أيام عمر، فذكر أبو موسى أنه قد أمّن القوم وبالتالي فلا حقَّ للجندان في السبي، مما أثر في نفوس أهل الكوفة وأهل البصرة على أبي موسى[٣]، وقد قدمت مجموعة من أهل البصرة إلى عثمان تحرضه على عزل أبي موسى قائلين له: ما كل ما نعلم نحب أن تسألنا عنه فأبدلنا بسواه، قال عثمان: من تحبون؟

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٦١؛ الطبري، تاريخه ج٥/٥٤؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/٩٩؛ النويري، نهاية الأرب ج٩/٤٣٣، الذهبي، العبر ج١/٢٢؛ اليافعي، مرآة الجنان ج١/١١٨، ابن كثير، البداية والنهاية ج٣/١٥٣.

(٢) الطبري، تاريخه ج٥/٥٥؛ ابن الأثير، الكامل ج٣/٩٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج١٩، ٤٣٢.

(٣) المحب الطبري، الرياض النضرة ج٢/١٨٧.

فقالوا: في كل أحد عوض عنه، وطلب القوم من عثمان أن يولي عليهم قرشياً[١].
فعزل عثمان أبا موسى وولّى مكان عبدالله بن عامر.

وهنا تتجلى لنا حكمة أبي موسى وسعة صدره وطاعته لأمر الخليفة، وأنه لم يكن يحرص على الولاية كما يظن البعض، فحينما بلغه عزله وتولية عبدالله بن عامر مكانه، صعد المنبر وأثنى على عبدالله بن عامر -وكان شاباً صغيراً عمره حوالي ٢٠ سنة- وكان مما مدحه به أبو موسى قوله: قد جاءكم غلام كريم العمّات والخالات والجدات في قريش يفيض عليكم المال فيضاً[٢].

وقد تصور أصحاب الفتنة أن عزل أبي موسى عن البصرة كان خطأ من عثمان يجب محاسبته عليه، وأنه أخطأ في عزله[٣].

وقد نسي هؤلاء سعي عثمان رضي الله عنه إلى مصلحة المسلمين العامة وإلى مصلحة أبي موسى نفسه من هذا العزل، فالمشهور كما ذكرنا أن عزل أبي موسى كان بناء على طلب أهالي البصرة نفسها، كما أن وجود خلاف بين أبي موسى وبين أجناده في ظروف عسكرية صعبة شهدتها ولاية البصرة قبل عزل أبي موسى من ثورة الأكراد، ونشاط ملك الفرس يزدجرد في تحريك البلدان، ومحاولة زعزعة المسلمين من البلاد التي يسيطر عليها المسلمون.

كل تلك الظروف كانت من الدوافع لعثمان في البحث عن قيادة جديدة

---

(١) الطبري، تاريخه ج٥/٥٥، ابن الأثير، الكامل، ج٣/٩٩.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه ١٦١؛ اليعقوبي تاريخه ج٢/١٦٦.
ابن الأثير، الكامل ج٣/٩٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء ج٣/١٩.

(٣) المحب الطبري، الرياض النضرة، ج٢/١٨٧؛ صادق عرجون، عثمان بن عفان ص ١١٩.

يستجيب لها الأجناد في البصرة، وبالتالي توحّد صفوفهم أمام الأعداء في تلك الظروف، فضلاً عن أن هذا العزل ربما كان تكريماً لأبي موسى من أن يهان من قبل بعض العوام ممن حملوا في نفوسهم كراهيته والتشهير به، والتقوّل عليه.

ولاية ابن عامر على البصرة:

ذكرنا سابقاً أن عزل أبي موسى عن البصرة كان في سنة ٢٩هـ وكان قرار العزل متضمناً تعيين أمير وقائد جديد لولاية البصرة هو عبدالله بن عامر بن كريز وكانت سِنُّه قريباً من ٢٥ سنة حينما تولى على البصرة وكان في ريعان شبابه ممتلئاً قوة وحماسة.

كانت ولاية البصرة تمر بظروف صعبة حينما تولى ابن عامر، مما دفع عثمان رضي الله عنه إلى إجراء تغيير أساسي في إدارة الولاية، إذ أنه ضم أجناد البحرين وعمان[١] إلى ابن عامر في البصرة حتى يعطيه سلطة أقوى للوقوف أمام التحديات التي تواجهه في تلك الفترة، وقد كان لهذا الدمج أثره الكبير على قوة ابن عامر ونفوذه، كما أنه أثّر من ناحية أخرى على البصرة نفسها، حيث أصبحت إحدى العواصم الإسلامية المستقرة، وزادت هجرة القبائل إليها أكثر من ذي قبل[٢]، وبالتالي زادت أعباء الولاية سواء في الديوان أم في تنظيم مختلف شؤون الولاية الإدارية والمالية والأمنية وغيرها.

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه ١٦١؛ الطبري، تاريخه، ج٥/٥٥، ابن الأثير، الكامل ج٣/٩٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج١٩/٤٣٢؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج١/١١٨، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٢٠.

(٢) صالح أحمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، ١٤١.

وقد كانت لولاية البصرة وأجنادها، ولابن عامر نفسه فتوح عظيمة بدأت بعد ولايته مباشرة، وانتهت قبيل مقتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه.

ومن أهم هذه الفتوحات فتح مدينة اصطخر سنة ٢٩هـ[١]، وتعد اصطخر في تلك الفترة مركز المقاومة الفارسية ضد المسلمين[٢]، ومنها تحرك معظم الفتن في إقليم فارس ضدهم، وكان تركيز ابن عامر شديداً عليها حتى استسلمت ووضع عليها ابن عامر عاملاً من قبله، وقد تمكن الفرس من قتل العامل ونكثوا العهد مع المسلمين، فتمكن ابن عامر من إخضاعها مرة أخرى بقوة السيف[٣]، ولأهمية هذا الفتح فإن المؤرخين يعبرون عنه بفتح فارس[٤] أحياناً نظراً لأن سقوط المدينة يعني سقوط معظم المواقع الأخرى سواء منها ما فتح سابقاً وأعلن العصيان، أو ما فتح لأول مرة على يد جند ابن عامر، وقد أعقب هذا الفتح اندفاع المسلمين إلى أماكن جديدة في المشرق، كما حرك المنافسة من جديد بين جند البصرة وجند الكوفة على الفتوح[٥] فانطلق جند ابن عامر فاتحين باتجاه خراسان، وتمكنوا من إخضاعها حوالي سنة ٣٠هـ[٦]، وكانوا خلال فتوحهم تلك يطاردون يزجرد آخر ملوك الفرس الذي كان يجمع لقتال المسلمين وطردهم من

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه ١٦٧، ١٦٢، البلاذري، فتوح البلدان، ٣٨١ الذهبي، العبر، ج١/٢٢.

(٢) آرثر آربري، شيراز مدينة الأولياء والشعراء، ترجمة د. سامي مكارم، مكتبة لبنان، بيروت، بدون تاريخ، ٦٧.

(٣) اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٦٦؛ البلاذري، فتوح البلدان، ٣٨١.

(٤) انظر الطبري، تاريخه، ج٥/٥٦.

(٥) اليعقوبي، تاريخه ج٢/١٦٦، البلاذري، تاريخه ٣٣٠.

(٦) خليفة بن خياط، تاريخه ١٦٣؛ ابن قتيبة، المعارف ص ٢٤٧، الطبري، تاريخه ج٥/٦٨؛ الذهبي، العبر ج١/٢٢.

بلاد فارس، إلا أن ابن عامر لم يتركه ليجهز ما يريد فكانت الفتوحات في فارس وخراسان موجهة للفتح ولمطاردته[١] فأصبح في هذه الفترة شريداً طريداً لا يكاد يقر له قرار.

وكان نتيجة هذه المطاردة ونتيجة انهزام جند الفرس واشتداد ابن عامر في طلب ملكهم يزدجرد أن قام بعض الفرس بقتل يزدجرد بسبب نزاع شب فيما بينهم وذلك سنة ٣١هـ[٢] وبهذا انتهى ملك الساسانيين في بلاد الفرس بقتل آخر ملوكهم.

كما كان من أعظم فتوح ابن عامر جهاده في نواحي سجستان[٣] حيث تمكن من فتح العديد من المواقع التي يصعب حصرها وعقد بعض المعاهدات مع أمراء تلك المناطق التي خضعت لنفوذ ابن عامر[٤] وقد أضاف ابن عامر بذلك إلى ولايته مقاطعات جديدة وواسعة، وكان لهذه الفتوح أثرها في إيقاع الرعب في أمراء ما وراء النهر[٥] الذين ما إن علموا بسيطرة ابن عامر على تلك المناطق حتى طلبوا منه أن يصالحهم وبعثوا إليه بالهدايا والأموال[٦]، وكان من نتائج هذه

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه ١٦٤، ١٧٩.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان ٣١٢؛ الطبري، تاريخه ج٥/٧١.
ابن الأثير، الكامل ج٣/١١٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء ج٣/٢٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/١٥٨.

(٣) (سجستان)، ناحية كبيرة وولاية واسعة في شرقي بلاد فارس وبعضها في أفغانستان حالياً، "ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣/١٩٠؛ صلاح الدين المنجد، معجم أماكن الفتوح، ٥٨".

(٤) البلاذري، فتوح البلدان ٢٩٦؛ الطبري، تاريخه ج٥/٤٤.

(٥) ما وراء النهر، يراد به ما وراء نهر جيحون بخراسان (ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٥/٤٥، صلاح الدين المنجد، معجم أماكن الفتوح، ١٨٥).

(٦) البلاذري، فتوح البلدان، ٣٩٨.

الفتوح أن فاضت الأموال على أجناد البصرة وعلى بيت مالها، وعلى بيت المال في المدينة المنورة، مما دفع الخليفة إلى البذل وزيادة العطايا[١].

وبالإضافة إلى جهود ابن عِامر في الفتوح، فقد كان يقوم بتوجيه بعض البعوث للاستكشاف والاطلاع على أحوال البلاد المجاورة ومعرفة قوتها والاستعداد لغزوها إذا أثبتت الاستخبارات أن المصلحة في الغزو، ومن ذلك توجيهه أحد القواد مع بعض الجنود إلى ثغر الهند (ليعلم علمه وينصرف إليه بخبره)[٢].

وفتوح ابن عامر في المشرق كثيرة يصعب حصرها، وكانت بعض هذه المواقع تفتح لأول مرة على يديه وبعضها الآخر سبق فتحها ونكث أهلها وثاروا على المسلمين فافتتحها ابن عامر من جديد[٣].

كما كان لابن عامر جهوداً إصلاحية متنوعة داخل ولايته أفادت منها البصرة بصفة مباشرة، حيث قام بحفر العديد من الأنهر والقنوات في البصرة؛ منها حفر نهر (الأُبلَة) وذلك في سنة ٣٠هـ[٤]، كما قام بحفر أنهار أخرى في البصرة في السنوات التالية، وقد كان ينيب عنه من يتولى شؤون الحفر نظراً لانشغاله بأمور الجهاد، فحفرت له أنهار أخرى سنة ٣١هـ وما بعدها[٥] كما قام ابن عامر

---

(١) الذهبي، العبر، ج١/٢٣.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان ٤٢٠.

(٣) لمزيد من الاطلاع على فتوح ابن عامر، انظر: ابن سعد، الطبقات ج٥/٤٦، خليفة بن خياط، تاريخه من ص ١٦١ حتى ١٦٦، البلاذري، فتوح البلدان ٣٣٠، ٣٨١، ٣٩٤، ٣٩٦، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٢٠.

(٤) خليفة بن خياط، تاريخه ١٦٥، البلاذري، فتوح البلدان، ٣٥١، محمد جاسم الحمادي، ولاية عبدالله بن عامر للبصرة وإصلاحاته الاقتصادية فيها، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي العدد ٢١، بغداد ١٩٨٢م، ص١٣٥.

(٥) خليفة بن خياط، تاريخه ١٦٦، البلاذري، فتوح البلدان، ٣٥٣، محمد جاسم الحمادي، ولاية ابن عامر، ١٣٥.

بتوسعة مسجد البصرة في أيامه وبنائه باللّبن والطين[١].

وقد اعتنى ابن عامر بسوق البصرة وتنظيمه، حيث اشترى بعض الدور القريبة من السوق وقام بهدمها وإدخالها في السوق وقام بإعادة تنظيمه من جديد[٢]، وتدل هذه التوسعة على الرخاء الذي كانت تنعم به البصرة في أيام عبدالله بن عامر، وعلى مدى نمو السكان فيها وازدهار تجارتها، ولعل ذلك راجع إلى كثرة فتوح البصرة في تلك الأيام، وكثرة سكانها، سواء القبائل العربية التي زادت هجرتها إليها من البحرين وغيرها أو من الفرس الذين دخلوا في الإسلام وآثروا مخالطة المسلمين في البصرة لتعلم أمور الدين الجديد، و لم تقتصر إصلاحات ابن عامر على ولايته، بل قام بحفر بعض العيون في نجد وأقام فيها العبيد ليقوموا بزراعته ومنها (النِّبَاجْ)[٣] و (القَرْيَتَيْن)[٤]، بل إن حفر ابن عامر للعيون قد وصل قريباً من المدينة، وإلى عرفات بالقرب من مكة[٥]، ولعل الذي دفع ابن عامر للقيام بتلك الأعمال اهتمامه الخاص بطريق الحاج العراقي وتجهيز المياه فيه وإقامة بعض

---

(١) ابن قتيبة، المعارف ٢٤٦.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥/٤٧، محمد الحمادي، المرجع السابق، ١٣٣، ١٣٤، صالح أحمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، ٢٦٧.

(٣) النِّبَاج: موضع بين مكة والبصرة حفر فيه ابن عامر وأسكنه أولاده اشتهر بعيونه ومزارعه ويسمى حالياً الأسياح ولا يزال عامراً بالمزارع إلى اليوم ويقع إلى الشمال الشرقي من مدينة بريدة بحوالي ٦٠ كم (ياقوت الحموي، معجم البلدان ج٥/٢٥٥، محمد ناصر العبودي، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية -بلاد القصيم ط١، دار اليمامة، الرياض، ١٣٩٩هـ ج٦/٣١١).

(٤) القَرْيَتَيْن: قرية من النباج في طريق مكة من البصرة وهي بلد نخل به عيون ولعلها القريّة والعيّارية بالقرب من مدينة عنيزة بالقصيم (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤/٣٥٦، ومحمد بن ناصر العبودي، المعجم ... بلاد القصيم ج٥/١٩٦٢).

(٥) ابن قتيبة، المعارف، ١٤٠؛ محمد الحمادي، ولاية ابن عامر، ١٣٧.

القرى حوله حتى تساعد بالتالي على حماية الطريق وتأمين الحجاج من إغارات الأعراب وقطاع الطرق، ولعل مما يؤيد ذلك قول ابن عامر: لو تركت لخرجت المرأة في حِداجتها[١] على دابتها ترد كل يوم على ماء وسوق حتى توافي مكة[٢].

واكتسبت البصرة في أيام ابن عامر مكانة خاصة بين الولايات الإسلامية لفتت نظر الخليفة عثمان رضي الله عنه نتيجة فتوحها وتوسعها في مختلف المجالات فأصبحت مركزاً إدارياً مرموقاً[٣] تدار منها العديد من المناطق الإسلامية، وكان ابن عامر مسؤولاً عن توزيع الأمراء في مختلف المناطق التابعة لولايته، باتفاق مسبق مع الخليفة عثمان رضي الله عنه، وبالتالي كانت مسؤولياته عظيمة حتى أن بعض المؤرخين يذكرون أسماء هؤلاء الولاة مقرونين بابن عامر.. يقول خليفة بن خياط: (وقد كتبنا عمال ابن عامر على خراسان وسجستان في تاريخ السنين في ولاية ابن عامر)[٤]، وقد قام ابن عامر بتوزيع الأمراء على المناطق التابعة له بمجرد أن تولى الأمارة حيث اختار بعض القوّاد والأمراء وعيّنهم على تلك المناطق، ومن أهمها عُمَان والبحرين وسجستان وخراسان وفارس والأهواز[٥] بما في هذه المناطق من

---

(١) الحِدَاجَة، والحِدَاجْ هي مركب لنساء الأعراب يوضع فوق الإبل ويختلف عن الهودج، (الزبيدي، تاج العروس، ج١٩/٢).

(٢) ابن قتيبة، المعارف، ١٤٠.

(٣) صالح أحمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية للبصرة، ١٤١، وانظر بتوسع: محمد الحمادي، ولاية عبدالله بن عامر، مجلة المؤرخ العربي العدد ٢١.

(٤) تاريخه، ١٧٨.

(٥) الأهواز: كورة عظيمة كانت تضم سبع كور في فارس والبصرة (في إيران اليوم) -ومدينة الأهواز لا تزال قائمة على نهر كارون الذي عند شط العرب اليوم -وتدور فيها حالياً -أي سنة ١٤٠٦هـ-، العديد من المعارك بين العراق وإيران- (صلاح الدين المنجد، معجم أماكن الفتوح، ١٦).

مدن مختلفة ومناطق شاسعة[١]، وكان يجري تنقلات بين هؤلاء الأمراء والعمال من وقت لآخر تبعاً للمصلحة في ذلك، كما اشتهرت البصرة في أيامه ببيت مالها الذي زاد دخله في أيامه وكثرت مصروفاته، وكان المسؤول عن بيت المال في أيام ابن عامر زياد بن أبي سفيان، وقد كان يلي بعض المشاريع من حفر للأنهار وغيرها نيابة عن ابن عامر[٢]. وفي فترة ولاية ابن عامر ضربت الدراهم في أنحاء فارس التابعة لولايته، وعليها ألفـــاظ عربية في الفترة من سنة ٣٠هـــ حتى سنة ٣٥هـــ[٣].

وقد اشتهر ابن عامر بمراقبته الشديدة لأمور ولايته ومحاولته التعرف باستمرار على أحوالها ومصادر المشكلات فيها، فقد أحسّ بوجود عبدالله بن سبأ في البصرة سنة ٣٢هـــ وشعر بما يحاول ابن سبأ نشره من فتنة بين الناس، فاستدعاه ابن عامر واستجوبه وعرف أخباره وأصله اليهودي وأدرك أنه يسعى إلى الفتنة فأمر بطرده من البصرة[٤].

وكان ابن عامر حريصاً على ضبط أمور البصرة المختلفة، ولهذا كان عند سفره خارج البصرة يعيّن عليها من يقوم بشؤونها نيابة عنه أثناء غيابه، ومن أمثلة ذلك نيابته لمن يقوم مقامه عند خروجه إلى الحج سنة ٣٢هـــ[٥].

---

(١) انظر الطبري، تاريخه، ج٥/٥٤، ابن الأثير، الكامـــل ج٣/٩٩، النويـــري، نهـــاية الأرب، ج١٩/٤٣٣.

(٢) البلاذري، نهاية الأرب، ١٥٣، ٣٥١.

(٣) وداد علي القزاز، الدراهم الإسلامية ... للخلفاء الراشدين، ١٤.

(٤) الطبري، تاريخه، ج٥/٩٠، سليمان العودة، عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة، ٤٨، بدوي عبداللطيف، الأحزاب السياسية في فجر الإسلام، القسم الثاني الهاشمي والأموي، ط١، مطبعة شبرا، القاهرة ١٣٦٧هـــ - ١٩٤٨م، ص ٤٤.

(٥) خليفة بن خياط، تاريخه ١٦٦.

وقد كان ابن عامر محبوباً لأهل البصرة عموماً منذ قدومه إليها، ورغم ما أثير حوله من أن عثمان ولاّه لأنه قريب له، إلا أن أهل البصرة تمسكوا به، ويدل على ذلك أن بعضاً من أصحاب الفتنة ممن تآمروا على عثمان فيما بعد كان من جملة طلباتهم التي قدموها لعثمان إبقاء ابن عامر على البصرة[١].

وحينما بدأت الفتنة تبرز بوضوح، وشعر عثمان بالحاجة إلى أخذ آراء الولاة فيها، كان ابن عامر ضمن الولاة الذين استقدمهم عثمان إلى المدينة ليطلعهم على الأوضاع وليستمع إلى آرائهم، وقد أدلى ابن عامر برأيه حيث أشار على عثمان قائلاً: (يا أمير المؤمنين، إن الناس إنما يرضيهم ما أسخطهم وهي هذه الأموال، فأعطهم منها تستل بذلك سخائم صدورهم وضغائن قلوبهم)[٢].

كما ذكر أنه كان له رأي آخر حيث قال: (أرى لك يا أمير المؤمنين أن تشغلهم بالجهاد عنك حتى يذلوا لك ولا يكون همة أحدهم إلا في نفسه وما هو فيه من دبر دابتّه وقمل فروته)[٣] وكلا الرأيين يعبران عن شخصية ابن عامر وما جبلت عليه من كرم وبذل للمال وحب للجهاد. وقد استمر ابن عامر والياً على البصرة حتى قتل عثمان رضي الله عنه وقيل: إنه خرج منها قبيل مقتل عثمان رضي الله عنه[٤].

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥/٤٧؛ خليفة بن خياط، تاريخه ١٧٠.

(٢) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/١٠٩٥.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٥/٩٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/١٤٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج١٩/٤٦٨.

(٤) خليفة بن خياط، تاريخه ١٧٨؛ الطبري، تاريخه، ج٥/١٤٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/٨٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨/٨٨.

ومن خلال هذا العرض تبين أن ولاية البصرة في عهد عثمان انحصرت في رجلين هما أبو موسى الأشعري الذي حكم أربع سنوات تقريباً وعزل حوالي سنة ٢٩هـ. وعبدالله بن عامر كريز، ولقد كان لكلا الواليين دوره الرئيس في ضبط أمور البصرة وما يتبعها، إلا أن أبا موسى - في أواخر ولايته- ثار عليه بعض المشاغبين وسعوا إلى عزله، فرأى أمير المؤمنين عثمان أن من مصلحة أبي موسى ومن مصلحة أجناد البصرة أن يعزل أبو موسى، ويعين عبدالله بن عامر الذي خلف أبا موسى الأشعري، وكانت له فتوح عظيمة فتوسعت ولاية البصرة في عهده وتبعتها مجموعة كبيرة من الأقاليم، منها فارس وخراسان وسجستان، والبحرين، وعمان، مما أكسب البصرة -في ولاية ابن عامر الزاهرة- أهمية كبرى ومكانة عظيمة.

ولاية الكوفة:

كان على ولاية الكوفة حين بويع عثمان بالخلافة المغيرة بن شعبه رضي الله عنه، وكان قد تولى في أواخر عهد عمر رضي الله عنه[1].

وتعد فترة ولاية المغيرة على الكوفة أثناء خلافة عثمان قصيرة، وهي لا تزيد عن سنة واحدة، والأخبار عن تلك الفترة مقتضبة إلى حد كبير. ومع ذلك فقد ذكرت المصادر قيام أجناد الكوفة بقيادة المغيرة بن شعبة بفتح بعض المواقع الفارسية وعلى رأسها (همذان) في الشهر الرابع أو الخامس من سنة ٢٤هـ[2]، مما يدل على أن المغيرة كان لا يزال حتى ذلك الوقت والياً على الكوفة.

---

(١) انظر ص ١٧٤ من هذا الكتاب.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ٥٧؛ البلاذري، فتوح البلدان، ٣٠٦.

وقد قام عثمان رضي الله عنه بعزل المغيرة عن الكوفة وتعيين سعد بن أبي وقاص مكانه، وقد ذكر في سبب العزل أنه كان بوصية من عمر رضي الله عنه حيث أوصى الخليفة من بعده أن يستعمل سعداً نظراً لأن عمر عزله عن الكوفة في أواخر خلافته، وقال: (إني لم أعزله عن سوء ولا خيانة وأوصي الخليفة بعدي أن يستعمله)[١]، فاستعمله عثمان مكان المغيرة سنة ٢٤ أو سنة ٢٥هـ[٢] وكان المغيرة موجوداً في المدينة حين صدر قرار عزله[٣] ولعله استشير قبل العزل أو لعله استعفى من الأمارة.

تولى سعد بن أبي وقاص على الكوفة بعد عزل المغيرة بن شعبة مباشرة، وكان قرار التعيين مشتركاً بين سعد بن أبي وقاص وعبدالله بن مسعود، سعد على الصلاة والجند، وابن مسعود على بيت المال.

وقد كان سعد بن أبي وقاص صاحب خبرة في ولاية الكوفة وله معرفة تامة بأمورها وسكانها وثغورها وأجنادها نظراً لأنه كان مؤسسها في عهد عمر، كما أنه وليها عدة سنوات، فكان أخبر الناس بها وأعلمهم بأحوالها[٤].

ومن الأعمال التي ذكرت لسعد أثناء ولايته في عهد عثمان على الكوفة قيامه بزيارة بعض الثغور التابعة للكوفة ومنها (الري) وترتيب أمورها وضبطها

---

(١) الطبري، تاريخه ج٥/٤٤، ابن الأثير، الكامل ج٣/٧٩، ابن كثير، البداية والنهاية ج٧/١٤٩.

(٢) الطبري، تاريخه ج٥/٤٤، ابن الأثير، الكامل، ج٣/٧٩-٨٠.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٥/٤٤.

(٤) الطبري، تاريخه ج٥/٤٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/٨٢.

انظر ص ١٦٥ من هذا الكتاب.

صادق عرجون، عثمان بن عفان، ١١٠.

سنة ٢٥هـ[١]، وكذلك قيامه بتعيين بعض الأمراء والعمال الجدد في (همذان) وما حولها[٢]، ولم تطل فترة ولاية سعد بن أبي وقاص على الكوفة؛ إذ حدث بينه وبين عبدالله بن مسعود خلاف، وكان ابن مسعود[٣] على بيت المال، فاقترض منه سعد شيئاً من الأموال إلى أجل، فجاء الأجل ولم يكن عند سعد ما يسدّ به ذلك القرض، فجاءه ابن مسعود يطالبه بتسديد ذلك القرض فاشتدا في الكلام واجتمع حولهما الناس، فقرر عثمان عزل سعد وإبقاء ابن مسعود، فكان عقوبة سعد العزل وعقوبة ابن مسعود الإقرار في العمل كما يقول الطبري[٤].

وهذه القصة تدلنا على تورع كلا الصحابيين، وتدل على حاجة سعد إلى المال، وعدم وجود ما يكفيه، وأنه -لذلك- اضطر إلى الاقتراض من بيت المال كما تدل على اجتهاد عبدالله بن مسعود في حفظ أموال المسلمين وإصراره على استرداد القرض من سعد والي الكوفة وحاكمها، وكانت ولاية سعد على الكوفة سنة وأشهراً[٥].

وبعد عزل سعد ولى عثمان على الكوفة الوليد بن عقبة بن أبي معيط الذي

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ٣١٥.

ابن الأثير، الكامل، ج٣/٨١.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ٣٠٦.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه ١٥٧، الطبري، تاريخه ج٥/٤٧، ابن الأثير، الكامل، ج٣/٨٢، النويري، نهاية الأرب، ج١٩/٤٢٩، المالقي الأندلسي، التمهيد والبيان، ص ٣٥، ابن كثير، البداية والنهاية ج٧/١٥١.

(٤) الطبري، تاريخه ج٥/٤٨؛ وانظر: ابن الأثير، الكامل، ج٣/٨٢.

(٥) الطبري، تاريخه ج٥/٤٧.

كان قبل تعيينه على الكوفة قد عمل على إحدى القبائل لرسول الله ﷺ[١]، ثم عمل قائداً لجيش من جيوش أبي بكر في الأردن[٢]، ثم عمل لعمر على عرب الجزيرة[٣].

وفي أواخر خلافة عمر وأوائل خلافة عثمان رضي الله عنه كان الوليد أحد قواد أجناد الكوفة، وقام بالجهاد في العديد من المواقع قائداً لتلك الأجناد[٤]، فكان قبل تعيينه على ولاية الكوفة صاحب خبرة بالكوفة وأجنادها وثغورها ومختلف شؤونها، وكعادة الخلفاء الراشدين في تفضيل أصحاب الخبرة في المنطقة على غيرهم عند الحاجة إلى تعيين ولاة جدد، فقد وقع اختيار عثمان رضي الله عنه على الوليد بن عقبة لولاية الكوفة، وكثير ممن كتبوا عن تعيين عثمان رضي الله عنه للوليد سواء من المتقدمين أو من المتأخرين حاولوا اتهام عثمان في هذا التعيين، فهم يقولون: إن عثمان استعمل على الكوفة أخاه لأمّه الوليد بن عقبة[٥]، وهذا فيه غمز مباشر لعثمان رضي الله عنه[٦].

وكانت ولاية الوليد في سنة ٢٥هـ تقريباً، وقد باشر عمله في الولاية بتأديب

---

(١) ابن حبيب، المحبر، ١٢٦.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٤/٢٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج٢/٤٠٣؛ محب الدين الخطيب، حاشية العواصم من القواصم، ص ٨٥.

(٣) انظر ص ١٣٥ من هذا الكتاب.

(٤) الطبري، تاريخه ج٥/٤٥، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/١٤٩.

(٥) انظر اليعقوبي، تاريخه ١٦٥؛ ابن العربي، العواصم من القواصم ٨٥ و٨٧؛ الذهبي، العبر، ج١/٢٠، اليافعي، مرآة الجنان ج١/١١٦، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج١/١٥٥.

(٦) انظر في الاتهامات التي ألقاها طه حسين في كتابه الفتنة الكبرى -١- عثمان، والتي ألصق فيها تهماً باطلة بعثمان بن عفان وعزله سعداً وتوليته الوليد (طبعة دار المعارف بمصر ١٩٤٧م، ص ٩٤).

من نقض العهد من أهل البلاد المفتوحة، فغزا أذربيجان وأرمينية لمنع أهلها إعطاء ما كانوا قد صالحوا عليه المسلمين[١]، وقد أدبهم على ذلك، كما أرسل سلمان ابن ربيعة الباهلي إلى نواحي أرمينية فأدب الروم الذين جمعوا للمسلمين في أرمينية[٢]، كما قام الوليد نفسه بغزو الديلم مما يلي قزوين وأدب من فيها وانصرف[٣].

وقد حدث في سنة ٢٨هـ أن انتفض أهل أذربيجان على المسلمين وكانت من ثغور الكوفة، فقام الوليد بن عقبة بغزوها وتأديب الثائرين فيها وعين عليهم أميراً جديداً[٤]، فقام هذا الأمير بإسكان أناس من العرب فيها وأخذوا يدعون الناس إلى الإسلام[٥].

وفي بداية ولاية الوليد كان يشترك معه عبدالله بن مسعود، حيث كان والياً على بيت المال، إلا أن خلافاً حدث بين الوليد وعبدالله بن مسعود على أمر يتعلق بأموال الدولة، ورفع النزاع إلى عثمان ليفصل فيه بما يراه، فرأى عثمان رضي الله عنه أن من المصلحة توحيد الولاية وبيت المال في يد الوليد وعزل عبدالله بن

(١) الطبري، تاريخه ج٥/٤٥، ابن الأثير، الكامل، ج٣/٨٣، النويري، نهاية الأرب، ج١٩/٤٠٨.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه ١٥٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/٨٣، النويري، نهاية الأرب ج١٩/٤٠٨، اليافعي، مرآة الجنان، ج١/١١٦.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ٣١٨.

(٤) خليفة بن خياط، تاريخه ١٦٠.
الذهبي، العبر، ج١/١١٧.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ٣٢٤.

مسعود، وقد رأى أن المصلحة العامة تقتضي ذلك الضم[١]، وقد بقي الوليد بن عقبة في الكوفة محبوباً من أهلها، ليس على داره باب[٢] يستقبل الناس في مختلف الأوقات ليحل مشكلاتهم، ويقوم بالواجبات الملقاة عليه، إلى أن حدثت بعض الحوادث في الكوفة أوجدت بعض الحاقدين عليه وذلك (أن شباباً من أهل الكوفة نقبوا على ابن الحسيمان الخزاعي[٣] وكاثروه، فنذر بهم فخرج عليهم بالسيف، فلما رأى كثرتهم استصرخ فقالوا له: اسكت، فإنما هي ضربة حتى نريحك من روعة هذه الليلة وأبو شريح الخزاعي[٤] مشرف عليهم فصاح بهم وضربوه فقتلوه، وأحاط الناس بهم فأخذوهم، ومنهم زهير بن جندب الأزدي، ومورع بن أبي مورع الأسدي وشبيل بن أبي الأزدي[٥] في عدة، فشهد عليهم أبو شريح وابنه أنهم دخلوا عليه، فمنع بعضهم بعضاً من الناس فقتله بعضهم فكتب فيهم إلى عثمان، فكتب إليه في قتلهم فقتلهم على باب القصر. وفي ذلك يقول الشاعر:

---

(١) صادق عرجون، عثمان بن عفان، ١١١.

(٢) الطبري، تاريخه ج٥/٤٨-٥٩، ابن الأثير، الكامل، ج٣/٨٣ و ١٠٥، المالقي الأندلسي، التمهيد والبيان، ٣٦.

(٣) ابن الحسيمان الخزاعي، لم أقف له على ترجمة ولعله ابن للصحابي الجليل الحسيمان بن إياس بن عبدالله الخزاعي، انظر: ابن حجر، الاصابة، ج١/٣٦٦.

(٤) أبو شريح الخزاعي، خويلد بن عمرو أسلم قبل الفتح وكان معه لواء خزاعة يوم الفتح له رواية عن النبي ﷺ مات بالمدينة سنة ٦٨هـ. "الدولابي، الكنى والأسماء ج١/٣٩، ابن حجر، الإصابة، ج٤/١٠١.

(٥) زهير الأزدي ومورع الأسدي وشبل الأزدي هم من شباب الكوفة الذين اعتدوا على ابن الحسيمان في داره وقتلوه.

لا تأكلوا أبداً جيرانكم سرفاً   أهل الدعارة في ملك ابن عفان
إن ابن عفان الذي جربتم   فطم اللصوص بمحكم القرآن
ما زال يعمل بالكتاب مهيمنا   في كل عنق منهم وبنان)[١]

وقد كان لدور الوليد بن عقبة الحازم في هذه القضية وإقامته حد القصاص علىهؤلاء الشباب المعتدين أثره في وجود الحقد والكراهية من قبل أولياء هؤلاء المجرمين وأقاربهم على الوليد بن عقبة، بل حتى على الخليفة عثمان رضي الله عنه. ومنذ تلك الحادثة أخذ أولئك الناس يروّجون الشائعات على الوليد بن عقبة ويحاولون جاهدين أن يتصيدوا أخطاءه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، فأخذ أولئك النفر يشيعون بين الناس أن الوليد يشرب الخمر حتى كثر الحديث على ألسنة الناس، فقال ابن مسعود حين سئل عن القضية: من استتر منا بشيء لم نتتبع عورته و لم نهتك ستره، فحين سمع الوليد مقالة ابن مسعود اتصل به وعاتبه، وقال له: أنت تعلم أن هؤلاء الأقوام موتورون فأي شيء أستتر به؟ إنما يقال هذا للمريب[٢]، ومنذ هذا الوقت نشب الخلاف بين ابن مسعود والوليد، وكان ابن مسعود على حق في فتواه العمومية بعدم كشف الأستار، إلا أن الذي أثار الوليد هو شعوره أنه هو المقصود بذلك وقد جرت بعد ذلك مراسلات بين عثمان بن عفان والوليد في شأن ابن مسعود رضي الله عنه مما جعل عثمان يطلب من ابن

---

(١) الطبري، تاريخه ج٥/٥٩، وفي القصة روايات مختلفة، وكذلك ابن الأثير، الكامل، ج٣/١٠٥؛ المالقي الأندلسي، التمهيد والبيان، ٣٧، ٣٨.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/ ٦٠ و٦١؛ ابن الأثير، الكامل ج٣/١٠٦، المالقي الأندلسي، التمهيد والبيان، ٤٠.

مسعود القدوم إلى المدينة وترك الكوفة[١].

واستمر أولئك النفر في محاولتهم إضعاف مركز الوليد وعزله، فرصدوا له من يراقب بيته، وكان هناك شاعرَ نصراني من عرب بني تغلب سبق أن قدم له الوليد معروفاً طمعاً في إسلامه نظراً لمكانة ذلك الشاعر في قومه وكان يزور الوليد في بيته وقد أسلم وحسن إسلامه وقد جاء أناس ممن يتجسسون على الوليد إلى النفر الذين قتل الوليد أبناءهم وهم يترصدونه، وأخبروهم أن الوليد وهذا الشاعر يشربان الخمر في دار الوليد، فثاروا وأخذوا معهم نفراً من أشراف الكوفة ليشهدوا معهم على شرب الوليد للخمر، فاقتحموا على داره من المسجد، ففوجئ الوليد بهم فأبعد شيئاً فأدخله تحت السرير فأدخل بعضهم يده دون إذنه فسحب ما أخفاه الوليد فإذا هو طبق عليه قليل من العنب، وإنما أخفاه الوليد استحياء أن يروا طبقه ليس عليه إلا قليل من عنب فخرجوا على الناس فأقبلوا يلوم بعضهم بعضاً، وسمع الناس بذلك فأخذوا يسبونهم، ومع موقفهم المشين هذا فقد ستر الوليد عليهم وعفا عنهم بغية استرضائهم وأخفى فعلهم عن عثمان، وصبر عليهم[٢] ولعلهم يعودون إلى رشدهم... ولكن الأمر بدأ يتطور وأخذ أولئك النفر يحرضون الناس ويتصيدون الأخطاء على الوليد، بل ويفتعلون الحوادث التي تثير الاضطراب في الكوفة، وبالتالي تضعف مركز الوليد، ويحدثنا الطبري عن تدخلهم في شؤون الولاية فيقول: (أُتي الوليد بساحر فأرسل إلى ابن

---

(١) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/١٠٤٩.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/٦، ابن الأثير، الكامل، ج٣/١٠٦؛ المالقي الأندلسي، التمهيد والبيان، ٣٩.

مسعود يسأله عن حده، فقال: وما يدريك أنه ساحر؟ قال: زعم هؤلاء النفر -لنفر جاءوا به- أنه ساحر، قال: وما يدريكم أنه ساحر؟ قالوا: يزعم ذاك. قال: أساحر أنت؟ قال: نعم. قال: وتدري ما السحر؟ قال: نعم. وثار إلى حمار فجعل يركبه من قبل ذنبه، ويريهم أنه يخرج من فمه واسته، فقال ابن مسعود: فاقتله فانطلق الوليد، فنادوا في المسجد أن رجلاً يلعب بالسحر عند الوليد فأقبلوا وأقبل (جُنْدُب)[1] واغتنمها يقول: أين هو؟ أين هو؟ حتى أريه فضربه، فاجتمع عبدالله والوليد على حبسه، حتى كتب إلى عثمان، فأجاهم عثمان أن استحلفوه بالله ما علم برأيكم فيه وأنه لصادق بقوله فيما يظن من تعطيل حده وعزروه وخلوا سبيله وتقدم إلى الناس في أن لا يعملوا بالظنون وأن لا يقيموا الحدود دون السلطان فإنا نقيد المخطئ ونؤدب المصيب)[2].

ومن هذه القضية نتبين أن جندباً الموتور على الوليد تدخل في عمله، وقتل رجلاً كان بالفعل يستحق القتل بعد انتهاء التحقيق والمحاكمة وليس لجندب أن يتدخل في إقامة الحدّ وإنما كان يمكنه أن يطالب الوالي بإقامته لو تأخر عن ذلك، إلا أنه -كما يبدو- كان يهدف إلى إحداث الاضرابات وتشكيك الناس في واليهم. ثم إن قوم جندب غضبوا لحبسه، فخرج بعضهم إلى المدينة وقابلوا عثمان، وطلبوا منه عزل الوليد، فقال لهم عثمان: (تعملون بالظنون وتخطئون في الإسلام وتخرجون بغير إذن، ارجعوا. فردهم فلما رجعوا إلى الكوفة لم يبق موتور في نفسه

---

(١) (جُنْدُب) الأزدي هو والد زهير الذي سبق أن اشترك في قتل ابن الحسيمان الخزاعي، فقتل قصاصاً (انظر الطبري، تاريخه، ج٥/٥٩).

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/٦١، وانظر اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٦٥، ابن الأثير، الكامل ج٣/١٠٦، والمالقي الأندلسي، التمهيد والبيان، ٤١.

إلا أتاهم فاجتمعوا على رأي فأصدروه)[(١)] وقد كان من نتيجة هذا التآمر تلفيق قضية ضد الوليد، وهي دعوى شربه الخمر، التي سببت إقامة الحدّ عليه وعزله عن ولاية الكوفة، وهذا ما أراده المتآمرون. وكان تطور القضية كما رواها الطبري أن أولئك القوم (لما رجعوا إلى الكوفة لم يبق موتور في نفسه إلا أتاهم فاجتمعوا على رأي فأصدروه ثم تغفلوا الوليد وكان ليس عليه حجاب، فتدخل أبو زينب الأزدي[(٢)] وأبو مورع الأسدي[(٣)] فسلا خاتمه ثم خرجا إلى عثمان فشهدا عليه معهما نفر ممن يعرف من أعوانهم فبعث إليه عثمان فلما قدم أمر به سعيد بن العاص فقال يا أمير المؤمنين أنشدك الله فوالله إنهما لخصمان فقال: لا يغرك ذلك إنما نعمل ما ينتهي إلينا فمن ظُلم فالله ولي انتقامه ومن ظَلم فالله ولي جزائه)[(٤)].

وقد وردت هذه القصة بتفصيلات أخرى تدل على أن الرجل الذي استل خاتم الوليد استغل نومه العميق فاستل خاتمه[(٥)] ، وقد أدان الدكتور طه حسين -من تلك الأيام- الوليد وزعم أنه كان مخموراً، وأنه لو لم يشرب الخمر لما غرق في النوم، حتى تمكن الرجال من سرقة خاتمه.. يقول: (والتكلف في هذه القصة أظهر من أن نحتاج إلى تبيينه وإطالة القول فيه فما أمير ينام وعنده سمّاره ثم يمعن في النوم حتى يستل خاتمه من إصبعه دون أن يحس ذلك أو يحسه أحد من خدّامه وحجّابه وشرطه وإذا كان الأمر من التهاون والاستخفاف، بحيث يستل منه خاتمه

---

(١) الطبري، تاريخه ج٥/٦١؛ انظر ابن الأثير، الكامل ج٣/١٠٦.

(٢) أبو زينب الأزدي هو زهير بن الحارث بن عوف بن كاسر الحجر وهو الذي شهد على الوليد ابن عقبة بشرب الخمر. ليس له صحبه، وإنما هو من التابعين (ابن عبدالبر، الاستيعاب - حاشية على الإصابة- ج٤/٨١).

(٣) أبو مورع الأسدي: لم أقف له على ترجمة.

(٤) الطبري، تاريخه، ج٥/٦١؛ وانظر ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٢/١٦٦؛ ابن الأثير، الكامل ج ١٠٦/٣ و ١٠٧؛ المالقي، التمهيد والبيان، ٤٣؛ النويري، نهاية الأرب، ج١٩/٤٣٦.

(٥) عمر بن شبة، تاريخ المدينة ج٣/٩٧٢، وتتميز روايته عن روايات كل من الطبري، تاريخه ٦/ ٦٢، ابن الأثير الكامل، ج٣/١٠٦، والمالقي الأندلسي التمهيد والبيان ص ٤٢.

الذي يمضي به الأمر والنهي ويمضي به كتبه إلى الخليفة وإلى قوّاده في الثغور، فما هو من الحزم والعزم والفطنة في شيء، إنما الأشبه ما قاله خصوم الوليد من أنه كان يعاقر الخمر مع صديقه وشاعره)[١]، ولعل الدكتور طه حسين لم يقرأ تلك الروايات ويتمعن فيها، ولو فعل ذلك لاتضح له خلطه بين روايات منفصلة وحوادث مختلفة، فرواية سرقة خاتم الوليد وهو نائم لم يرد فيها ذكر للشاعر الذي ورد ذكره في رواية أخرى مختلفة اتضح فيها للناس جميعاً أنهم كانوا يأكلون العنب وأما سرقة خاتم النائم فممكنة وغير مستحيلة وحتى بحضور أناس إذا وضع السارق يده على يد النائم دون أن يشعر الحضور، وهذا ما أوحت به الرواية التي جاءت على لسان زوجتي الوليد شاهدتي الحال، ولكن يبدو أن الدكتور أراد إدانة الوليد ولو بخلط الروايات بعضها مع بعض، فضلاً عن أن الدكتور طه حسين لم يعتمد على أي مصدر وهو يصدر هذا الحكم على الوليد.

وقد وردت روايات إقامة حد الخمر على الوليد وعزل عثمان له بطرق صحيحة -في كتب الحديث- وهي غير قابلة للإنكار[٢]، ولكن وردت روايات أخرى مثار استغراب ذكرت أن الوليد كان يشرب الخمر ويصلي بالناس أثناء

---

(١) طه حسين، الفتنة الكبرى - ١- عثمان، ٩٥.

(٢) روى البخاري في صحيحه بسنده (عن عبدالله بن عدي الخيار أخبره أن المسور بن مخرمة وعبدالرحمن بن الأسود بن عبد يغوث قالا: ما يمنعك أن تكلم عثمان لأخيه الوليد فقد أكثر الناس فيه فقصدت لعثمان حتى خرج إلى الصلاة فقلت إن لي إليك حاجة وهي نصيحة لك قال يا أيها المرء منك. قال معمر: أراه قال أعوذ بالله منك، فانصرفت فرجعت إليهما إذ جاء رسول عثمان فأتيته فقال ما نصيحتك فقلت إن الله سبحانه بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب وكنت ممن استجاب لله ولرسوله ﷺ ورأيته هديه، وقد أكثر الناس في شأن الوليد قال: أدركت رسول الله ﷺ؟ قلت: لا ولكن خلص إلي من عمله ما يخلص إلى العذراء في سترها. قال: أما بعد، فإن الله بعث محمد ﷺ بالحق فكنت ممن استجاب لله ولرسوله ﷺ وآمنت بما بعث به وهاجرت الهجرتين كما قلت، وصحبت رسول الله ﷺ وبايعته. فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله، ثم أبوبكر مثله ثم عمر مثله ثم استخلفت أفليس لي من الحق مثل الذي لهم؟ قلت: بلى قال فما هذه الأحاديث التي تبلغني عنكم، أما ما ذكرت من شأن الوليد فستأخذ فيه بالحق إن شاء الله تعالى ثم دعا علياً فأمره أن يجلده فجلده ثمانين" ج٤/٢٠٢، الكتاب ٦٢.

سكره، وأنه صلى بهم الفجر أربعاً فلما انتهى قال: أزيدكم[١]، وقد استندت تلك الروايات إلى مرويات بعض كتب الحديث دون أن تمعن النظر فيها، وإلقاء التهمة على الوليد فيما لو قبلت فإنها لا تخص الوليد وحده، بل إنها تشمل الوليد وأهل الكوفة جميعاً الذين يقبلون أن يَصلوا وراء رجل مخمور، بل إن القضية لتتعدى إلى الأمة الإسلامية عموماً[٢] بما فيها من صحابة رسول الله في تلك الأيام سواء في الكوفة أو المدينة في سكوتهم عن رجل اشتهر بالخمر ويصلي بالناس مخموراً ومثل هذا العمل يستحيل في هذا الزمان بعد ألف وأربعمائة سنة فكيف يحدث في زمن الصحابة.

ومع احترامنا للمصادر التي ذكرت تلك القضية، إلا أنه بالرجوع إلى كتب الحديث وما ورد فيها وجدنا نوعاً من الاختلاف بين ما أوردته وبين ما ذكر في تلك الكتب، فرواية مسلم[٣] اتفقت مع رواية البخاري في إقامة الحد على الوليد ورواية مسلم ذكرت أنه صلى بالناس الفجر اثنتين وليست أربعاً كما ذكرت بعض المصادر التاريخية. كما أن الراوي لم يشهد ذلك، وإنما الذي شهده هو شهادة الشهود على الوليد بأنه تقيأ الخمر، ثم جلد عثمان له بناء على تلك

---

(١) اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٦٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/١٠٧؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج١/١٥٥؛ صادق عرجون، عثمان بن عفان، ١١٣.

(٢) انظر ما كتبه، صادق عرجون في عثمان عفان، ١١٣.

(٣) روى مسلم في صحيحه بسنده (عن حصين بن المنذر أبو ساسان قال شهدت عثمان بن عفان وأُتي بالوليد قد صلى الصبح ركعتين ثم قال أزيدكم؟ فشهد عليه رجلان أحدهما (حُمران) أنه شرب الخمر وشهد آخر أنه رآه يتقيأ فقال عثمان إنه لم يتقيأ حتى شربها فقال يا علي قم فاجلده فقال علي قم يا حسن، فاجلده فقال الحسن ول حارها من تولى قارها -فكأنه وجد عليه- فقال يا عبدالله بن جعفر قم فاجلده فجلده وعلي يعدّ حتى بلغ أربعين فقال: أمسك ثم قال: جلد النبي ﷺ أربعين وجلد أبوبكر أربعين وعمر ثمانين وكلٌ سنة وهذا أحبّ إلي في تاريخ المدينة وقد اتفقت تقريباً في النص واتفقت تماماً في المعنى إلا أن الرواة اختلفوا عن رواة مسلم حتى إن الخلاف وقع في الراوي الأصلي الذي شهد الحادث مع عثمان رضي الله عنه ج٣/٩٧.

الشهادة، وليس بناء على صلاته بالناس الصبح مخموراً، و لم يتحدث أولئك الشهود عن قضية الصلاة كما هو واضح، وإنما يبدو أنها مجرد إشاعات قرن الراوي بينها وبين الشهادة وإقامة الحد على الوليد.

ونحن هنا لا نسعى إلى تبرئة الوليد، بل نسعى إلى تمحيص تلك الروايات ونقدها ومعرفة خلفيات القصة وأحوال المجتمع في تلك الأيام، خصوصاً في قضايا مهمة كالصلاة والإمارة، والتي من المستبعد جداً أن يجرؤ أي إنسان -سواء أكان الوليد أم غيره- أن يصلي بالناس مخموراً، خصوصاً في الكوفة التي كانت تغص برجال من كبار الصحابة في تلك الأيام، مما يستحيل معه تواطؤ الجميع على الصلاة خلف مخمور والسكوت على أمر يمس المجتمع الإسلامي كله.

وقد وردت بعض روايات تذكر أن الوليد كان يشرب الخمر[1]، ولكن القضية التي نحن بصددها والتي تسببت في عزل الوليد هي شهادة الشهود بأنه قاء الخمر، مع أنه لا يوجد توثيق لشربه الخمر، وإنما تم جلد عثمان وعزله للوليد بناء على شهادة الشهود الذين أوكل عثمان أمرهم إلى الله، وكان مرغماً على تصديقهم حتى ولو أحسّ بأنهم متواطئون، وقد حدثت حادثة قريبة من هذه في خلافة عمر حين شهد الشهود على قدامة بن مظعون رضي الله عنه بأنه قاء الخمر، فما كان من عمر إلا أن جلده وعزله[2]، مع أن قدامة كان من كبار الصحابة ومن البدريين، وعثمان رضي الله عنه عمل نفس ما عمله عمر من إقامة الحد والعزل عن الإمارة تبرئة للذمة وماذا كان يريد أولئك المتهمون لعثمان أو للوليد غير هذا؟

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٤١٤.

(٢) انظر ص ١٠٠ من هذا الكتاب.

مع أني أرى احتمال الكذب في الشهادة التي أقيمت على الوليد والتي شك عثمان في صحتها، خصوصاً بعد ما علم من الوليد خلفيات علاقته بأولئك الأشخاص الذين شهدوا عليه، لكن عثمان نظر في القضية نظرة شرعية و لم ينظر إليها بعلمه أو ظنه أو عاطفته، بل عندما اكتملت شروط إقامة الحد على الوليد أمر عثمان بجلده قائلاً للوليد: "لا يغرك ذلك، إنما نعمل بما ينتهي إلينا فمن ظُلم فالله وليّ انتقامه ومن ظَلم فالله وليّ جزائه"[١] وقيل: إنه قال: نقيم الحدود ويبوء شاهد الزور بالنار[٢] وقد كانت حادثة جلد الوليد وعزله سنة ٣٠هـ، ويبدو أن الوليد كان يدرك أبعاد المؤامرة التي حيكت عليه أو التي تحاك على ولاة الكوفة، وبدأت في عهد عمر بإلقاء التهم على سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من قبل بعض رجال الكوفة واتهامهم سعداً بعدم إحسان الصلاة مع أنه صاحب رسول الله ﷺ وأحد العشرة المبشرين بالجنة[٣]، وكان الوليد مدركاً لذلك، بل إنه أدرك ما هو أعظم من ذلك، وأن المؤامرة لا يقصد بها والي الكوفة وحده، بل ستمتد إلى الخليفة نفسه. وقد أورد عمر بن شبة رواية مهمة تلقي الضوء على ذلك، قال: (لما ضرب عثمانُ الوليدَ الحدَّ قال: أبصرتني اليوم بشهادة قوم ليقتلنك عاماً قابلاً)[٤].

ولعل الوليد لم يعد الحقيقة، إذ أن بعض من حرّضوا على الوليد وقدموا مع

(١) الطبري، تاريخه ج٥/٦١، المالقي الأندلسي، التمهيد والبيان، ٤١.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/٦١.

(٣) انظر ص ١٦٧ من هذا الكتاب.

(٤) تاريخ المدينة، ج٣/٩٧٤.

الشاهدين عليه قدموا فيما بعد مع الثوار الذين جاءوا لقتل عثمان كالأشتر[١] وغيره[٢].

ومما يدل على معرفة عثمان بما حيك ضد الوليد بن عقبة رسالته التي أرسلها إلى أهل الكوفة بعد عزل الوليد، حيث كتب إليهم: (من عبدالله عثمان أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة، سلام. أما بعد، فإني استعملت عليكم الوليد بن عقبة حتى تولت منعته واستقامت طريقته، وكان من صالحي أهله وأوصيته بكم ولم أوصكم به فلما بذل لكم خيره وكف عنكم شره، وغلبتكم علانيته طعنتم في سريرته والله أعلم بكم وبه وقد بعثت عليكم سعيد بن العاص أميراً)[٣] وكانت شكاية أهل الكوفة للوليد وعزله حلقة في سلسلة طويلة من الشكايات والعزل من قبيل بعض أهل الكوفة لأمرائهم[٤]، وقد غضب الكثير من أهل الكوفة لعزل الوليد، فكانت الجواري يرددن:

---

(١) الأشتر: هو مالك بن الحارث النخعي أحد الأبطال في معارك الفتوح فقئت عينه يوم اليرموك حرض على عثمان وقاتله اشتهر بالفصاحة وشدة المراس والشراسة شهد صفين مع علي وكان دوره فيها كبيراً أرسله بعد صفين والياً على مصر، إلا أنه توفي في الطريق مسموماً وقد قيل إن موته أراح علياً من حدة طبعة وقسوته.
(الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤/٣٤).

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/٦٣.

(٣) عمر بن شبة تاريخ المدينة، ج٣/٩٧٤.

(٤) من أحسن من كتبوا عن قضية الوليد في نظري، أبوبكر العربي في العواصم من القواصم وأجاد في التعليق عليها محب الدين الخطيب انظر من ص ٨٥ حتى ٩٧، وكذلك المالقي الأندلسي في التمهيد والبيان ص ١٨٥، وكذلك صـــادق عرجون في كتابه عثمان بن عفان من ص ١١٣ إلى ١١٥.

يا ويلنا قد عُـزِلَ الوليــدُ وجــاءَنَا مُجوّعــا سعيدُ
يَنْقُصُ في الضياع ولا يزيــدُ قد جُوّع الإماء والعبيــد[١]

وبعد عزل عثمان رضي الله عنه للوليد بن عقبة (٢٥ - ٣٠هـ) عن ولاية الكوفة عين بعده (سعيد بن العاص)[٢] سنة ٣٠هـ الذي كان مقيماً في المدينة فاتجه إلى الكوفة، ورافقه وفد من أهل الكوفة الذين قدموا على عثمان في شكاية الوليد، وكان فيهم الأشتر النخعي وغيره[٣]، فلما وصل سعيد الكوفة، صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: والله لقد بعثت إليكم، وإني لكاره ولكني لم أجد بداً إذا أمرت أن أئتمر، إلا إن الفتنة قد أطلعت خطمها وعينيها. والله لأضربن وجهها حتى أقمعها أو تعييني. وإني لرائد نفسي اليوم. ثم نزل عن المنبر[٤].

ومن خلال هذه الخطبة يتبين لنا معرفة سعيد ببدايات الفتنة وإرهاصاتها التي بدأت تظهر في الكوفة قبل ولايته، وتهديده لأصحاب الفتن وعزمه على القضاء على الفتنة التي استشعر بدايتها في الكوفة، ثم إن سعيداً بدأ يسأل عن أحوال الكوفة ويستقصي أمورها حتى عرف أهلها فكتب، تقريراً إلى عثمان قال فيه: (إن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم وغُلب أهل الشرف منهم والبيوتات والسابقة،

---

(١) المالقي الأندلسي، التمهيد والبيان، ٤٥.

(٢) سعيد بن العاص: ابن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس توفي الرسول ﷺ وله قرابة عشر سنوات كان من فصحاء قريش وأعجب به عمر وندبه عثمان مع كتبة المصحف وقد ولاه عثمان الكوفة ثم كان من أمراء معاوية بعد استقرار الخلافة له. توفي بعد سنة ٥٣هـ بالمدينة.
(ابن قدامة، التبيين في أنساب القرشيين، ١٦٥، ابن حجر، الإصابة ج٢/٤٧).

(٣) الطبري، تاريخه، ج٥/٥٨، النويري، نهاية الأرب ج١٩/٤٣٦.

(٤) الطبري، تاريخه ج٥/٥٣.
ابن الأثير، الكامل، ج٣/١٠٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج١٩/٤٣٧.

والغالب على تلك البلاد روادف قدمت وأعراب لحقت حتى لا ينظر إلى ذي شرف ولا بلاء من نازلتها ولا نابتتها، فكتب إليه عثمان: أما بعد، ففضل أهل السابقة والقدمة ممن فتح الله عليه تلك البلاد وليكن من نزلها غيرهم تبعاً لهم، إلا أن يكونوا تثاقلوا عن الحق وتركوا القيام به وقام به هؤلاء، واحفظ لكل مترلته وأعلمهم جميعاً بقسطهم من الحق فإن المعرفة بالناس بها يصاب العدل)[1].

وهاتان الرسالتان المتبادلتان بين الخليفة وواليه على الكوفة سعيد تدلان على إدراك كل من الأمير والخليفة عثمان لمصدر المشكلات في الكوفة، وهو جود هؤلاء الأعراب المهاجرين الذين حلوا بالكوفة ونافسوا أهلها ممن سبق في الجهاد، وحاولوا التدخل في أمورها والتأثير على أمرائها وأشرافها ومنافستهم في مكانتهم وفي تصريف الأمور، وهم في سبيل تلك الغاية لا يتورعون عن أذى الأمراء أو الناس وإلصاق التهم بهم وبالخليفة نفسه، وقد اتخذ سعيد إجراءاً يحد من تسلط هؤلاء الدخلاء عملاً بنصيحة عثمان رضي الله عنه، فأرسل إلى أشراف الكوفة ووجوهها ممن شهد القادسية وغيرها من معارك الإسلام العظيمة وممن أبلوا بلاءاً حسناً في الإسلام، فجمعهم وجمع معهم من ذوي العقل والحكمة ممن هاجر إلى الكوفة وطلب منهم أن يبلّغوه حاجات الناس، وأخذ يجالس القراء منهم والفقهاء[2]، إلا أن ذلك لم يعجب أصحاب الفتنة والدخلاء في الكوفة فأخذوا يصدرون الإشاعات بين الناس ويحاولون النيل من الخليفة عثمان رضي الله عنه،

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/٦٣؛ ابن الأثير، الكامل ج٣/١٠٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج١٩/٤٣٨.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/٦٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣/١٠٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج١٩/٤٣٨.

فكان سعيد يكتب إلى عثمان في ذلك، وفي الوقت نفسه يطلع رجالاً من أهل الكوفة على كتبه تلك، وعلى ما يكتب له الخليفة[١] حتى يكونوا على علم بما يجري ولا تنطلي عليهم تلك الأخبار الملفقة التي يصدرها أصحاب الفتنة، وقد كان لهذا العمل دوره في وقوف أولئك الرجال في صف سعيد بن العاص، ورغم انشغال سعيد بن العاص بمواجهة الشائعات والمؤامرات التي تحاك في الكوفة لإحداث الاضطراب فيها، إلا أنه استطاع أن ينظم أمور ولايته ويعين الأمراء والولاة في مختلف الثغور التابعة للكوفة ويضبط أمورها[٢] كما كانت لسعيد بعض الغزوات التي اشتهر بها؛ ففي سنة ٣٠هـ -وهي السنة التي تولى فيها- غزا (جرجان)[٣]. كما حدثت انتفاضة في أذربيجان في العام نفسه فقام سعيد بغزوها وافتتحها بعد أن امتنع أهلها[٤]، كما قام في العام نفسه أيضاً بغزو (طبرستان)[٥] فحاصرها حتى سلمت وقام بتأديب أهلها[٦] وقد صحبه في هذه الغزوة الحسن والحسين ابنا علي رضي الله عنهم، وفي هذه الغزوة افتتح العديد من

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/٦٣.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/٩٢.

(٣) جُرْجَان: مدينة مشهورة وإقليم بين طبرستان وخراسان وهي اليوم في إقليم مازندان في إيران. (ياقوت الحموي، معجم البلدان ج٢/١١٩؛ صلاح الدين المنجد، معجم أماكن الفتوح، ٣١).

(٤) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٦٣؛ البلاذري، فتوح البلدان، ٣٣٠؛ الطبري، تاريخه ج٥/٥٨.

(٥) طبرستان: بلاد واسعة تقع اليوم في شمال إيران وتسمى مازندان (ياقوت الحموي، معجم البلدان ج٤/١٣، صلاح الدين المنجد، معجم أماكن الفتوح، ٥٥).

(٦) خليفة بن خياط، تاريخه ١٦٥؛ البلاذري، فتوح البلدان، ٣٣٠؛ الطبري، تاريخه ج٥/٥٨.

المواقع في سهول طبرستان وما حولها[١].

كما قام أهل الكوفة بغزو بلاد الخزر في سنة ٣٢هـ وكان سعيد بن العاص يمدهم بالأجناد. كما اشترك أهل الشام مع أهل الكوفة في غزو تلك المواقع، بعد أن أصيب جيش من جيوش الكوفة وقتل معظم رجاله، وقد استمرت غزوات أهل الكوفة لبلاد الخزر بقيادة حذيفة بن اليمان إلى أن قتل عثمان رضي الله عنه[٢].

كما قام سعيد بن العاص بتوجيه جرير بن عبدالله البجلي وجيش معه إلى الأرمن الذين تجمعوا بنواحي أذربيجان لحرب المسلمين فهزموهم وقتلوا رئيسهم[٣].

ثم بدأت الفتنة تطل برأسها في الكوفة في سنة ٣٣هـ، وكان سعيد بن العاص يسامره في مجلسه الخاص أشراف أهل الكوفة وقراؤها ورجال القادسية وأبطال الفتوح، وإذا جلس جلسته العامة للناس فيدخل عليه من يشاء، وقد كان في مجلسه العام نفر من أصحاب الفتنة دفعتهم إحدى المناقشات إلى ضرب بعض الجلوس حتى كادوا يقتلونهم[٤] وذلك في مجلس الأمير و لم يستطع سعيد أن ينقذ

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ٣٣٠؛ الطبري، تاريخه ج٥/٥٧ و ٥٨.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/٧٨ و ٧٩.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ٣٢٤.

(٤) روى الطبري في تاريخه قال: جلس سعيد بن العاص للناس يوماً فدخلوا عليه، فبينما هم جلوس يتحدثون قال خنيس بن فلان الأسدي: ما أجود طلحة بن عبيدالله فقال سعيد بن العاص: إن من له مثل النساسج لحقيق أن يكون جواداً لله، والله لو أن لي مثله لأعاشكم الله عيشاً رغداً فقال عبدالرحمن بن خنيس وهو حديث -أي صغير في السن- والله لوددت أن =

المضروبين[1]، ومن خلال تلك الفتن يتبين أنها قامت على حديث كان يعتمد على الأماني الفارغة، ولكن أصحاب الفتنة أرادوا أن يتخذوا من حوارهم ذريعة لإحداث الاضطراب في مجلس الأمير، ولا يخفى علينا هدفهم من افتعال تلك الحادثة، وأن ضرب أقوام في مجلس الأمير بدون إذنه -كان أحد المضروبين قائد شرطة الكوفة- يعني إضعاف مركز الأمير، كما أن تلك الحادثة كانت ستؤدي إلى قتال بين قبائل الكوفة بعضها مع بعض لولا تدخل الأمير سعد. وباستعراض أسماء الأشخاص الذين افتعلوا الحادثة نجد أن لهم علاقة قوية في اتهام الوالي السابق الوليد بن عقبة كما أصبح لهم صلة مباشرة بقتل الخليفة عثمان بعد ذلك، وبعد أن هدأت الأمور مرة أخرى بدأ أولئك النفر بإثارة المشكلات ونشر الإشاعات

= هذا الملطاط لك، يعني ما كان لآل كسرى على جانب الفرات الذي يلي الكوفة. قالوا: فض الله فاك والله لقد هممنا بك. فقال خنيس: غلام فلا تجاوزوه. فقالوا: يتمنى له من سوادنا، قال: ويتمنى لكم أضعافه، قالوا: لا يتمنى لنا ولا له. قال ما هذا بكم، قالوا: أنت والله أمرت بها فثاروا إليه الأشتر وابن ذي الحبكة وجندب وصعصعة وابن الكواء وكحيل وعمر بن ضابي فأخذوه فذهب أبوه ليمنع منه فضربوهما حتى غشي عليهما وجعل سعيد يناشدهم ويأبون حتى قضوا منهما وطراً فسمعت بذلك بنو أسد فجاءوا ومعهم طليحة فأحاطوا بالقصر وركبت القبائل فعاذوا بسعيد، وقالوا: أفلتنا وتخلصنا فخرج سعيد إلى الناس، وقال: أيها الناس قوم تنازعوا وتهاووا وقد رزق الله العافية ثم قعدوا وعادوا في حديثهم وتراجعوا فسألهم وردهم وأفاق الرجلان فقال: أبكما حياة؟ قالا: قتلتنا غاشيتك: قال: لا يغشوني والله أبداً فاحفظا ألسنتكما ولا تجرأا عليّ الناس.

(الطبري، تاريخه، ج٥/٨٥، وهناك رواية تختلف أحياناً عن رواية الطبري في ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٢/١٧١ و١٧٢).

(١) الطبري، تاريخه ج٥/٨٦.

مما دفع رجال الكوفة وأشرافها إلى الاتصال بسعيد بن العاص لتأديب أولئك النفر فطلب منهم الإتصال بالخليفة عثمان مباشرة لحل هذه المشلكة (فكتب أشراف أهل الكوفة وصلحاؤهم إلى عثمان في إخراجهم، فكتب لهم: إذا اجتمع ملؤكم على ذلك فألحقوهم بمعاوية فأخرجوهم فذلوا وانقادوا حتى أتوه وهم بضعة عشر رجلاً فكتبوا بذلك إلى عثمان وكتب عثمان إلى معاوية: إن أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفراً خلقوا للفتنة فارعهم وقم عليهم، فإن آنست منهم رشداً فاقبل منهم وإن أعيوك فارددهم عليهم)[1].

وقد تصور سعيد وأهل الكوفة أن خروج أولئك النفر كان علاجاً للداء وحسماً للفتنة التي بدأت تتحرك في الكوفة[2]، فأخرج أولئك النفر إلى معاوية بن أبي سفيان في الشام الذي أخذ يرقب أحوالهم ثم أرسلهم إلى عبدالرحمن بن خالد ابن الوليد وكان أحد أمراء معاوية في نواحي الشام حيث قام بحبسهم ومراقبتهم والتشديد عليهم[3] ورغم ذلك فقد كان أولئك النفر يتطلعون لفرصة مناسبة يعودون فيها إلى الكوفة ليحركوا الناس ضد سعيد بن العاص، بل وضد الخليفة عثمان رضي الله عنه، ويبدو أنهم جعلوا في الكوفة من يراقب الأمور ويتحين الفرص لهم، وقد جاءت الفرصة المواتية لأولئك النفر حينما خرج سعيد بن العاص إلى عثمان في المدينة لدراسة الأوضاع العامة في الكوفة وفي غيرها، فكتب من كان بالكوفة من أصحاب الفتنة إلى أولئك الذين سيّرهم عثمان إلى الشام

---

(١) المكان السابق.

(٢) بدوي عبداللطيف، الأحزاب السياسية في فجر الإسلام، القسم الثاني ص ٣٧.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٥/٨٦، ٩٣.

يخبروهم بخروج الأمير سعيد إلى المدينة وأن الفرصة مواتية للقيام بعمل ما[١]، وبالفعل رتب الأشتر وجماعته أمورهم بعد مداولات عدة، ثم اتجه إلى الكوفة فاراً من الشام بمن معه من الرجال (فلم يفاجأ الناس في يوم الجمعة إلا والأشتر على باب المسجد يقول: أيها الناس إني قد جئتكم من عند أمير المؤمنين عثمان وتركت سعيداً يريده على نقصان نسائكم إلى مائة درهم ورد أهل البلاء منكم إلى ألفين، ويقول: ما بال أشراف النساء وهذه العلاوة بين هذين العدلين ويزعم أن فيأكم بستان قريش وقد سايرته مرحلة فما زال يرجز بذلك حتى فارقته وهو يقول:

ويل لأشراف النساء مني صمحمح كأني من جني

فاستخف الناس وجعل أهل الحجا ينهوهم فلا يسمع منهم وكانت نفجة)[٢]. ومن هنا تبين كيف استطاع الأشتر وجماعته أن يُكَره الناس بسعيد بن العاص بدعوى أنه رآه عند عثمان وهو يحاول إقناعه بانقاص أعطيات أهل الكوفة وكان في مسجد الكوفة في تلك الساعة من يعرف أبعاد المؤامرة إلا أن القوم لم يسمعوا حديثهم، فاختار الأشتر مجموعة من عامة الناس لتخرج إلى عثمان وتطالبه بعزل سعيد بن العاص عن الكوفة، وقد كان سعيد بن العاص قد جعل مكانه أحد القواد يخلفه على الكوفة حتى عودته، وقد حاول ذلك النائب تهدئة الناس بخطبة عامة إلا أنه لم ينجح في ذلك[٣]، وقد تزعم الأشتر تلك الثورة وكان متقلداً سيفه

---

(١) الطبري، تاريخه ج٥/٩٤، وانظر المحب الطبري، الرياض النضرة، ١٨٥.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/٩٣، المالقي الأندلسي، التمهيد والبيان ٦٢، والنَفْجَة من النَفْج وهو إثارة الشيء من مكمنه، فيقال: نفج الأرنب أو أنفجها أي أثارها من مكمنها كما تدل على إظهار الغضب وإثارته، ابن منظور، لسان العرب ج٢/٣٨١).

(٣) الطبري، تاريخه، ج٥/٩٣، المالقي الأندلسي، التمهيد والبيان، ٦٣.

ويردد: والله لا يدخلها علينا ما حملنا سيوفنا -يعني سعيد بن العاص-[١] ثم خرج الأشتر ومن معه، وعسكروا خارج الكوفة، فلما قدم سعيد بن العاص تلقوه وقالوا له: لا حاجة لنا بك. فقال لهم سعيد: كان يكفيكم أن تبعثوا إليّ رجلاً وتبعثوا إلى أمير المؤمنين رجلاً آخر بدل أن تعسكروا وتستعدوا بقرابة الألف رجل[٢]، فانصرف عنهم سعيد راجعاً إلى المدينة وقبض أولئك القوم على أحد موالي سعيد فقام الأشتر بضرب عنقه[٣]، ثم إن سعيداً قدم على عثمان في المدينة وأحس عثمان أن القوم يريدون خلع الطاعة ولكن سعيداً طلب منه أن يولي عليهم غيره لعلهم يستقيموا، ثم قدم مبعوث من أولئك القوم وأشعر عثمان أنهم يودون أن يولي عليهم أبا موسى الأشعري، فقال عثمان: أثبتنا أبا موسى عليهم ووالله لا نجعل لأحد عذراً ولا نترك لهم حجة ولنصبرن كما أمرنا حتى نبلغ ما يريدون[٤].

وهكذا نرى أن السبب الرئيس في طلب بعض أهل الكوفة عزل سعيد بن العاص عن ولايتها هو مجرد الحقد والفتنة، التي دفعت الأشتر إلى اختراع تلك القصة والأبيات التي أوردناها والتي انخدع بها بعض عوام الكوفة فقاموا مع الأشتر في رفض ولاية سعيد والطلب من عثمان إبداله بغيره، و لم يكن سعيد سوى والٍ من الولاة الذين سبق لأهل الكوفة أن اعترضوا عليهم وطلبوا عزلهم قبل ذلك

---

(١) الطبري، تاريخه ج٥/٩٥.

(٢) المصدر السابق ٥/٩٣.

(٣) المصدر السابق ٥/٩٤.

(٤) الطبري، تاريخه ج٥/٩٤؛ النويري، نهاية الأرب ج١٩/٤٦٣.

كسعد بن أبي وقاص والوليد بن عقبة وغيرهم، إلا أن سعيد بن العاص لم يتهم بأي تهمة كما اتهم الوليد مثلاً، ومع ذلك كان طلب خلعه مقروناً بثورة حمل الثائرون فيها السلاح وهي سابقة خطيرة في تاريخ الكوفة بل وفي تاريخ الدولة الإسلامية كلها، وليس سعيد فيها سبباً حقيقياً، وإنما السبب الحقيقي هو تطور الأوضاع والتغير الذي طرأ على نفوس الناس بتأثير دعاة الفتنة والخروج على عثمان.

وقد اصدر الخليفة عثمان رضي الله عنه أمراً بتولية أبي موسى الأشعري على الكوفة وعزل سعيد بن العاص بناءً على طلب بعض أهل الكوفة.

وقد استهل أبو موسى ولايته بخطبة أمام أهل الكوفة قال فيها: (أيها الناس لا تنفروا في مثل هذا ولا تعودوا لمثله الزموا جماعتكم والطاعة وإياكم والعجلة اصبروا فكأنكم[(١)] بأمير. قالوا: فَصَلِّ بنا. قال: لا إلا على السمع والطاعة لعثمان ابن عفان. قالوا: على السمع والطاعة لعثمان)[(٢)].

وقد كتب عثمان إلى أهل الكوفة: بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فقد أمّرت عليكم من اخترتم وأعفيتكم من سعيد، والله لأفرشنكم عرضي ولأبذلن لكم صبري ولأستصلحنكم بجهدي فلا تدعوا شيئاً أحببتموه لا يعصى الله فيه إلا سألتموه، ولا شيئاً كرهتموه لا يعصى الله فيه إلا استعفيتم منه أنزل فيه عندما أجبتم حتى لا يكون لكم عليّ حجة[(٣)].

---

(١) المراد اصبروا فإن معكم أميراً الآن إن سمعتم وأطعتم فكأنه متردد في الولاية عليهم.

(٢) الطبري، تاريخه ج٥/٩٤؛ المحب الطبري، التمهيد والبيان، ٦٣؛ النويري، نهاية الأرب، ج١٩/٤٦٤.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٥/٩٦.

ومن هذا الخطاب نجد ملاطفة عثمان لأهل الكوفة ومداراته لهم ليقمع الفتنة ويدرأ الشر وحتى لا تقوم عليه الحجة.

وفي فترة ولاية أبي موسى على الكوفة كثرت الإشاعات المتضاربة في مختلف الأمصار الإسلامية على عثمان رضي الله عنه، فبينما تصل الإشاعات إلى المدينة أن أهل الأمصار مظلومون تصل الأخبار -في المقابل- إلى الأمصار أن أهل المدينة مظلومون، وأن أهل الأمصار الأخرى مظلومون، فيقول أهل كل مصر: إنا لفي عافية مما ابتلي به هؤلاء القوم، وأما أهل المدينة، فقالوا: إنا لفي عافية مما ابتلى به أهل الأمصار، وقد جمع عثمان الصحابة واستشارهم فيما يفعل في هذه الشائعة، فأشاروا عليه أن يبعث رجالاً ممن يثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليه بالأخبار على حقيقتها، وقد وجه عثمان محمد بن مسلمة إلى الكوفة[1] فعادوا إلى المدينة ولم ينكر شيئاً، وهذا يدل على أن الإشاعات غير حقيقة، وأنها تصدر عن أقوام مستثيرين حاقدين يعملون بطرق خفية، ولا يستطيعون أن يعلنوا عن أنفسهم.

وقد استمر أبو موسى رضي الله عنه والياً على الكوفة حتى قتل عثمان رضي الله عنه[2].

وهكذا نجد أن ولاية الكوفة في خلافة عثمان رضي الله عنه قد تولى عليها خمسة ولاة ابتداء بالمغيرة بن شعبة وانتهاء بأبي موسى الأشعري.

وقد حفلت فترة الولاية لكل من هؤلاء الخمسة بالعديد من الحوادث التي برزت على ساحة الأحداث، وكان لها تأثير مباشر على مسيرة الدولة الإسلامية

---

(١) الطبري، تاريخه ج٥/٩٩؛ ابن الأثير، الكامل ج٣/١٥٤.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه ١٧٨، الطبري، تاريخه ج٥/١٤٨، ابن الأثير، الكامل ج٣/١٨٦.

وقد نمت الفتنة في الكوفة واشتهر عن أهلها تسلطهم على ولاتهم ورفضهم لهم في كثير من الأحيان مهما استرضوهم، فقد شكوا سعد بن أبي وقاص، وشكوا الوليد بن عقبة، وطردوا سعيد بن العاص.

ولعلنا نتذكر هنا أنهم أتعبوا عمر قبل عثمان حتى قال فيهم: "من عذيري من أهل الكوفة"[(١)]، وقد كان لبعض أهل الكوفة دور مباشر ورئيس في مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه.

وجدير بالذكر أنه كانت هناك بعض الولايات المتفرعة من ولاية الكوفة كطبرستان، وأذربيجان، وبعض المناطق الأخرى شمالي بلاد فارس[(٢)]، ومما يؤيد ارتباطها بالكوفة أن ولاة الكوفة -ومنهم سعيد بن العاص- هم الذين كانوا يتولون الفتوح في نواحيها، كما كانوا يؤدبون أهلها في حال عصيانهم، وقد لعبت هذه الولايات الفرعية دوراً مرتبطاً بدور الكوفة أيضاً إلى حد كبير.

ومن خلال العرض السابق للولايات الإسلامية في عهد عثمان رضي الله عنه يتبين لنا أن هناك ولايات تمتعت بالاستقرار طيلة خلافة عثمان رضي الله عنه، ومنها الولايات الواقعة في بلاد العرب كالبحرين واليمن ومكة والطائف وغيرها، كما تمتعت الشام بالاستقرار طيلة خلافة عثمان رضي الله عنه، وأما البصرة فقد شغل أهلها بالفتوح مع واليهم عبدالله بن عامر.

أما مصر والكوفة فحدث فيهما الاضطراب في أواخر خلافة عثمان، وبالتالي

---

(١) انظر ١٧٢ من هذا الكتاب.

(٢) انظر قطعة من تاريخ عثمان - سيرة عثمان ورقة ٦٧، ٦٨.

ولدت فيهما الفتنة، وأقدم أناس من أهلها على غزو المدينة وعلى قتل الخليفة عثمان رضي الله عنه بدلاً من غزو أعداء الإسلام.

سياسة عثمان مع الولاة في عهده:

تولى عثمان رضي الله عنه الخلافة في بداية سنة (٢٤هـ) وكان ولاة عمر رضي الله عنه ينتشرون في الأمصار الإسلامية، وقد أقرهم عثمان على ولاياتهم عاماً كاملاً، ثم باشر بعد ذلك العزل والتعيين[١] في هذه الأمصار بمقتضى سلطته وحسب ما يراه في مصلحة المسلمين، ولعل عثمان في ذلك قد اتبع وصية عمر رضي الله عنه التي أوصى فيها (أن لا يقر لي عامل أكثر من سنة وأقروا الأشعري أربع سنين)[٢].

وقد ألصقت التهم بعثمان رضي الله عنه، سواء في العزل أم في التعيين؛ يقول أحد الباحثين: (وبعد انقضاء العام الأول باشر سلطته الطبيعية في التولية والعزل، وكان في مباشرته هذه شيء من العجلة، فهو أولاً لم يلق بالاً إلى العمال الذين كانوا ينهضون بالأمر في الولايات التي لم يكن لها خطر في سياسته أو إدارة حرب، وإنما ترك عمال عمر في هذه الولايات، ولم يغيّر منهم إلا القليل حين دعت الحاجة إلى هذا التغيير، وهنا نجد أنه سار سيرة هينة)[٣]. ولعل هذا الباحث

---

(١) صادق عرجون، عثمان بن عفان، ٢٠٤، راضي عبدالرحيم، النظام الإداري والحربي ص ١٠٣.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ٣٢٢، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج٢/٣٩١.

(٣) راضي عبدالرحيم، النظام الإداري والحربي، ١٠٤.

قد تأثر بما كتبه طه حسين في هذه القضية[١]، وفي رأيي فإن عثمان حينما بدأ يعزل ويولي بعد مضي عام فإنه بذلك يمارس سلطته الطبيعية كخليفة للمسلمين، وليس في ذلك شيء من العجلة، خصوصاً إذا نظرنا في كل حادثة من حوادث العزل على حدة؛ فكل حادثة سوف نجد أنه قد صاحبتها ظروف معينة، دعت عثمان إلى القيام بالعزل أو التعيين، متوخياً في ذلك مصلحة الأمة، خصوصاً أن عثمان رضي الله عنه كان يعتمد على مشورة الصحابة في كثير من تصرفاته، كما أنه رضي الله عنه قام بضم بعض الولايات إلى بعضها لما يرى فيه مصلحة المسلمين، ولذلك قلّ عدد الولاة إلى حد ما في بعض المناطق، فقد ضم البحرين إلى البصرة، كما ضم بعض ولايات الشام إلى بعضها الآخر نتيجة لوفاة بعض الولاة أو طلبهم الإعفاء من العمل.

وقد كان عثمان رضي الله عنه دائم النصح لولاته بالعدل والرحمة بين الناس، فكان أول كتبه إلى ولاته بعد مبايعته خليفة المسلمين: (أما بعد، فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة و لم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة، وإنّ صدر هذه الأمة خلقوا رعاة و لم يخلقوا جباة، وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة ولايكونوا رعاة، فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء. ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين وفيما عليهم فتعطوهم ما لهم، وتأخذوهم بما عليهم، ثم تُثنُّوا بالذمة فتعطوهم الذي لهم وتأخذوهم بالذي عليهم، ثم العدو الذي تنتابون فاستفتحوا عليهم بالوفاء)[٢].

---

(١) انظر الفتنة الكبرى -١- عثمان، ٧٣.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/٤٤، محمد حميد الله، الوثائق السياسية، ٥٢٨.

ونحن نرى من هذا أن عثمان حدد لولاته معالم السياسة التي يجب أن يسيروا عليها، من إعطاء الحقوق للمسلمين، ومطالبتهم بما عليهم من واجبات، وإعطاء أهل الذمة حقوقهم ومطالبتهم بما عليهم من واجبات، وبالوفاء حتى مع الأعداء وبالعدل في ذلك كله، وأن لا يكون همهم جباية الأموال (فأنتم رعاة ولستم جباة)، وقد بعث عثمان بكتب أخرى إلى أمراء الأجناد في الثغور وإلى عمال الخراج[١].

كما كان عثمان رضي الله عنه يكتب إلى عماله ببعض التعليمات الخاصة في الأمور المستجدة التي تتعلق بإداراتهم للولايات، إضافة إلى كتبه العامة والتي كان يصدر فيها تعليمات محددة يلتزم بها الجميع، ومن ذلك إلزامه الناس في الولايات بالمصاحف التي كتبت في المدينة على ملأ من الصحابة، حيث أرسل مصاحف إلى كل من الكوفة والبصرة ومكة ومصر والشام والبحرين واليمن والجزيرة بالإضافة إلى مصحف المدينة[٢]، وقد أمر عثمان بجمع المصاحف الأخرى وإحراقها، وذلك بموافقة الصحابة في المدينة كما ورد ذلك عن علي رضي الله عنه[٣]، كما كان عثمان حريصاً على أن يتنافس الأمراء فيما بينهم في الجهاد وفتح بلدان جديدة، فقد كتب إلى عبدالله بن عامر في البصرة وإلى سعيد بن العاص في الكوفة يقول: أيكما سبق إلى خراسان فهو أمير عليها، مما دفع ابن عامر إلى فتح خراسان وسعيد بن العاص إلى فتح طبرستان[٤].

---

(١) الطبري، تاريخه ج٥/٤٤، محمد حميد الله، المرجع السابق ٥٢٨، ٥٢٩.

(٢) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/٩٩٧، اليعقوبي، تاريخه ج٢/١٧٠.

(٣) عمر بن شبة، تاريخ المدينة ج٣/٩٩٥، ٩٩٦.

(٤) اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٦٦.

وقد كان عثمان يشترط بعض الشروط على الولاة أحياناً ليضمن أن يكون تصرفهم في صالح المسلمين، ومثال ذلك أن معاوية بن أبي سفيان كتب إلى عثمان (يهون عليه ركوب البحر إلى قبرص، فكتب إليه عثمان: "فإن ركبت البحر ومعك امرأتك فاركبه مأذوناً لك وإلا فلا"، فركب البحر ... وحمل امرأته)[١].

وقد اتبع عثمان رضي الله عنه عدة أساليب لمراقبة عماله والاطلاع على أخبارهم، من ذلك أنه كان يحرص على الحج بنفسه ويلتقي بالحجاج ويسمع شكاياهم وتظلمهم من ولاهم، كما كان يطلب من العمال أن يوافوه في كل موسم (وكتب إلى الأمصار أن يوافيه العمال في كل موسم ومن يشكوهم)[٢]، وكان ذلك استمراراً لما كان عليه الحال أيام عمر من لقاء سنوي بين الخليفة والولاة والرعية، كما كان عثمان يستقبل الكتب التي يرسلها الرعية من الأمصار إلى المدينة بما فيها من شكاوى، فقد استقبل كتاباً أرسله أهل الكوفة[٣] إليه وكذلك كتاباً أرسله أهل مصر إليه[٤] كما استقبل كتباً أخرى أرسلها أناس من الشام[٥] ، وقد اطلع عثمان على ما في هذه الكتب وعالج ما فيها.

وكذلك كان عثمان يرسل المفتشين إلى الأمصار عند قدوم الشكاوى ليحققوا فيها ويأتوه بأخبارها؛ ومن ذلك إرساله عمّار بن ياسر إلى مصر ومحمد بن مسلمة إلى الكوفة وأسامة بن زيد إلى البصرة وعبدالله بن عمر إلى الشام، بالإضافة إلى

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ١٥٧، قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ٣٠٦.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/١٣٤.

(٣) عمر بن شبة، تا ريخ المدينة ج٣/١١٤٢.

(٤) انظر ص ٢٤٩-٢٥٠ من هذا الكتاب.

(٥) ابن أعثم الكوفي، ج٢/١٨٨.

إرساله رجالاً آخرين إلى أماكن أخرى[١].

وقد كانت الاتصالات المستمرة قائمة بين الخليفة عثمان وبين ولاته لبحث مختلف شؤون الدولة، ومن أهم هذه الاتصالات الاجتماع الذي عقده مع ولاته في المدينة، حيث دعا ولاة البصرة والكوفة والشام ومصر وغيرهم، ودعا كبار الصحابة وعقد معهم اجتماعاً بحث فيه بوادر الفتنة التي بدأت تظهر، وتعرف على آراء أولئك الولاة في الفتنة وفي كيفية علاجها، فقد أدلى كل والٍ من هؤلاء برأيه في علاج تلك الظاهرة.

وقد كان عثمان حريصاً على قيام الولاة بواجباهم، وفي حالة وقوع أية مخالفة منهم فإنه يؤدهم على ذلك الخطأ إذا وصل إلى علمه، وإذا ثبت عليه ارتكابه شرعاً دون النظر إلى حسن ظنه في العامل، ومن ذلك جلده للوليد بن عقبة وعزله له عن ولاية الكوفة بعد شهادة الشهود عليه بشرب الخمر[٢]، وكذلك عزله لسعد بن أبي وقاص وتثبيته لابن مسعود بعد أن وقع بينهما التراع أثناء ولايتهم على الكوفة)[٣].

وفي رأينا أن عزل عثمان للولاة في كثير من الأحايين كان غير مقرون بأخطاء ارتكبها الولاة توجب العزل، فلم تكن وقائع العزل من باب تأديب عثمان لولاته وإنما كان العزل لاجتهاد عثمان في مصلحة المسلمين، ولكن مع ذلك ومن خلال كتابات عثمان لأهل الأمصار يتبين أن عثمان كان على استعداد لتأديب أي والٍ

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/٩٩، النويري، المصدر السابق، ج١٩/٤٧٤.

(٢) انظر ص ٢٧٥ من هذا الكتاب.

(٣) انظر ص ٢٦٥ من هذا الكتاب.

يقع في الخطأ تجاه أهل بلده دون خشية في ذلك.

وتعد وقائع استقالة الولاة في عهد عثمان قليلة، ومنها -إن صحت الرواية- استقالة عمرو بن العاص عن ولاية الخراج[١] وكذلك استعفاء والي حمص عمير ابن سعد بعد مرضه[٢].

وقد درج عثمان على أن يكتب إلى أهل الأمصار عند تعيين والٍ جديد عليهم ليوصيهم به كما أوصاه بهم، ومن ذلك كتابه إلى أهل الكوفة بعد تعيينه سعيد ابن العاص والياً عليهم[٣] وكذلك كان يكتب -في كثير من الأحيان إلى العامة في الأمصار ناصحاً، حتى يساعد الولاة في تسيير أمور الرعية[٤] ، ومن ذلك الكتاب الذي أرسله عثمان إلى الأمصار يقول فيه: (أما بعد، فإني آخذ العمال بموافاتي في كل موسم، وقد سلطت الأمة منذ وليت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا يرفع علي شيء ولا على أحد من عمالي إلا أعطيته وليس لي ولا لعيالي حق قبل الرعية إلا متروك لهم، وقد رفع إليّ أهل المدينة أن أقواماً يشتمون وآخرون يضربون، فيا من ضرب سراً وشتم سراً... من ادّعى شيئاً من ذلك فليوافي الموسم فيأخذ بحقه حيث كان مني أو من عمالي ... أو تصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين، فلما قرئ في الأمصار أبكى الناس ودعوا لعثمان)[٥].

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ٢٢٥.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/٦٩.

(٣) انظر ص ٢٧٧ من هذا الكتاب.

(٤) انظر الطبري، ج٥/٤٥.

(٥) الطبري، تاريخه، ج٥/٩٩، النويري، نهاية الأرب، ج١٩/٤٧٤.

دور الولاة في إدارة الدولة الإسلامية
في عصر عثمان

ذكرنا أن الولاة في أول سنة من خلافة عثمان كانوا هم الولاة السابقين لعمر رضي الله عنه ثم وقعت بعد ذلك تعديلات في مناصب الولايات أجراها عثمان لما يراه في صالح الدولة الإسلامية.

وحين نستعرض أسماء ولاة عثمان نجدهم في الغالب أصحاب خبرات سابقة في إدارة البلاد والأجناد، سواء في عهد عمر وأبي بكر أم في عهد الرسول ﷺ، ومن هذه الأسماء معاوية بن أبي سفيان وعبدالله بن سعد بن أبي السرح وسعد بن أبي وقاص وأبو موسى الأشعري ويعلى بن منية وعثمان بن أبي العاص وغيرهم، كما برزت أسماء أخرى لولاة شباب ليس لهم قديم خبرة، كعبدالله بن عامر بن كريز وعبدالله بن عمرو بن الحضرمي وغيرهما.

وقد كان من المتوقع أن يكون هناك تقصير في إدارة الشباب لولاياتهم، خصوصاً إذا علمنا أنهم لم يكونوا أصحاب خبرة سابقة، ولكن مع ذلك ثبت العكس، حيث أثبت عبدالله بن عامر مقدرة قوية في إدارة ولاية البصرة وإصلاحها، كما أثبت مقدرة أقوى على التوسع والاستمرار في الفتوح، فكان عند حسن ظن عثمان والمسلمين رضي الله عنه.

وبما أن باب عثمان كان مفتوحاً طيلة عهده لاستقبال الناس والاستماع إلى حاجاتهم، وكذلك كانت أبواب ولاته، بل اشتهر عن بعضهم أنهم لم يكن لهم أبواب لبيوتهم فيدخل عليهم الناس في أي وقت شاءوا؛ ومنهم الوليد بن عقبة في

الكوفة[1]. كما أن بعضهم كانت لهم مجالس سمر يحضرها أشراف الناس ووجاؤهم، ويتبادلون فيها الآراء؛ كسعيد بن العاص وأبي موسى الأشعري وعبدالله بن سعد وغيرهم، وبالتالي فإن هذه المجالس كانت مجالاً لتبادل الرأي بين الوالي ورعاياه، كما كانت مجالاً لمتابعة الأخبار والتخطيط غير المباشر لشؤون الولاية الجهادية والمدنية، وهكذا فإن سياسة (الأبواب المفتوحة) كان يطبقها عثمان وولاته بكل بساطة وعفوية، مما ساعد الولاة على إدارة ولاياتهم وعلى إرضاء الناس في كثير من الأحيان عن تصرفاتهم.

وقد تمتع الولاة بصلاحيات محددة في بعض الأحيان، حيث كانوا يولون العمال على المناطق التابعة لهم في الغالب بطريقة مباشرة أو مع استشارة الخليفة عثمان، كما كانوا يوجهون الأجناد ويقودونها في أحيان كثيرة، بالإضافة إلى مسؤوليتهم عن إقامة الحدود وحفظ الأمن والنظام وإقامة أمور الدين وغير ذلك من المهام التي كانت منوطة بالولاة قبل عثمان وبعده، وفيما يبدو فإنه قد حدث تطور جديد في عهد عثمان حيث تمتع بعض الولاة بسلطات لم يتمتعوا بها قبله، حيث نلاحظ مثلاً أن معاوية بن أبي سفيان أصبح والياً على الشام والجزيرة وفلسطين وهي مناطق كان يتولى عليها في السابق ما لا يقل عن أربعة ولاة أساسيين، ومن الملاحظ أن هذا التطور في حجم الولايات كان قد بدأ في أواخر عهد عمر رضي الله عنه، إلا أنه اكتمل على هذه الصورة في خلافة عثمان بن عفان. وكما هو الحال في الشام، فكذلك كان الحال في البصرة، حيث نجد أن عثمان قد ولى ابن عامر على البصرة وضم إليه البحرين وعمان واليمامة في أرجح الأقوال، بالإضافة

---

(١) انظر ص ٢٦٨ من هذا الكتاب.

إلى المناطق التي تمكن ابن عامر من فتحها حيث وصل إلى ما وراء النهر، وبالتالي فإن معاوية وابن عامر كانا يعينان الولاة على المناطق التابعة لهما ويديرانها بمشاورة مع الخليفة عثمان، إلا أن اتصال عمال تلك الأقاليم التابعة لمعاوية وابن عامر كانت في الغالب تتم معهما دون الرجوع إلى الخليفة، وبالتالي كان لهذين الواليين ولغيرهما، كعبدالله بن سعد في مصر وشمال أفريقيا ثقل سياسي كبير في الدولة الإسلامية في خلافة عثمان رضي الله عنه[1]. كما كان للولاة على البلدان في خلافة عثمان دور مباشر في الفتوح في عهده، فقد قام ابن عامر بالكثير من الفتوح في المشرق بنفسه وعن طريق بعض قواد البصرة واستمر في مواصلة الفتوح في بلاد الفرس حتى انتهى الأمر بمقتل ملك الفرس[2] وبالتالي انتهت دولتهم على يده.

وكذلك تمكن معاوية من الوصول إلى مضائق القسطنطينية وقام عبدالله بن سعد بفتح العديد من المواقع في شمال أفريقيا وفي بلاد النوبة، كما قام ببعض الغزوات في البحر ومنها ذات الصواري، كما قام معاوية بفتح قبرص، وهكذا نرى أن هناك دوراً رئيساً للولاة في الفتوح في عهد عثمان، بل نحن لا نبالغ إذ سميناهم (الولاة الفاتحين)، خصوصاً الولاة الذين كانوا على أطراف الدولة الإسلامية، أما من كانت ولايتهم تقع في وسط الدولة الإسلامية فإن صلاحياتهم وأعمالهم وأدوارهم كانت مركزة في الغالب في تنظيم شؤون ولاياتهم وإقامة الشريعة الإسلامية فيها، ودعم الأجناد بإرسال المتطوعين من ولاياتهم إلى مناطق

---

(١) لمزيد من الإيضاح يمكن الرجوع إلى ما كتب عن ولاية البصرة والشام في هذا الفصل.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه ١٦٤.

الجهاد دون الاشتراك المباشر في عملية الجهاد.

كما كان للولاة عموماً دور كبير في نشر الإسلام في البلاد المفتوحة وفي معاملة أهل الذمة بأحكام الشريعة وحفظ حقوقهم ومطالبتهم بالواجبات الملقاة عليهم، وقد قام الولاة بالعديد من الإصلاحات المدنية والعمرانية في أمصارهم من بناء الجسور وشق القنوات وتأمين المياه وغير ذلك من الأعمال. وقد برز من الولاة في هذا المجال أبو موسى الأشعري وعبدالله بن عامر اللذان قاما بشق القنوات وحفر الأنهار في البصرة، كما قام ابن عامر بإصلاحات خارج ولايته حيث حفر العديد من العيون في طريق الحجاج العراقيين مروراً بنجد، وقام بعمل الحياض وجلب المياه في المدينة وفي عرفات[1] وكذلك قام بإصلاح الأسواق وتأمين الطرق.

وقد تمتعت بعض الولايات بوجود مساعدين للولاة للقيام بأعمال معينة ووظائف محددة في الولاية، فمثلاً عند سفر الوالي إلى خارج ولايته كان يقوم بإنابة أحد الأشخاص محله في إدارة شؤون الولاية إلى عودته. كما كان هناك قضاة مستقلون لمختلف الولايات، وتدل النصوص على أن الوالي كان غالباً ما يعين القاضي وأحياناً كان يتم تعيينه من قبل الخليفة عثمان مباشرة[2] كما كان الوالي أحياناً هو الذي يقضي بين الناس فقد أمر عثمان أبا موسى الأشعري أن يقضي بنفسه بين الناس في البصرة[3]، كما كان هناك عمال على الخراج

(١) انظر ص ٢٥٩ من هذا الكتاب.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٧٩.

(٣) المكان السابق.

وموظفون على بيت المال وعلى الدواوين كلهم يساعدون في شؤون الولاية المالية والإدارية، وقد يكون عمال الخراج في كثير من الأحيان مستقلين عن الوالي العام ويتصلون مباشرة بالخليفة في الغالب.

وقد وجد التعاون بين ولاة البلدان بعضهم مع بعض في مواجهة بعض الأحداث، ومن ذلك التعاون في مجال الجهاد والفتوح، كما حدث بين ولاية الشام وولاية الكوفة في فتوح أرمينية، وكذلك بين البحرين والبصرة في فتوح بلاد فارس وكذلك التعاون في إصلاح بعض المفتونين الذين جرى ترحيلهم من ولاية إلى أخرى في محاولة تأديبهم. وهكذا فإن مجال التعاون بين الولاة كان متنوعاً لخدمة الصالح العام للدولة، وكما هو معروف، فإن الولاة قد اشتركوا في آرائهم أثناء اجتماع المدينة مع الخليفة لتدارس بوادر الفتنة، كما كانوا يجتمعون مع بعضهم في مواسم الحج، وبالتالي يمكن أن يستفيد بعضهم من خبرة بعض.

أثر الولاة في إحداث الفتنة:

من الملاحظ أن بوادر الفتنة كانت مقرونة بالنقمة على الولاة، وقد بدأت تلك البوادر تظهر في الكوفة خصوصاً في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما تذمر من أهل الكوفة لكثرة شكاياهم لولاهم[1]، وحينما بويع عثمان بالخلافة كان يحس بخطر الفتنة ويتوقعها نتيجة لمعرفته بأسبابها واستقرائه للأحداث ويظهر ذلك من كتاب عثمان إلى العامة في الأمصار بعد مبايعته مباشرة، فقد روى الطبري في أحداث سنة ٢٤ وبعد بيعة عثمان مباشرة (وكان كتابه إلى العامة: أما

(١) انظر، ص ١٧٢ من هذا الكتاب.

بعد، فإنكم إنما بلغتم ما بلغتم بالاقتداء والاتباع، فلا تلفتنكم الدنيا عن أمركم، فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم، تكامل النعم، وبلوغ أولادكم من السبايا، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن، فإن رسول الله ﷺ قال: الكفر في العجمة فإذا استعجم عليهم أمر تكلفوا وابتدعوا)[١]. ومن هذا النص يتبين لنا توقع عثمان للفتنة بعد أن انتشرت البدعة والتي من أسبابها كما قال تكامل النعم وبلوغ الأولاد من السبايا، وعدم فهم القرآن من الأعراب والأعاجم وقد كان هذا التشخيص من عثمان في محله، ويؤكد ذلك النقاش الذي دار فيما بعد بين عثمان وبين أصحاب الفتنة الذين حاولوا الاستدلال بالآيات القرآنية في غير مواضعها[٢].

ومن الملاحظ أن الفتنة لم تقع مصادفة، بل إن هناك رجالاً أذكياء خططوا لها واستغلوا الظروف العامة للأمة والفرص المناسبة لتحقيق أهدافهم، وكان ضمن التخطيط الطعن على الخليفة وعلى الأمراء وإصدار الإشاعات عنهم، ومما قال ابن سبأ لاتباعه: (إن عثمان أخذها بغير حق -يعني الخلافة- وهذا وصي رسول الله ﷺ- يعني علياً- فانهضوا في هذا الأمر فحركوه وابدءوا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس، وادعوهم إلى هذا الأمر، فبث دعاته وكاتب من كان استفسد من الأمصار وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب

---

(١) تاريخه، ج٥/٤٥.

(٢) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/١١٢٩ و ١١٣٣، الطبري، تاريخه ج٥/١٠٧.

أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون فيقرأه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يبدون فيبدون فيقول أهل كل مصر: إنا لفي عافية مما ابتلي به هؤلاء إلا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فقالوا: إنا لفي عافية مما فيه الناس)[١]. ومن هذا النص يتبين أن الطعن على ولاة عثمان وانتقادهم لم يكن مجرد مصادفة، وإنما هو أمر قضي بليل وخطط له من قبل خبراء الفتنة وزعمائها من أمثال عبدالله بن سبأ وأعوانه.

وقد كان الطعن على الولاة يتخذ أشكالاً متعددة وطرقاً مختلفة كلها تؤدي إلى التشكيك في عثمان وفي نزاهته بل وحتى في دينه، كما ألمح إلى ذلك بعض الباحثين[٢]، والغريب في الأمر أن المصادر التاريخية تناقلت هذه الاتهامات وفي الوقت نفسه تحدثت عن ذلك التخطيط الرهيب من قبل السبئية في اتهام الولاة ظلماً وفي إذاعة الأخبار وتلفيقها عنهم، وكان ممن جمع بين تلك الروايات الطبري في تاريخه، وإني لأعجب كثيراً ممن يتناقلون اتهام عثمان إجمالاً دون أن يبحثوا في تفصيلات تلك التهم ويدرسوا حالة كل والٍ اتهم فيه عثمان سواء في العزل أو في التعيين دراسة مستقلة ومتأنية.

وقد اختلفت تلك التهم، فمنها ما اتهم به عثمان إجمالاً ومنها ما اتهم به عثمان

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/٩٨ و ٩٩.

(٢) مثال ذلك ما قاله راضي عبدالرحيم: "ومهما يكن من اختلاف، فليس من شك في أن علياً لم يكن يستطيع أن يستبقي عمال عثمان، فإن دينه يمنعه من ذلك؛ لأنه طالما لام عثمان على تولية هؤلاء العمال وطالما أنكر على هؤلاء العمال سيرتهم في الناس"، النظام الإداري والحربي ص ١٠٦، (وكأن دين عثمان يختلف عن دين علي)؟!!.

في آخر أيامه[١] ، بينما اتهمه بعضهم حتى بالتخطيط والتوطيد لتولية أقربائه ولو من الرضاعة على حساب الأكفاء[٢]، وتجاهل الصحابة أولي السابقة في الإسلام.

---

(١) يقول صبحي الصالح: "وسار عثمان سيرة عمر، وإن وكان في آخر أيامه قد ضعف عن الإدارة القوية الحازمة، وتأثر بعشيرته الأقربين إليه فتذمرت الرعية في مختلف الولايات... حتى إذا جاء علي بادر إلى عزل عمال عثمان منعاً لاستمرار التذمر والشكوى. النظم الإسلامية/٣١٠.
ويقول مولوي حسيني: كان الخلفاء حتى منتصف عهد خلافة عثمان يعنون أشد العناية باختيار الولاة... حتى منتصف عهد عثمان، إذ أخذت بطانته بعد ذلك في اختيار عماله على أساس العصبية والمحاباة مما أدى إلى اشتعال الفتنة، (الإدارة العربية ٢٤٤).

(٢) يقول ابن أعثم الكوفي: (وكل يذكر أنه لما صار الأمر إلى عثمان بن عفان واجتمع إليه الناس أرسل إلى عمال عمر بن الخطاب فأقرهم على أعمالهم وجعل يقدم أهل بيته وبني عمه من بني أمية فولاهم الولايات) الفتوح ج٢/١٤٩. وقد تحامل ابن أعثم الكوفي على عثمان في مواضع كثيرة من كتابه آثرت عدم ذكرها وتقع بين ص ١٥٠ حتى ١٦٠ وكذلك في صفحات لاحقة يظهر عثمان بمظهر الظالم...
ويقول صبحي محمصاني: ويستثنى من هذا التحوط ما روي عن عثمان بن عفان من توليته كثيراً من أهله وأقاربه. فلذا نقم الناس عليه وكان ذلك من المطاعن التي أثيرت ضده، فأدت مع غيرها إلى اغتياله. (تراث الخلفاء الراشدين في الفقه والقضاء، ص ٤٥).
ويقول راضي عبدالرحيم: (وكان عمر قد ترك عمرو بن العاص على مصر فأقره عثمان كما أقر غيره وقتاً ولم تكد السنة الأولى تمر حتى تمهد الطريق لتولية عبدالله بن سعد بن أبي السرح عليها إذ كان أخاً له من الرضاعة (النظام الإداري والحربي ص ١٠٦).
ويقول توفيق اليوزبكي: وسار عثمان سيرة عمر في أيامه الأولى، إلا أنه في أواخر أيامه اعتمد على عشيرته وأقربائه فتذمرت الرعية في مختلف الولايات وأدت إلى الفتنة التي انتهت بمصرعه. (دراسات في النظم العربية والإسلامية ص ١٠٤).
كما يقول محمد الملحم: كما عزل عن مصر عمرو بن العاص وجعل عليها أخاه من الرضاعة "عبدالله بن سعد بن أبي السرح" ولم يكن هناك من سبب في عزل عمرو إلا خلافه مع =

وهؤلاء يتناسون من كان يتولى لعثمان من الصحابة ويتناسون أيضاً عزوف كثير من الصحابة عن الولاية وكبر سن الكثير منهم ممن عاصر الرسول ﷺ، فعثمان نفسه رضي الله عنه قد تجاوز الثمانين في تلك الأيام والولاية بحاجة إلى شباب يستطيعون الجهاد ومصاحبة الجيوش كعبدالله بن عامر وغيرهم ممن أثبتوا مقدرتهم على تحمل المسؤولية والقيام بواجباتها، كما أن الرسول ﷺ نفسه كان يولي الشباب أحياناً كأسامة بن زيد وغيره مع وجود شيوخ الصحابة تحت قيادته كعمر وغيره، وكذلك كان أبوبكر وعمر يولون الشباب مع وجود الشيوخ. ولم يكتف هؤلاء باتهام عثمان بتولية أقاربه، بل اتهموا أولئك الولاة بالانشغال في أمورهم وأطماعهم الخاصة[1]، دون أن يدللوا على صحة ما يقولون. ويذهب البعض إلى أن عثمان وولاته معه قد اعتادوا أن يمدوا أيديهم إلى أموال المسلمين

= عبدالله بن سعد بن أبي السرح والي الخراج، فكأن عثمان نصر عبدالله على عمرو وكان يمكنه عزل الرجلين وعمرو أرجح في الميزان من عبدالله بن سعد، وهكذا سار عثمان في بقية الأمصار فكان يقوم على تقديم أهله وأقاربه وعشيرته مهما يكن كفاية هؤلاء في الإدارة والفتح، إلا أنه يوجد من الصحابة وغيرهم من هو أكفأ منهم أو على الأقل من لا يقل عنهم كفاية مع السابقة وحسن السيرة ورضاء المسلمين، وكان يمكن أن يجعل لغيرهم نصيباً في الولاية معهم، ولكنه ربما رأى أن أمور الحكم تستقيم له. فأهله أضمن أن يعينوه ويخلصوا له ولكن تطور الأمر إلى غير ما أراد، (تاريخ البحرين في القرن الأول الهجري، ص ٢٠٧).

(١) يقول بدوي عبداللطيف: (أما من الناحية الإدارية فقد استبعد عثمان بعض شيوخ الصحابة من عمال عمر وكانوا أكثر الرجال يقظة وأشدهم أخذاً برقاب المفسدين وأسدّهم سياسة للرعية كسعد بن أبي وقاص وأبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص بمن ليسوا في مقدرتهم وكفايتهم من بني أمية ذوي قرباه ولم يأخذهم بأوضاع عمر فاشتغل بعض كبار العمال بأطماعهم في ولايتهم عن النظر في مصالح الرعية والسهر على راحتها والتفرغ لأمورها)، الأحزاب السياسية في فجر الإسلام، القسم الثاني ص ٣٣.

ويتصرفوا بها في غير حقها[١]، وليت هؤلاء حين يتهمون يدعمون ما يصدرونه من اتهامات معينة وقعت من أولئك الولاة أو من عثمان حتى يؤيدوا ما ذهبوا إليه، ولكن على ما يبدو فإنهم يتناقلون تلك العبارات من بعضهم البعض دون تمحيص في تلك الأحكام أو النظر فيها بعين المحقق والبحث عما يسندها من أدلة، وقد حاول بعضهم التماس عذر لعثمان بأنه كان قد كبر سنة وعجز عن الإدارة، وهؤلاء يحاولون التخفيف من اتهاماتهم لعثمان بدعوى التماس العذر له[٢] بينما اتهم بعض الباحثين عثمان بأنه لم تكن له المقدرة السياسية التي تمكنه من القيام

---

(١) يقول راضي عبدالرحيم: (ولكننا نرى أن عثمان قد سمح لولاته الذين عينهم في الولايات أن ينهجوا نهجه في الناحية المالية، فمدوا أيديهم إلى أموال المسلمين بحجة التقرب إلى الناس بالأموال والعطايا فأثار هذا الحقد عليه وقوى المعارضة ضده). النظام الإداري والحربي، ص ١٣٥).

ويقول ابن طباطبا في الفخري عند الحديث عن قتل عثمان: (وسببه أن ناساً من المسلمين نقموا عليه تجاوزه بطريقة صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من التقلل والكف عن أموال المسلمين وكان هو قد صرف جملة منها على أقاربه ووسع على عياله وأهله) ص ٩٧.

ويقول طه حسين: (وواضح أن عمال عثمان قد ساروا في المال سيرة إمامهم فأعطوا واقترضوا واكتوى بعضهم بالدين، ثم يقول: وإذا أطلق يده وأطلق العمال أيديهم في الأموال العامة على هذا النحو لم يكن غريباً أن يحتاج الجند إلى المال فلا يجدون). (الفتنة الكبرى -١- عثمان، ص ١٩٤).

(٢) يقول أنور الرفاعي: (أما في عهد عثمان فقد ضعفت الإدارة في النصف الأخير من حكمه لشيخوخته مما أدى إلى تذمر المسلمين بالولايات فشقوا عصى الطاعة وأضرموا نار الفتنة التي انتهت بقتله)، النظم الإسلامية، دار الفكر بيروت، ص ٧٤.

بأعباء الخلافة كما كانت لأبي بكر وعمر من قبله[1]، وهذه الاتهامات أو الإدانات الظاهرة والمستترة التي ذكرنا نماذج منها إنما هي في مجملها تركيز على اتهام عثمان وولاته، وهي تترك انطباعاً عاماً لمن يقرؤها بأن ولاة عثمان لم يكونوا على دراية بأمور ولاياتهم و لم يقوموا بأعبائها، بينما تفيدنا دراسة تاريخ كل ولاية وتاريخ كل والٍ على حدة -كما أسلفنا- ببطلان هذه التهم، إذ أن الأحداث التي وردت في المصادر التاريخية تخالف تلك الاتهامات التي تناقلها بعض الباحثين والمؤلفين. ونحن حين ندقق في تلك التهم نشير إلى ما ذكرناه سابقاً من ضرورة الحديث عن كل من ولاة عثمان الذين اتهم فيهم، فمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه والذي اتهم عثمان بتوليته لقرابته معه قد عمل للرسول ﷺ ثم لأبي بكر وعمر، وكان عاملاً على معظم الشام لعمر بن الخطاب قبل عثمان فأقره عثمان على ولايته حين بويع[2].

---

(١) يقول محمد ضياء الدين الريس: (ولكن عثمان رضي الله عنه ولا شأن لنا الآن بأن نتحدث عن تقواه وورعه وسمو إيمانه وعظم جهاده، مما يشهد له كله ببالغ الفضل، ولكننا نتكلم عن الوجهة السياسية -فقط- لم يكن من طراز هؤلاء الساسة الحكماء أو الإداريين الحازمين بل كان دونهم بمرتبة أو مراتب) (النظريات السياسية ط٧، دار التراث، القاهرة ١٩٧٩م، ص ٥٠).

(٢) يقول الدكتور علي حسني الخربوطلي: (وفي ولاية عثمان كثرت الولايات بتكاثر الفتوح، وكان والي الشام حينئذ معاوية بن أبي سفيان، وقد استغل ثقة عثمان فيه وتساهله فأخذ يعين الموظفين والعمال المختلفين في مدن الشام الواقعة ضمن ولايته مثل حمص وقنسرين والأردن وفلسطين، كما عين القضاة أيضاً)، الإسلام والخلافة، ص ٩٣، ويبدو أن الدكتور الخربوطلي تصور أن تعيين معاوية للعمال ضمن حدود ولايته وترتيبه لأمور ولايته الإدارية والقضائية تساهل من عثمان وكان الأجدر به أن يعد ذلك من حسنات عثمان ومعاوية في الوقت نفسه بدل أن يعتبرها مثالب وسيئات.

وأما عبدالله بن عامر، فقد ولاه عثمان بعد عزل أبي موسى عن البصرة بناء على طلب أهلها.

وأما الوليد بن عقبة فسبق أن ولاه الرسول ﷺ ثم أبوبكر وعمر، وكان أميراً في النواحي الواقعة شمال الكوفة وقائداً لبعض جيوشها فولاه عثمان بعد عزل سعد ابن أبي وقاص عنها، وكان محبوباً إلى أهل الكوفة وقد اتهمه بعض أهل الكوفة بشرب الخمر فجلده عثمان وعزله بظاهر الشهادة ونحب أن نذكر هنا أن عزل الوليد عن الكوفة قد أغضب بعض أهلها فغضبوا على عثمان لعزله الوليد[١] وتعيين سعيد بن العاص عليهم.

وأما التهم الموجهة ضد سعيد بن العاص فهي من رواية الأشتر النخعي بدعوى أنه سمع سعيد بن العاص يطلب من عثمان إنقاص عطاء أهل الكوفة فثار الناس عليه ولم يثبت أنهم اتصلوا بعثمان لأجل شكاية سعيد[٢]، ونحن نميل إلى تلفيق الأشتر لهذه القصة.

كما كان ضمن احتجاجات أصحاب الفتنة على عثمان قيامه بعزل بعض الولاة، فقد انتقدوا عزل عثمان لسعد بن أبي وقاص، وقد كان أهل الكوفة قد طلبوا عزل سعد أيام عمر بن الخطاب فعزله عمر، ثم نشب بينه وبين ابن مسعود خلاف فعزله عثمان، والغريب أن سعداً نفسه لم يغضب لهذا العزل[٣] وقد كانت العلاقة بين عثمان وسعد -حتى بعد عزله- طيبة جداً لم تشبها شائبة، وكان عثمان يستفيد منه في كثير من الأمور، وقد وقف سعد بنفسه مع عثمان في محنته

(١) المالقي الأندلسي، التمهيد والبيان، ٤٥.

(٢) انظر، ص ٢٨٣ من هذا الكتاب.

(٣) انظر ص ٢٦٥ من هذا الكتاب.

الأخيرة أثناء حصاره ومقتله، وكان يسب الثّوار ويشارك في الدفاع عن عثمان[١]... فأي دعوة تلك التي ادعوها بأنهم كانوا ناقمين على عزله، وكذلك ما قيل من عزله أبي موسى الأشعري، فقد ذكرنا أنه نشب نزاع بينه وبين جند البصرة فطلب بعضهم عزله، وكان في عزله تكريم له[٢] لا إهانة كما يدعي بعضهم. وعلى هذا الأساس فإن هذه السياسة التي اتبعها عثمان في العزل والتعيين إنما كان يهدف منها مصلحة الأمة أولاً. وقد بالغ طه حسين في التشكيك في إجراءات عثمان سواء عزل أو ولى، وادعى أنه لم يراع الذمة في ذلك[٣]، وما

---

(١) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج/١١٢٤، ١١٢٥.

(٢) انظر ص ١٦٨ من هذا الكتاب.

(٣) يقوم طه حسين: (وكان عثمان يعلم حق العلم أن عبدالله بن عامر شاب حدث لم تتجاوز سنه الخامسة والعشرين بعد، وأن في المهاجرين والأنصار وغيرهم من العرب من هم أكبر منه سناً وأكثر منه تجربة وأقدم منه سابقة في الدين، وكان عثمان يعلم أن الله قد أنزل قرآناً في عبدالله بن سعد بن أبي السرح، وأن النبي كان قد هدر دمه يوم الفتح فلم تكن حال الناس مستورة، وإنما كانت أظهر من أن تخفى على مثل عثمان. وظاهر كذلك أن قول أهل السنة والمعتزلة أن عثمان عزل من عماله من ظهر له فسقه أو فساد أمره لا يستقيم فعثمان لم يعزل الوليد إلا حين لم تكن له مندوحة عن عزله... ثم يقول: وليس صحيحاً كذلك أن عثمان عزلهم حين استبان له اعوجاج سيرهم... ثم يقول: فسياسة عثمان في العزل والتولية لم تكن ملائمة للعهد الذي أعطاه وليس من شك في أن الذين ضاقوا بهؤلاء العمال وثاروا عليهم ونقموا من عثمان توليتهم لم يكونوا مخطئين). (الفتنة الكبرى -١- عثمان ص ١٨٨ و١٨٩).
إن قتلة عثمان في نظره ليسوا مخطئين.
ويقول أيضاً: وقد نقم المسلمون من عثمان سياسته في الإدارة وسيرته في التولية والعزل، فقالوا: إنه ولى أمور المسلمين جماعة من الأحداث لا يصلحون لها ولا يقدرون عليها ولا ينصحون للدين ولا يخلصلون لله ورسوله، وعزل أصحاب النبي عن الأمصار و لم يسمع لوصية عمر، فجعل بني أبي معيط وبني أمية على رقاب الناس. وقد عوتب في ذلك فلم يعتب حتى ظهر فسق عمّاله وانحرافهم عن الجادة فلم يعزل أحداً منهم إلا مضطراً فهو قد ولى الوليد على الكوفة مكان سعد بن أبي وقاص وولى عبدالله بن عامر مكان أبي موسى الأشعري وولى عبدالله بن سعد بن أبي السرح مكان عمرو بن العاص، وآثر معاوية بالشام كله. (الفتنة الكبرى -عثمان- ١٨٧).

ذكره طه حسين بعيد عن الصواب و لم يسلك فيه نهجاً علمياً كما رأينا، وهو لم يعز ما كتبه إلى أي مصدر تاريخي يعتمد عليه، فمنهجه في قضية عزل عثمان لبعض ولاته كمنهجه غير العلمي في إدانته للوليد بن عقبة. فأين الذمة فيما كتبه طه حسين عن عثمان؟ أم أن ذمة طه حسين خير من ذمة عثمان كما يظن.

ومع ذلك يأتي أناس بعده ويعتمدون على كتابته في الوقت الذي نعد فيه آراءه من الناحية المنهجية أحكاماً لا تستند إلى أصول موثقة أو مصادر معتبرة، فكيف يعتمد عليها بعض الباحثين ويرددونها وكأنها حقائق أثبتها التاريخ الصحيح.

وهذه في مجملها هي القضايا التي اتهم فيها الولاة من خلال حديث قتلة عثمان عنها، وبعد مبايعة علي رضي الله عنه لاحظ كثرة الحديث عن عثمان والعيب عليه، فقال: (إنكم وما تعيرون به عثمان كالطاعن نفسه ليقتل ردفه، وما ذنب عثمان في رجل قد ضربه بقولكم وعزله، وما ذنب عثمان فيما صنع عن أمرنا)[١].

وأما ما قيل عن توليته لأقاربه الذين ذكروا؛ وهم معاوية والوليد بن عقبة وسعيد بن العاص وعبدالله بن عامر، فحينما ننظر إلى عثمان وإلى غيره من الخلفاء، فسوف نجد أن روابطهم العائلية بكافة قريش كانت قوية، فلو نظرنا إلى ولاة عمر وإلى ولاة أبي بكر لوجدنا أن فيهم من كان صهراً أو قريباً للخليفة و لم يشفع له ذلك في الولاية وإنما كان اعتقاد الخليفة بكفايته هو الذي دفعه إلى توليته.

ولو أمعنا النظر في ولاة علي بن أبي طالب لوجدناه قد ولّى أبناء العباس بن

---

(١) المالقي الأندلسي، التمهيد والبيان، ٤٥.

عبدالمطلب على البصرة ومكة واليمن وغيرها[١] وحاشا لله أن يكون علي قد ولى هؤلاء بسبب قرابتهم لا بسبب اعتقاده بكفايتهم، وكذلك ولّى عثمان رضي الله عنه أناساً من أقاربه لا لأنهم أقاربه بل لأنهم أكفاء -أيضاً- للولاية، فلما دعت المصلحة إلى عزْلِهِم عزَلَهُم ولم تمنع قرابتهم له من عَزْلِهِم وحتى تأديبهم كالوليد بن عقبة، وسعيد بن العاص. فلماذا الإصرار على ذكر قرابتهم له عند التعيين ونسيان أنه عَزَلَهم رغم قرابتهم؟ فلماذا يؤخذ جانب ويترك الآخر؟ وقد صدرت هذه التهم من قبل أصحاب الفتنة الذين قدموا إلى المدينة وطلبوا من عثمان أن يعزل مجموعة من ولاته، فقال: (إن كنت أستعمل من أردتم، وأعزل من كرهتم فلست في شيء من الأمر، والأمر أمركم، فقالوا: والله لتفعلن أو لتخلعن أو لتقتلن فأبى عليهم فحصروه)[٢].

والجانب الآخر لأثر الولاة في أحداث الفتنة هو أنهم استطاعوا أن يكتشفوا الفتنة وأصحابها في أمصارهم منذ بداياتها الأولى واستطاعوا أن يراقبوا أهلها ويضيقوا عليهم ويكتبوا في شأنهم إلى عثمان رضي الله عنه فقام عثمان وولاته بترحيل بعض هؤلاء من أمصارهم إلى أمصار أخرى، والتضييق عليهم[٣].

وقد كثرت الإشاعات على الولاة فيما بعد، فبعث عثمان مندوبين إلى الأمصار ليأتوه بحقائق الأمور، ثم طلب بعد ذلك اجتماعاً مع كافة الولاة في الأمصار للتباحث معهم في أمر الإشاعات وما يردده الناس، فعقد اجتماعاً مع الولاة في المدينة للتباحث معهم فيما يمكن اتخاذه إزاء تلك البوادر التي بدأت تظهر وتنذر بالشّر، فاجتمع الولاة في المدينة[٤] وحضر الاجتماع مجموعة من شيوخ الصحابة، وعبّر الحاضرون عن آرائهم. وقد بدأ عثمان الحديث في ذلك الاجتماع

---

(١) أبوبكر بن العربي، العواصم من القواصم، ص ٨٧.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/١١٧، ابن الأثير، الكامل، ج٣/١٧١، النويري، نهاية الأرب ج١٩/٤٩٠.

(٣) انظر ص ٢٨٣ من هذا الكتاب.

(٤) الطبري، تاريخه، ج٥/٩٤، النويري، نهاية الأرب، ج١٩/٤٦٨.

بقوله: إن لكل أمير وزراء ونصحاء وإنكم وزرائي ونصحائي وأهل ثقتي، وقد صنع الناس ما قد رأيتم وطلبوا إلي أن أعزل عمالي، وأن أرجع عن جميع ما يكرهون إلى ما يحبون فاجتهدوا رأيكم، فقال ابن عامر: أرى يا أمير المؤمنين أن تشغلهم بالجهاد عنك حتى يذلوا لك ولا تكون همة أحدهم إلا في نفسه وما هو فيه. وكان رأي سعيد بن العاص وهو أشدهم التصاقاً بأصحاب الفتنة أن يقتل قادهم حيث قال: احسم عنك الداء، فاقطع عنك الذي تخاف؛ فإن لكل قوم قادة، متى تهلك تفرقوا ولا يجتمع لهم أمر. فقال عثمان هو هذا الرأي لولا ما فيه، فقال معاوية: أشير عليك أن تأمر أمراء الأجناد فيكفيك كل رجل منهم ما قبله وأكفيك أنا أهل الشام. وقال عبدالله بن سعد: إن الناس أهل طمع فأعطهم من هذا المال تعطف عليك قلوبهم.

ويبدو أن عثمان اقتنع برأي عبدالله بن عـــامر فأمر ولاته بالعودة وتجهيز الجيوش[١] إلا أن الأمور لم تسر كما رتب وكما أراد ولاته. وبعد هذا الاجتماع تقدم معاوية باقتراح إلى عثمان أن ينتقل معه إلى بلاد الشام فيضمن له الحماية والمناصرة، ولكن عثمان قال: ما كنت لأفارق مهاجر رسول الله ﷺ فقال معاوية: فإذا أبيت فأذن لي أجهز إليك جيشاً من الشام تطأ به من رابك فقال عثمان: لا أكون أول من أذل المهاجرين[٢].

ومن الملاحظ أن عثمان رضي الله عنه كان يحترم ولاته ويعطيهم ما لهم من حقوق ويحفظ هيبتهم بين الناس، فكان حين يعين عاملاً جديداً فإنه أحياناً يوصي

---

(١) عمر بن شـــبة، تاريخ المدينة ج٣/١٠٩٥، الطـــبري، تاريخـــه ج٥/٩٩، ابن الأثير، الكامل، ج٣/١٥٥، النويري، نهاية الأرب، ج١٩،٤٦٨.

وقد وقع اختلاف بينها في نسبة الكلام إلى صاحبه خصوصاً عند ابن شبة.

(٢) عمر بن شبة، تاريخ المدينة ج٣/١٠٩٦.

أهل البلد به، وباحترامه وتقديره كما فعل مع سعيد بن العاص[١] وغيره، كما كان يشعر الناس أنه يحاسب العمال علناً، ولذلك فإنه لا داعي لغمز العمال والانتقاص منهم وقد أصدرا كتباً في ذلك إلى الأمصار[٢].

وهكذا حاول الخليفة عثمان أن يحفظ هيبة الولاة وأن يوضح أن ما يدعيه بعض الناس من اعتداء سري بضرب أو شتم من قبل بعض العمال ليس صحيحاً ومن ادعى ذلك فعليه أن يوافي الموسم ويرفع شكواه إلى الخليفة وأمام الملأ حتى يؤخذ له حقه. وبذلك اتضح للناس كذب تلك الإشاعات التي أطلقت على الولاة وأنها إشاعات ملفقة غير صحيحة.

ولما بدأ حصار عثمان رضي الله عنه كتب إلى الأمصار يستنجد بهم لرد أصحاب الفتنة، ويقول: (بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإن الله عز وجل بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً فبلّغ عن الله ما أمره به ثم قضى الذي عليه، وخلف فينا كتابه فيه حلاله وحرامه وبيان الأمور التي قدر، فأمضاها على ما أحب العباد وكرهوا، فكان الخليفة أبو بكر رضي الله عنه، وعمر رضي الله عنه، ثم أُدخلت في الشورى عن غير علم ولا مسألة عن ملأ من الأمة، ثم أجمع أهل الشورى عن ملأ منهم ومن الناس عليّ، على غير طلب مني ولا محبة، فعملت فيهم ما يعرفون ولا ينكرون تابعاً غير مستتبع، متبعاً غير مبتدع، مقتدياً غير متكلف، فلما انتهت الأمور وانتكث الشر بأهله، بدت ضغائن وأهواء على غير إجرام ولا تِرَةٍ فيما مضى إلا إمضاء الكتاب، فطلبوا أمراً وأعلنوا غيره بغير حجة

---

(١) انظر ص ٢٧٧ من هذا الكتاب.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/٩٩.

ولا عذر، فعابوا عليّ أشياء مما كانوا يرضون وأشياء عن ملأ من أهل المدينة لا يصلح غيرها، فصبرت لهم نفسي وكففتها عنهم منذ سنين وأنا أرى وأسمع فازدادوا على الله عز وجل جرأة، حتى أغاروا علينا في جوار رسول الله ﷺ وحرمه، وثابت إليهم الأعراب فهم كالأحزاب أيام الأحزاب أو من غزانا بأحد إلا ما يظهرون فمن قدر على اللحاق بنا فليلحق)[(١)].

وقد تجاوب عمال الأمصار وأهلها مع خطاب عثمان رضي الله عنه، فسار جيش من أهل البصرة وجيش من أهل الشام نحو المدينة فبلغهم خبر مقتل عثمان رضي الله عنه قبل وصولهم المدينة فعادوا أدراجهم إلى أمصارهم[(٢)].

وبدأت مرحلة جديدة من الفتنة طيلة عهد علي رضي الله عنه، عانى فيها علي رضي الله عنه كما عانى عثمان أو أشد.

وهكذا نلاحظ أن خلافة عثمان رضي الله عنه امتدت قرابة اثنتي عشرة سنة، وأن الأحوال في النصف الأول منها كانت مستقرة، والفتوح مستمرة، وأما في النصف الثاني فقد اختلف الوضع، حيث أن الظروف العامة للمجتمعات الإسلامية بدأت تتغير نتيجة قدوم الوافدين من القبائل المرتدة وممن أسلم من الأعاجم الذين حاول بعضهم الإخلال بالدولة الإسلامية، ورتبوا في ذلك ترتيباً عجيباً ودقيقاً حتى تمكنوا من زعزعة الثقة بالخليفة وبولاته، وبالتالي مهدوا لفتنتهم التي استشهد فيها عثمان رضي الله عنه صابراً محتسباً.

ونلاحظ أن الولايات في عهد عثمان كانت هي الولايات في عهد عمر رضي

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/١٠٥.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/١١٦، ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٢/٢١٧.

الله عنه بالإضافة إلى أقاليم أرمينيا وطبرستان وخراسان وجزء من شمال أفريقيا التي انضمت إلى الدولة الإسلامية لأول مرة في عهد عثمان رضي الله عنه، كما أن الولاة كان لهم دور كبير في المحافظة على الولايات القائمة حيث حاول يزدجرد (كسرى فارس) أن يستعيد بعض المناطق من المسلمين في بلاد فارس وأن يثير المناطق الفارسية الخاضعة لحكم المسلمين، إلا أن حركته باءت بالفشل وانتهت بمقتله، كما حاول الروم من جانبهم الضغط على المسلمين في الشام والجزيرة وزحزحتهم من مواقعهم، إلا أن ولاة عثمان وأجناده في تلك المناطق كانوا لهم بالمرصاد وحاولوا الشيء نفسه في الإسكندرية ونجحوا مؤقتاً، إلا أن المسلمين طردوهم بعد ذلك.

وهكذا فإن عثمان وولاته انشغلوا بمدافعة الأعداء وجهادهم وردهم، ولم يمنعهم ذلك من توسيع رقعة الدولة الإسلامية ومد نفوذها في مناطق جديدة.

وقد كان للولاة تأثير مباشر في أحداث الفتنة حيث كانت التهمة موجهة إليهم، وأنهم اعتدوا على الناس، ولكننا لم نلمس حوادث معينة يتضح فيها هذا الاعتداء المزعوم والمشاع. كما اتّهم عثمان رضي الله عنه بتولية أقاربه، وقد دحضنا تلك الفرية.

وهكذا نرى أن عثمان لم يأل جهداً في نصح الأمة وفي تولية من يراه أهلاً للولاية، ومع هذا فلم يسلم ولا ولاته من اتهامات وجهت إليهم من قبل أصحاب الفتنة في حينها، كما أن عثمان رضي الله عنه لم يسلم من كثير من الباحثين في كتاباتهم غير المنصفة وغير المحققة عن عهده وخصوصاً الباحثين المُحْدَثين الذين يطلقون أحكاماً لا تعتمد على التحقيق، أو على وقائع محددة، يعتمدون فيها على مصادر موثوقة، ويتناقلها بعضهم عن بعض دون سند.

لقد كان عثمان -بحق- الخليفة المظلوم الذي افترى عليه الأولون و لم ينصفه المتأخرون. فرحمه الله ورضي عنه وويل لمن كان أحد من أصحاب رسول الله ﷺ خصماً له يوم القيامة وخصوصاً من شهد لهم الرسول ﷺ بالجنة ومنهم ذو النورين صهر رسول الله ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه.

الفصل الرابع
الولاية على البلدان
في عصر علي بن أبي طالب

أقسام الولايـــات

- المدينة المنورة
- مكة المكرمة
- البحرين وعمان
- اليمن
- الشام
- الجزيرة
- مصر
- البصرة
- الكوفة
- ولايات المشرق

★ تنظيم الولايات على البلدان في عصر علي

★ مراقبة علي لولاته

★ أثر الولاة في أحداث الفتنة



أقسام الولايات

المدينة المنورة:

كانت المدينة المنورة طيلة عهد الرسول ﷺ وخلفائه الثلاثة من بعده عاصمة الدولة الإسلامية، يقيم فيها الخليفة، ويتولى شؤونها بنفسه أثناء وجوده، أما في حالة السفر فإنه ينيب عليها من يتولى شؤونها.

وقد اختلف الوضع بعد مبايعة علي رضي الله عنه بالخلافة، إذ دعته الحالة العامة والارتباك الذي حدث بعد مقتل عثمان إلى مغادرة المدينة المنورة، خصوصاً بعد خروج طلحة والزبير وعائشة باتجاه العراق قبل موقعة الجمل(١).

وحينما أراد علي الخروج من المدينة لقيه (عبدالله بن سلام)(٢) فأخذ بعنان فرسه وقال له: يا أمير المؤمنين والله لئن خرجت منها لا ترجع إليها ولا يعود إليها سلطان المسلمين، فحاول جند علي منعه، فقال: دعوه فنعم الرجل من أصحاب محمد ﷺ(٣).

وقد استخلف علي على المدينة (سهل بن حنيف الأنصاري)(٤) كما تقول

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٨١.
الطبري، تاريخه، ج٥/١٦٩، ابن الأثير، ج٣/٢٢١.

(٢) عبدالله بن سلام: كان من أحبار يهود وأسلم بعد قدوم الرسول ﷺ إلى المدينة ثم كان من خواص أصحاب الرسول ﷺ واشتهر عند الصحابة والتابعين بعلمه الغزير. اشترك في العديد من الفتوح زمن الخلفاء الراشدين، وقد شهد له الرسول ﷺ بالجنة توفي سنة ٤٣هـ.
(الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٤١٣، ابن حجر، الإصابة، ج٢/٣٢٠).

(٣) الطبري، تاريخه، ج٥/١٧٠، ابن الأثير، ج٣/٢٢٢.

(٤) سهل بن حنيف، أنصاري أوسي بدري آخى الرسول ﷺ بينه وبين علي بعد هجرته، شهد المشاهد مع الرسول ﷺ، كان من أمراء علي، مات بالكوفة سنة ٣٨هـ، (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٣٢٥، ابن حجر، الإصابة، ج٢/٨٧).

بعض الروايات[١]، ولا نعلم المدة التي بقي فيها سهل بن حنيف والياً على المدينة. والذي يبدو أن ولايته قد استمرت أكثر من سنة، فقد ورد أنه كان على المدينة سنة ٣٧هـ[٢].

ثم ولى علي (تمام بن العباس)[٣] على المدينة بعد أن عزل سهل بن حنيف عنها[٤]، ولم تذكر المصادر التاريخية التي اطلعت عليها شيئاً من الحوادث التي وقعت لتمام أثناء ولايته على المدينة في تلك الفترة.

وقد ولى علي بن أبي طالب على المدينة بعد ذلك (أبا أيوب الأنصاري) الذي استمر والياً عليها إلى سنة ٤٠هـ، حيث قدم المدينة جيش من الشام من قبل معاوية بقيادة (بسر بن أرطاة)[٥] ففر أبو أيوب من المدينة، وتوجه إلى علي في الكوفة[٦]، وبذلك خرجت المدينة من حكم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ودخلت في حكم معاوية.

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٨١، ٢٠١.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٦/٥٣، ابن الأثير، الكامل، ج٣/٣٥٠.

(٣) تَمَّام بن العباس بن عبدالمطلب، من أم ولد اختلف في صحبته، كان من أشد الناس بطشاً، وتزوج ميمونة بنت علي بن أبي طالب وكان من أمراء علي (الزبيري، نسب قريش، ٢٧، البلاذري، أنساب الأشراف، القسم الثالث ص ٦٦، الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ج١/٥٨).

(٤) خليفة بن خياط، تاريخه ٢٠١، الطبري، تاريخه، ج٥/١٦٩.

(٥) بسر بن أرطأة القرشي العامري، توفي الرسول ﷺ وله ٨ سنوات اشترك في فتح مصر واشتهر بولايته الحجاز ومصر لمعاوية بن أبي سفيان وكان من أشهر أمرائه ويعد من شجعان العرب. عاش إلى زمن عبدالملك بن مروان (ابن سعد، الطبقات، ج٧/٤٠٩، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٤٠٩).

(٦) خليفة بن خياط، تاريخه ٢٠١، اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٩٧، الطبري، تاريخه، ج٦/٨٠، ابن أعثم الكوفي، الفتوح ج٤/٥٦، ابن الأثير، الكامل ج٣/٣٧٣.

وهكذا نرى أن المدينة تحولت في عهد علي من قاعدة للخلافة إلى ولاية من الولايات، وأخذت الأحداث السياسية تدور بعيداً عنها، لذلك نجد المصادر التاريخية تكاد تهملها خلال تلك الفترة إلى أن استطاع جيش معاوية الاستيلاء عليها.

مكة المكرمة:

توفي عثمان رضي الله عنه وعلى مكة خالد بن سعيد بن العاص(١)، فأصدر علي رضي الله عنه قراراً بعزله وعين (أبا قتادة الأنصاري)(٢) والياً على مكة(٣)، ويبدو أن فترة ولايته قصيرة؛ إذ أن علياً رضي الله عنه عندما أراد الخروج من المدينة إلى العراق بعث (قثم بن العباس)(٤) والياً على مكة، وعزل أبا قتادة الأنصاري(٥)، وبهذا فإن ولاية أبي قتادة استمرت قرابة الشهرين، ولم ترد عنها أخبار تذكر.

---

(١) انظر ص ٢٢٦ من هذا الكتاب.

(٢) أبو قتادة الأنصاري، ويسمى الحارث بن ربعي شهد أحد وما بعدها مع النبي ﷺ كان يسمى فارس رسول الله ﷺ عاش إلى زمن علي وكان أحد أمرائه وقد اختلف في سنة وفاته والأرجح أنها سنة ٥٤هـ (ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦/١٥، ابن قدامة المقدسي الاستبصار، ١٤٨).

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه، ٢٠١، الفاسي، شفاء الغرام ج٢/٦٦، دحلان، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، ٤.

(٤) قُثَم بن العباس بن عبدالمطلب ابن عم رسول الله ﷺ له صحبة، اشتهر بالورع، اشترك في فتوح خراسان زمن عثمان رضي الله عنه، كان من أمراء علي، قيل: إنه توفي (بسمرقند) (ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧/٣٦٧، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٤٤٠).

(٥) اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٧٩، الطبري، تاريخه، ج٥/١٦٩.

ومعظم المصادر التي تحدثت عن ولاية قثم بن العباس على مكة ذكرت أن علياً ولاه على مكة والطائف وأعمالهما في وقت واحد[١].

وتقل الأخبار عن مكة في فترة خلافة علي رضي الله عنه سوى ما يتعلق بموسم الحج ومن كان والياً عليه، فعلي بن أبي طالب لم يرد أنه شهد الحج أثناء خلافته، ولعل مردّ ذلك إلى انشغاله بالفتن التي قامت في أنحاء الدولة الإسلامية، حيث لم تستقر الأوضاع فيها، وكان خلال موسم الحج يبعث من يقود الحجيج. ويبدو أن قثم بن العباس أقام الحج بالناس سنة ٣٧هـ فقط، بينما بعث علي رضي الله عنه على الحج عبدالله بن العباس سنة ٣٦ (وعبيد الله بن العباس)[٢] سنة ٣٨هـ[٣] مع وجود اختلاف بين المصادر في سنة حج كل منها.

وأما سنة ٣٩ فقد بعث معاوية أحد قواد الشام مع حجاج الشام وأمره أن يقيم الحج بالناس، فلما وصل إلى مكة تنازع مع (قثم بن عباس) وكاد أن يقع بينهما قتال لولا عمل بعض الصحابة بينهما بالصلح على أن يقيم الحج بالناس أحد (بني شيبة)[٤] وانتهى الحج بسلام و لم يقع قتال[٥].

---

(١) انظر مثلاً الطبري، تاريخه، ج٦/٩٠، ابن الأثير، الكامل ج٣/٣٩٨.

(٢) عبيد الله بن العباس بن عبدالمطلب رأى النبي ﷺ وروى عنه بعض الأحاديث، اشتهر بجوده وكرمه، عاش إلى زمن يزيد بن معاوية، (ابن حجر، الإصابة، ج٢/٤٣٧، وتهذيب التهذيب ج٧/١٩).

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٩١، ١٩٢، ١٩٨، اليعقوبي، تاريخه، ج٢/٢١٣، الطبري، تاريخه، ج٥/٢٤١.

(٤) (بنو شيبة) هم سدنة الكعبة وينسبون إلى شيبة بن عثمان بن طلحة، وقد دفع الرسول ﷺ إليهم مفتاح الكعبة بعد أن أخذه منهم يوم الفتح (السمعاني، الأنساب ج٧/٤٤٠).

(٥) خليفة بن خياط، ١٩٨، اليعقوبي، تاريخه، ج٢/٢١٣، الطبري، تاريخه، ج٦/٧٩.

وقد استمر قثم بن العباس في ولايته على مكة إلى أن قدم جيش معاوية بقيادة بسر بن أرطاة، فخرج منها هارباً خائفاً على نفسه، وبذلك انتهت ولاية قثم، وخرجت مكة من ولاية علي بن أبي طالب، وقد بعث علي بعض أجناده لاستعادة مكة، إلا أن استشهاده رضي الله عنه حال دون إتمام المهمة[١].

ولاية البحرين و عمان:

كانت البحرين حين توفي عثمان رضي الله عنه تابعة لإمارة البصرة، وكان ابن عامر يولي عليها من عماله، وفي خلافة علي رضي الله عنه عين على ولاية البحرين مجموعة من الأمراء كان من أهمهم (عمر بن أبي سلمة)[٢] الذي خرج مع علي من المدينة أثناء سفره إلى العراق، ثم بعثه علي و الياً على البحرين[٣] لفترة من الوقت ثم استدعاه لمصاحبته في العراق بعد ذلك. وتقل الأخبار عن فترة ولاية عمر بن أبي سلمة على البحرين، ولعلها كانت مدة قصيرة.

كما كان من عمال علي في البحرين (قُدَامَة بن العَجْلان الأنصاري)[٤] و(النعمان بن العجلان الأنصاري)[٥] وكذلك[٦] ذكر من ولاته على البحرين

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٩٨، اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٩٨، الطبري، تاريخه، ج٦/٨٠، ابن أعثم الكوفي، ج٤/٥٨.

(٢) عمر بن أبي سلمة المخزومي القرشي، ربيب الرسول ﷺ، أمه أم سلمة أم المؤمنين، كان من أصـحاب علي شهد معه الجمل وكان من أمـرائه، توفي سنة ٨٣هـ (ابن حجر، الإصابة ج٢/٥١٩، تهذيب التهذيب، ج٧/٤٥٦).

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه، ٢٠٠، الطبري، تاريخه، ج٥/١٦٧، ابن الأثير، الكامل ج٣/٢٢٢.

(٤) قُدَامَةُ بن العَجْلان، بحثت عنه في المصادر المتخصصة و لم أعثر له على ترجمة.

(٥) النُعْمَان بن عجلان: الزرقي الأنصاري صحابي شهد بعض المشاهد مع الرسول ﷺ وله بعض الأحاديث عن رسول الله، اشتهر بولايته البحرين لعلي (ابن قدامة، الاستبصار، ١٧٥، ابن حجر، الإصابة ج٣/٥٦٢).

(٦) خليفة بن خياط، تاريخه، ٢٠٠؛ اليعقوبي، تاريخه، ج٢/٢٠١، الطبري، تاريخه، ج٥/١٦٧، ابن الأثير، الكامل ج٣/٢٢.

(عبدالله بن العباس). يقول الطبري: (وكان عامله على البحرين وما يليها واليمن ومخاليفها عبيد الله بن عباس)[١]. ويلاحظ أن عبيد الله بن عباس كان والي اليمن، فلعل البحرين ونجد كانتا تابعين له في تلك الفترة، وهذا يوحي به تعبير الطبري، كما أن تعبير خليفة بن خياط يوحي بعدم معرفته لترتيب معين لهؤلاء الولاة[٢].

وقد أوردت المصادر أسماء بعض العمال الذين وجههم علي إلى عمان -أحدهم والي والآخر قائد جند- لإخماد إحدى الثورات التي قامت ضد علي في عمان[٣]. وكذلك كان هناك عامل على اليمامة[٤] ولعله خاضع لإشراف والي اليمن.

ولاية اليمن:

كان على اليمن مجموعة من الأمراء من قبل عثمان بن عفان رضي الله عنه، فلما استشهد عثمان وبويع علي بالخلافة ولى على اليمن عبيدالله بن العباس رضي الله عنهما[٥] وقد خرج ولاة عثمان من اليمن قبل وصول عبيدالله بن عباس إليها، واشترك بعضهم في جيش الجمل مع عائشة، وكان لهم دور في تجهيز الجيش[٦].

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٦/٩٠.

(٢) يقول في تاريخه: (البحرين من عمال علي عليها عمر بن أبي وسلمة، وقدامة بن العجلان والنعمان بن العجلان الأنصاري) ص ٢٠٠ في الوقت الذي يتحدث فيه عن ولاة البلدان الأخرى، فيقول: عزل عنها والي عثمان فلان ثم ولى عليها فلان ثم عزله وولى فلان وهكذا بالترتيب.

(٣) اليعقوبي، تاريخه ج٢/١٩٥.

(٤) الطبري، تاريخه، ٥/١٨١.

(٥) خليفة بن خياط، تاريخه، ٢٠٠، اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٧٩، الطبري، تاريخه، ج٥/١٦١، النويري، نهاية الأرب، ج٢٠/٢١.

(٦) الطبري، تاريخه، ج٥/١٦٢، المسعودي، مروج الذهب ج٢/٣٥٧.

وقد كان عبيد الله بن عباس على صنعاء وأعمالها كما كان معه في الولاية (سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري)[١] على (الجند) ومخاليفها[٢].

وقد استمر عبيدالله بن عباس والياً على اليمن طيلة عهد علي رضي الله عنه، إلا أنه حدث في سنة ٤٠هـ أن قدم إلى اليمن جيش معاوية بقيادة بسر بن أرطاة، فعيّن عبيدالله نائباً عنه على اليمن وتوجه إلى علي في العراق، فقدم بسر إلى اليمن وقتل نائب عبيدالله عليها، واثنين من أبناء عبيدالله فبعث علي أحد قواده إلى اليمن، واستطاع استرجاعها من جيش معاوية فأعاد عبيدالله بن عباس إلى ولايتها مرة أخرى، واستمر والياً عليها إلى أن استشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٣].

ولعل والي اليمن عبيدالله بن عباس في تلك الفترة كان أيضاً مسؤولاً عن ولايتي نجد والبحرين وتوابعهما، ويدل على ذلك النص الذي أورده الطبري عند حديثه عن عبيدالله كأحد ولاة البحرين، كما مر بنا قريباً[٤].

---

(١) سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري: اختلف في صحبته واشتهر كأحد ولاة علي، روى بعض الأحاديث عنه أبيه. (ابن قدامة المقدسي، الاستبصار، ٩٩).

(٢) الخزرجي الكفاية والإعلام، مخطوط ورقة ١٤، والمخاليف جمع مخلاف والمخلاف الكورة أو السلطان والمخاليف لأهل اليمن كالأجناد لأهل الشام والكور لأهل العراق، (ابن منظور، لسان العرب، ج٩/٨٤).

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٩٨، ٢٠٠، الطبري، تاريخه، ج٦/٨٠ و٨١، ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٤/٦٣ و٦٤. ابن الأثير، الكامل ج٣/٣٨٣ و ٣٨٤.

(٤) انظر الصفحة السابقة.

ولايات الشام:

كان معاوية بن أبي سفيان والياً على معظم الشام في أواخر خلافة عمر رضي الله عنه، ثم أصبح الوالي المطلق لبلاد الشام بقية خلافة عثمان رضي الله عنه، واستشهد عثمان وهو عليها.

فلما بويع علي رضي الله عنه بالخلافة أشار عليه مجموعة من الصحابة -وفيهم المغيرة بن شبعة وابن عباس رضي الله عنهما- بإقرار معاوية بن أبي سفيان على الشام، إلا أن علياً رضي الله عنه رفض ذلك وبادر إلى عزله عن ولاية الشام[1]، وبعث برسالة إلى معاوية فرفض معاوية العزل وأخر الإجابة على الرسالة ثلاثة أشهر تقريباً، ثم بعث رسولاً من عنده إلى علي في المدينة يذكر له رفض معاوية للعزل ومطالبته بدم عثمان أولاً[2].

وقد عين علي من قبله والياً على الشام (سهل بن حنيف، فخرج متجهاً إلى الشام) حتى إذا كان بتبوك لقيته خيل، فقالوا: من أنت؟ قال: أمير، فقالوا: على أي شيء؟ قال: على الشام، قالوا: إن كان عثمان بعثك فحي هلا بك وإن كان بعثك غيره فارجع. قال: أوسمعتم بالذي كان؟ قالوا: بلى فرجع إلى علي)[3] واستمرت بعد ذلك ولاية الشام تابعة لنفوذ معاوية بن أبي سفيان طيلة خلافة

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/١٥٩ و١٦٠، ابن الأثير، الكامل ج٣/١٩٧ ابن طباطبا، الفخري ٨٩، النويري، نهاية الأرب، ج٢٠/١٧؛ ابن كثير البداية والنهاية ج٧/٢٢٩.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/١٦٢، ابن الأثير، الكامل، ج٣ و٢٠٢ و٢٠٣.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٥/١٦١، انظر ابن الأثير، الكامل، ج٣/٢٠١، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/٢٢٩.

علي رضي الله عنه، ولم يتمكن علي من السيطرة عليها أو تعيين العمال والأمراء فيها، وقد وقعت في شرقي بلاد الشام بعض المناوشات بين جند علي وجند معاوية كان أهمها موقعة (صفين) والتي شهدها علي ومعاوية رضي الله عنهما في سنة ٣٧هـ[١]، ولم تمنع هذه المعارك من استمرار سيطرة معاوية على الشام.

ولاية الجزيرة[٢]:

كانت الجزيرة إحدى الولايات التابعة للشام أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه، وبعد استشهاده كانت الشام بيد معاوية، والعراق بيد علي، مما جعل الجزيرة محل تنازع بين الفريقين، نظراً لموقعها الجغرافي واتصالها بالشام من جهة وبالعراق من جهة أخرى[٣] وبالتالي سهولة السيطرة عليها من كلا الجانبين، وقد وقعت في الجزيرة العديد من المعارك بين أجناد علي وأجناد معاوية في محاولة من كلا الطرفين للسيطرة عليها[٤]، ويبدو أن علياً استطاع السيطرة عليها لفترة من الوقت، وعيّن عليها (الأشتر) وهو أشهر ولاة علي في الجزيرة[٥] حيث ولاّه عليها

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٩٠، الطبري، تاريخه ج٥/٢٣٦، ابن الأثير، الكامل، ج٣/٢٧٦، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/٢٥٨. "ولمزيد من التفصيلات انظر المنقري، نصر بن مزاحم ابن سيار "وقعة صفين"، تحقيق عبدالسلام هارون، الطبعة الثانية، القاهرة ١٣٨٢هـ مع ملاحظة أن الكاتب شيعي متعصب".

(٢) هي المنطقة الواقعة بين دجلة والفرات، انظر ص ١٢٨ من هذا الكتاب.

(٣) انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢/١٣٥.

(٤) الدينوري، الأخبار الطوال، ١٥٤، الطبري، تاريخه، ج٦/٧٧ و٧٨، ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٢/٣٥٠.

(٥) انظر: المنقري، وقعة صفين، ١٢، خليفة بن خياط، تاريخه ٢٠٠.

لأكثر من مرة فاستطاع أن يرتب أمورها، ثم اضطر علي رضي الله عنه لنقله لولاية مصر وذلك في سنة ٣٨هـ[١]، فعاد الاضطراب مرة أخرى إلى الجزيرة، ونشط أتباع معاوية في الاستيلاء عليها بعد ذلك، فوقعت فيها العديد من المعارك[٢]، ويبدو أن معاوية استطاع في أواخر سنة ٣٩هـ أن يسيطر إلى حد ما على الجزيرة[٣].

وقد كانت الجزيرة ملجأ لبعض المعتزلين للفتنة بين علي ومعاوية وهم الذين لم يبايعوا أحداً منهما أثناء النزاع الناشب بينهما[٤]، ولعل موقعها في المنتصف بين الطرفين هو الذي دفعهم لاختيارها.

وقد وردت أسماء بعض من ولي الجزيرة لعلي، ومنهم (شبيب بن عامر[٥]) و(كُمَيْل بن زياد[٦]) وكان لهما دور في مقاومة جيوش الشام التي هاجمت الجزيرة، بل إنهما استطاعا الهجوم على الشام من قبل الجزيرة[٧].

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٦/٥٤.

(٢) ابن أعثم الكوفي، الفتوح ج٤/٤٥، ابن الأثير، الكامل ج٣/٣٧٩.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٣/٣٨٠.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء ج٣/٤١٤.

(٥) شبيب بن عامر، لم أقف له على ترجمة.

(٦) كُمَيْل بن زياد النَّخَعِي، اشتهر بصحبته لعلي وشهد معه صفين، وكان من قواد الناس وأشرافهم له روايات عن عمر وعثمان وعلي كان من زعماء الكوفة، قتله الحجاج سنة ٨٢ هـ (ابن سعد، الطبقات الكبرى ج٦/١٧٩، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٨/٤٤٨).

(٧) ابن أعثم الكوفي، الفتوح ج٤/٥٠-٥٢، ابن الأثير، الكامل ج٣/٣٧٩.

ولاية مصر:

استشهد عثمان رضي الله عنه وعلى مصر محمد بن أبي حذيفة مغتصباً للولاية فيها، ولم يقره عثمان عليها، وبعد وفاة عثمان أقره علي على مصر[١] فترة من الوقت لم تطل، حيث وجه معاوية جيشاً إلى نواحي مصر فظفر بمحمد بن أبي حذيفة فقبض عليه ثم سجن وقتل[٢]، وقد ذكر أن علياً لم يعيّن محمد بن أبي حذيفة على مصر، وإنما تركه على حاله حتى إذا قتل عين عليّ (قيسَ بن سعد الأنصاري[٣] على ولاية مصر[٤] فقال له: (سر إلى مصر فقد وليتكها واخرج إلى رحلك واجمع إليه ثقاتك ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتيها ومعك جند فإن ذلك أرعب لعدوك وأعز لوليك فإذا أنت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن واشتد على المريب وارفق بالعامة والخاصة فإن الرفق يمن)[٥].

وقد ظهر ذكاء قيس وحسن تصرفه في العديد من المواقف، فإنه حين توجه إلى مصر كان فيها مجموعة ممن غضبوا لمقتل عثمان، ومجموعة ممن اشتركوا في قتله

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه ٢٠٢.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/٢٢٦، الكندي، ولاة مصر، ٤٢، ٤٣.

(٣) قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري كان من كرام أصحاب رسول الله ﷺ ويعد من دهاة العرب، وهو من أمراء علي وقد صحبه في معظم حروبه حتى قتل علي ثم كان مع الحسن حتى بايع معاوية، ثم لزم المدينة وأقبل على العبادة حتى مات بها سنة ٦٠هـ، (ابن قدامة، الاستبصار، ٩٧، ابن عبدالبر، الاستيعاب، ج٣/٢٢٤).

(٤) الكندي، ولاة مصر، ٤٤، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١/٩٤.

(٥) الطبري، تاريخه، ج٥/٢٢٧، ابن الأثير، الكامل ج٣/٢٦٩، النويري، نهاية الأرب، ج٢٠/١٩١.

وقد لقيته خيل من مصر قبل دخوله إليها، فقالوا: (من أنت؟ قال: من فألة عثمان فأنا أطلب من آوي إليه فأنتصر به لله. قالوا: من أنت؟ قال: قيس بن سعد. قالوا: أمضِ فمضى حتى دخل مصر)[١] وهذا الموقف الذكي لقيس هو الذين مكنه من دخول مصر، ثم أعلن بعد ذلك أنه أمير، وربما لو أعلن لهؤلاء الأجناد أنه أمير لمنعوه من دخول مصر أصلاً، كما حدث لمن وجهه علي إلى الشام فمنعته أجناد الشام من دخولها حينما علموا أنه قد بعث أميراً على الشام[٢].

وحينما وصل قيس بن سعد إلى الفسطاط صعد المنبر وخطب في أهل مصر وقرأ عليهم كتاباً من علي بن أبي طالب رضي الله عنه وطلب البيعة لعلي[٣]، وهنا انقسم أهل مصر إلى فريقين: فريق دخل في بيعة علي وبايعوا قيساً، وفريق توقف واعتزل، وكان قيس بن سعد حكيماً مع الذين بايعوا والذين امتنعوا، حيث لم يجبرهم على البيعة وكف عنهم وتركهم في حالهم[٤] ولم يكتف بذلك، بل إنه بعث لهؤلاء أعطياتهم في مكان اعتزالهم، ووفد عليه قوم منهم فأكرمهم وأحسن إليهم[٥]. فساعدت تلك المعاملة الطيبة على تجنب الصدام بهم، وبالتالي هدوء الأوضاع بمصر، حتى استطاع قيس أن ينظم الأمور فيها، فوزع الأمراء ونظم

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/١٦١، ابن الأثير، الكامل، ج٣/٢٠١، النويري، نهاية الأرب، ج٢٠/٢٢ والفألّة الجماعة المنهزمون (ابن منظور، لسان العرب ج١١/٥٣١)

(٢) انظر ص ٣٢٤ من هذا الكتاب.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٥/٢٢١.

(٤) الطبري، تاريخه، ج٥/٢٢٨، الكندي، ولاة مصر، ٤٤، ابن الأثير، الكامل، ج٣/٢٦٩. النويري، نهاية الأرب، ج٢٠/١٩٢.

(٥) الكندي، ولاة مصر، ٤٤.

أمور الخراج وعين رجالاً على الشرطة[١] وبذلك استطاع أن يرتب ولاية مصر، وأن يسترضي جميع الأطراف فيها.

وأصبح قيس بن سعد في هذا الموقع يشكل ثقلاً سياسياً وخطراً عسكرياً على معاوية بن أبي سفيان في الشام، نظراً لقرب مصر من الشام، ولترتيب قيس لها وتنظيمها، وما اشتهر عن قيس من حزم، وخوف معاوية من حركات عسكرية مناوئة له تخرج من مصر[٢]، ولذلك فإنه أخذ يراسل قيس بن سعد في مصر مهدداً له، وفي الوقت نفسه حاول إغراءه بالانضمام إليه، وكانت إجابات قيس على تلك الرسائل إجابات ذكية بحيث لم يستطع معاوية أن يفهم موقف قيس وما ينوي عمله، وقد تعددت بينهما الرسائل[٣]، إلا أنه وجد من حاول الإفساد بين علي وقيس بن سعد حتى يعزله، فأشعروا علياً بأن موقف قيس من معاوية موقف الصديق والمهادن، وخوّفوه منه ومن اتصالاته بمعاوية، وفي الوقت نفسه أخذ جماعة ممن يؤيدون معاوية في الكوفة والحجاز يشيعون بين الناس أن قيساً موال لمعاوية، وفي الوقت نفسه أخذ معاوية يحدث الناس في الشام عن قيس ويأمر الناس بعدم سبه فنقل ذلك عيون علي في الشام، ثم إن بعض مستشاري علي طلبوا منه أن يعزل قيساً وصدقوا تلك الإشاعات التي قيلت فيه، فكتب علي إلى

(١) الطبري، تاريخه ج٥/٢٢٨، الكندي، ولاة مصر، ٤٤، ابن الأثير، الكامل ج٣/٢٦٩، النويري، نهاية الأرب، ج٢٠/١٩٢، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج١/٩٨.

(٢) انظر الطبري، ج٥/٢٢٨، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١/٩٨.

(٣) انظر إلى هذه الرسائل في: اليعقوبي، تاريخه، ١٨٦، ١٨٧، الطبري، تاريخه، ج٥/٢٢٨ و ٢٢٩ ابن الأثير، الكامل، ٢٦٩-٢٧١، النويري، نهاية الأرب، ج٢٠/١٩٤، ١٩٥. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١/٩٨-١٠٠.

قيس يطلب منه محاربة القوم المعتزلين الذين لم يبايعوا والذين تحدث الناس بموالاتهم لمعاوية، ولكن قيساً أجاب علياً بكتاب قال فيه: "إنهم وجوه أهل مصر وأشرافهم وأهل الحفاظ منهم، و قد رضوا مني بأن أؤمن سربهم وأجري عليهم أعطياتهم وأرزاقهم وقد علمت أن هواهم مع معاوية فلست مكايدهم بأمر أهون من الذي أفعل بهم وهم أُسُود العرب فأبى عليه إلا قتالهم فأبى قيس أن يقاتلهم وكتب إلى علي إن كنت تتهمني فاعزلني وابعث غيري"[١].

ثم أكثر بعض جلساء علي من الحديث عن قيس وألحوا في عزله، فكتب إليه علي: "إني قد احتجت إلى قربك فاستخلف على عملك واقدم[٢]، وكان هذا الكتاب بمثابة عزل لقيس عن ولاية مصر، وقد عيّن علي مكانه (الأشتر النخعي)[٣] على أكثر الأقوال، وقد التقى علي بالأشتر قبل سفره إلى مصر (فحدثه حديث أهل مصر وخبّره خبر أهلها وقال: ليس لها غيرك اخرج رحمك الله، فإني إن لم أوصِك اكتفيت برأيك، واستعن بالله على ما أهمك فاخلط الشدة باللين، وارفق ما كان الرفق أبلغ واعتزم بالشدة حين لا يغني عنك إلا الشدة)[٤].

وقد توجه الأشتر إلى مصر ومعه رهط من أصحابه، إلا أنه حينما وصل إلى

(١) الكندي، ولاة مصر، ٤٥.

(٢) المصدر السابق، ٤٦.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه ٢٠١، البلاذري، فتوح البلدان، ٢٢٩، الطبري، تاريخه، ج٦/٥٤، الكندي، ولاة مصر ٤٦، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج٤/٣٤. وهناك رواية في الطبري تذكر أنه ولي محمد بن أبي بكر قبله، وهي في الغالب رواية مرجوحة ج٦/٥٥، وقد تعرض ابن تغري بردي لهذه الرواية وغيرها ورجح ولاية الأشتر أولاً. انظر، النجوم الزاهرة ج١/١٠٢.

(٤) الطبري، تاريخه ج٥/٥٤؛ وانظر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١/١٠٣.

أطراف (بحر القلزم) -البحر الأحمر- مات قبل أن يدخل مصر، وقد قيل: إنه سقي شربة مسمومة من عسل فمات منها، وقد أُتهم أناس من أهل الخراج أنهم سموه بتحريض من معاوية[١]. وقد استخلف الأشتر أحد أصحابه على مصر قبل وفاته[٢]. وهكذا فإن الأشتر مات قبل أن يباشر عمله في مصر، ومع ذلك فإن المصادر تتحدث عنه كأحد ولاة مصر لعلي بن أبي طالب وقد ولى بعده على مصر محمد بن أبي بكر[٣]، وقد سبق لمحمد بن أبي بكر أن عاش في مصر في خلافة عثمان، وكان من المحرضين على عثمان مع محمد بن أبي حذيفة وقد خرج محمد بن أبي بكر مع الجيش الذي توجه من مصر إلى المدينة وحاصر عثمان حتى قتل.

وتدل الروايات على أن محمد بن أبي بكر قد وصل إلى مصر قبل أن يغادرها الوالي الأول قيس بن سعد، وقد دارت محاورة بين قيس بن سعد ومحمد بن أبي بكر قدم فيها قيس عدة نصائح لمحمد، خصوصاً فيما يتعلق بالناس الغاضبين لمقتل عثمان، والذين لم يبايعوا علياً بعده. وقد قال قيس: يا أبا القاسم، إنك قد جئت من عند أمير المؤمنين وليس عزله إياي بمانعي أن أنصح لك وله، وأنا من أمركم هذا على بصيرة، دع هؤلاء القوم ومن انضم إليهم -يقصد الذين لم يبايعوا علياً ولا غيره- على ما هم عليه، فإن أتوك فاقبلهم وإن تخلفوا عنك فلا تطلبهم،

(١) خليفة بن خياط، تاريخه ١٩٢؛ الطبري، تاريخه، ج٦/٥٤، الكندي، ولاة مصر ٤٧؛ ابن تغردي بردي، النجوم الزاهرة ج١/١٠٤، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤/٣٤؛ العبر، ج١/ ٣٢؛ اليافعي، مرآة الجنان ج١/١٣٩.

(٢) الكندي، ولاة مصر، ٤٩.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه ١٩٢، الطبري، تاريخه ٥/٢٣٢، الكندي، ولاة مصر، ٥٠، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١/١٠٦.

وأنزل الناس على قدر منازلهم وإن استطعت أن تعود المرضى وتشهد الجنائز فافعل فإن هذا لا ينقصك[١].

وقد حمل محمد معه عهداً من علي رضي الله عنه فقرأه على أهل مصر وخطبهم[٢]، وبدأ يمارس ولايته، وقد مضى الشهر الأول من ولايته بسلام، إلا أن الأمور بدأت تتغير بعد ذلك، فلم يعمل محمد بنصيحة قيس بن سعد، وبدأ يتحرش بأولئك الأقوام الذين لم يبايعوا علياً، فكتب إليهم يدعوهم إلى المبايعة فلم يجيبوه، فبعث رجالاً إلى بعض دورهم فهدموها ونهب أموالهم وسجن بعض ذراريهم فعملوا على محاربته، وهموا بالهجوم عليه، وكانت قوتهم كبيرة قد تصل إلى عشرة آلاف مقاتل، ولا طاقة لمحمد بن أبي بكر بهم، فأمسك عنهم بعد أن وقعت بينه وبينهم بعض المعارك ثم جرت المصالحة بينهم، على أن يغادر أولئك القوم مصر بسلام، ويتجهوا إلى معاوية بن أبي سفيان بالشام، فعقد لهم الجسور فخرجوا من مصر ولحقوا بمعاوية[٣] في الشام، ثم إن معاوية أعد جيشاً بقيادة عمرو بن العاص وأشرك فيه من لجأ إليه من أهل مصر، فغزوا مصر ووقعت بينهم وبين محمد بن أبي بكر العديد من المعارك القوية التي انتهت بمقتل محمد بن أبي بكر واستيلاء أجناد معاوية على مصر[٤] وبذلك خرجت مصر من حكم علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٦/٥٣، الكندي، ولاة مصر، ٥٠. وانظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١/١٠٧.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٥/٢٣١ و٢٣٢، النويري، نهاية الارب، ج٢٠/١٩٦.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٦/٥٤، الكندي، ولاة مصر، ٥١، ابن الأثير، الكامل ج٣/٢٧٣.

(٤) خليفة بن خياط، تاريخه ١٩٢، الطبري، تاريخه ج٦/٥٣، التميمي: محمد بن أحمد بن تميم، كتاب المِحَنْ، تحقيق د. يحيى وهيب الجبوري، ط١ دار الغرب الإسلامي ١٤٠٣-١٩٨٣م، ص ١١٤، الكندي، ولاة مصر ٥٢، ابن الجوزي، تلقيح فهوم أهل الأثر، ١٠٩، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٤٨٢- العبر، ج١/٣٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج١/١١٠؛ المقريزي، الخطط، ج١/٢٠٠.

ولاية البصرة:

استشهد الخليفة عثمان رضي الله عنه وعلى إمارة البصرة عبدالله بن عامر بن كريز، فعمد ابن عامر إلى مغادرة البصرة، خصوصاً أنه كان ضمن الولاة الذين أعفاهم علي من مناصبهم بعد مبايعته مباشرة[١].

وقد وجّه علي (عثمان بن حنيف الأنصاري) أميراً على البصرة بعد مبايعته بالخلافة[٢]، وقد كان عثمان صاحب خبرة في المنطقة؛ إذ سبق أن عيّنه عمر على مسح (السواد) وتقدير الخراج فيه[٣].

وقد سار عثمان بن حنيف إلى البصرة فدخلها بسلام، إلا أن أهل البصرة انقسموا قسمين: قسم دخل في بيعته، وقسم قالوا: ننتظر أهل المدينة فنصنع مثلهم[٤]، و لم يلبث عثمان بن حنيف طويلاً في الولاية، فقد قدم إلى البصرة جيش عائشة قبل معركة الجمل وفيه طلحة والزبير ومن معهم ممن خرج للمطالبة بدم عثمان، فانقسم أهل البصرة قسمين: قسم انضم إلى جيش عائشة ومن معها، وقسم بقي مع عثمان بن حنيف والي البصرة، وجرت بين الفريقين محاورة طويلة، ثم إن رجالاً ممن اشتركوا في قتل عثمان أسرعوا إلى إنشاب القتال بين جند

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه ١٧٨؛ الطبري، تاريخه، ج٥/١٤٨، الذهبي سير أعلام النبلاء، ج٢/٣٢٢.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه ٢٠١، الطبري، تاريخه ج٥/١٦١ و١٦٢، ابن الأثير، الكامل ج٣/٢٠١.

(٣) أبو يوسف، الخراج ٣٩، الذهبي، سير أعلام النبلاء ، ج٢/٣٢٠.

(٤) الطبري، تاريخه ج٥/١٧٤ و١٧٥.

عثمان بن حنيف وبين جيش عائشة[١]، فحاولت عائشة رضي الله عنها تجنب القتال مع عثمان ما أمكن ذلك، إلى أن حجز الليل بين الفريقين، ثم وقع بينهم قتال من الغد أعقبه صلح بين الفريقين، ولكن أقواماً مشبوهين عملوا بعد ذلك على نقض الصلح، فأوقعوا القتال بين الفريقين في مسجد البصرة وقام أناس بالاعتداء على عثمان بن حنيف ونتفوا شعره وضربوه، وقد قامت عائشة رضي الله عنها بالتدخل لإطلاق سراحه بعد أن حبسه القوم[٢]، فخرج إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلقيه في طريقه إلى البصرة[٣] قبيل وقعة الجمل، وبذلك انتهت ولاية عثمان بن حنيف.

وقد وصل علي بن أبي طالب إلى البصرة ومكث فيها بعضاً من الوقت حدثت في أثنائه وقعة الجمل، وعندما أراد علي الخروج من البصرة ولى عبدالله ابن عباس رضي الله عنه[٤]. وقد ولى علي مع عبدالله بن عباس زياد بن أبية على الخراج، وأمر ابن عباس أن يستشيره، ويأخذ رايه نظراً لما وجده علي عنده من خبرة في العمل وفطانة في السياسة[٥]. وقد قدم علي بعض النصائح إلى ابن عباس ومنها

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه ١٨٢، الطبري، تاريخه، ج٥/١٧٦ و١٧٩، المسعودي، مروج الذهب ج٢/٣٥٨، ابن الأثير، الكامل ج٣/٢١٥، ابن كثير، البداية والنهاية ج٧/٢٢٣.

(٢) الطبري، تاريخه ج٥/١٧٨ و ١٧٩، ابن الأثير، الكامل ج٣/٢١٥، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧/٢٣٣.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه ١٨١، الطبري، تاريخه ج٥/١٨٦، ابن الأثير، الكامل ج٣/٢١٩ و ٢٢٦، ابن كثير، البداية والنهاية ج٧/٢٣٦.

(٤) خليفة بن خياط، تاريخه ٢٠١، الدينوري، الأخبار الطوال، ١٥٢، ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة ج١/٧٩، الطبري، تاريخه ج٥/٢٣٦.

(٥) الطبري، تاريخه ج٥/٢٢٤.

قوله: (أوصيك بتقوى الله عز وجل والعدل على من ولاه الله أمره، اتّسع للناس بوجهك وعلمك وحكمك وإياك والإحن، فإنها تميت القلب والحق، واعلم أن ما قربك من الله بعدك من النار، وما قربك من النار بعدك من الله، اذكر الله كثيراً ولا تكن من الغافلين)[١]. وقد بدأ ابن عباس يمارس عمله في ولايته بعد خروج علي إلى الكوفة، وقد استمر كذلك إلى أن أراد علي الخروج من الكوفة إلى الشام قبيل صفين فلحق به ابن عباس واستخلف على البصرة زياد بن أبي سفيان[٢]. وفي أثناء ولاية ابن عباس على البصرة قام بالعديد من الأعمال أهمها ترتيب (سجستان) بعد أن قتل واليها على يد مجموعة من الخوارج حيث بعث إليها ابن عباس بأمر من علي مجموعة من أجناد البصرة تمكنوا من قتل الخوارج فيها وترتيب أمورها وتأمين أهلها سنة ٣٦هـ[٣]، كما كان لابن عباس ولأجناد البصرة معه دور مع علي بن أبي طالب في معركة صفين[٤]، وفي أيامه خرجت مجموعة من الخوارج من أهل البصرة وحاول ابن عباس منعهم من الخروج في البداية ولكنهم فاتوه[٥].

كما قام ابن عباس بتنظيم شؤون بعض الأقاليم التابعة لولايته وعيّن عليها الأمراء من قبله، حيث وجه إلى فارس زياد بن أبي سفيان فرتبها واستطاع أن ينظم أمورها ويؤدب أهلها بعد عصيانهم[٦]. وفي أيامه غدر أهل إصطرخ فقام

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١/٧٩، وانظر المنقري، وقعة صفين، ١٠٥، والإحن: الأحقاد.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ٢٠١، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ج١/٧٩.

(٣) ابن الأثير، الكامل ج٣/٢٦٤.

(٤) خليفة بن خياط، تاريخه ١٩٤، الطبري، تاريخه ج٥/٢٣٦.

(٥) الدينوري، الأخبار الطوال ٢٠٥، الطبري، تاريخه ج٦/٤٣، ابن الأثير، الكامل ج٣/٣٣٨.

(٦) الطبري، تاريخه ج٦/٧٩.

بغزوهم وتأديبهم[١]، وفي سنة ٣٨هـ أرسل معاوية بن أبي سفيان رجلاً إلى البصرة ليدعو له بين أهلها، إلا أن زياد بن أبي سفيان نائب ابن عباس على البصرة تمكن من مقاومته ومدافعته حتى قتل الرجل غيلة في إحدى دور البصرة[٢]، وكان ابن عباس يرافق علياً في كثير من تحركاته في نواحي العراق، وإذا وقعت بعض الأشياء وابن عباس في البصرة كان علي يطلعه عليها بالكتب التي كان يرسلها إليه باستمرار ويأخذ رأيه في كثير من القضايا عن طريق المراسلة، كما كان ابن عباس أيضاً يكتب لعلي عن شؤون ولايته[٣]، كما بعثه علي سنة ٣٨هـ على الحج نيابة عنه[٤].

وقد استمر ابن عباس على ولاية البصرة إلى سنة ٣٩هـ ثم تختلف الروايات بعد ذلك، فمنها ما يذكر أنه استمر والياً إلى أن استشهد علي[٥]، ومنها ما يذكر أنه وقع بينه وبين (أبي الأسود الدؤلي)[٦] خلاف، وأن أبا الأسود وشى به إلى علي فوقع بين ابن عباس وعلي خلاف، فطلب ابن عباس من علي أن يعفيه من

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ٣٨٢.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه ١٩٠، الطبري، تاريخه ج٦/٦٣، ابن الأثير، الكامل ج٣/٣٦٠.

(٣) انظر إلى بعض هذه الكتب في ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١/١٤٤، والطبري، تاريخه ج٦/٦٣ و٦٤.

(٤) خليفة بن خياط ١٩٢، ابن أعثم الكوفي، الفتوح ج٤/٧٢.

(٥) الطبري، تاريخه ج٦/٨١، ابن الأثير، الكامل، ج٣/٣٩٨، النويري، نهاية الأرب ج٢٠/٢٠٤.

(٦) أبو الأسْوَد الدُّؤَلي: اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان، كان شاعراً ثقة في حديثه، ولاه علي إمارة وقضاء البصرة، اشتهر بوضعه للنحو، توفي سنة ٦٩هـ. (ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧/٩٩ ابن حجر تهذيب التهذيب ج١٢/١٠ الأبطحي، تهذيب المقال، ج١/٢٠١).

عمله، وارتحل إلى الحجاز تاركاً البصرة وعملها[١]. وقد ذكر أن علياً ولى بعده أبا الأسود الدؤلي على البصرة فبقى عليها إلى وفاة علي[٢]، وكان أبو الأسود قاضياً على الكوفة طيلة أيام ابن عباس[٣].

وقد وجد مجموعة من المساعدين لوالي البصرة أيام علي فيهم القاضي وصاحب الشرطة، وصاحب الخراج، وغيرهم كما كانت تتبع ولاية البصرة مجموعة من الأقاليم في بلاد فارس.

ومما سبق يتبين لنا أن علي ابن أبي طالب بعد مبايعته بادر إلى عزل ابن عامر، والي عثمان على البصرة، وعيّن مكانه عثمان بن حنيف ولكن حملة الجمل أحدثت ارتباكاً في البصرة، وبالتالي خرجت من سيطرة عثمان بن حنيف، فاضطر إلى مغادرتها حتى قدم علي، وبعد موقعة الجمل عمل علي على تنظيم أمورها، كما وقعت بعض الاضطرابات في البصرة من جراء حركة الخوارج، وكذلك أثناء محاولة معاوية السيطرة عليها، إلا أن البصرة مع ذلك استمرت إحدى الولايات الإسلامية التابعة لخلافة علي طيلة عصره، ولم يتمكن خصومه من السيطرة عليها.

ولاية الكوفة:

استشهد عثمان رضي الله عنه وواليه على الكوفة أبو موسى الأشعري وبعد مبايعة علي بالخلافة قرر عزل أبي موسى عن ولاية البصرة وبعث (عمارة بن

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه ٢٠٢، اليعقوبي، تاريخه ج٢/٢٠٥، الطبري، تاريخه ج٦/٨١ و٨٢، ابن الأثير، الكامل ج٣/٣٨٧.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه ٢٠٢.

(٣) المصدر السابق، ٢٠٠.

شهاب) والياً عليهان فلما قرب منها لقيه بعض أجناد الكوفة، فلما عرفوا أنه بعث عليهم أميراً قالوا له: ارجع فإن القوم لا يريدون بأميرهم بديلاً فرجع عمارة عن الكوفة[1]، ثم إنه لما أحس برغبة أهل الكوفة في أبي موسى كتب إليه كتاباً، فرد عليه أبو موسى بطاعة أهل الكوفة، وبيّن له موقف أهلها من أقر بخلافة علي ومن رفض ذلك، وأخذ له البيعة من أهل الكوفة[2]، وقد كان علي يسأل عن أبي موسى خصوصاً حينما أراد علي الخروج إلى العراق، ففي أثناء الطريق إليها لقيه رجل من أهل الكوفة (فسأله علي عن أبي موسى، فقال: إن أردت الصلح فأبو موسى صاحب ذلك، وإن أردت القتال فأبو موسى ليس بصاحب ذلك، قال: والله ما أريد إلا الإصلاح حتى يرد علينا قال: قد أخبرتك الخبر)[3]. وقد تبين فيما بعد ميل أبي موسى إلى الصلح والمسالمة وعدم القتال بين المسلمين، فقد بعث علي محمد بن أبي بكر وعمّار بن ياسر والحسن بن علي وغيرهم في وفود مختلفة لاستنفار أهل الكوفة قبل موقعة الجمل، فسأل أهل الكوفة أبا موسى عن الموقف واستشاروه في الخروج، فقال: أما سبيل الآخرة فأن تقيموا، وأما سبيل الدنيا فأن تخرجوا وأنتم أعلم[4].

وقد أغضب هذا الموقف وفد علي إلى الكوفة، فأغلظ بعضهم الكلام لأبي موسى، ووقع بينهم شجار في أوقات مختلفة في مسجد الكوفة، وقد جرى حوار

(١) الطبري، تاريخه ج٥/١٦٢، ابن الأثير، الكامل، ج٣/٢٠٢.

(٢) الطبري، تاريخه ج٥/٦٢، ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٢/٢٥٠، ابن الأثير، الكامل ج٣/٢٢٥.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٥/١٨٦.

(٤) الطبري، تاريخه ج٥/١٨٤.

هادئ بين أبي موسى والحسن بن علي حين أقبل الحسن على أبي موسى، وقال له: (لم تثبط الناس عنا؟ فوالله ما أردنا إلا الإصلاح ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء. فقال: صدقت بأبي أنت وأمي ولكن المستشار مؤتمن. سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي خير من الراكب وقد جعلنا الله عز وجل إخواناً وحرم علينا أموالنا ودماءنا وقال: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾**[١]. **﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾**[٢] وقال عز وجـــل: **﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾**[٣] الآية) فغضب عمّار بن ياسر[٤]، وثار الناس على عمّار، إلا أن أبا موسى استطاع أن يهدئ الناس ويضبطهم ويكفهم عن عمار[٥]. وقد اقتنع العديد من أهل الكوفة بعد ذلك بالخروج مع الحسن رضي الله عنه بعد محاورات متعددة وطويلة بينهم وبين الحسن، وقيل: إنه خرج معه قرابة تسعة آلاف رجل[٦].

وتميل العديد من الروايات إلى أن ولاية أبي موسى على الكوفة قد انتهت في هذه الفترة قبيل موقعة الجمل، حيث تذكر بعض الروايات أن الأشتر (وكان أحد قوّاد علي) قد طرد أبا موسى وغلمانه من قصر الكوفة وتغلب عليه[٧].

---

(١) سورة النساء من آية ٢٩.

(٢) سورة النساء من آية ٢٩.

(٣) سورة النساء من آية ٩٣.

(٤) الطبري، تاريخه ج٥/١٨٧ و١٨٨.

(٥) المصدر السابق، ١٨٨.

(٦) المصدر السابق ج٥/١٨٩، ابن الأثير، الكامل ج٣/٢٣١.

(٧) الطبري، تاريخه ج٥/١٩٠.

كما ذكرت بعض الروايات أن علياً كتب إلى أبي موسى بعزله، وعيّن مكانه (قرظة بن كعب الأنصاري)[١] والياً على الكوفة[٢].

ثم إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قدم الكوفة بعد موقعة الجمل حيث أصبحت الكوفة قاعدة الخلافة، وبالتالي كان علي رضي الله عنه هو المسؤول مباشرة عن أحوال الكوفة وما يتبعها من ولايات. ونلاحظ بعد ذلك أن المصادر بدأت تغفل ذكر ولاة علي للكوفة إلا أنها تذكر أن علياً كان ينيب عنه من يتولى شؤونها في غيابه[٣].

وقد اكتسبت الكوفة مكانة خاصة بقية عهد علي، حيث كان يقيم فيها، ومنها يدير مختلف أنحاء الدولة، وإليها تقدم الوفود، ومنها تخرج الأجناد، كما كان ذلك سبباً في جذب السكان إليها. ولا شك أن هذا كان له دور كبير في تنشيط الحركة التجارية والعمرانية في الكوفة طيلة خلافة علي.

وقد كان علي رضي الله عنه كثير الاهتمام بالكوفة ويتفقد أحوالها بنفسه، كما كان يحرص على تعيين من ينوب عنه في ولايتها في حال غيابه، فحينما أراد علي الخروج إلى صفين ولى على الكوفة (أبا مسعود البدري)[٤] وحينما أراد

---

(١) قُرْظَة بن كعب: ابن عمرو بن عامر الأنصاري صحابي جليل شهد أحداً وما بعدها مع النبي ﷺ، وجهه عمر إلى الكوفة وفتح بعض المواقع في المشرق، ثم كان من أمراء علي، توفي في الكوفة أثناء خلافة علي، وصلى عليه علي (ابن قدامة، الاستبصار، ١٢٤).

(٢) المسعودي، مروج الذهب ج٢/٣٥٩- وانظر خليفة بن خياط، تاريخه ٢٠٢، وكذلك البلاذري، فتوح البلدان، ٣١٥.

(٣) انظر خليفة بن خياط، تاريخه ٢٠٢.

(٤) أبو مَسْعُود البَدْري: هو عقبة بن عمرو الأنصاري الخزرجي، قيل: إنه بدري وشهد بعض المشاهد مع الرسول ﷺ كان من أصحاب علي وولاه الكوفة، توفي سنة ٤٠هـ.
(ابن قدامة، الاستبصار ص ١٣٠، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج٢/٤٩٣ ابن حجر، الإصابة، ج٢/٤٩٠).

التوجه لقتال الخوارج في (النهروان)[١] ولى على الكوفة (هانئ بن هوذة النخعي)[٢] فلم يزل بالكوفة حتى قتل علي[٣].

مما سبق نلاحظ أن الكوفة كانت تدار من قبل الولاة، حتى إذا اتخذها علي رضي الله عنه مقراً للخلافة أصبح هو المسؤول عن ولايتها، وأخذ ينيب عنه من يتولى شؤونها في غيابه وأصبحت الكوفة ذات أهمية خاصة نظراً لإقامة أمير المؤمنين فيها.

ولايات المشرق:

كان لإقامة علي رضي الله عنه في العراق وقربه من الولايات الشرقية للدولة الإسلامية دور في إلقاء الأضواء على تلك الولايات في فارس وخراسان وأذربيجان وغيرها، سواء منها ما كان ولاية مستقلة بذاتها، أو كان منها متصلاً بإحدى الولايتين الرئيستين: الكوفة أو البصرة، وبالتالي فقد أوردت المصادر التاريخية العديد من الولاة لتلك البلدان، إما باقتضاب أو تفصيل، ومن أهم تلك الولايات:

١ – فارس:

تذكر المصادر أن علي بن أبي طالب ولى على فارس (سهل بن حنيف الأنصاري) رضي الله عنه، وقد استمر والياً على فارس فترة من الوقت، ثم إن

---

(١) النَّهْرَوَان: بفتح النون وكسرها هي كورة واسعة بين بغداد وواسط بها العديد من القرى وبها وقعة أمير المؤمنين علي مع الخوارج، (ياقوت الحموي، معجم البلدان ج٥/٣٢٤).

(٢) هانئ بن هوذة النخعي، لم أقف له على ترجمة.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه ١٨٧، ٢٠٢، الطبري، تاريخه ج٦/٥٣؛ ابن الأثير، الكامل ج٣/٣٥٠.

أهل فارس عصوا وأخرجوا سهل بن حنيف سنة ٣٧هـ تقريباً، فاتصل علي رضي الله عنه بابن عباس، وتباحث معه في شأن فارس[1]، وكان ابن عباس على البصرة، فاتفق معه بعد استشارة مجموعة من الناس على أن يبعث ابن عباس مساعده زياد بن أبي سفيان على فارس، وهنا يبدو الارتباط واضحاً بين ولاية البصرة وإقليم فارس، وإحساس ابن عباس بمسؤوليته عن ذلك الإقليم من خلال مباشرته لولاية البصرة، إذ اتفق ابن عباس مع علي على بعث أحد معاونيه إلى ذلك الإقليم لضبطه وترتيب أموره.

وقد توجه زياد إلى فارس يصاحبه أربعة آلاف جندي، فدوّخ تلك البلاد وقضى على الفتنة فيها، وتمكن من ضبطها[2]. وقد اشتهر زياد بمقدرة سياسية فذة مكنته من إعادة الاستقرار إلى تلك البلاد بأقل الخسائر، يقول الطبري: (لما قدم زياد فارس بعث إلى رؤسائها فوعد من نصره ومنّاه، وخوّف قوماً وتوعدهم وضرب بعضهم ببعض، ودل بعضهم على عور بعض، وهربت طائفة وأقامت طائفة فقتل بعضهم بعضاً، وصفت له فارس فلم يلق فيها جمعاً ولا حرباً، وفعل مثل ذلك بكرمان[3]، ثم رجع إلى فارس فسار في كورها ومناهم فسكن، الناس

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه ١٩٢، الطبري، تاريخه ج٦/٧٩، ابن الأثير، الكامل ج٣/٣٨١، النويري، نهاية الأرب ج٢٠/٢٠٢. "وهناك اختلاف بين هذه المصادر في السنة التي أخرج فيها أهل فارس (سهل بن حنيف) وكذلك السنة التي بعث فيها علي زياداً إلى فارس، ولعل تلك الحوادث بدأت سنة ٣٧، وانتهت سنة ٣٨هـ.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٦/٧٩.

(٣) كِرْمَان بفتح الكاف وكسرها وسكون الراء وفتح الميم: ولاية مشهورة نواحي فارس وتقع بين إيران وأفغانستان حالياً.

(ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤/٤٥٤، صلاح الدين المنجد معجم أماكن الفتوح، ٨٠).

إلى ذلك فاستقامت له البلاد)[١].

وقد قام زياد بتنظيم أمور فارس، وبنى فيها بعض الحصون، وقام بترتيب شؤون الخراج فيها، كما ضبط العديد من البلدان التابعة لولايته حتى أمنت البلاد واستقامت[٢].

وقد استمر زياد والياً على فارس بقية خلافة علي رضي الله عنه[٣]، وكان زياد أشهر ولاة علي على فارس نظراً لسياسته وتمكنه من ضبطها.

وقد وجدت بعض التقسيمات الإدارية داخل إقليم فارس، فقد ورد ذكر بعض الولاة المختصين ببلدان معينة داخل الإقليم، فقد ذكرت إصطخر وذكر أنه كان من ولاتها (المنذر بن الجارود)[٤] وجرت بينه وبين علي بعض المكاتبات[٥]، كما أن زياد بن أبي سفيان سكنها وتحصن بها بعد مقتل علي رضي الله عنه[٦]. كما ذكر من بلدان فارس أصبهان التي تعد من أكبر كورها[٧]، وقد ذكر من ولاتها لعلي (محمد بن سليم)[٨]، كما كان من أشهر ولاة أصبهان لعلي (عمر بن سلمة)، وقد قدم بأموال وطعام من أصبهان إلى أمير المؤمنين

---

(١) الطبري، تاريخه ج٦/٨٠، وانظر ابن الأثير، الكامل ج٣/٣٨٢.

(٢) المصدران السابقان.

(٣) الدينوري، الأخبار الطوال، ٢١٩، الطبري، تاريخه ج٦/٩٠.

(٤) المنذر بن الجارود اسم أبيه عمرو بن حس من بني عبدالقيس كان المنذر من ولاة علي واشتهر بجوده وكرمه كما كان من ولاة معاوية في المشرق، توفي سنة ٦١هـ، (ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥/٥٦١، ج٧/٨٧).

(٥) اليعقوبي، تاريخه، ج٢/٢٠٣.

(٦) الدينوري، الأخبار الطوال، ٢١٩.

(٧) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١/٢٠٧.

(٨) الدينوري، الأخبار الطوال، ١٥٣.

علي بن أبي طالب[١].

وقد ضربت الدراهم زمن علي في هذه المناطق الفارسية سنة ٣٩هـ ولا يزال بعض منها محفوظاً في المتحف العراقي وتحمل عبارات عربية، إضافة إلى تاريخ ضربها[٢].

٢- خراسان:

تعد خراسان ولاية واسعة، وقد ارتبطت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بولاية البصرة في عصر الخلفاء الراشدين، وفي خلافة علي رضي الله عنه ورد ذكر العديد من الحوادث التي وقعت في هذه الولاية خلال تلك الفترة، كما ورد ذكر بعض ولاتها، وبعض الأمراء على كورها وبلدانها.

فقد ورد أن أول ولاة علي على خراسان (عبدالرحمن بن أبزى[٣])، كما كان من ولاة علي لخراسان (جعْدَة بن هبيرة بن أبي وهب[٤])، وقد بعثه علي رضي الله عنه إلى خراسان، بعد عودته من صفين سنة ٣٧هـ، وكان أهل خراسان قد ارتدوا فحاول تأديبهم وتنظيم البلاد مرة أخرى[٥]، إلا أنه على ما يبدو لم ينجح، فبعث علي أحد قواده إلى خراسان، حتى تمكن من مصالحة أهلها، وضبط أمورها

---

(١) ابن الأثير، الكامل ج٣/٤٠٠.

(٢) وداد علي القزاز، الدراهم الإسلامية للخلفاء الراشدين، ١٥.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ٣٩٩، ابن الأثير، الكامل، ج٣/٣٧٤.

(٤) جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي القرشي، له صحبته وأمه أم هانئ بنت أبي طالب، وخاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو من أصحاب علي وقد ولاّه على خراسان (المِزّي، تهذيب الكمال، ج١/١٩١).

(٥) البلاذري، فتوح البلدان ٣٩٩، الطبري، تاريخه، ج٦/٣٥؛ ابن الأثير، الكامل ج٣/٣٢٦.

مرة أخرى[١]. كما تعد سجستان أحد الأقاليم المجاورة لخراسان، وكلا الإقليمين مرتبطان إلى حد ما بوالي البصرة، وفي الغالب فإن هناك ارتباطاً إدارياً بين الإقليمين. وقد ورد ذكر بعض ولاة سجستان في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومن هؤلاء (عبدالرحمن بن جزء الطائي)[٢] وقد بعثه علي رضي الله عنه إلى سجستان بعد موقعة الجمل، فقام ثوار من صعاليك العرب بقتله، وعاثوا فساداً في البلد، فكتب علي إلى ابن عباس في البصرة أن يوجه أميراً آخر إلى سجستان فوجّه (ربعيّ بن كأس العنبري)[٣] فاستطاع القضاء على ثورة الصعاليك، وقتل زعيمهم وضبط أمور البلاد، واستقر بها إلى أن استشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه"[٤].

وكانت همذان أحد الثغور الشرقية، وقد امتازت أثناء ولاية عثمان بوجود وال مستقل فيها، وتوفي عثمان وعليها جرير بن عبدالله البجلي وبعد مبايعة علي بالخلافة ووصوله إلى العراق بعث إلى جرير بن عبدالله في همذان يأمره بأخذ البيعة له بالخلافة على من قبله من الناس والقدوم إليه[٥] كما كتب علي رضي الله عنه إلى جرير بعد وقعة الجمل يعلمه بالأخبار، وبعث بالرسالة مع رجل يعتمد عليه،

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه ١٩٩، الطبري: تاريخه ج٥/٢٣٣، ابن الأثير، الكامل ج٣/٣٢٦، النويري، نهاية الأرب، ١٩٨، وقد كان هذا القائد هو (خليد بن قرة اليربوعي) الذي يبدو أنه كان على خراسان حين توفي علي بن أبي طالب (انظر خليفة بن خياط، ١٩٩).

(٢) عبدالرحمن بن جزء الطائي، لم أقف له على ترجمة.

(٣) رِبْعِيّ بن كأس العنبري، لم أقف له على ترجمة.

(٤) خليفة بن خياط، تاريخه ١٩٩، البلاذري، فتوح البلدان ٣٨٧، الدينوري، الأخبار الطوال، ١٥٣.

(٥) الطبري، تاريخه ج٥/٢٣٥.

وقال: إني بعثت إليك بفلان فاسأله عن ما بدا لك واقرأ كتابي هذا على المسلمين[١].

وقد قدم جرير إلى علي في الكوفة فبعثه إلى معاوية في الشام، ثم عاد مرة أخرى وتعرض للإهانة من قبل بعض أجناد علي، ومنهم الأشتر وغيره، فالتحق جرير بمعاوية في الشام، وترك ولايته وكان ذلك قبيل موقعة صفين[٢].

٣- أذربيجان:

كان الأشعث بن قيس عاملاً على أذربيجان حينما توفي عثمان بن عفان رضي الله عنه، فلما بويع علي بن أبي طالب بالخلافة كتب إلى الأشعث بن قيس أن يبايع له، وأن يأخذ له البيعة على من قبله[٣]، ويبدو أن علياً رضي الله عنه استقدم الأشعث بن قيس فلحق به في الكوفة، ثم شهد معه المشاهد حيث اشترك معه في صفين[٤] وفي قتال الخوارج[٥]، ويبدو أن علياً رضي الله عنه ولى على أذربيجان خلال هذه الفترة (سعيد بن سارية الخزاعي)[٦]، ثم أعاد الأشعث بن قيس مرة أخرى على أذربيجان[٧]. ويظهر أن علياً ضم إليه ولاية أرمينية، كما صرح

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١/٨٢؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح ج٢/٣٦٣.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١/٩٢ و٩٥؛ الطبري، تاريخه ج٥/٢٣٥.

(٣) المنقري، وقعة صفين، ص ٢٠ و٢١، الطبري، تاريخه ج٥/٢٣٥، ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج٢/١٦٧.

(٤) خليفة بن خياط، تاريخه ١٩٣.

(٥) الطبري، تاريخه ج٦/٤٧، الذهبي، سير أعلام النبلاء ج٢/٤٠.

(٦) سعيد بن سارية الخزاعي، لم أقف له على ترجمة.

(٧) البلاذري، فتوح البلدان ٣٢٣.

بذلك البلاذري[١].

وقد كانت للأشعث بن قيس بعض الأعمال الهامة أثناء ولاية أذربيجان لعلي؛ ومن ذلك إنزاله مجموعة من العرب من أهل العطاء (أردبيل)[٢] وتمصيرها وبناء مسجدها بعد أن انتشر الإسلام بين أهلها[٣]. ويبدو أن الأشعث استمر والياً على أذربيجان بقية خلافة علي رضي الله عنه[٤].

وقد وردت بعض الأسماء لولاة علي في بعض بلدان المشرق الأخرى، من ذلك أسماء بعض الولاة في الأهواز، ومنهم (الخُرَيْت بن راشد)[٥]، وقد كان والياً على بعض بلاد الأهواز قبل صفين، فلما رجع علي من صفين أخذ الخريت بجمع الجنود، ويدعو إلى خلع علي، واستولى على بعض الأماكن، فبلغ ذلك علياً فوجه إليه جيشاً تمكن من القضاء على حركته وقتله[٦].

---

(١) فتوح البلدان، ٢٠٧.

(٢) (أَرْدَبِيْل): من أشهر مدن أذربيجان، وهي قاعدتها قبل الإسلام واشتهرت بذلك في صدر الإسلام، وتقع حالياً على بعد ٦٤ كم شرقي تبريز (ياقوت الحموي، معجم البلدان ج١/ ١٤٥، صلاح الدين المنجد معجم أماكن الفتوح، ٩).

(٣) البلاذري، فتوح البلدان ٣٢٤.

(٤) المصدر السابق، ٢٠٧.

(٥) الخُرَيْت بن راشد الناجي لقي الرسول ﷺ، استعمله عبدالله بن عامر والي البصرة لعثمان على بعض فارس، حارب في الجمل مع طلحة والزبير، ثم كان مع علي، ثم فارق علياً واجتمع معه جيش، فأرسل علي أحد قواده فقاتله حتى قتل (ابن الأثير، أسد الغابة ج٢/ ١١٠).

(٦) اليعقوبي، تاريخه ج٢/ ١٩٥، الطبري، تاريخه ج٦/ ٦٥. ابن أعثم الكوفي، الفتوح ج٤/ ٧٦، ابن الأثير، الكامل ج٣/ ٣٦٤.

ومن الأمراء لعلي في الأهواز (مصقلة بن هبيرة الشيباني)[١] وقد اشترى أسرى من بعض أجناد علي فأعتقهم، ولم يتمكن من تسديد كامل ثمنهم، ثم فرّ إلى معاوية في الشام[٢].

وقد أورد خليفة بن خياط اسم وال لعلي على بلاد السند، وذكر أنه جمع جمعاً أيام علي، وتوجه إلى السند، بعد أن اجتمع إليه الناس، ولكنه قتل في إحدى المعارك ومن معه، ولم يبق من جيشه إلا عصابة يسيرة[٣].

كما ذكر من ولاة علي (يزيد بن حجية التميمي)[٤] وقد استعمله علي على (الرّي) بعد صفين، ثم اتهمه علي رضي الله عنه بأنه أخذ من الخراج فحبسه في الكوفة، ثم فرّ إلى معاوية في الشام[٥].

وأما (المدائن) فقد كان عليها (سعد بن مسعود الثقفي)[٦]. وقد كان له دور رئيس في مجابهة الخوارج، ودارت بينهم وبين علي وقواده العديد من المراسلات في شأنهم، حيث حاولوا الوصول إلى المدائن[٧]. وقد اشتهر عن سعد توليته ابن أخيه

---

(١) مُصْقَلَة بن هبيرة: من بني شيبان كان مع علي رضي الله عنه ثم هرب إلى معاوية، وفي خلافة معاوية ولاّه على طبرستان وبها مات، (السمعاني، الأنساب ج٧/٤٣٨).

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه ١٩٢، ابن أعثم الكوفي، الفتوح ج٤/٧٨؛ ابن الأثير، الكامل ج٣/ ٣٧٠، ابن كثير، البداية والنهاية ج٧/٣١٠.

(٣) تاريخه، ٢٠٠.

(٤) يزيد بن حجية التميمي: لم أقف له على ترجمة.

(٥) ابن الأثير، الكامل ج٣/٢٨٨، النويري، نهاية الأرب، ج٢٠/١٩٧.

(٦) سعد بن مسعود الثقفي. قيل: إن له صحبة، وهو أخو القائد المشهور أبي عبيد بن مسعود الثقفي، وعم المختار بن أبي عبيد الثقفي (ابن الأثير، أسد الغابة، ج٢/٢٩٥).

(٧) انظر بعض هذه المراسلات، في تاريخ الطبري، ج٦/٤٢ و٤٥.

-(المختار بن أبي عبيد الثقفي)[١]- على المدائن في حالة غيابه، وقد غضب علي على المختار الثقفي نتيجة تصرفه تصرفاً غير شرعي في أموال الخراج[٢].

ويعد سعد من قواد علي المشهورين. ولعل قرب ولايته من الكوفة كان السبب الرئيس في اشتراكه مع علي في الكثير من المواقع، وقد أورد المؤرخ أبوحنيفة الدينوري بعض الأسماء لولاة علي في مناطق مختلفة[٣].

وهكذا رأينا فيما سبق أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بذل جهداً كبيراً في تنظيم الولايات، وأنه عانى من الصعوبات والمشكلات الكثيرة في هذه الولايات، فقد خرجت العديد من الولايات من يده كاليمن والحجاز ومصر، كما أنه لم يتمكن من فرض سيطرته ابتداء على بعض الولايات كالشام وفلسطين

---

(١) المختار بن أبي عبيد الثقفي، هو المشهور بقيادة الفتنة في العراق أيام عبدالله بن الزبير وقد قيل: إنه ادعى النبوة، وزعم أنه قام لمناصرة بني هاشم، وعاث فساداً في العراق، قتل على يد مصعب بن الزبير عام ٦٧هـ (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣/٥٣٨، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج١/٧٤).

(٢) الطبري، تاريخه ج٦/٤٢، المالقي الأندلسي، التهميد والبيان ١٨٦.

(٣) يقول: إن علياً بعد وصوله الكوفة عقب موقعة الجمل (وجه عماله إلى البلدان فاستعمل على المدائن وجوخي كلها يزيد بن قيس الأرحبي وعلى الجبل وأصبهان محمد بن سليم، وعلى البهقباذان قرظ بن كعب، وعلى كسكر وحيزها قدامة بن عجلان الأزدي، وعلى نهر سير واستانها عدي بن الحارث، وعلى استان العالي حسان بن عبدالله البكري، وعلى استان الزوابي سعد بن مسعود الثقفي وعلى سجستان وحيزها ربعي بن كأس، وعلى خراسان كلها خليد ابن كأس). (الأخبار الطوال ص ١٥٣). وقد تحدثنا عن كل واحد منهم في موضعه.

وقد ورد ذكر لهذه الولايات وأسماء ولاتها في المنقري وقعة صفين ص ١١ وهو شبيه بما ذكره الدينوري سابقاً.

وما جاورها، وأما البلاد والولايات التي استمرت تحت حكمه -كالعراق وفارس- فقد عانى فيها من المشكلات الكثيرة، وعلى رأسها مشكلة الخوارج الذين ظهروا في تلك المناطق خصوصاً في السنوات الأخيرة من حكم علي، وبالتالي فإن الاستقرار في تلك المناطق لم يكن تاماً، كما أن أهل البلاد الأصليين في بلاد المشرق كفارس وخراسان وسجستان قاموا بالعديد من الثورات التي قتل فيها بعض ولاة علي. ومن أبرز المشكلات التي واجهها علي ما وقع له من خلاف مع بعض الولاة، وبالتالي تخلى هؤلاء عن ولاياتهم كجرير بن عبدالله في همذان، وعبدالله بن العباس في البصرة، ومصقلة بن هبيرة في الأهواز وغيرهم.

وهكذا يتضح لنا أن علياً رضي الله عنه قضى مدة خلافته في جهاد داخلي مع جبهات داخلية منعته في كثير من الأحيان من تنظيم شؤون تلك البلدان، كما واجه العديد من العقبات التي بددت طاقته واستنفدت جهوده رضي الله عنه.

وقد شغلت هذه المشكلات اهتمام المؤرخين فركزوا عليها الأضواء وكان هذا على حساب رصدهم للشؤون التنظيمية والإدارية لهذه الولايات، كما أن التقسيمات الإدارية لبلاد المشرق في عصر علي كانت غير واضحة المعالم على ما يبدو، حيث كانت في عهد عثمان وعمر أوضح منها في عهد علي، ولعل انتقال مركز الخلافة إلى الكوفة كان له دور في تذبذب تلك التقسيمات وكثرة التغييرات فيها.

تنظيم الولاية على البلدان في عصر علي:

بويع علي بالخلافة بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقد وقع الاضطراب في مختلف أنحاء الدولة الإسلامية نتيجة مقتل عثمان، وبالتالي فإن علياً رضي الله عنه بويع في ظروف صعبة بدأت الدولة الإسلامية خلالها تفقد الشيء الكثير من استقرارها ونشاطها، وقد ظهر هذا الاضطراب واضحاً في المدينة المنورة نفسها، حيث (خرج علي في اليوم الثالث -من مبايعته- فقال: أيها الناس أخرجوا عنكم الأعراب. وقال: يا معشر الأعراب الحقوا بمياهكم فأبت السبئة وأطاعهم الأعراب، ودخل عليه طلحة والزبير وعدة من أصحاب النبي ﷺ فقال: دونكم ثأركم فاقتلوه، فقالوا: عشوا[1] عن ذلك. قال: هم والله بعد اليوم أعشى وآبى)[2]. ومن هذا النص يتبين لنا مقدار القوة التي كان يتمتع بها أصحاب الفتنة من قتلة عثمان ومن لحق بهم من الأعراب والعبيد، وأن علياً وأهل المدينة كانوا يعجزون عن تأديبهم أو التصرف معهم بما يغضبهم، وأنهم أصبح لهم من القوة ما يمنع أهل المدينة والخليفة من الإيقاع بهم، أو حتى مجرد إبعادهم عن المدينة.

وقد بدأت الأمور تضطرب في مختلف أنحاء الدولة الإسلامية، وأحس المستشارون والنصحاء بخطورة ما سيقع، فتقدم بعضهم بنصائح إلى علي بن أبي طالب فيما يمكن أن يفعله من البداية، وخصوصاً ما يتعلق بالولاة على البلدان، فقد جاء المغيرة بن شعبة ناصحاً لعلي بعد مبايعته وجاءه ابن عباس وسأله قائلاً: (يا أمير المؤمنين أخبرني عن شأن المغيرة، ولم خلا بك؟ قال: جاءني بعد مقتل

---

(١) عَشْوا: أعرضوا عن الأمر إلى غيره (ابن منظور، لسان العرب، ج١٥/٥٧).

(٢) الطبري، تاريخه ج٥/١٥٩.

عثمان بيومين، فقال لي: أخلني ففعلت. قال: إن النصح رخيص وأنت بغية الناس وإني لك ناصح وإني أشير عليك برد عمال عثمان عامك هذا فاكتب إليهم بإثباتهم على أعمالهم فإذا بايعوا لك واطمأن الأمر لك عزلت من أحببت وأقررت من أحببت، فقلت: والله لا أدهن في ديني ولا أعطي الدني في أمري. قال: فإن كنت قد أبيت فانزع من شئت واترك معاوية فإن لمعاوية جرأة وهو في الشام يسمع منه ولك حجة في إثباته، كان عمر بن الخطاب قد ولاه الشام كلها، فقلت: لا والله لا أستعمل معاوية يومين أبداً، فخرج من عندي على ما أشار به ثم عاد فقال لي: إني أشرت عليك بما أشرت به فأبيت عليّ، ثم نظرت في الأمر فإذا أنت مصيب لا ينبغي لك أن تأخذ أمرك بخدعة ولا تكون في أمرك دلسة. قال ابن عباس: فقلت لعلي: أما أول ما أشار به عليك فقد نصحك، وأما الآخر فغشك وأنا أشير عليك بأن تثبت معاوية)[1].

كانت هذه النصيحة التي أشار فيها المغيرة على أمير المؤمنين تقديراً من المغيرة لتلك الظروف المحيطة بعلي، وخوفاً من اضطراب البلاد عليه، وقد أيّده فيها ابن عباس رضي الله عنهما، إلا أنها لم تلق استحساناً من علي، وبالتالي فإنه عيّن أمراء جدداً لمختلف الولايات بعثهم إلى تلك الأمصار بعد مبايعته مباشرة، فولى أمراء على البصرة والكوفة واليمن ومصر والشام[2]. وقد قام بعض الأمراء السابقين بمواقف سلبية من علي بن أبي طالب، فاشترك بعض منهم في جيش الجمل وفي

---

(١) الطبري، تاريخه ج٥/١٦٠، ١٦١ وانظر المسعودي، مروج الذهب ج٢/٣٥٤، ابن الأثير، الكامل ج٣/١٩٧. والنويري، نهاية الأرب، ج٢٠/١٨.

(٢) الطبري، تاريخه ج٥/١٥٧، ابن الأثير، الكامل ج٣٠/٢٠١، النويري، نهاية الأرب، ج٢٠/٢١.

تجهيزه[١]، كما أعلن معاوية عدم رضاءه، ورفض قرار عزله عن ولاية الشام، وأُعيد والي علي الجديد في الشام من حيث أتى، وبذلك بدأ الاضطراب في الدولة وخرجت أولى الولايات عن حكم علي.

وقد اختلف الباحثون في تحليل موقف علي من عزل الولاة، وتعيين ولاة جدد، وعدم أخذه بنصيحة المغيرة بن شعبة وابن عباس في هذا الجانب، فقد انتقده بعض الباحثين ومنهم محمد كرد علي حيث يقول: (ومما يعد من خطيئاته الإدارية مبادرته إلى عزل جميع عمّال عثمان، و لم يتربص بالأمر وصول البيعة إليه من أهل الأمصار و لم يصغ إلى تحذير المحذرين ولا نصح الناصحين، بل أبى الإبقاء عليهم أو أحداً منهم إباء تاماً كأنه قد وقر في نفسه أن هؤلاء العمال لا يصلحون لأن يلوا شيئاً من أمر المسلمين، وأن الإبقاء على واحد منهم يوماً كاملاً نقص في دينه، ولو أنه اتّأد في الأمر وعالجه برفق وأناة واصطبر حتى استتب له الأمر وبايعه أهل الأمصار لما كان في عزل الولاة شيء، لأن الخليفة هو الذي يعطي الولاة سلطانهم فهو حرّ في اختيار عمّاله)[٢]. وينحو هذا المنحى توفيق سلطان اليوزبكي، فيقول: (ولما جاء علي بن أبي طالب بادر إلى عزل ولاة عثمان منعاً لاستمرار التذمر والشكوى فكان عزل بعضهم وخاصة معاوية عاملاً مهماً من عوامل استمرار الفتنة التي انتهت بمصرعه أيضاً)[٣].

على أن بعض الباحثين امتدحوا موقف علي رضي الله عنه، واقتنعوا بأن ذلك

---

(١) الطبري، تاريخه ج٥/١٦٢، ١٦٦.

(٢) الإدارة الإسلامية في عز العرب، ٦٣، ٦٤.

(٣) دراسات في النظم العربية والإسلامية، ١٠٤.

الموقف كان الأصوب والأسلم... يقول محمد رضا: (رأى علي رضي الله عنه أن خير ما يصلح به الأمر عزل جميع ولاة عثمان قبل أن تصل إليه بيعة الأمصار، وأن بقاءهم يوماً واحداً طعن في دينه، لذلك لم يأخذ برأي المغيرة بن شعبة وابن عباس، وهو أقرب الناس إليه و لم يرد رضي الله عنه أن يفتح عهده بتولية معاوية الشام وإقراره فيه، لأنه لو فعل ذلك لكان ابتدأ في أول أمره بما انتهى إليه عثمان في آخر حياته فأفضى إلى قتله)(١).

وأما عباس محمود العقاد، فإنه يعرض للحادثة ثم يسوق استفهاماً حيث يقول: (تلك آراء المشيرين من ذوي ا لحنكة، وذلك ما عمل به الإمام وارتضاه فأيهما على خطأ وأيهما على صواب؟)(٢). ثم يبدأ يسوق الافتراضات ويصل بعد ذلك إلى نتيجة يقول فيها: (وأصدق ما يقال بعد عرض الموقف على هذا الوجه من ناحيتيه أن صواب الإمام علي في مسألة معاوية كان أرجح من مخالفيه، فإن لم نؤمن بهذا التقدير والترجيح، فأقل ما يقال: إن الصواب عنده وعندهم سواء)(٣).

وأما طه حسين فيقول: (ومهما يكن من اختلاف المؤرخين فليس من شك في أن علياً لم يكن يستطيع أن يستبقي عمال عثمان، كان دينه يمنعه من ذلك؛ لأنه طالما لام عثمان على تولية هؤلاء العمال، وطالما أنكر على هؤلاء العمال سيرتهم في الناس، فلم يكن يستطيع أن يطالب بعزلهم أمس ويثبتهم على عملهم اليوم)(٤).

---

(١) محمد رضا، الإمام علي بن أبي طالب، الطبعة الأولى، القاهرة ١٣٥٨، ١٩٣٩م - ص٧١، ٧٢.

(٢) عباس محمود العقاد، عبقرية الإمام علي، بيروت، ص ٩٥.

(٣) المرجع السابق، ٩٦.

(٤) طه حسين، الفتنة الكبرى -٢- علي وبنوه، دار المعارف بمصر، ١٩٦٦، ص ٢١.

ونحن نرى أن من الضروري لأي باحث يتعرض لهذه القضية أن يحاول الوصول إلى الباعث الرئيس في تصرف علي بن أبي طالب، وفي عزله لولاة عثمان رضي الله عنه. وهنا أود أن أذكر أن علياً رضي الله عنه لم يعزل جميع ولاة عثمان كأبي موسى الأشعري، ويعلي بن منيه، وعثمان بن حنيف، وغيرهم(١)، كما كان هناك ولايات شاغرة تركها ولاها أو طردوا منها كمصر واليمن، وبالتالي فإن التعميم في هذه القضية غير صحيح، وباستعراض أسماء الولايات التي بعث إليها علي بولاة جدد نجد أن لها علاقة قوية بالفتنة، وبمقتل عثمان، فقد كان لولاته السابقين في هذه المناطق موقف صارم من الفتنة وأصحابها، فهي إما ولايات خرج منها أصحاب الفتنة كالكوفة ومصر، أو ولايات وقف أمراؤها موقفاً صارماً من أصحاب الفتنة، واكتشفوا أمرهم أيام عثمان وعملوا على تأديبهم أو طردهم من ولاياهم كالشام، والبصرة، وبالتالي فإني أرجح أن علياً رضي الله عنه قد خُدع بالشائعات التي أطلقها هؤلاء الأقوام عن أولئك الولاة والتي صدّقها الناس في المدينة لكثرة ترديد أصحاب الفتنة لها ولأحكامهم الخطة في نشر تلك الإشاعات قبيل مقتل عثمان، ولذلك رفض استمرار ولايتهم بعد مبايعته وعيّن مكانهم ولاة آخرين. ولعل علياً رضي الله عنه لم يتصور أن تتطور الأمور إلى ما وصلت إليه، خصوصاً بعد رفض معاوية لقرار العزل واستقلاله ببلاد الشام، وما تبع ذلك من أحداث، ومع ذلك فإني أعتقد أن علياً رضي الله عنه قد اجتهد رأيه و لم يأل نصحاً للمسلمين، وأنه راقب الله تعالى في ذلك التصرف، و لم يخش إلا الله، ولكن النتائج جاءت على خلاف ما توقع.

وقد تحدث المؤرخون عن تولية علي رضي الله عنه مجموعة من أقاربه في

---

(١) انظر: اليعقوبي، تاريخه ج١٧٩/٢، الطبري، تاريخه، ج٥/٢٣٥.

مناصب الولاية، ومنهم أربعة من أبناء عمه العباس بن عبدالمطلب، وقد تحدثنا عن كل واحد في موضعه، وهذه حقيقة تاريخية لا تقبل الجدل، ولكن علينا أن ننظر إلى هذه القضية من زاوية أخرى، وهي: هل كانت تولية علي رضي الله عنه لأولئك الأشخاص لمجرد أنهم أبناء عمه، إني أحسب أن علياً رضي الله عنه لم يولهم لهذا السبب فقط لو لم يعتقد أن في توليتهم مصلحة للمسلمين، وفي هذه القضية فإن كثيراً من الباحثين يقارن بين موقف علي هذا وبين موقف عثمان من تولية أقاربه، وفي اعتقادي أننا كما نتره علياً رضي الله عنه من أن تكون مجرد القرابة هي السبب في التولية، فيجب أن ننظر إلى عثمان رضي الله عنه بالمنظار نفسه لا كما يفعل بعض الباحثين. يقول عباس العقاد: (فهو إذن يصنع ما أنكره على حكومة عثمان من إيثار الأقرباء بالولايات وإقصاء الآخرين عنها، ولكنها -كما قلنا- مقارنة بالأشكال والحروف دون البواطن والغايات، لأن المقارنة الصحيحة بين العملين تسفر عن فارق بعيد كالفارق بين النقيض والنقيض)[1].

ونحن هنا مع الأستاذ العقاد في تبرئة ساحة علي، ولكننا نختلف معه في اتهامه لعثمان، وأن هناك فارقاً بين عمله وعمل علي -من ناحية البواطن والغايات التي لا يعلمها إلا الله- فالكل في اعتقادي بذل جهده في تعيين من يراه في مصلحة المسلمين، ولعل ظروف الفتنة واضطراب الأحوال في بداية عهد علي دفعته إلى الاعتماد الأكبر على أبناء عمه العباس لثقته فيهم أكثر من غيرهم، ولعزوف بعض الصحابة عن علي، ولزومهم بيوتهم بعد مقتل عثمان.

وقد وقعت معارضة من بعض أصحاب علي لتلك التعيينات وكان على رأس المعارضين الأشتر النخعي (أتاه الخبر باستعمال علي لابن عباس فغضب وقال:

(١) عبقرية الإمام علي، ١٢٤.

على ما قتلنا الشيخ؟ إذ اليمن لعبيد الله، والحجاز لقُثَم، والبصرة لعبدالله، والكوفة لعلي، ثم دعا بدابته فركب راجعاً، وبلغ ذلك علياً فنادى بالرحيل ثم أجد السير فلحق به فلم يره أنه قد بلغه عنه. وقال: ما هذا السير سبقتنا، وخشي إن ترك والخروج أن يوقع في أنفس الناس شراً)[١].

ويعد ابن تيمية رحمه الله من أحسن من عالج هذه القضية في كتابه "منهاج السنة"؛ إذ رأى أن لكل من علي وعثمان حجة فيما فعل، وأن ما يعتذر به عن علي فيما أنكر عليه يعتذر بأقوى منه مع عثمان، فولاية الأقارب كانت مشتركة بين عثمان وعلي[٢].

مراقبة علي لولاته:

دأب علي رضي الله عنه على مراقبة ولاته وتتبع أحوالهم في ولاياتهم والسؤال عنهم، وقد اتبع لذلك عدة أساليب، منها أنه كان يبعث مفتشيه إلى هؤلاء الولاة فيسألون عنهم الناس، وقد يسأل بعض العمال عن بعض ويأمرهم بتفقد أمورهم، فقد (كتب إلى كعب بن مالك: أما بعد فاستخلف على عملك، واخرج في طائفة من أصحابك حتى تمر بأرض كورة السواد فتسأل عن عمالي وتنظر في سيرتهم)[٣].

كما كان علي رضي الله عنه يعتمد على تقارير سرية يبعثها إليه مفتشوه على

---

(١) الطبري، تاريخه ج٦/١٩٤.

(٢) انظر ابن تيمية، شيخ الإسلام، أحمد بن عبدالحليم، منهاج السنة في نقض كلام الشيعة القدرية، القاهرة، ١٣٢٢هـ، ج٣/١٧٣، ص ١٧٦.

(٣) اليعقوبي، تاريخه ج٢/٢٠٤.

هذه الولايات ولا يعرف الولاة مهمتهم[١]، وقد يكون هؤلاء المراقبون من موظفي الوالي أو آخرين مجهولين، وقد يكونون مقيمين في الولاية أو متنقلين من ولاية إلى أخرى. ويدل على وجود هذه التقارير السرية ما كان يكتبه علي رضي الله عنه إلى هؤلاء الولاة مثل كتاب علي إلى ابن عباس في البصرة يوبخه فيه على أخذه بعض المال، مما أغضب ابن عباس ودفعه إلى ترك العمل بعد أن أحس بهذه المراقبة السرية، وظن أن ذلك من قبيل عدم الثقة به[٢]. ولعل تدخل بعض الأشخاص بين أمير المؤمنين وولاته هو السبب في ترك بعضهم للولاية ورفضهم للعمل، كتدخل أبي الأسود الدؤلي بين علي وابن عباس، وتدخل الأشتر بين علي وجابر بن عبدالله، وتدخل بعض الناس بين علي ومصقلة بن هبيرة[٣].

وقد فتح علي رضي الله عنه الباب على مصراعيه لأي شكوى تقدم إليه ضد أحد من ولاته، وكان إذا بلغه عن أحد منهم شكاية قال: اللهم إني لم آمرهم أن يظلموا خلقك أو يتركوا حقك[٤].

كما كان رضي الله عنه (لا يخص بالولايات إلا أهل الديانات والأمانات وإذا بلغه عن أحدهم خيانة كتب إليه **﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾** [٥] **﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾**[٦] **﴿وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ**

---

(١) طه حسين، علي وبنوه ١٤٧.

(٢) انظر اليعقوبي، تاريخه ج٢/٢٠٥، الطبري، تاريخه، ج٦/٨٢، وانظر ص ٣٣٦ من هذا الكتاب.

(٣) انظر ص ٣٣٦ وص ٣٤٥ وص ٣٤٧ من هذا الكتاب.

(٤) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ٣٢.

(٥) من الآية ٥٧ في سورة يونس.

(٦) من الآية ١٥٢ في سورة الأنعام.

مُفْسِدِين * بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [١] وإذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك من عملنا حتى نبعث إليك من يتسلمه منك. ثم يرفع طرفه إلى السماء، فيقول: اللهم إنك تعلم إني لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك)[٢].

وقد قام رضي الله عنه بحبس أحد الولاة وتأديبه وضربه بالدرة حينما بلغته شكاية عنه[٣]، وقد اتبع علي رضي الله عنه سياسة صارمة وجادة مع ولاته لا تأخذه بهم في الله لومة لائم، ومن قرأ كتابه إلى ابن عباس الذي سبق أن أشرنا إليه يدرك أن علياً رضي الله عنه لا يجامل أحداً، وقد كتب رضي الله عنه إلى أحد ولاته كتاباً قاسياً حينماً بلغه بعض الأخبار عن ذلك الوالي[٤].

وقد اختلفت الآراء في تلك الشدة حيث يرى بعض الباحثين أن شدة علي رضي الله عنه وتدقيقه في محاسبة عماله هي السبب الرئيس في مفارقة جملة من هؤلاء الولاة لعلي ورفضهم للعمل معه[٥]، ولعلي أضيف إلى ذلك سبباً آخر، وهو أن هناك أقواماً حاولوا باستمرار التدخل بين علي وولاته، وحاولوا التدخل في مختلف شؤون علي رضي الله عنه[٦]، مما دفع بعض الولاة إلى طلب الإعفاء من

---

(١) من الآيتين ٨٥، ٨٦ في سورة هود.

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج٢٠/٢١٩، ٢٢٠.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٣/٢٨٧-٢٨٨.

(٤) انظر الشـــريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة ١٣٨٣، ج٢/٢٩٥.

(٥) انظر طه حسين، علي وبنوه ١٥١، وراضي عبدالرحيم، النظام الإداري والحربي، ١٠٦.

(٦) انظر إلى بعض بعض تلك المواقف في: الدينوري، الأخبار الطوال، ١٦١؛ والمسعودي، مروج الذهب ج٢/٣٧٢.

مناصبهم، ونحن لا نشك في نزاهة علي ولا في نزاهة بعض أولئك الولاة الذين اهموا، كابن عباس، وجرير بن عبدالله وقيس بن سعد وغيرهم.

وقد كان علي رضي الله عنه دائم النصح لولاته، ومن أشهر نصائحه ما كتبه إلى عبدالله بن عباس: (أما بعد، فإن المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، فما أتاك من الدنيا فلا تكثر به فرحاً وما فاتك منها فلا تكثر عليه جزعاً، واجعل همك لما بعد الموت والسلام)[١].

ويعد كتاب علي إلى الأشتر حين ولاه مصر أهم كتاب وجهه علي رضي الله عنه إلى الولاة، وحدد فيه للأشتر المعالم الرئيسة لكيفية إدارة ولايته، وتعامله مع الناس في مختلف الشؤون. وقد أفاض أحد الباحثين في شرح هذه الرسالة وألف فيها كتاباً[٢].

وقد نصح علي رضي الله عنه مجموعة من الولاة ومنهم قيس بن سعد، حين ولاه علي مصر حيث أوصاه قائلاً: (واجمع إليك ثقاتك ومن أحببت حتى تأتيها ومعك جند، فإن ذلك أرعب لعدوك وأعزّ لوليك، فإذا أنت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن واشتد في المريب وارفق بالعامة والخاصة فإن الرفق يمن)[٣].

ومن نصائحه إلى قيس بن سعد في إحدى ولاياته: (أما بعد، فأقبل على خراجك بالحق، وأحسن إلى جندك بالإنصاف،وعلم من قبلك مما علمك الله)[٤].

---

(١) اليعقوبي، تاريخه، ج٢/٢٠٥.

(٢) انظر د. إبراهيم هلال، الإسلام وأصول الحكم عند الإمام علي بن أبي طالب (دراسة وتحليل لكتابه رضي الله عنه إلى الأشتر النخعي حينما ولاه حكم مصر)، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٩، وانظر مجهول، نصيحة الإمام علي لمالك بن الحرث في أمور الكومة ورعاية المسلمين رسالة مخطوطة في مكتبة أيا صوفيا اسطنبول رقم ٢٩٠٩. وانظر نص الرسالة في الملاحق.

(٣) الطبري، تاريخه ج٥/٢٣٧.

(٤) اليعقوبي، تاريخه، ج٢/٢٠٢.

وقد كانت بعض العهود المرسلة للبلدان في تعيين الولاة تشتمل على بعض النصائح والتوجيهات، ومن ذلك عهد علي إلى محمد بن أبي بكر في ولاية مصر الذي قرأه على الناس، فقد كان يحتوي على جملة من النصائح للعامة وللوالي نفسه[١].

وكانت تجري بين علي وبين ولاته العديد من الاتصالات سواء بالمراسلة الخطية أو الشفهية أو بالاتصال المباشر، وبالدرجة الأولى أثناء قدوم هؤلاء الولاة إلى الكوفة لمقابلة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أو للاشتراك معه في قتال الخوارج وغيرهم و لم يؤثر عن علي رضي الله عنه أنه حج و اتصل بولاته في الحج بعد مبايعته، كما كان يفعل الخلفاء السابقون، وإنما كان ينيب عنه في ذلك بعض من يثق فيهم كأبناء العباس وغيرهم، وكان ولاة المشرق أكثر ولاة علي اتصالاً به، نظراً لقربهم من الكوفة وتكرار وفودهم إليها.

وقد كان علي كثيراً ما يكتب أوامر عامة إلى مختلف الولاة في معنى واحد، ومن ذلك ما أصدره عند خروج الخوارج، إذ كتب نسخة واحدة وأخرجها إلى العمال: (أما بعد فإن رجالاً خرجوا هرباً ونظنهم وجهوا بلاد البصرة فسل عنهم أهل بلادك واجعل عليهم العيون في كل ناحية من أرضك واكتب إليّ بما ينتهي إليك عنهم والسلام)[٢].

وهذا التعميم يبدو أنه موجّه إلى الولاة القريبين من البصرة والكوفة والمتوقع وصول الخوارج إليهم، وقد كانت هناك بعض الأوامر التي تصدر للولاة على شكل نصائح تبين لهم طريقة العمل، وقد كان بعضها مكتوباً، وبعضها مشافهة،

(١) انظر جزء من الكتاب في الطبري، تاريخه ج٥/٢٣.

(٢) الطبري، تاريخه ج٦/٦٧.

فقد جاء في أحد كتب الإمام علي إلى عماله: (فإنكم خزان الرعية ووكلاء الأمة وسفراء الأئمة، ولا تحشموا أحداً عن حاجته، ولا تحبسوه عن طلبته، ولا تبيعن الناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف، ولا دابة يعملون عليها، ولا عبداً. ولا تضربن أحداً سـوطاً لمكان درهم ولا تمس مال أحد من الناس مصلّ ولا معاهد)[١].

ومن توجيهات علي إلى الولاة: (يجب على الوالي أن يتعهد أموره ويتفقد أعوانه حتى لا يخفى عليه إحسان محسن ولا إساءة مسيء، ثم لا يترك أحدهما بغير جزاء، فإنه إذا ترك ذلك تهاون المحسن واجترأ المسيء، وفسد الأمر وضاع العمل)[٢]. ومن أقوال علي رضي الله عنه الموجه للولاة: (ينبغي لمن ولي أمر قوم أن يبدأ بنفسه قبل أن يشرع في تقويم رعيته، وإلا كان بمنزلة من رام استقامة ظل العود قبل أن يستقيم ذلك العود)[٣].

ومن توجيهاته رضي الله عنه إلى بعض عماله: (أما بعد، فإنك ممن أستظهر به على إقامة الدين وأقمع به نخوة الأثيم وأسد به لهاة الثغر المخوف، فاستعن بالله على ما أهمّك، واخلط الشدة بضغث من اللين وارفق ما كان الرفق أرفق، واعتزم بالشدة حتى لا تغني عنك إلا الشدة، واخفض للرعية جناحك، وابسط لهم وجهك، وألن لهم جانبك وآس بينهم في اللحظة والنظرة، والإشارة والتحية حتى لا يستطيع العظماء في حيفك، ولا تبتئس الضعفاء من عدلك، والسلام)[٤].

---

(١) صبحي محمصاني، تراث الخلفاء الراشدون، ١٥٦.

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج٦/١٩.

(٣) علي الجندي وآخرون، سجع الحمام في حكم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (جمع وضبط وشرح) مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٧، ص ٤٧٨.

(٤) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ج٢/٢٣٠.

وتقدم بعض الدهاقين بشكوى إلى علي من أحد عماله، فكتب إلى ذلك العامل: (أما بعد، فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة واحتقاراً وجفوة ونظرت فلم أرهم أهلاً لأن يدنوا لشركهم، ولا أن يقصوا ويجفوا لعهدهم، فالبس لهم جلباباً من اللين تشوبه بطرف من الشدة وداول لهم بين القسوة والرأفة، وامزج لهم بين التقريب والادناءة، والإبعاد والإقصاء، إن شاء الله)[(١)].

ومع ما بذله علي رضي الله عنه من جهود في توجيه ولاته، وما يبذله أولئك الولاة من دور في تنظيم شؤون الدولة، إلا أن هناك عوامل عامة واجهتها الدولة أيام علي رضي الله عنه أثرت تأثيراً على عطاء الولاة ودورهم في تسيير أمور الدولة، فتنازع علي رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان على العديد من الولايات في أواخر حكم علي تسبب في ترك العديد من الولاة لولاياتهم والفرار منها خوفاً على أنفسهم، كأبي أيوب الأنصاري في المدينة، وقثم بن العباس في مكة، وعبيد الله بن عباس في اليمن[(٢)]، بل إن هذا النزاع تسبب في فرار الأهالي من مناطقهم وهجرتهم إلى أماكن أخرى كما فعل بعض أهل المدينة[(٣)] ، كما تسبب في مقتل محمد بن أبي بكر والي مصر لعلي رضي الله عنه.

كما أن العديد من الثورات التي قامت في بلاد فارس وخراسان وفي عمان تسببت في قتل العديد من ولاة علي في تلك المناطق، وقد صاحب ذلك اضطراب

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر خليفة بن خياط، ١٩٨.

(٣) الشريف الرضي، نهج البلاغة ج٢/٢٩٤، طه حسين، علي وبنوه، ١٥٢.

أضر بتلك الولايات، وأخذ من علي رضي الله عنه ومن ولاته على تلك المناطق الكثير من الجهود والعديد من الشهداء[١].

وقد كانت الظروف العامة للدولة تشكل العديد من العقبات في وجه علي، وهي ظروف منعته من التصرف كما يريد -في كثير من الأحيان- وكان للسبئية الذين انغمسوا في جيش علي دور كبير في الاضطراب المستمر داخل الجيش، وفي التأثير المباشر على تحركات علي المختلفة[٢]، حتى تذمر منهم وسبهم في كثير من المواضع[٣].

كما أن خروج الخوارج على علي تسبب في إرباك عام للدولة ولجميع أركانها، وعلى رأسهم الخليفة وولاته. وعلى العموم، فإن الفتنة التي استمرت طيلة خلافة علي صرفته بالدرجة الأولى إلى مواجهتها عن القيام بإدارة الدولة على النحو الذي كان يرجوه ويطمح إليه[٤].

وبالرغم من كل تلك الظروف وتلك الفتن، فقد عمل علي رضي الله عنه جهده على إقامة أمور الولايات حتى اشتهر عنه قوله: (لا بد للناس من إمارة برة

---

(١) انظر أمثلة لمثل هذه الثورات في: خليفة بن خياط، تاريخه ١٨٢، البلاذري، فتوح البلدان، ٣٨٣، اليعقوبي، تاريخه ج٢/١٩٥، ابن الأثير، الكامل ج٣/٢٦٤.

(٢) انظر بعض ما أورده الطبري في تاريخه، ج٥/١٩٤، ٢٢٤.

(٣) انظر أمثلة لحديث علي عن أصحابه وما فيهم، الشريف الرضي، نهج البلاغة، ج١/١١٨، ١٢٣، ١٢٥، ١٦٠، ١٨٢.

(٤) انظر ما كتبه د. هاملتون جب، دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة إحسان عباس وآخرون ط٣، دار العلم للملايين، بيروت ١٧٩، ص ٥٣ ود. علي حسني الخربوطلي، الإسلام والخلافة، ٩٣، ومحمد كرد علي، الإدارة الإسلامية ٦٣.

كانت أو فاجرة، فقيل: يا أمير المؤمنين هذه البرة قد عرفناها. فما بال الفاجرة؟ فقال: يقام بها الحدود وتأمن بها السبل ويجاهد بها العدو ويقسم بها الفيء)[١].

وقد حاول علي رضي الله عنه جهده أن يسير على سيرة من سبقه من الخلفاء الراشدين الثلاثة مستنيراً بهديهم في كثير من الأمور[٢].

وقد عمل علي رضي الله عنه على إقرار المعاهدات وعقود الصلح التي جرت قبله بين المسلمين وغيرهم من الذميين ومن ماثلهم، فأقر مجموعة من عقود الصلح بين عثمان ومرازبة فارس[٣]، وبالتالي فإن علياً رضي الله عنه كان يحس أن خلافته امتداد للدولة التي أنشأها الرسول ﷺ ثم تولاها أبوبكر وعمر وعثمان، حيث حرص علي على إمضاء صلحهم وتتبع طريقهم و لم يميّز نفسه عمن سبقه، ونلاحظ في عصر علي تأكيداً لنوع من التطور الإداري الذي ظهر قبل عصره، من عزل للقضاء وللخراج في كثير من الأحيان عن الولاية، إذ كان يخصص لكل ولاية قاضياً مستقلاً عن الوالي، وكذلك الحال في الخراج وبيت المال حيث كان يولي عليها عمالاً مختصين[٤].

ويعد القضاة والعمال مساعدين للولاة في إدارة شؤون الولاية رغم تمتع بعضهم باستقلالية عمله عن الوالي وإمكانية اتصاله المباشر بالخليفة.

وقد وجد إضافة إلى هؤلاء مساعدون آخرون للوالي كالشرط الذين يحفظون

---

(١) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ٦٣، ٦٤.

(٢) محمد كرد علي، الإدارة الإسلامية، ٥٨، د. عي الخربوطلي، الإسلام والخلافة ٩٣، راضي عبدالله عبدالرحيم، النظام الإداري والحربي ١٣٨.

(٣) انظر خليفة بن خياط، تاريخه/١٨٢، الطبري، تاريخه ج٥/٢٣٢.

(٤) انظر ما ذكره خليفة بن خياط في تاريخه ص ٢٠٠، من أسماء قضاة البلدان وعمّالها.

الأمن في الولايات، والكتاب، وغيرهم[١].

ومع اهتمام علي بالشؤون الأمنية والإدارية، فإنه -في كثير من الأحيان- كان يوجه الولاة للقيام ببعض الإصلاحات المدنية التي تخدم سكان الولاية، من حفر للأنهار وعمارة للبلدان، فقد كتب إلى قرظة بن كعب الأنصاري: (أما بعد، فإن رجالاً من أهل الذمة من عملك ذكروا نهراً في أرضهم قد عفا وادَّفَن وفيه لهم عمارة على المسلمين، فانظر أنت وهم، ثم أعمروا أصلح، فلعمري لأن يعمروا أحب إلينا من أن يخرجوا وأن يعجزوا أو يقصروا في واجب من صلاح البلاد والسلام)[٢].

وإذا كان هذا الخطاب أمراً من الخليفة علي للوالي بمراعاة مصالح الذميين في مزارعهم ومعاشهم، فرعاياه من المسلمين من باب أولى في النظر إلى مصالحهم ومعاشهم ومختلف أمورهم الدنيوية.

وقد قام بعض ولاة علي ببناء المساجد، وترحيل بعض المسلمين من أصحاب العطاء إلى مناطق الثغور لكي يتصلوا بالناس، ويدعوهم إلى الإسلام[٣] ولاشك أن هؤلاء كانوا يرجعون إلى علي في كثير من تصرفاتهم. وقد حاول علي جاهداً تولية الولاة في المناطق المهمة والحساسة حسب كفاية الولاة أنفسهم، فعمل على نقل بعضهم من مكان لآخر حسب الأهمية التي رآها، ومن أمثلة ذلك نقله للأشتر من ولاية الجزيرة إلى ولاية مصر[٤].

---

(١) المصدر السابق، ٢٠٠.

(٢) اليعقوبي، تاريخه، ج٢/٢٠٣.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان ٣٢٤.

(٤) الطبري، تاريخه ج٦/٥٤.

وأخيراً فإن زهد علي رضي الله عنه كان يدفع ولاته للاقتداء به، ويمثل بالنسبة لهم واقعاً حياً، وبالتالي فقد تأثر معظم ولاة علي بسلوكه الشخصي وورعه، فتورعوا عن أموال الناس، وعن الاعتداء عليهم أو ظلمهم.

وهكذا نرى من خلال ما سبق مقدار الجهد ا لذي بذله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في ترتيب شؤون الولايات وتنظيم أمورها، ونرى مقدار الصعوبات التي واجهته للقيام بأعبائها، كما أننا قد لاحظنا انحساراً تدريجياً في سيطرته على الدولة الإسلامية في عصره، مما نتج عنه خروج بعض الولايات عن سلطته المباشرة، وفرار بعض الولاة من مناطقهم نتيجة النزاع بين علي ومعاوية بالدرجة الأولى، ونتيجة الثورات التي قامت في بعض أنحاء المشرق. ومع ذلك فإن علياً رضي الله عنه بذل جهوداً عظيمة في متابعة أحوال الولاة وولاياتهم، وسلك منهجاً مستقيماً في سياسته المختلفة مع ولاته، واسترشد بمنهج الخلفاء الراشدين من قبله أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين.



الفصل الخامس

تعيين الولاة وحقوقهم وواجباتهم

أولاً: قواعد التعيين عند الخلفاء الراشدين

ثانياً: مميزات الولاة في العصر الراشدي

ثالثاً: حقوق الولاة

رابعاً: واجبات الولاة

إقامة أمور الدين

تأمين الناس في بلادهم

الجهاد في سبيل الله

بذل الجهد في تأمين الأرزاق

تعيين العمال والموظفين

رعاية أهل الذمة

مشاورة أهل الرأي

الاصلاحات العمرانية

مراعاة الأحوال الاجتماعية

واجبات عامة



أولاً: قواعد التعيين عند الخلفاء الراشدين:

١- أسس التعيين الشرعية:

لقد كان الرسول ﷺ أول من قام بتعيين العمال في الدولة الإسلامية، وبالتالي فإن الخلفاء الراشدين من بعده ساروا على الأسس التي وضعها الرسول ﷺ فيما يتعلق باختيار العمال وتعيينهم أو عزلهم، وقد كان الرسول ﷺ يراعي مصلحة الأمة في هذه التعيينات؛ فقد ورد عنه أنه قال: "إني لأؤمر الرجل على القوم فيهم من هو خير منه؛ لأنه أيقظ عيناً وأبصر بالحرب"[(١)]. وفي هذا نرى أن المصلحة تقتضي تعيين من هو أبصر بالحرب وليس أتقى القوم، وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: "من ولي من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه، فقد خان الله ورسوله، وفي رواية من قلد رجلاً عملاً على عصابة وهو يجد في تلك العصـــابة أرضى منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين"[(٢)]، يقول ابن تيمية في تعليقه على هذا الحديث: (وهذا واجب عليه، فيجب عليه البحث عن المستحقين للولايات، من نوابه على الأمصار من الأمراء الذين هم نواب السلطان والقضاة ومن أمراء الأجناد ومقدمي العساكر الصغار والكبار... -إلى أن يقول- وعلى كل واحد من هؤلاء أن يستنيب ويستعمل أصلح من يجده)[(٣)].

وقد كانت نظرة الرسول ﷺ في التعيين شاملةِ لمصلحة الولاية خصوصاً،

---

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج١/١٠٦.

(٢) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ٦ و٧.

(٣) السياسة الشرعية، ٧.

ولمصلحة الأمة عموماً وهي الأهم، ففي السنة الثانية من الهجرة خرج الرسول ﷺ في إحدى الغزوات فاستخلف على المدينة (سعد بن عبادة) سيد الخزرج، ثم خرج مرة أخرى بعد الأولى فاستخلف على المدينة (سعد بن معاذ) سيد الأوس، وذلك في سبيل المصلحة العامة للأمة، وحتى لا يقع التراع أو المنافسة بين القبيلتين الرئيستين وهما غالب سكان المدينة، خصوصاً في مرحلة إنشاء الدولة(١)، كما عيّن الرسول ﷺ خالد بن الوليد في جيش فيه عبدالرحمن بن عوف وعبدالله بن عمر وغيرهما من المهاجرين والأنصار(٢)، كما عين على ثقيف حين أسلمت عثمان بن أبي العاص -مع أنه كان من أصغر القوم- لما لا حظه من حرصه على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن(٣) (وأمّر النبي ﷺ مرة عمرو بن العاص في غزوة (ذات السلاسل)(٤) استعطافاً لأقاربه الذين بعثه إليهم، على من هم أفضل منه. وأقّر أسامة بن زيد لأجل ثأر أبيه، ولذلك كان يستعمل الرجل لمصلحة، مع أنه قد يكون مع الأمير من هو أفضل منه في العلم والإيمان)(٥).

وقد تمثل الخلفاء الراشدين هذه الأسس الشرعية التي وضعها رسول الله ﷺ في تعيينهم للولاة والتي لم تكن مقيدة بأفضلية في الدين أو أسبقية في الإسلام، وإنما كانت تنظر إلى المصلحة العليا للأمة، وتجعلها الهدف الرئيس للاختيار والتعيين

---

(١) انظر ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، ٤٨٤.

(٢) ابن القيم، إعلام الموقعين، ج١/١٠٦.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٣/١٤١.

(٤) السلاسل: ماء بأرض جُذَام وبه سميت غزوة ذات السلاسل التي وقعت أيام الرسول ﷺ (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣/٢٣٣).

(٥) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ١٨.

لجميع الولاة والقواد الذين تم تعيينهم، وهذا ما انتبه إليه الفقهاء الذين كتبوا في السياسة الشرعية، وعلى رأسهم ابن تيمية الذي وضع فصلاً خاصاً سماه (استعمال الأصلح)[١].

٢- مرجع التعيين:

يعد الخليفة هو الإمام ورئيس الدولة، وبالتالي فإنه كان مسؤولاً بصفة مباشرة عن تعيين الولاة على البلدان[٢]، إلا أن الخلفاء الراشدين كانوا في الغالب يستشيرون ذوي الرأي من الصحابة في المدينة عمن يبعثونهم من العمال[٣]، وقد كان الرسول ﷺ قدوهم في ذلك، حيث كان يستشير المسلمين عند تعيينه للأمراء والعمال، كما كان أبوبكر يستشير عمر وغيره من الصحابة، كما كان عمر يستشير بقية الصحابة، وأحياناً كانت تجري المشاورة بصورة علنية في المسجد أمام الناس، كما حدث حينما أراد عمر أن يولي أحداً على جيش العراق، فأشاروا عليه بسعد بن أبي وقاص[٤]، كما كان عثمان وعلي يستشيران من يثقون به عندما يريدان تعيين أمير، إلا أنهما يختلفان عن عمر في أسلوبه العلني أحياناً.

وأما العمال الصغار التابعون للوالي الرئيس فإن تعيينهم قد يتم من الخليفة

---

(١) السياسة الشرعية، ٦.

(٢) محمد مبارك، نظام الإسلام، الحكم والدولة ٩٣، ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، ٤٩٠.

(٣) د. هاشم يحيى الملاح، مكانة الشورى في سياسة وإدارة الدولة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ بحث مقدم لندوة النظم الإسلامية، أبو ظبي، ١٤٠٥هـ، بحوث الندوة نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض ١٤٠٧هـ، ج١/٣٣.

(٤) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ٧٩.

مباشرة، كما قد يتم من قبل ذلك الوالي، فإن للأمراء في الأصل أن يوالوا العمال على البلدان الواقعة ضمن حدود ولايتهم[١].

كما أن الولاة في حال سفرهم ومغادرتهم لولاياتهم يقومون بتعيين من ينوب عنهم في إدارة الولاية أو حتى البلاد التي كانوا يقيمون بها إلى حين عودتهم، وقد يكون السفر أحياناً بطلب من الخليفة، وبالتالي فقد يكون الخليفة نص على رجل بعينه للنيابة في الولاية حتى عودة الوالي.

ويجوز تعيين أكثر من وال على الترتيب، فيقال في حال وفاة فلان فالأمير فلان، وذلك اقتداء بفعل الرسول ﷺ في غزوة مؤتة إذ قال: أميركم زيد، فإن قتل فعبدالله بن رواحة، فإن قتل فجعفر[٢]. إلا أنه من خلال استقراء الأحداث التاريخية لعصر الخلفاء الراشدين لم يتبين لنا أنه قد جرت ولاية على هذه الطريقة.

٣- مقومات اختيار الولاة عند الخلفاء الراشدين:

لقد سار الخلفاء الراشدون على الأسس التي وضعها الرسول ﷺ وطبقها عند اختيار للولاة، حيث كان الخلفاء يحسون أن الاختيار للولاية يدخل ضمن الأمانة التي أوكلت إليهم، وبالتالي كانوا يعملون على اختيار أصلح من يقوم بهذه الأمانة، وقد وضع الخلفاء في اعتبارهم قوله تعالى: ﴿**اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ**﴾[٣] حيث تشير الآية إلى أن العامل أو الموظف مطلوب منه القوة والأمانة، والقوة تختلف بحسب تنوع الولاية، فالقوة في إمارة الحرب ترجع إلى الشجاعة

---

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ٣٠٩، د. منير العجلاني، عبقرية الإسلام في أصول الحكم، ٢٠٥.

(٢) ابن القيم، إعلام الموقعين، ج٢/٢٠٥.

(٣) سورة القصص، آية ٢٦.

والخبرة بالحرب، والقوة في الحكم بين الناس ترجع إلى العلم بالعدل ومعرفة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والقدرة على تنفيذ الأحكام[١].

وبالتالي فإن النظرة العامة في اختيار الولاة كانت اختيار الأكفأ في العمل والأقدر على تحمله وأدائه على خير وجه، دون النظر إلى وجود من هو أفضل منه في أمور أخرى. فالنظر إلى مصلحة العمل نفسه هو الأساس في الاختيار، ولذلك نجد ابن تيمية رحمه الله قد وضع فصلاً سماه (استعمال الأصلح)[٢]، كما وضع فصلاً آخر سماه (اختيار الأمثل فالأمثل)[٣] وذكر ابن القيم أنه يجب على ولي الأمر أن يستعين في و لايته بأهل الصدق والعدل الأمثل فالأمثل وإن كان فيه كذب وفجور[٤]، وقد كان الرسول ﷺ يبتعد عن تولية الناس الضعفاء رغم صلاحهم وتقواهم، إذ أن تلك التقوى لم تكن هي الأساس و لم تكن لتعين العامل في حال ضعف شخصيته، فقد جاء أبوذر إلى الرسول ﷺ وقال له: يارسول الله ألا تستعملني؟ فقال الرسول ﷺ: يا أباذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها[٥]. فبسبب علم الرسول ﷺ بضعف أبي ذر رفض توليته وحذّره من الإمارة.

كما كان من مقوّمات الاختيار البصر بالعمل، فقد كان عمر يستعمل قوماً

---

(١) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ١٤، ١٥.

(٢) السياسة الشرعية، ٦.

(٣) المصدر السابق، ١٣.

(٤) الطرق الحكمية، ٣٣٨.

(٥) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، ج٥/١٧٣، ابن تيمية، السياسة الشرعيةن ١٨.

ويدع أفضل منهم لبصرهم بالعمل[١]، والتفضيل هنا إنما يعني أن أولئك الذين تركهم عمر، كانوا أفضل ديناً وأكثر ورعاً، وأكرم أخلاقاً ولكن خبرتهم في تصريف الأمور أقل من غيرهم، فليس من الضروري أن يجتمع الأمران كلاهما معاً[٢].

وقد قام عمر بعزل بعض الولاة وتعيين غيرهم مكانهم، مع أن الأولين لم يأتوا بما يغضب عمر ولكنه أراد مصلحة الولاية، ومن ذلك عزله لشرحبيل بن حسنة وتولية غيره، إذ قام في الناس خطيباً فقال: إني والله ما عزلت شرحبيل عن سخطة، ولكني أردت رجلاً أقوى من رجل[٣].

كما أن أبابكر رضي الله عنه (استعمل خالداً في حرب أهل الردة في فتوح العراق والشام، وبدت منه هفوات كان له فيها تأويل، وقد ذكر له عنه أنه كان له فيها هوى، فلم يعزله بل عتبه عليها لرجحان المصلحة على المفسدة)[٤].

وقد كان اجتماع القوة والأمانة في الرجل[٥] من أصعب الأمور، ولذلك كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: "اللهم أشكو إليك جلد الفاجر وعجز الثقة"[٦] وحينما نستعرض أسماء ولاة الرسول ﷺ وأسماء ولاة الخلفاء الراشدين عموماً نجد أنه كان هناك من هو أفضل منهم في السابقة في الدين والجهاد، ومع

---

(١) ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ، ج٢/٤٨٢.

(٢) المكان السابق.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٤/٢٠٤.

(٤) ابن تيمية، السياسة الشرعية ١٨.

(٥) المكان السابق.

(٦) المصدر السابق ١٦، والحسبة في الإسلام ٣٠.

ذلك فإنهم لم يقدموا في الولايات نظراً؛ لأن مصلحة العمل تقتضي تقديم غيرهم في هذا الأمر.

كما نلاحظ أن اعتبار السن بالنسبة للوالي ليس مهماً، حيث أن الرسول ﷺ عيّن شباباً صغاراً في الإمارة، فعين عثمان بن أبي العاص على الطائف وكان أصغر القوم الذين قدموا عليه، كما عين أسامة بن زيد على أحد الجيوش وكان من أصغرهم سناً، وقد سار الخلفاء الراشدون على هذا الأمر من عدم النظر إلى السن والاهتمام حيث أن عمر ولى شباباً وترك من هو أسن منهم، كمعاوية بن أبي سفيان والوليد بن عقبة، كما سار على هذا الأمر عثمان بن عفان في توليته عبدالله بن عامر بن كريز وكان شاباً، وكذلك ولى علي بعض أبناء عمه العباس وكانوا شباباً ومنهم أصغر أولاد العباس تمام[١].

وقد كان الخلفاء الراشدين يحرصون أن يكون الولاة من العرب، ليس تعصباً لهم، أو تعظيماً لعرقهم وجنسهم، ولكن لمعرفتهم التامة باللغة العربية، وبالتالي مقدرتهم على فهم أصول الشريعة الإسلامية وتعاليمها[٢]، حيث يتعذر على من لا يفهم العربية فهم الإسلام وأحكامه في تلك الأيام. ومع ذلك فقد ولوا في بعض الأحيان من غير العرب، حيث ولى عمر على إحدى البلدان رجلاً فارسياً[٣].

وجدير بالذكر هنا أن علماء السياسة الشرعية كما تحدثوا عن اختيار الولاة ومقوماتهم اهتموا بإعداد أناس من الأمة يتحملون الولايات في حال و جود نقص

(١) ابن قدامة، المقدسي، التبيين في أنساب القرشيين، ١٣٩.

(٢) صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ٣١٠.

(٣) انظر الطبري، تاريخه ج٤/١٨٢.

في هذا الجانب... يقول ابن تيمية: (ومع أنه يجوز تولية غير الأهل للضرورة، إذا كان أصلح الموجود، فيجب مع ذلك السعي في إصلاح الأحوال حتى يكمل الناس ما لا بد لهم منه، في أمور الولايات والإمارات ونحوها، كما يجب على المعسر السعي في وفاء دينه وإن كان في الحال لا يطلب منه إلا ما يقدر عليه، وكما يجب الاستعداد للجهاد بإعداد القوة ورباط الخيل في وقت سقوطه للعجز، فإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)[١].

وفي بعض الأحيان كان يسبق التعيين على العمل امتحان بصورة غير مباشرة، خصوصاً لمن لم يكن من سكان المدينة، حتى يستطيع الخليفة الحكم عليه، وقد حدث ذلك من عمر عدة مرات، فقد كان (كعب بن سور)[٢] في المدينة وجاءت امرأة إلى عمر تشكو زوجها، فأمره عمر أن يقضي بينهما، ثم أعجب عمر بما قضى به وولاه على قضاء البصرة[٣]، كما أن عمر بدأ يراقب أحد الفتيان بنية تعيينه على أحد الأعمال وبعد فترة من المراقبة قال الفتى لعمر: إني أردت الانصراف إلى بلدي، فإن رأى أمير المؤمنين أن يوليني القضاء، فقال عمر رضي الله عنه: لقد كدت تغرّني إن هذا الأمر لا يقوم به من أحبه[٤].

ولاشك في أن التعيين في الوظائف العامة -وخصوصاً تعيين الولاة في عصر

---

(١) السياسة الشرعية ٢١.

وانظر: د. فتحي عثمان، من أصول الفكر السياسي الإسلامي، ١٦.

(٢) كعب بن سور الأزدي اشتهر بالقضاء في البصرة قتل في معركة الجمل بين الصفين (وكيع، أخبار القضاء ج١/٢٧٤، ٢٧٥).

(٣) المصدر السابق، ج١/٢٧٦.

(٤) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/٨٥٦.

الخلفاء الراشدين- كان يتم بنزاهة تامة دون مراعاة للعداء الشخصي أو القرابة كما يعتقد بعض المؤرخين، خصوصاً حينما يتحدثون عن عثمان وعن علي وتوليتهما لأقاربهما على الولايات، وهما -ولاشك- كانا ينظران إلى المصلحة العامة للأمة في تلك التعيينات بغض النظر عن القرابة من عدمها، كما أن الأسباب الشخصية لم تمنع الخلفاء من تعيين الأكفاء في مناصبهم، فقد ولى عمر بن الخطاب أبا مريم الحنفي[١] على قضاء البصرة حينما أحس فيه مقدرة على العمل رغم أن أبا مريم هذا هو قاتل زيد بن الخطاب أخي عمر أثناء معركة اليمامة في حروب الردة[٢].

٤- انعقاد الولاية:

لقد كان الرسول ﷺ يعيّن العمال في المدينة ويعقد لهم الولاية بصيغة شفوية في كثير من الأحيان، إلا أنه في الغالب كان يكتب إلى أهل البلاد في تعيين العامل عليهم، وكثيراً ما كان العمال يحملون كتاب الرسول ﷺ في تعيينهم[٣]، وفي قيادة الجيوش كان الرسول ﷺ يعقد الألوية للأمراء، وهي إعلان بتوليتهم القيادة.

وقد سار أبوبكر الصديق رضي الله عنه على نهج رسول الله ﷺ، وكانت معظم الإمارات التي عقدها هي إمارات الجيوش، سواء ما اتجه منها لحرب المرتدين أو ما كان موجهاً للفتوح في بلاد العراق والشام، حيث كان أبوبكر

---

(١) أبو مريم الحنفي، واسمه إياس بن صبيح الحنفي، ولاه عمر قضاء البصرة سنة ١٤ ثم عزله سنة ١٦هـ تقريباً. (وكيع، أخبار القضاة، ج١/٢٦٩).

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ١١.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٩/٣٩٨.

والكتاني، التراتيب الإدارية، ج١/٢٤٧.

يعقد الرايات لهؤلاء الأمراء والقواد ويحدد لهم وجهتهم، وقد ذكر أن أبابكر كتب عهوداً لأمراء الأجناد ضد المرتدين[١]، كما وردت بعض النصوص التي تفيد أن أبا بكر كتب إلى بعض الأمـــراء في تعيينهم أو إقرارهم على ولايات معينة[٢]، ويبدو أن بعض الولايات والإمارات التي عقدها أبوبكر كانت مشافهة، خصوصاً أمراء فتوح الشام الذين وجههم أبوبكر إلى أماكن محددة[٣].

كما كان عمر بن الخطاب يكتب عهداً للعمال عند تعيينهم ويشهد عليهم بعض الصحابة، فقد روي أن عمر بن الخطاب كان (إذا استعمل عاملاً كتب له عهداً وأشهد عليه رهطاً من المهاجرين والأنصار واشترط عليه...)[٤] كما قد يكون الشخص المرشح للولاية غائباً، فيكتب له عمر عهداً يأمره فيه بالتوجه إلى ولايته، ومثال ذلك كتابه إلى العلاء بن الحضرمي عامله على البحرين بالتوجه إلى البصرة لولايتها بعد عتبة بن غزوان[٥].

كما أنه في حال عزل أمير وتعيين آخر مكانه، فإن الوالي الجديد كان يحمل خطاباً يتضمن عزل الأول وتعيينه مكانه، وذلك مثل كتاب عمر مع أبي موسى الأشعري حين عزل المغيرة بن شعبة عن ولاية البصرة وعين أبا موسى مكانه[٦].

ويبدو أن الخلفاء الراشدين ساروا على أسلوب بعث الكتب إلى أهل الأمصار

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٠/١٩٢-١٩٣.

(٢) انظر محمد حميد الله، الوثائق السياسة ص ٢٩٢، ٢٩٤، ٣٠٣.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ١١٧.

(٤) الطبري، تاريخه ج٥/٢١، ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ١١٤.

(٥) الطبري، تاريخه ج٤/٢١٣، ومحمد كرد علي، الإدارة الإسلامية، ٣٤.

(٦) الطبري، تاريخه ج٤/٢٠٧.

حينما يعين عليهم أمير جديد، وأن هذا الكتاب أو العهد كان يقرأ في المسجد أمام الناس[١].

وقد سار الخلفاء الراشدون في كتابة عهود الولاة على رسم معين في الغالب (وكان الرسم في ذلك أن يفتح العهد بلفظ "هذا ما عهد"، أو "هذا عهد من فلان لفلان"، ويأتي على المقصد إلى آخره. ويقال فيه: "أمره بكذا وأمره بكذا" والأصل في ذلك ما كتب به أبوبكر الصديق رضي الله لأمرائه الذين وجههم لقتال أهل الردة، وعليه بنى من بعده)[٢].

وقد تحدث الفقهاء عن صيغ تقليد الأمراء، فذكر الماوردي أن من الصيغ الصريحة التي تنعقد بها الولاية ألفاظ (قد قلدتك ووليتك واستخفلتك وأنبتُك)[٣]. إلا أن الذي يبدو أن الخلفاء الراشدين لم يكونوا يدققون في الألفاظ في مثل هذه الأمور، ولكنهم كانوا يهتمون بإعلان الولاية في المسجد و غيره، كما كانوا يكتبون إلى أهل البلد كتاباً يحمله الوالي ويقرأه عليهم[٤].

وأما الكيفية التي يتسلم بها الوالي مهام عمله فغير محددة بدقة، إلا أن وصول الوالي إلى منطقة ولايته وإعلان قرار تعيينه رسمياً على الناس يعد استلاماً للعمل مباشرة له، وذلك غير مربوط بمراسم معينة، بل هو في الغالب يكون مقروناً

---

(١) انظر المكان السابق.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٠/١٩٢.

(٣) الأحكام السلطانية، ٩٦.

(٤) كتب عمر إلى أهل البصرة حينما أمّر عليهم أبا موسى الأشعري. "أما بعد فإني قد بعثت أبا موسى أميراً عليكم، ليأخذ لضعيفكم من قويكم، وليقاتل بكم عدوكم وليدفع عن ذمتكم، وليحصي لكم فيئكم، ثم ليقسمه بينهم، ولينقي لكم طرقكم" الطبري، تاريخه ج٤/٢٠٧.

بإمامة الناس في الصلاة، ولهذا نجد أن عبدالله بن سعد بن أبي السرح حينما عيّن من قبل عثمان على ولاية مصر سبق عبدالله بن عمرو بن العاص نائب عمرو على الولاية، إلى المسجد وصلى بالناس[١]. وكان هذا بمثابة إعلان بتوليه في الوقت الذي لم يكن عبدالله بن عمرو يعلم بتولية عبدالله بن سعد.

وقد كان بعض الولاة حين يتوجهون لولاياتهم يصطحبون معهم وفداً ليستعينوا بهم في ولايتهم، مثل أبي موسى الأشعري الذي اصطحب معه مجموعة من المهاجرين والأنصار حينما عيّن على ولاية البصرة[٢].

ويبدو أن التعيين على الولاية لم يكن مقروناً بزمن معين، بل إن الخلفاء حين يصدرون أمر التعيين فإن الوالي يستمر على عمله، إلى أن يبدو للخليفة عزله أو نقله من ولاية إلى أخرى لأسباب يراها الخليفة مقنعة، وقد يبقى في البلد شخصياً بإرادته أو مستشاراً للوالي الجديد أو ينتقل إلى مكان آخر بأمر الخليفة أو بإرادته الشخصية.

وعند موت الخليفة، فإن من يتولى بعده كان له الخيار في إبقاء ولاة سابقيه أو تغييرهم بولاة آخرين، ونحن نجد أن أبابكر أبقى ولاة الرسول ﷺ[٣]، فلما جاء عمر أبقى بعض ولاة أبي بكر وعزل بعضهم، وعلى رأس المعزولين خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة، وكان عزلهم في اليوم الذي تولى فيه عمر[٤]. وحينما توفي عمر كان قد كتب في وصيته: "ألا يقر لي عامل أكثر من سنة وأقروا

---

(١) ابن عبدالحكم، فتوح مصر، ١٧٤، المقريزي، الخطط، ج١/٢٩٩.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٤/٢٠٧.

(٣) انظر ص ٧٦ من هذا الكتاب، وانظر مثلاً: القاسم بن سلام، الأموال، ٥٩٧.

(٤) انظر ص ١٤٥ من هذا الكتاب.

الأشعري أربع سنين"[١] وهكذا فإن عمر قد حدد للخليفة من بعده طريقة التعامل مع ولاته حيث أحب أن لا يعتمد على تزكية عمر لهم، وإنما يعمل جهده في تولية من يشاء، سوى ما ذكر لأبي موسى من الإقرار أربع سنوات. ولعل عمر قد خطط شيئاً يجب أن ينجزه أبو موسى خلال تلك الفترة، أو لعله كان واثقاً من حاجة البلد لأبي موسى خلال هذه السنوات على الأقل. وقد سار عثمان على الطريقة نفسها في تعيين الولاة، فلم يعزل جميع ولاة عمر، ولم يبقهم جميعاً، بل إنه عزل بعضاً منهم، وفي مواقف خاصة في الغالب، وأبقى بعضاً منهم، حتى إنه توفي وفي ولاته من قد تولى منذ أيام عمر كأبي موسى الأشعري، ومعاوية بن أبي سفيان[٢]. وأما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه بعد مبايعته رأى أن يبادر بعزل معظم ولاة عثمان وتعيين ولاة جدد على البلدان، ولم يبق من الولاة السابقين الرئيسيين سوى أبي موسى الأشعري[٣].

وقد لاحظ الفقهاء أن موت الخليفة في حد ذاته لا يعد عزلاً للأمير[٤] بل لابد أن ينص الخليفة الذي بعده على عزله أو تغييره وبالتالي ينعزل.

ومن الملاحظ أن حوادث عزل الولاة تكاد تكون معدومة في عصر أبي بكر الصديق، وأما في عصر عمر فقد كثرت حوادث عزل الولاة وتغييرهم، وفي عصر عثمان وقعت بعض حوادث العزل وقد تركزت في الكوفة التي تولى عليها مجموعة من الولاة، وأما في عصر علي فحوادث العزل قليلة، إلا أن كثيراً من

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ٣٢٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٣٩١.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه ١٧٨.

(٣) اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٧٩-١٨٠، الطبري، تاريخه، ج٥/١٦١.

(٤) انظر: الماوردي، الأحكام السلطانية، ٣٢.

ولاته طردوا أو قتلوا نتيجة زحف جيوش الشام على الحجاز واليمن ومصر.

ثانياً: مميزات الولاة في العصر الراشدي:

حين نستعرض الأحداث التاريخية في عصر الخلفاء الراشدين -وخصوصاً المرتبط منها بالولاة- نشعر بأن الولاة في هذا العصر قد تميزوا بصفات خاصة بهم يندر وجودها في أي عصر آخر، ومن أهم هذه الصفات الزهد؛ حيث نرى ولاة الخلفاء الراشدين أئمة في الزهد، ويتجلى ذلك أكثر في عصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه في معظم عماله، وليس مرد ذلك الزهد لقلة في موارد البلاد التي يتولى عليها أولئك الأمراء، ولكنه يعود إلى تورع أولئك الولاة وخشيتهم لله تعالى، ومن الولاة الذين اشتهروا بزهدهم (سعيد بن عامر بن حذيم) وعمير بن سعد، وسلمان الفارسي، وأبي عبيدة بن الجراح، وأبي موسى الأشعري، رضي الله عنهم جميعاً. وقد كان بعض هؤلاء الولاء إذا نزل عليهم الضيوف لا يجدون المال ليشتروا لهم الطعام، فيضطرون إلى الاستدانة كما فعل سلمان الفارسي[١]، وسعد ابن أبي وقاص[٢] رضي الله عنهما، وكان نساء بعض الولاة يقدمن الشكاوى إلى الخلفاء نتيجة زهد أزواجهن؛ فقد اشتكت امرأة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه من شدة زهد زوجها وتورعه[٣]، كما اشتكت امرأة معاذ بن جبل رضي الله عنه وذلك (أن عمر بعث معاذاً ساعياً... -على بعض القبائل- فقسم فيهم حتى لم يدع شيئاً، حتى جاء بحلسه الذي خرج به على رقبته، فقالت امرأته: أين ما

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٥٥١.

(٢) انظر ص ٢٦٥ من هذا الكتاب.

(٣) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/٨٣٧.

جئت به مما يأتي به العمال من عراضة أهليهم؟ فقال: كان معي ضاغط[١]. فقالت: قد كنت أميناً عند رسول الله ﷺ وعند أبي بكر. أفبعث عمر معك ضاغطاً؟ فقامت بذلك في نسائها واشتكت عمر، فبلغ ذلك عمر فدعا معاذاً، فقال: أنا بعثت معك ضاغطاً؟ فقال: لم أجد شيئاً أعتذر به إليها إلا ذلك. قال: فضحك عمر وأعطاه شيئاً وقال: أرضها به)[٢].

وقصص زهد الولاة في ذلك العصر تكاد تكون خيالية، خصوصاً إذا قورنت بأحوال الولاة والأمراء قبل الإسلام وأحوال الولاة المسلمين بعد عصر الراشدين في العصور الإسلامية اللاحقة. كما اشتهر الولاة في ذلك العصر بتواضعهم الشديد حتى أن القادمين إلى بلادهم لا يميزون بينهم وبين عامة الناس[٣] فهم في لباسهم وبيوتهم ومراكبهم كعامة الناس، لا يميزون أنفسهم بشيء، ومن أمثلة ذلك قصة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، فقد بعث إليه الروم رجلاً ليفاوضه (فأقبل حتى أتى أبا عبيدة. فلما دنا من المسلمين لم يعرف أبا عبيدة من أصحابه، ولم يدر أفيهم هو أم لا، ولم يرهبه مكان أمير. فقال لهم: يا معشر العرب، أين أميركم؟ فقالوا: ها هوذا. فنظر فإذا هو بأبي عبيدة جالس على الأرض وهو متنكب القوس وفي يده أسهم وهو يقلبها. فقال له الرسول: أنت أمير هؤلاء القوم؟ قال: نعم. قال: فما يجلسك على الأرض؟ أرأيت لو كنت جالساً على وسادة أو كان ذلك واضعك عند الله أو مانعك من الإحسان؟ قال أبوعبيدة: إن

---

(١) ضاغط أي مراقب.

(٢) القاسم بن سلام، الأموال، ٧١٠، ٧١١.

(٣) انظر قصة سلمان الفارسي وحمله للرجل الأجنبي، ص ١٧٦ من هذا الكتاب.

الله لا يستحيي من الحق، ولأصدقنك عما قلت، ما أصبحت أملك ديناراً ولا درهماً وما أملك إلا فرسي وسلاحي وسيفي، لقد احتجت أمس إلى نفقة فلم يكن عندي حتى استقرضت من أخي هذا نفقة كانت عنده -يعني معاذاً- فأقرضنيها، ولو كان عندي أيضاً بساط أو وسادة ما كنت لأجلس عليه دون إخواني وأصحابي وأجلس أخي المسلم الذي لا أدري لعله عند الله خير مني على الأرض، ونحن عباد الله نمشي على الأرض، ونجلس على الأرض، ونأكل على الأرض ونضجع على الأرض، وليس ذلك بناقصنا عند الله شيئاً، بل يعظم الله به أجورنا، ويرفع درجاتنا، ونتواضع بذلك لربنا)[1] .

وهذه الصورة تعطينا دلالة واضحة على تواضع أبي عبيدة رضي الله عنه بشكل لم يكن معهوداً لدى أهل البلاد المفتوحة، وقد استمر الولاة على ذلك التواضع خلال عهود الخلفاء الأربعة، فقد اشتهر عن بعض ولاة عثمان أهم لم يكن لبيوتهم أبواب ومنهم الوليد بن عقبة[2] رضي الله عنه كما اشتهر عن علي رضي الله عنه تواضعه الجم، وبالتالي فإن ولاته قد تأثروا بذلك التواضع وعملوا على تقليده.

كما امتاز الكثير من الولاة في عهد الخلفاء الراشدين بتورعهم عن الولاية ومحاولتهم الاستعفاء منها، والحوادث في هذا المجال كثيرة، فمن الولاة الذين طلبوا الإعفاء (خالد بن سعيد بن العاص) وكان من عمال رسول الله ﷺ فكره الإمارة،

---

(١) الأزدي، فتوح الشام، ١٢٢، ١٢٣.

(٢) انظر ص ٢٦٨ من هذا الكتاب.

واستعفى أبابكر فأعفاه[١]، وأما في عصر عمر فقد حرص العديد من الولاة أن يعفوا من الأعمال الموكلة إليهم، فقد استعفى (عتبة بن غزوان) من ولاية البصرة فلم يعفه عمر[٢]، كما أن (النعمان بن مُقَرن) كان والياً على (كسكر) فطلب من عمر أن يعفيه من الولاية ويسمح له بالجهاد رغبة في الشهادة[٣]، كما أن خالد ابن الوليد كان والياً لعمر على الجزيرة ثم استعفى عمر فأعفاه[٤]، كما رفض الصحابة الولاية حينما طلب منهم عمر أن يعملوا في الولايات، فقد رفض الزبير ابن العوام ولاية مصر حينما عرض عليه ذلك قائلاً: (يا أبا عبدالله، هل لك في ولاية مصر، فقال: لا حاجة لي فيها ولكن أخرج مجاهداً وللمسلمين معاوناً)[٥].

كما رفض ابن عباس ولاية حمص حينما عرض عليه عمر أن يوليه إياها بعد وفاة أميرها[٦].

وفي عهد عثمان استعفى (عمير بن سعد) من ولاية حمص فأعفاه عثمان[٧]. ومن حوادث الاستعفاء والتورع في عهد علي رضي الله عنه تورع عبدالله بن عباس عن ولاية البصرة وطلبه الإعفاء من إمارتها[٨].

وقد امتاز الولاة على البلدن باحترام من سبقهم من الولاة وتقديرهم، وهذا

---

(١) الأزدي، فتوح الشام، ٧.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٤/٢١٤.

(٣) أبو يوسف، الخراج، ٢٣، الطبري تاريخه، ج٤/٢٣١، ٢٣٩.

(٤) اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٥٧.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ٢١٤.

(٦) أبو يوسف، الخراج، ٢٢، ٢٣.

(٧) الطبري، تاريخه ج٥/٦٥.

(٨) النويري، نهاية الأرب ج٢/٢٤.

يلاحظ في معظم الولاة؛ حيث نجد مثلاً أن خالد بن الوليد حينما قدم إلى الشام أميراً على أبي عبيدة بن الجراح وغيره من المسلمين رفض أن يتقدم على أبي عبيدة في الصلاة(١). وحينما قام عمر بعزل خالد بن الوليد عن ولاية أجناد الشام وتعيين أبي عبيدة مكانه أخفى أبوعبيدة الخبر عن خالد و لم يخبره به حتى ورد كتاب آخر من عمر، فعلم خالد بالخبر فعاتب أبا عبيدة على عدم تبليغه(٢).

و لم أجد من خلال البحث أن أحداً من الولاة عمل على إذلال من سبقه أو النيل منه، بل إنهم في الغالب يعملون على مدحهم في أول خطبة يلقونها ويثنون عليهم(٣).

ثالثاً: حقوق الولاة المعنوية والمادية:

مما لاشك فيه أن للولاة على البلدان حقوقاً مختلفة يتصل بعضها بالرعية، وبعضها بالخليفة، بالإضافة إلى حقوق أخرى متعلقة ببيت المال، وكل هذه الحقوق الأدبية أو المادية تهدف بالدرجة الأولى إلى إعانة الولاة على القيام بواجباتهم وخدمة المصلحة العامة، وما سنورده من تفصيلات في هذا الموضوع يعتمد بالدرجة الأولى على ما ورد من آيات قرآنية وأحاديث نبوية، بالإضافة إلى الوقائع التاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، وما قرره بعض الفقهاء، بعد ذلك

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/١٢.

(٢) اليعقوبي، تاريخه، ج٢/١٣٩، ١٤٠.

(٣) انظر إلى ثناء معاذ بن جبل على أبي عبيدة رضي الله عنه وإلى ثناء عمرو بن العاص على معاذ ابن جبل. (الأزدي، فتوح الشام، ٢٦٨، ٢٧٢).

نتيجة لدراسة هذه الأدلة، والوقائع، ومن أهم هذه الحقوق:

١- الطاعة في غير معصية الله، وواجب الطاعة من الرعية للأمراء والولاة قررته آيات قرآنية متعددة وأحاديث نبوية شريفة، فمن ذلك قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا﴾**(١).

وهذه الآية تنص على وجوب طاعة أولي الأمر، ومنهم الأمراء المنفذون لأوامر الله سبحانه وتعالى(٢).

ولاشك أن طاعة الأمراء -بل حتى الخلفاء- مربوطة بطاعة الله ورسوله، وأنهم متى عصوا الله ورسوله فلا طاعة لهم، حيث قال أبوبكر الصديق رضي الله عنه: أطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم(٣).

وطاعة الأمراء تكون بالمعروف. وفي زمن الرسول ﷺ وجه أحد الأمراء أصحابه لجمع حطب (فجعموا حطباً فأضرموا فيه ناراً وأمرهم بالدخول فيها، فقال ﷺ: لو دخلوها ما خرجوا منها، إنما الطاعة في المعروف وفي لفظ: "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" وفي لفظ: من أمركم منهم بمعصية الله فلا تطيعوه فهذه

---

(١) سورة النساء، آية ٥٩.

(٢) ابن القيم، إعلام الموقعين، ج٢/٢٢٠، ٢٢١.

د. فتحي عثمان، من أصول الفكر السياسي الإسلامي، ١٧١.

(٣) ابن تيمية، الحسبة في الإسلام، ١١٧.

فتوى عامة لكل من أمره أمير بمعصية كائناً من كان ولا تخصيص فيه البتة)[١].

٢- بذل النصيحة للولاة من منطلق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو الأساس الذي تقره الأمة بأكملها، والذي وردت الأوامر به من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحدثت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على وجه العموم، ومنها ما خص الولاة به، حيث أمرت الأحاديث النبوية ببذل النصيحة لهم، وقد دأب الخلفاء الراشدون الأربعة على الكتابة لولاتهم باستمرار يبذلون لهم النصيحة، والنصوص الواردة في هذا كثيرة يصعب حصرها.

كما أن على الرعية بذل النصيحة لولاة الأمر، فقد قال رسول الله ﷺ: "إن الله يرضى لكم ثلاثاً: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاة الله أمركم"[٢] كما قال رسول الله ﷺ: "إن الدين النصيحة إنما الدين النصيحة. قالوا لمن يارسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"[٣].

وقد جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال له: يا أمير المؤمنين لا أبالي في الله لومة لائم خير لي أم أقبل على نفسي، فقال: أما من ولي من أمر المؤمنين شيئاً فلا يخف في الله لومة لائم، ومن كان خلواً من ذلك فليقبل على نفسه ولينصح لولي أمره[٤]، وقد روى أبوهريرة عن النبي ﷺ أنه قال: "إن كنت أميراً أو وزيراً أميراً

---

(١) ابن القيم، إعلام الموقعين ج٤/٤٠٠.

(٢) أحمد بن حنبل، المسند ج٢/٣٢٧، ابن تيمية، السياسة الشرعية، ٣، ١٦٢.

(٣) أحمد بن حنبل، المسند ج٤/١٠٢، وانظر الدارمي، سننه، ج٢/٣١١ والسهروردي، أبو الحسن محمد البغدادي، تحرير الأحكام في السياسة، مخطوط في مكتبة أيا صوفيا، اسطنبول تحت رقم ٢٨٥٢، ورقة ٧.

(٤) أبو يوسف، الخراج، ١٥.

أو داخلاً على أمير أو مشاور أمير فلا تجاوز سنتي، فإنه أيما أمير أو وزير أو مشاور أمير أو داخلاً على أمير خالف سنتي وسيرتي، فإنه تأخذه النار يوم القيامة من مكان ثم يصير إلى النار"(١).

ولاشك أن للنصيحة أدباً؛ فأحياناً تكون النصيحة للوالي في السر أفضل منها في العلن، فقد قام رجل ينصح (عياض بن غنم ويغلظ له، فغضب منه عياض وقال: أو لم تسمع رسول الله ﷺ يقول: من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده له علانية، ولكن ليأخذ بيده فيخلو به، فإن قبل منه فذاك وإلا فقد أدى الذي عليه)(٢).

٣- والحق الثالث: يجب على الرعية للوالي إيصال الأخبار الصحيحة إليه والصدق في ذلك، سواء ما يخص أحوال العامة، أو ما يخص أخبار الأعداء، أو ما كان متعلقاً بعمال الوالي وموظفيه والعجلة في ذلك قدر المستطاع خصوصاً ما كان متعلقاً بالأمور الحربية وأخبار الأعداء وما يتعلق بخيانات العمال وغير ذلك، من منطلق الاشتراك في المسؤولية مع الوالي في مراعاة المصلحة العامة للأمة(٣).

٤- مؤازرة الوالي في موقفه: إذا كان موقفه للمصلحة العامة وتلزم المعاونة بالدرجة الأولى من قبل الخليفة، ونلاحظ أن أبابكر رضي الله عنه وغيره من الخلفاء كانوا يضطرون إلى تقوية موقف الوالي ضد الشاكين خصوصاً إذا كانت الشكايات كيدية لا صحة لها؛ كفعل أبي بكر مع والي اليمن(٤) وفعل عمر مع

---

(١) الماوردي، نصيحة الملوك، ١٩٥. والحديث يحتاج إلى تخريج ودراسة سند.

(٢) ابن سلام، الأموال، ٥٤.

(٣) انظر السهروردي، تحرير الأحكام، ورقة ٧.

(٤) انظر ص ٨٥ من هذا الكتاب.

سعد بن أبي وقاص[١] رضي الله عنهما، وغضبه حينما بلغه أن والي العراق قد حُصِبَ[٢] وفعل عثمان مع بقية ولاته الذين طالب أصحاب الفتنة بعزلهم فرفض عثمان ذلك وكان هذا التعضيد يخدم الهدف العام للدولة الإسلامية، ويمنع الاضطراب في كثير من الأحيان، ولا يعني ذلك عدم الالتفات إلى الشكاوى ومؤازرة الولاة بدون تحقق، بل إن هذا التعضيد من الخلفاء إنما يأتي بعد تحقق وتثبت من تلك الشكايات وبعد محاسبة دقيقة قد تتطلب إرسال لجان خاصة من بعض الصحابة للتحقيق في تلك القضايا.

وكما أن المؤازرة للوالي واجبة من قبل الخليفة، فهي كذلك واجبة من قبل الرعية، وأن على الناس احترامهم وتقديرهم، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: (لا تسبوا الولاة، فإنهم إن أحسنوا كان لهم الأجر وعليكم الشكر وإن أساءوا فعليهم الوزر وعليكم الصبر... الحديث)[٣].

وقد استعمل علي بن أبي طالب رضي الله عنه طريقة فريدة في حفظ هيبة ولاته في أعين الناس، حيث كان إذا عيّن أميراً على بلد حدثه في حضور الناس، وأمره بالشدة، وأن لا يدع لهم درهماً من الخراج، ويشدد عليه في القول، ثم يلتقي به مرة أخرى على انفراد ويأمره باللين والرفق بالناس وعدم التضييق عليهم[٤].

٥- ومن حق الأمير الاجتهاد برأيه في الأمور التي يكون مجال الاجتهاد مفتوحاً فيها، خصوصاً في الأمور التي لم يحددها الشرع بنصها، أو في الأمور

---

(١) انظر ص ٢٦٤ من هذا الكتاب.

(٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء ج١/١٢٧.

(٣) أبو يوسف، الخراج، ١١.

(٤) أبو يوسف، الخراج، ١٦، القاسم بن سلام، الأموال، ٥٥.

الأخرى التي لم يأت فيها تفويض من الخليفة للتصرف في حدود معينة، فقد اجتهد علي رضي الله عنه في القضاء في خصومة أثناء ولايته اليمن لرسول الله ﷺ، وقد بلغ الرسول بعد ذلك اجتهاد علي فأجازه[١]، كما أن أحد ولاة عمر في الشام اجتهد في قسمة الأسهم بين الراجلة والفرسان فأجاز عمر اجتهاده[٢]. كما اجتهد الولاة أحياناً في بعض القضايا بما يخالف اجتهاد الخلفاء أنفسهم، وليس ذلك من مخالفة الأمراء، بل من الحق المشترك في الاجتهاد، وقد اشتهر عن ابن مسعود (وكان أحد ولاة عمر رضي الله عنه) أنه خالف عمر في أكثر من مائة مسألة اجتهادية[٣].

٦- ومن حقوق الولاة احترامهم بعد عزلهم، ومن ذلك أن أبابكر رضي الله عنه لما عزل خالد بن سعيد بن العاص أوصى به شرحبيل بن حسنة (وكان أحد الأمراء للجيوش المتجهة إلى الشام) وقال له: انظر خالد بن سعيد، فاعرف له من الحق عليك مثل ما كنت تحب أن يعرف لك من الحق عليه لو خرج والياً عليك، وقد عرفت مكانه من الإسلام، وأن رسول الله توفي وهو له والٍ، وقد كنت وليته ثم رأيت عزله وعسى أن يكون ذلك خيراً له في دينه"[٤].

كما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعل الشيء نفسه مع شرحبيل بن

---

(١) ابن القيم، إعلام الموقعين، ج١/٢٠٣.

(٢) أبو يوسف، الخراج، ٢٠.

(٣) ابن القيم، إعلام الموقعين، ج٢/٢١٨.

(٤) محمد كرد علي، الإدارة الإسلامية، ٢٥، انظر ص ٧٩ من هذا الكتاب.

حسنة عندما عزله عن ولاية الأردن[(١)]، وكذلك فعل عمر بعد عزله لسعد بن أبي وقاص عن ولاية الكوفة، ولعل ذلك العزل كان زيادة في احترام عمر لسعد، إذ أنه رأى أن احترامه يقضي بإبعاده عن أناس كانوا يعيبونه في صلاته، مع أن سعداً كان أشبه الناس صلاة برسول الله لعلمه التام بصفة صلاة النبي ﷺ، فعزله عمر احتراماً له عن أن يقع فيه مثل هؤلاء الجهال.

٧- أما من الناحية المادية، فقد كان للولاة حقوق كان على رأسها مرتباهم التي يعيشون عليها.

ومن المعروف أن الرسول ﷺ قد عيّن الأمراء والعمال في مختلف المناطق التي دخلها الإسلام، وقد اختلفت مهمات هؤلاء العمال فمنهم من كان مختصاً بالصلاة، ومنهم من كان مختصاً بالزكاة أو القضاء وغير ذلك من الولايات، وقد وردت بعض النصوص التي تدل على تخصيص الرسول ﷺ شيئاً محدداً من المال لبعض هؤلاء العمال، ومنهم (عتاب بن أسيد) والي مكة الذي فرض له الرسول ﷺ كل يوم درهماً، فقام خطيباً في الناس، وقال: أيها الناس أجاع الله كبد من جاع فقد رزقني الله درهماً كل يوم فليست بي حاجة إلى أحد[(٢)]. وورد أنه قال: ما أصبت في عملي الذي ولاني عليه رسول الله ﷺ إلا ثوبين معقدين[(٣)] كسوهما مولاي..)[(٤)] وهذا يعني أن راتبه كان على قدر حاجته، ولا مجال فيه لزيادة الإنفاق أو الإسراف.

---

(١) انظر الطبري، تاريخه، ج٤/٢٠٣، ابن الأثير، الكامل، ج٢/٥٦٢.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ٤/٥٠٠.

(٣) (معقدين) من عَقِيْد أي غليظ شديد العقد (الجوهري، الصحاح ج٢/٥١٠).

(٤) القاسم بن سلام، الأموال، ٣٤٣.

ولا شك أن بقية عمال الرسول ﷺ كانت لهم أرزاق محددة يعيشون منها، ولو لم تصلنا روايات توضح ذلك بالتحديد، وقد ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: (من كان لنا عاملاً فليكتسب زوجة، فإن لم يكن له خادم فليكتسب خادماً، فإن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكناً)[١] وروى عن أبي بكر أن النبي ﷺ قال: (من اتخذ غير ذلك فهو غال أو سارق).

ولاشك أن الصحابة -وعلى رأسهم الخلفاء الراشدين- قد أحسوا بأهمية الأرزاق بالنسبة للعمال، وأنها حق من حقوقهم، إضافة إلى استغنائهم بها عن الناس وبالتالي عدم التأثير عليهم أو محاولة رشوتهم.

وقد ورد أن أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال لعمر بن الخطاب: دنست أصحاب رسول الله ﷺ، فقال له عمر: يا أبا عبيدة إذا لم أستعن بأهل الدين على سلامة ديني فبمن أستعين؟ قال: أما إن فعلت فأغنهم بالعمالة عن الخيانة، يقول: إذا استعملتهم على شيء فأجزل لهم العطاء[٢]. وقد كتب عمر رضي الله عنه إلى بعض الولاة انظروا رجالاً صالحين فاستعملوهم على القضاء وارزقوهم[٣]. وقد كان عمر رضي الله عنه يفرض لأمراء الجيوش والقرى في العطاء على قدر ما يصلحهم من الطعام وما يقومون به من الأمور[٤].

ومبدأ الأرزاق والرواتب للعمال متفق عليه بين الخلفاء الراشدين اقتداءاً بما كان يفعله الرسول ﷺ، ولئن كانت الروايات قد اقتصرت على ذكر مرتبات

---

(١) سنن أبي داود، ج٣ ص ٣٥٤، حديث رقم ٢٩٤٥.

(٢) انظر ص ٢٠١ من هذا الكتاب.

(٣) محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعصر النبوي والخلافة الراشدة ٤٣٩.

(٤) أبو يوسف، الخراج، ٥٠.

بعض العمال فقط، فإن المفهوم أن جميع العمال كانت لهم مرتبات خلال عصور الراشدين، ومعظم الروايات التي وردت في هذا الموضوع كانت تركز بالدرجة الأولى على عصر عمر بن الخطاب، حيث ورد ذكر مقدار أرزاق بعض الولاة في عصره.

وقد كان الخلفاء أنفسهم لهم مرتبات وأرزاق تكفي حاجتهم أو تقل عنها أحياناً، فقد ذكر أن الصحابة فرضوا لأبي بكر بعد مبايعته بالخلافة ستة آلاف درهم سنوياً[١] وقد ورد في رواية أخرى: (كان رزق أبي بكر الصديق حين استخلف خمسين ومائتي دينار في السنة، وشاة في كل يوم يؤخذ منه بطنها ورأسها وأكارعها، فلم يكن يكفيه ذلك ولا عياله. قالوا: وقد كان ألقى ماله في مال الله حين استختلف... فخرج إلى البقيع يتصافق. قال: فجاء عمر فإذا هو بنسوة جلوس، فقال: ما شأنكن؟ قلن: نريد أمير المؤمنين. وقال بعضهن: نريد خليفة رسول الله ﷺ يقضي بيننا، فانطلق يطلبه فوجده في السوق... فأخذ بيده، فقال: تعال ههنا. فقال: لا حاجة لي في إمارتكم رزقتموني ما لا يكفيني ولا عيالي. قال: فإنا نزيدك. قال أبوبكر: ثلاثمائة دينار والشاة كلها. قال: أما هذا فلا، فجاء علي وهما على حالهما تلك فلما سمع ما سأله قال: أكملها له. قال: ترى ذلك؟ قال: نعم. قال: فقد فعلنا. فقال أبوبكر: أنتما رجلان من المهاجرين ولا أدري أيرضى بها بقية المهاجرين أم لا؟ فانطلق أبوبكر فصعد المنبر واجتمع إليه الناس فقال: أيها الناس إن رزقي كان خمسين ومائتي دينار وشاة يؤخذ مني بطنها ورأسها وأكارعها، وإن عمر وعلياً كملا لي ثلاثمائة دينار والشاة.

---

(١) المحب الطبري، الرياض النضرة في مناقب العشرة ج١/٣٣٢.

أفرضيتم؟ فقال المهاجرون: اللهم نعم قد رضينا[١].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: أنزلت مال الله عندي بمنزلة مال اليتيم، فإن استغنيت عففت عنه، وإن افتقرت أكلت بالمعروف، وكان يستنفق كل يوم درهمين له ولعياله[٢]. وقد احتاج عمر إلى زيادة في رزقه فتشاور مع الصحابة فأكثر القوم عليه، فقال رجل: ما يحل لك من هذا المال؟ قال ما أصلحني وأصلح عيالي بالمعروف، وحلة الشتاء وحلة الصيف وراحلة عمر للحج والعمرة ودابة في حوائجه وجهاده[٣].

ولاشك أن هذا الحق للخليفة في بيت المال يتبعه حقوق أخرى للولاة من مال المسلمين بقدر ما يكفي حاجتهم بالمعروف، وقد ورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل عبدالله بن مسعود على القضاء وبيت المال، وعثمان بن حنيف على ما سقي الفرات، وعمار بن ياسر على الصلاة والجند ورزقهم كل يوم شاة، فجعل نصفها وسقطها وأكارعها لعمار بن ياسر، لأنه كان في الصلاة والجند، وجعل ربعها لعبدالله بن مسعود والربع الآخر لعثمان بن حنيف، ثم قال: إن مالاً يؤخذ منه كل يوم شاة إلا سريع في خرابه[٤] كما ورد أن عمر بن الخطاب فرض

(١) المكان السابق (ويتصافق) أي يبيع ويشتري في السوق (انظر ابن منظور، لسان العرب ج١٠/٢٠٠).

(٢) ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب ١٠٢.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٤/١٦٤، القاسم بن سلام، الأموال، ٣٤١.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ٢٦٩، القاسم بن سلام، الأموال، ٨٦، ابن الجوزي، مناقب عمر ابن الخطاب، ١١١.

لعمرو بن العاص أثناء ولايته مصر مائتي دينار[١]. وقد كان عطاء سلمان الفارسي رضي الله عنه وهو على ثلاثين ألفاً من الناس في المدائن خمسة آلاف درهم، ولزهده كان يأكل من عملَ يده في الخوص ويتصدق بعطائه[٢]. وقد وردت روايات أخرى متفاوتة في أرزاق عمر لولاته، ولاشك أن هذا الاختلاف في الروايات مرده إلى تطور الأحوال وتغيرها خلال عهد عمر، فلا يعقل أن تبقى الأرزاق والمرتبات على ما هي عليه من أول عهده إلى نهايته، نظراً لتغير الظروف والأحوال واختلاف الأسعار وتطور الحاجات نتيجة اتساع الفتوح وزيادة الدخل في بيت المال.

وقد ورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رزق معاوية على عمله بالشام عشرة آلاف دينار في كل سنة[٣]، كما ذكر أن عمر كان يفرض لأمراء الجيوش والقرى في العطاء ما بين تسعة آلاف وثمانية آلاف وسبعة آلاف على قدر ما يصلحهم من الطعام وما يقومون به من الأمور[٤].

وقد شمل عطاء بيت المال الأجناد والناس حسب منازلهم وليس الأمراء والولاة فقط[٥].

وقد مضى عثمان وعلي رضي الله عنهما على سيرة من سبقهما من الخلفاء في فرض الأرزاق للعمال والولاة[٦]، إلا أن عصر عثمان رضي الله عنه كان على ما

---

(١) الطبقات الكبرى، ج٤/٢٦١.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٥٤٧.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ج١٩/٣٦٢.

(٤) أبو يوسف الخراج، ص ٥٠ (ولعلها درهم).

(٥) انظر، صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ٤٩٦.

(٦) صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ٤٩٧.

يبدو أكثر توسعاً في بذل الأعطيات للناس عموماً ومن ضمنهم الولاة، نظراً لزيادة الدخل في بيت المال نتيجة الفتوح الواسعة التي قام بها ولاة عثمان في المشرق وفي أرمينية وأفريقية وغيرها. بل إن عثمان رضي الله عنه كان يعطي مكافآت مقطوعة للعمال نتيجة قيامهم بأعمال خاصة وبارزة، فقد أعطى عثمان لعبدالله بن أبي السرح خمس الخمس من الغنيمة جزاء فتوحه في شمال أفريقية حيث قال له: (إن فتح الله عليك غداً أفريقية فلك مما أفاء الله على المسلمين خمس الخمس من الغنيمة نفلاً)[1].

وقد ذُكر أن عمر بن الخطاب قد أعطى لأبي عبيدة بن الجراح مبلغ أربعة آلاف درهم حينما قدم بالطعام من الشام لإغاثة المدينة سنة ١٨هـ[2].

وقد شمل الرزق على العمل غير المسلمين في الدولة الإسلامية، حيث فرض عمر لدهاقين فارس أموالاً معينة نتيجة قيامهم بأعمال لصالح المسلمين، وفضل بعضهم على بعض بمقتضى ما كانوا يقومون به من عمل[3].

وقد كره بعض العمال أخذ الأرزاق نتيجة قيامه بأعمال الإمارة والولاية للمسلمين، إلا أن الخلفاء كانوا يوجهونهم إلى أخذها، فقد قال عمر رضي الله عنه لأحد ولاته: (ألم أحدث أنك تلي من أعمال المسلمين أعمالاً، فإذا أعطيت العمالة كرهتها؟ فقال: بلى، فقال عمر: ما تريد إلى ذلك؟ قال: إن لي أفراساً وأعبداً وأنا بخير، وأريد أن تكون عمالتي صدقة على المسلمين. فقال عمر: لا تفعل، فإني كنت أردت الذي أردت، وكان رسول الله يعطيني العطاء فأقول:

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/٤٩، ابن العربي، العواصم من القواصم، ١٠١.

(٢) انظر الطبري، تاريخه، ج٤/٢٢٤.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ٤٤٤.

أعطه أفقر إليه مني، فقال النبي ﷺ: خذه فتموله وتصدق به، فما جاءك من هذا المال من غير مسألة ولا إشراف فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك)[١].

وقد كان علي بن أبي طالب يعد ما يعطي للعامل حلالاً عليه أخذه حيث. قال: لا تسأل السلطان شيئاً وإن أعطى فخذ، فإن ما في بيت المال من الحلال أكثر مما فيه من الحرام[٢].

وعلى كل حال، فإن مبدأ إعطاء الأرزاق للعمال وإغنائهم عن الناس كان مبدأ إسلامياً فرضه الرسول ﷺ، وسار عليه الخلفاء الراشدون من بعده، حتى أغنوا العمال عن أموال الناس، وفرغوهم للعمل ولمصلحة الدولة.

---

(١) محمد كرد علي، الإدارة الإسلامية، ٤٨.

(٢) د. صبحي محمصاني، تراث الخلفاء الراشدين، ١٤٥.

واجبات الولاة

أ- إقامة أمور الدين:

من المعروف أن الدين الإسلامي دين شامل يهتم بأمور الدنيا والآخرة، وينظر إلى إقامة الدولة الإسلامية وتنظيم أمورها على أنه تقرب إلى الله تعالى إذا كان المقصود بذلك صلاح الدين والدنيا للناس[١]، ويرى ابن تيمية رحمه الله أن جميع الولايات في الإسلام مقصودها: أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا.

والولاة مع اختصاصهم بأمور كثيرة يسيرونها في ولاياتهم مما يمكن أن نطلق عليه أمور الحكم، فإنهم يمارسون كذلك أموراً دينية أوكلت إليهم من قبل الخلفاء ليقوموا بها وينشروها بين الناس، وعُدُّوا مسؤولين عنها خلال ولايتهم، ومن أبرز تلك الواجبات:

١- نشر الدين الإسلامي بين الناس، حيث اختص ذلك العصر بفتوحات عظيمة اقتضت من الولاة العمل على نشر الدين في البلاد المفتوحة مستعينين بمن معهم من الصحابة[٢] وفي زمن عمر كتب إليه يزيد بن أبي سفيان -وكان والياً على الشام-: إن أهل الشام قد كثروا وملؤوا المدائن، واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم فأَعِنّي برجال يعلمونهم. فأرسل إليه عمر خمسة من فقهاء الصحابة[٣].

---

(١) د. فتحي عثمان، من أصول الفكر السياسي الإسلامي، ص ٥٦.

(٢) ابن القيم، أعلام الموقعين، ج٢/٢٤٧.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٤٤. وانظر، د. ملكة أبيض، الدور التربوي للمسجد الجامع دمشق من الفتح حتى عام ٨٦هـ، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، العدد ٧ ربيع الأول ١٤٠٢هـ، ص ١٠٤.

وقد اشتهر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يردد: (ألا إنني والله ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم أمر دينكم وسنة نبيكم)[١].

وقد كان عمر يقول لولاته: إنا لا نوليكم على أشعار المسلمين ولا على أبشارهم وإنما نوليكم لتقيموا فيهم الصلاة وتعلموهم القرآن[٢].

ومع التأكيد على هذه المهمة الواجبة على الولاة، فإن عمر رضي الله عنه أدرك أن الولاة بأنفسهم لا يستطيعون أن يقوموا بهذه المهمة نظراً لكثرة الداخلين في الإسلام، وطلاب العلم من المسلمين الجدد، فأرسل مجموعات من المعلمين إلى الأمصار الإسلامية، حيث بعث (عبدالله بن مسعود) إلى الكوفة، وكتب إلى أهلها: إني بعثت ابن مسعود معلماً ووزيراً وقد آثرتكم به على نفسي. وأخذ ابن مسعود يعلمهم ويفقههم[٣]. وقد كان أبو موسى الأشعري والياً على البصرة فطلب من عمر أن يبعث معه بعض الأنصار ليعلموا الناس، فبعث معه عشرة من الصحابة وفيهم أنس بن مالك رضي الله عنه، وخصص بعضهم لتعليم القرآن[٤].

وقد اشتهر عن العديد من الولاة في عصر أبي بكر رضي الله عنه تعليمهم الناس القرآن وأمور الدين، مثل ولاة اليمن[٥] وغيرهم.

ويبدو أن الولاة كانوا يقومون بأنفسهم بهذه المهمة، مع وجود من يساعدهم

---

(١) أبو يوسف، الخراج، ص ١٢٥، ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص ١٥٠.

(٢) الماوردي، نصيحة الملوك، ص ٧٢.

(٣) اليعقوبي، تاريخه ج٢/١٥١، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١/٤٨٥، ٤٩١.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٧٠، الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١١٨.

(٥) انظر ص ٨٣ من هذا الكتاب.

في بداية الفتوح في عهد أبي بكر رضي الله عنه، ثم بدأت الأمصار تعتمد على معلمين وفقهاء قدموا لهذه المهمة بعد التوسع وبناء الأمصار في عهد عمر، وقد تأكد وجود المعلمين بعد ذلك خلال الفترة الأخيرة من خلافة عمر، وخلال فترة خلافة عثمان وعلي، وذلك لكثرة السكان في الأمصار وكثرة طلاب العلم وانشغال الولاة بأمور مختلفة وتوسع الولايات حيث كانت تتبع الولاية الواحدة العديد من الأمصار التي كان الناس فيها بحاجة إلى معلمين وفقهاء.

١- إقامة الصلاة:

حينما كان الرسول ﷺ يبعث أميراً على حرب، أو يعين عاملاً على بلد، فإنه يكل إليه أمر الصلاة وإقامة الجمع والجماعات بين المسلمين[١] وقد أوصى الرسول ﷺ معاذ بن جبل حينما بعثه إلى اليمن قائلاً: "يا معاذ، إن أهم أمرك عندي الصلاة"[٢].

وقد سار الخلفاء الراشدون من بعده على هذه السيرة، بل إنهم تعلموا من الرسول ﷺ أن هناك علاقة قوية بين الإمارة والصلاة (يشهد لذلك استدلال الصحابة في شأن أبي بكر رضي الله عنه باستخلافه في الصلاة على استخلافه في السياسة في قولهم: ارتضاه رسول الله ﷺ لديننا أفلا نرضاه لدنيانا)[٣].

وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب لولاته: "إن أهم أمركم عندي الصلاة، فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيّعها كان لما سواها أشد

(١) ابن تيمية السياسة الشرعية، ٢٢.

(٢) المصدر السابق، ٢٣.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، وانظر ابن تيمية، السياسة الشرعية، ٢٢.

إضاعة[١]، كما كان عمر يؤكد أهمية إقامة الصلاة في الناس بقوله: وإنما نوليكم لتقيموا فيهم الصلاة وتعلموهم العلم والقرآن[٢].

وقد كان الخليفة نفسه طيلة عصر الخلفاء الراشدين الأربعة هو الذي يقيم صلاة الجمعة والجماعة والأعياد في البلد التي يقيم فيها، ويخطب في الناس الجمعة والأعياد وفي المناسبات الأخرى، وكذلك كان نوابه يقومون بهذه المهمة في أمصارهم، وطيلة عهد الخلفاء الراشدين كان الولاة يخطبون في الناس بأنفسهم ويؤمونهم في الصلاة، ولاشك أن المقدرة على الخطابة كانت تتطلب مهارة خاصة من أولئك الولاة، وقد اشتهرت العديد من الخطب في مناسبات شتى لكثير من الولاة؛ كأبي عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وخالد بن الوليد وعبدالله بن عباس وأبي موسى الأشعري وغيرهم، وكان عمر رضي الله عنه ينص في قرار التعيين على أن فلاناً أمير الصلاة والحرب كالقرار الذي عيّن فيه عمار بن ياسر على الصلاة والحرب وعبدالله بن مسعود على القضاء وبيت المال[٣].

وقد تحدث الفقهاء الذين كتبوا في السياسة الشرعية عن أهمية الصلاة بالنسبة للأمير، وما يتضمنه ذلك الأمر من معان عظيمة دنيوية وأخروية[٤].

٢- حفظ الدين وأصوله:

لقد كان الخلفاء الراشدون بعد وفاة الرسول ﷺ يشعرون بعظم الواجب الملقى

(١) ابن القيم، الطرق الحكمية، ٢٤٠.

(٢) الماوردي، نصيحة الملوك، ٧٢.

(٣) انظر: الماوردي، الأحكام السلطانية، ٣٣.

(٤) أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية، ٣٤، ابن تيمية، السياسة الشرعية ٢٣، ابن القيم، الطرق الحكمية، ٢٤٠.

عليهم في حفظ الدين على أصوله الصحيحة التي نزلت على رسول الله ﷺ، وكان يعملون جاهدين في إحياء سنة الرسول ﷺ والقضاء على البدع، والعمل على احترام دين الله واحترام رسوله ﷺ، وردِّ كيد من يحاولون الدس على هذا الدين، فقد عاقب والي اليمن لأبي بكر امرأة تغنت بسب رسول الله ﷺ، فأعجب أبوبكر بعمل الوالي وأمره بعقاب أشد لمن يحاولون سب رسول الله ﷺ[١].

كما أن عمر رضي الله عنه أمر بطرد رجل وتغريبه نتيجة كثرة إثارته لمواضيع من المتشابه من القرآن[٢].

وقد عمل عثمان رضي الله عنه على كتابة المصحف الشريف وإرسال نسخ منه إلى الأمصار، وأمر ولاته بإحراق ما لدى الناس من مصاحف أخرى من قبيل المحافظة على أهم أصول الدين وهو القرآن الكريم[٣].

وقد بذل ولاة عثمان جهوداً كبيرة في محاربة السبئية الذين جاءوا بآراء غريبة على الإسلام وضيّقوا عليهم وطاردوهم، كما أن علياً رضي الله عنه حارب الخوارج، وأحرق بعض من ادعى لعلي رضي الله عنه أكثر مما يستحق[٤] من التقدير حرصاً على صفاء الدين وحفاظاً على عقائد المسلمين من هؤلاء المنحرفين.

وكما اشترك الخلفاء والولاة في محاربة البدع، فقد اشتركوا أيضاً في إحياء

---

(١) انظر ص ٥٩ من هذا الكتاب.

(٢) ابن الأزرق، بدائع السلك، ج٢/١٢٨.

(٣) عمر بن شبة، تاريخ المدينة المنورة ج٣/٩٩٦-٩٩٩، ابن العربي، العواصم من القواصم، ٧٠.

(٤) سليمان العودة، عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة، ٢١٤.

السنن كأمر عمر رضي الله عنه بالقيام في رمضان وتعميم ذلك على الأمصار[١] وكتابات أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لولاته بإحياء السنن المختلفة، وقد فصَّل الفقهاء بعد ذلك في البدع التي تدخل الغش والتدليس في الديانات والتي يجب أن يحاربها الولاة، واستدلوا ببعض الحوادث من عصر الخلفاء الراشدين[٢]، وعلى العموم فإن المحافظة على الدين واحترامه كان من أهم الواجبات الموكلة إلى الولاة بما يتضمنه ذلك من تأديب وإقامة للحدود وغير ذلك من العقوبات الموقعة على من يحاول المساس بالدين.

٣- تخطيط المساجد وبناؤها:

حينما وصل الرسول ﷺ إلى قباء قام ببناء أول المساجد في الإسلام، وبعد وصوله إلى المدينة بدأ الرسول ﷺ بناء مسجده فيها[٣] وحينما كان الرسول ﷺ يبعث بالولاة إلى البلدان كان هؤلاء الولاة يقومون ببناء المساجد فيها مثل فعل معاذ بن جبل في الجند باليمن[٤] وبناء أهل البحرين لمسجد جواثا[٥] واستمر الخلفاء الراشدون بعد ذلك في بناء المساجد في البلدان والأمصار التي فتحها المسلمون أو التي قاموا بتأسيسها ابتداءً؛ فقد أنشأ المسلمون في البصرة والكوفة والفسطاط المساجد المشهورة فيها، كما قام بعض الولاة بنشر المساجد وتأسيسها

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٩٢، ١٩٧.

(٢) انظر مثلاً ابن تيمية، الحسبة في الإسلام، ٤٩.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٤٩٤، ٤٩٦.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢/١٦٩.

(٥) المصدر السابق، ج٢/١٧٤.

في مختلف مناطق حكمهم مثل عياض بن غنم الذي أنشأ مجموعة من المساجد في المناطق المختلفة من الجزيرة[١]، وتذكر بعض الإحصاءات أنه أنشئ في عهد عمر بن الخطاب ٤٠٠٠ مسجد في بلاد العرب وحدها[٢]، وإن كان الولاة لم يقوموا بتأسيس جميع هذه المساجد، فإن لهم دوراً في إنشاء المساجد الرئيسة في معظم البلدان التابعة لولاتهم وخصوصاً الجوامع منها.

٤- تيسير أمور الحج:

كان الولاة على البلدان في صدر الإسلام مسؤولين عن تيسير أمور الحج في ولاياتهم وتأمين سلامة الحجاج منها، فقد كان الولاة يعينون الأمراء على قوافل الحج، ويحددون لهم أوقات السفر، حيث لا يغادر الحجاج بلدانهم إلا بإذن الوالي. ولم يكتف بعض الأمراء بأمور الترتيب، بل نجد أن منهم من عمل على تأمين المياه في الأماكن التي يسلكها الحجاج من ولايته، فهذا عبدالله بن عامر بن كريز أجرى المياه في طرق حجاج البصرة حينما كان عاملاً عليها لعثمان بن عفان، وفّر المياه في الطريق من البصرة إلى مكة[٣] وقد أكد الفقهاء بعد ذلك على أن تسيير الحجاج عمل من مهام الوالي على بلده... يقول الماوردي: (أما تسيير الحجيج من عمله فداخلة في أحكام إمارته؛ لأنه من جملة المعونات التي

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ١٨٢.

(٢) مولوي حسيني، الإدارة العربية في عز العرب، ١٠٦.

(٣) انظر ص ٢٥٩ من هذا الكتاب.

تنســـب لها)[١].

٥- إقامة الحدود الشرعية:

لاشك أن إقامة الحدود على المخالفين لأوامر الله وسنة رسوله ﷺ واجب ديني ملقى على الولاة، وهو من أهم الأمور الموكلة إليهم، سواء منها الحدود المتعلقة بمن يتعرض لمنافع المسلمين العامة أم من يتعرض بالضرر لأقوام معينين[٢]، وقد كان الرسول ﷺ يشرف على إقامة الحدود في المدينة بنفسه، وكان ولاته وأمراؤه يقيمونها في البلاد الموكلة إليهم، وقد سار الخلفاء الراشدون من بعده على سنته في إقامة الحدود بين الناس دون تمييز، وقد أقام عمرو بن العاص الحد على أحد أبناء عمر بن الخطاب في مصر ثم عاقبه عمر نفسه بالجلد، وقيل: إنه توفي بعد ذلك من أثر هذا الجلد[٣]، وقد كان الولاة يقومون بالقصاص في القتل دون إذن الخليفة إلى أن كتب إليهم عمر: أن لا تقتلوا أحداً إلا بإذني[٤] فأصبحوا يستأذنون عمر في القتل قبل تنفيذه، ولاشك أن إقامة الحدود من الأمور الدينية والدنيوية التي كان ينظر إليها الخلفاء وولاتهم نظرة جادة ويهتمون بها كما يهتمون بشعائر الدين المختلفة.

ب- تأمين الناس في بلادهم:

لاشك أن المحافظة على الأمن في الولاية من أعظم الأمور المسندة إلى الوالي،

---

(١) الأحكام السلطانية، ٣٣، وعمله تعني منطقة ولايته.

(٢) ابن تيمية السياسة الشرعية، ٦٦.

(٣) انظر: ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ٢٤٠، ٢٤٢.

(٤) محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ٥٢١.

وفي سبيل تحقيق ذلك، فإنه يقوم بالعديد من الأمور أهمها إقامة الحدود على العصاة والفساق[1] مما يحد من الجرائم التي تهدد حياة الناس وممتلكاتهم، وبالتالي تقل الحوادث الأمنية من القتل أو السرقة أو قطع الطريق وما إلى ذلك، بل الأمر أيضاً يشمل ما يلقيه الناس من أقوال ضد بعضهم البعض من قذف وغيره فإن إقامة الحد فيها يمنع من الاعتداء الأدبي على الناس في أعراضهم ومحارمهم.

وقد كتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري: "أخيفوا الفساق واجعلوهم يداً يداً ورجلاً رجلاً"[2] ولاشك أن إخافة الفساق تجعلهم يحسبون ألف حساب قبل إقدامهم على إيذاء الناس.

و لم يقتصر الأمر على تأمين الناس بعضهم من بعض، بل إن العمال -وبأمر من الخلفاء- يعملون على تأمين رعاياهم من الحشرات والهوام كالعقارب وغيرها، يقول البلاذري: (كتب عامل نصيبين إلى معاوية وهو عامل عثمان على الشام والجزيرة يشكو إليه أن جماعة من المسلمين ممن معه أصيبوا بالعقارب، فكتب إليه يأمره أن يوظف على أهل كل حيز من المدينة عدة من العقارب مسماة في كل ليلة ففعل وكانوا يأتونه بها فيأمر بقتلها)[3].

كما إن إقامة فريضة الجهاد ضد الأعداء كان له دور كبير في تأمين البلاد الإسلامية و أمصارها.

---

(١) انظر ص ٤٠٥ من هذا الكتاب.

(٢) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١/١١. والمقصود منها الملاحقة حتى ليكادون كلما أذنبوا وجدوا العقاب خلفهم، فيتحقق خوفهم.

(٣) فتوح البلدان، ١٨٣.

ج- الجهاد في سبيل الله:

كان الجهاد في سبيل الله على رأس المهمات الموكلة للأمراء في البلدان، بل إننا نجد السمة العامة لعصر الخلفاء الراشدين أن الولاة هم قواد الجهاد في تلك البلدان، ولو استعرضنا أسماء الأمراء منذ بداية خلافة أبي بكر إلى خلافة عمر لوجدنا لهم باعاً طويلاً في الفتوح الإسلامية، بل إنهم كانوا يتوجهون أمراء إلى بلدان لم تفتح بعد، فيعملون على فتحها ومن ثم تنظيمها؛ كأمراء الشام أبي عبيدة ابن الجراح، وعمرو بن العاص، ويزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة. وأمراء العراق؛ كالمثنى بن حارثة وخالد بن الوليد وعياض بن غنم وغيرهم، كما أن الولاة في عهد عثمان رضي الله عنه كان لهم دور في الفتوح؛ ومنهم عبدالله بن عامر بن كريز، والمغيرة بن شعبة، وأبي موسى الأشعري الذين واصلوا الفتوح في المشرق، ومثل عبدالله بن سعد بن أبي السرح الذي واصل الفتوح في شمال إفريقية، ومعاوية بن أبي سفيان الذي واصل الفتوح في نواحي أرمينية وبلاد الروم. وهكذا فإننا نرى أن الأمراء في عصر الخلفاء الراشدين كانوا مع إدارتهم لبلادهم مجاهدين لنواحي العدو، ولم يمنعم ذلك من القيام بأعمالهم الموكلة إليهم، ولاشك أن الجهاد كان مصحوباً بعمليات معينة تخدم الشؤون العامة له. وقد تحدثت المصادر التاريخية عن أهم هذه الأعمال التي جرت من قبل الأمراء، ومنها:

١- إرسال المتطوعين إلى الجهاد:

وقد كانت هذه العملية من أهم الأمور الموكلة للأمراء على البلدان المستقرة داخل الجزيرة العربية، حيث أنهم بعيدون عن جبهات القتال، فتكون مهمتهم إرسال المتطوعين الراغبين في الجهاد إلى الجبهات المختلفة حسب توجيه الخليفة، فقد كتب أبوبكر إلى عثمان بن أبي العاص واليه على الطائف أن يضرب بعثاً

على أهل الطائف ويولي عليهم رجلاً يأمنه، فضرب عليهم بعثاً وأمّر عليهم أخاه[١]. كما كان ولاة اليمن والبحرين وعمان يبعثون بالمجاهدين خلال عصر أبي بكر وعثمان رضي الله عنهم.

٢- الدفاع عن الولاية ضد الأعداء:

وقد برزت الأعمال الجهادية من قبل الولاة ضد أعداء الإسلام في مختلف المراحل منذ عهد رسول الله ﷺ، حيث نجد أن ولاة اليمن عملوا على محاربة الأسود العنسي الكذّاب ومدافعته حتى تمكنوا من القضاء عليه، كما عمل ولاة أبي بكر في البحرين وعمان على حرب المرتدين وكسر شوكتهم، كما كان ولاة الشام يدافعون الروم ويحاربونهم طيلة عصر الخلفاء الراشدين، وكذلك الحال عند ولاة العراق الذين دافعوا الفرس حتى تمكنوا من قتل آخر ملوكهم في عصر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان الوالي في عملياته الجهادية يأخذ الإذن المسبق من الخليفة إلا إذا داهمه الأعداء فليس بحاجة إلى أخذ الإذن المسبق، يقول الماوردي: (فإن تاخمت ولاية هذا الأمير ثغراً لم يكن له أن يبتدئ جهاد أهله إلا بإذن الخليفة، وكان عليه حربهم ودفعهم إن هجموا عليه بغير إذنه لأن دفعهم من حقوق الحماية ومقتضى الذب عن الحريم)[٢].

٣- تحصين البلاد:

عمل أمراء البلدان على ترتيب أمور البلاد المفتوحة وشحنها بالجنود ليتمكنوا من الدفاع عنها، واهتموا اهتماماً خاصاً بالمناطق المتاخمة للعدو بالإضافة إلى المناطق الساحلية التي من الممكن أن تتعرض لغارات مفاجئة من قبل الأعداء،

---

(١) محمد حميد الله، الوثائق السياسة للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ٣٤٣.

(٢) الأحكام السلطانية، ٣٣.

فكان عثمان رضي الله عنه يأمر بتحصين السواحل وشحنها وإقطاع القطائع لمن يتزلها من المسلمين[١] للمساعدة في شحنها بالرجال، كما أن عمر رضي الله عنه أمر ببناء حصون لمن نزل الجزيرة في مصر من قبائل الفتح، خوفاً عليهم من الإغارات المفاجئة[٢].

٤- تتبع أخبار الأعداء:

لاشك أن مجاهدة الأعداء كانت تتطلب معرفة تامة بأحوالهم وأجنادهم ومختلف شؤوهم العسكرية والمدنية.

وقد اشتهر عن الخلفاء الراشدين أهم كانوا يطلبون من ولاقم باستمرار أن يطلعوهم على الأوضاع الخاصة بهم وبأعدائهم، وبالتالي كانوا يعملون جاهدين في سبيل تتبع أخبار الأعداء والحذر منهم، ومن ثم يطلعون الخلفاء عليها، فقد اشتهر عن أبي عبيدة رضي الله عنه متابعته الدقيقة لتجمعات الروم في بلاد الشام، فكان يقوم ببعض العمليات الانسحابية التمويهية بناء على هذه الأخبار[٣]. وقد ساعدت المراسلات المتبادلة بين الأعداء والولاة على معرفة أحوال الأعداء المادية والمعنوية، والتوقع المسبق لتصرفات الأعداء واتجاه قواهم، وقد كانت معاملة المسلمين الطيبة لأهل البلاد المفتوحة سبباً في مناصرة كثير منهم للمسلمين، واطلاعهم على أخبار أعدائهم سواء في فارس أو الشام أو مصر[٤].

---

(١) انظر البلاذري، فتوح البلدان، ١٣٤.

(٢) انظر ص ١٠٥ من هذا الكتاب.

(٣) انظر البلاذري، فتوح البلدان، ١٤٣، وابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٢١٥.

(٤) انظر مثالاً على ذلك معاملة أبي عبيدة لأهل حمص واحتفالهم بانتصار المسلمين على الروم، رغم أنهم نصارى مثلهم، في البلاذري، فتوح البلدان، ١٤٣.

٥- إعداد الأمصار بالخيل:

كانت الخيل ذات أهمية خاصة في الجهاد، وقد اهتم المسلمون بتربيتها منذ أيام الرسول ﷺ واعتنوا بها عناية خاصة، إلا أن عمر رضي الله عنه وضع سياسة عامة في الدولة لتوفير الخيل اللازمة للجهاد في الأمصار الإسلامية حسب حاجتها، فأقطع أناساً من البصرة أراضي كي يعملوا فيها على إنتاج الخيل وتربيتها[١]، كما أعطى عمر أناساً من المسلمين في دمشق أراضي للعناية بالخيل فزرعوها فانتزعها منهم وأغرمهم[٢] لمخالفتهم الهدف من إعطائهم للأراضي، وهو المساعدة في إنتاج الخيل، وقد ذكر الطبري أنه كان لعمر أربعة آلاف فرس في الكوفة وكان قَيِّمة عليها سلمان بن ربيعة الباهلي في نفر من أهل الكوفة يصنّع سوابقها ويجريها في كل عام، وبالبصرة نحواً منها، وأيضاً كان في كل مصر من الأمصار الثمانية عدد قريب من العدد السابق[٣]، وكانت هذه الخيول مجهزة للدفاع الفوري، فإن نابتهم نائبة ركب قوم وتقدموا إلى أن يستعد الناس[٤].

٦- تعليم الغلمان وإعدادهم للجهاد:

لقد كان الرسول ﷺ يهتم بإشراك الصبيان في بعض الأعمال المتعلقة بالجهاد، فكانوا يشتركون في بري النبال وإعدادها[٥] وقد اهتم الخلفاء من بعده بتربية الأولاد وتعليمهم ما يفيدهم في حياقم الجهادية مستقبلاً، فكان عمر رضي الله

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ٣٤٦، القاسم بن سلاّم، الأموال، ٣٥٢.

(٢) المصدر السابق، ٣٦٠.

(٣) انظر تاريخ الطبري، ج٤/١٩٦.

(٤) انظر المكان السابق.

(٥) الطبري، تاريخه، ج٣/١٨٧.

عنه يكتب إلى أهل الأمصار يأمرهم بتعليم أولادهم الفروسية والسباحة والرمي، وقد أصيب أحد الغلمان أثناء التعليم في الشام ومات، فكتبوا إلى عمر في ذلك[(١)] فلم يثنه عن أمره بتعليم الأولاد الرمي.

٧- متابعة دواوين الجند:

تعتمد الدواوين على الإحصاء وكتابة الأسماء ليسهل الرجوع إليها. وقد بدأ المسلمو، بعملية الإحصاء لأول مرة خلال عصر الرسول ﷺ، حيث روى البخاري في صحيحه عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "اكتبوا لي من تلفّظ بالإسلام من الناس فكتبنا له ألفاً وخمسمائة رجل، فقلنا: نخاف ونحن ألف وخمسمائة فلقد رأيتنا ابتلينا حتى إن الرجل ليصلي وحده وهو خائف"[(٢)].

ويظهر من بعض الأحاديث أن الرسول ﷺ كان يعمل على كتابة أسماء المجاهدين قبل التوجه إلى الغزوات، يدل على ذلك ما رواه ابن عباس أنه سمع النبي ﷺ يقول: "لا يخلون رجل بامرأة، ولا تسافرن امرأة إلا مع ذي محرم، فقام رجل فقال: يا رسول الله اكتتبت في غزوة كذا وكذا وخرجت امرأتي حاجة. قال: اذهب فحج مع امرأتك"[(٣)] ومن هنا يتبين أن كتابة أسماء المجاهدين كانت قد بدأت في عهد رسول الله ﷺ، إلا أنه لم يكن هناك ديوان ثابت للجند طيلة عهد

(١) محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ٤٨٦.

(٢) البخاري، صحيحه، ج٤/٣٤.

(٣) البخاري، صحيحه، ج٤/١٨، ٣٤.

رسول الله ﷺ[١].

وفي عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه استمر الحال على ما كان عليه في عهد رسول الله ﷺ ولم يحدث تطوير جديد لتسجيل الأجناد وحصرهم، بل كانت الأعطيات توزع على الناس دون تمييز ودون تسجيل[٢].

وفي عهد عمر رضي الله عنه بدأ التفكير الجاد بتدوين الدواوين وحصر الأجناد، ولعل الجهاد كان أهم الأسباب التي دعت عمر إلى وضع الدواوين للعطاء وللأجناد في الوقت نفسه، وتؤكد ذلك إحدى الروايات التي وردت في سبب وضع عمر للديوان وهي "أن عمر بن الخطاب قد بعث بعثاً وكان عنده الهرمزان، فقال له هذا البعث: قد أعطيت أهله الأموال، فإن تخلف منهم رجل وأخل بمكانه فما يدري عاملك؟ وأشار عليه بالديوان وفسّره له وشرحه، فوضع عمر الديوان"[٣].

وهذه الرواية السابقة تقدم لنا تفسيراً مباشراً لعملية إنشاء ديوان الجند، إذ أنها كانت خاصة بالبعوث التي ترسل للجهاد لضرورة حصرهم وتسجيلهم، ضماناً

---

(١) عبدالعزيز عبدالله السلومي، ديوان الجند نشأته وتطوره في الدولة الإسلامية حتى عصر المأمون، الطبعة الأولى، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ، ص ٨٦.

(٢) المرجع السابق، ٩٢.

(٣) الجهشياري، أبو عبدالله محمد بن عبدوس، كتاب الوزراء والكتّاب، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، الطبعة الأولى، القاهرة ١٣٥٧هـ، ص ١٧، الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى، أدب الكاتب، تصحيح محمد بهجت الأثري، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤١هـ، ص ٩٠.
العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله، الأوائل، تحقيق وليد قصاب ومحمد المصري، دار العلوم، الرياض، القسم الأول ٢٤٣، ابن خلدون، المقدمة، ٢٤٤.

لضبطهم وعدم تخلف أحد منهم، وتوثيقاً لعملية توزيع المستحقات المالية للجند، مما جعل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستمع إلى شرح الهرمزان له عن الديوان بجدوى الفكرة والمبادرة إلى تنفيذها[١].

وقد اهتم عمر رضي الله عنه اهتماماً خاصاً بدواوين الأمصار؛ نظراً لاعتقاده بأن أهل الأمصار أحوج الناس بالضبط خصوصاً القريبة من الأعداء، وهي الأمصار التي تحتاج إلى الجنود باستمرار[٢].

وقد كان الولاة على البلدان مسؤولين مباشرة عن دواوين الجند رغم وجود بعض الموظفين الآخرين الذين يتولون مهمتها، ولكن باعتبار أن هؤلاء الولاة هم أمراء الحرب، فقد كانت مسؤوليتهم عن الدواوين في بلدانهم كمسؤولية الخليفة باعتبارهم نواباً. يقول أحد الباحثين عن علاقة الولاة بديوان الجند: (ينبغي قبل الدخول في استعراض مثل هذه العلامات أن نشير إلى أن الدواوين الإقليمية المتفرعة من ديوان الجند كانت في الأقاليم تحت إشراف مباشر من والي الإقليم، وهو الأمير الذي ينوب عن الخليفة في إدارة شؤون إقليمه، وربما أشارت المصادر إليه تحت اسم أمير الحرب)[٣].

٨- تنفيذ المعاهدات:

لاشك أن الفتوح الإسلامية طيلة عصر الخلفاء الراشدين صاحبتها مراسلات مع الأعداء، ومعاهدات ومصالحات كثيرة بين المسلمين وأهل البلاد المفتوحة،

---

(١) السلومي، ديوان الجند، ٩٥.

(٢) صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ٤٨٨، ٤٩١، السلومي، ديوان الجند، ٩٩.

(٣) المصدر السابق، ٢٤٥.

وقد كان الأمراء على البلدان بصفتهم قادة الجند المسؤولين مباشرة عن عقد مثل هذه المصالحات وعن تنفيذها، وقد جرت بعض المعاهدات بين أبي عبيدة بن الجراح وبعض مدن الشام، وكذلك الحال بالنسبة لأمراء العراق كسعد بن أبي وقاص وأبي موسى الأشعري وغيرهم من الولاة، وقد كان الولاة إضافة إلى ذلك يحرصون على حماية حقوق الذميين والمعاهدين الشخصية والعامة، وينفذون المعاهدات انطلاقاً من الأوامر الشرعية برعاية العهد.

د- بذل الجهد في تأمين الأرزاق للناس:

اتبع الخلفاء الراشدون منذ عصر أبي بكر رضي الله عنه طريقة جديدة بتوزيع الأعطيات على المسلمين من موارد بيت المال المختلفة، وقد كانت في البداية غير محددة بأوقات معينة، ولكن في عصر عمر رضي الله عنه تغيرت الطريقة بعد وضعه للدواوين في الأمصار المختلفة[١]، حيث بدأ توزيع الأعطيات يأخذ شكلاً دورياً منتظماً، ولم يكن ذلك خاصاً بسكان البلدان، بل إن القبائل في البادية شملتها الأعطيات، فقد كان عمر بن الخطاب يدور في القبائل القريبة من المدينة ويوزع عليهم أعطياتهم بنفسه[٢].

وكان عمر يكتب إلى بعض ولاته أن أعطِ الناس أعطياتهم وأرزاقهم فكتب إليه أنّا فعلنا، وبقي شيء كثير، فكتب إليه عمر أنه فيؤهم الذي أفاء الله عليهم، ليس هو لعمر ولا آل عمر اقسمه بينهم)[٣].

(١) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/٨٥٧.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ٤٣٨.

(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج١/١٤٤.

ولم يكتف عمر بتأمين الأموال للناس، بل إنه عمل على تأمين الطعام أيضاً؛ فقد كان لكل مولود ذكر كان أو أنثى مائة درهم وجريبان[(١)] في كل شهر[(٢)] وقد حرص عمر على تعميم ذلك في الأمصار، ففي إحدى زياراته للشام (قام إليه بلال بن رباح وقال: يا أمير المؤمنين إن أمراء أجنادك بالشام والله ما يأكلون إلا لحوم الطير والخبز النقي وما يجد ذلك عامة المسلمين، فقال لهم عمر رضي الله عنه: ما يقول بلال؟ فقال له يزيد بن أبي سفيان: يا أمير المؤمنين إن سعر بلادنا رخيص، وإنا نصيب هذا الذي ذكر بلال هنا بمثل ما كان نقوت عيالاتنا بالحجاز. فقال عمر -رضي الله عنه-: لا والله لا أبرح حتى تضمنوا لي أرزاق المسلمين في كل شهر. ثم قال انظروا كم يكفي الرجل ما يشتهيه؟ قالوا: جريبين مع ما يصلحه من الزيت والخل عند رأس كل هلال فضمنوا له ذلك. ثم قال: يا معشر المسلمين هذا لكم سوى أعطياتكم فإن وفّى لكم أمراؤكم بهذا الذي فرضت لكم عليهم، وأعطوكموه في كل شهر فذلك أحب، وإن هم لم يفعلوا فأعلموني حتى أعزلهم وأولي غيرهم)[(٣)].

وقد اهتم عمر بتأمين الطعام في البلدان، فحين وقعت المجاعة عام الرمادة في المدينة وما حولها، استغاث بالولاة في الشام والعراق، فبعثوا إليه الطعام في المدينة[(٤)]، وقد كان عمر يحرص على توفير الطعام في البلدان ويتابع الأسواق ويمنع

---

(١) الجَرِيْب: مقياس لكيل الحبوب كان يستعمل زمن عمر بن الخطاب ويعادل وزناً ٥٢,١٤ كيلوغراماً: ابن الرفعة الأنصاري، الإيضاح والتبيان، تحقيق محمد الخاروف ص ٧١ حاشية (١).

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ٤٣٩.

(٣) الأزدي، فتوح الشام، ٢٥٧.

(٤) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٢/٧٤٣، ٧٤٤.

الاحتكار[١]، وكذلك كان ولاته يقومون بمهمتهم في مراقبة الأسواق[٢]، كما كان يأمر التجار بالمسير في الآفاق والجلب على المسلمين واغناء أسواقهم[٣].

و لم يكتب الخلفاء وولاقم بتأمين الطعام ومراقبة الأسواق فقط، بل إن السكن وتوزيعه كان من المهام الموكلة لأمراء البلدان، فعند إنشاء الأمصار وتخطيطها وزعت الأراضي على الناس لسكناها في الفسطاط والكوفة والبصرة[٤]، كما كان الأمراء يشرفون على تقسيم البيوت في المدن المفتوحة كحمص ودمشق والإسكندرية وغيرها[٥].

هـ- تعيين العمال والموظفين:

كان تعيين العمال والموظفين في الوظائف التابعة للولاية في كثير من الأحايين من مهام الوالي، حيث أن الولاية في الغالب تتكون من بلد رئيس إضافة إلى بلدان وأقاليم أخرى تابعة للولاية، وهي بحاجة إلى تنظيم أمورها، فكان الولاة يعينون من قبلهم عمالاً وموظفين في تلك المناطق، سواء كانوا في مستوى أمراء، أو عمال خراج، وفي الغالب فإن هذا التعيين يتم بالاتفاق بين الخليفة والوالي.

وقد يكون الترشيح ابتداء من الخليفة، كما قد يكون من الوالي مباشرة. وفي عصر عثمان رضي الله عنه أصبح هؤلاء العمال التابعون للولاة يحكمون مناطق كبيرة، نظراً لتوسع الولايات نتيجة الفتوح وانضمام أقاليم كبيرة بأكملها إلى

---

(١) عبدالملك بن حبيب، تاريخه، ورقة ١٠٨.

(٢) القاسم بن سلام، الأموال، ١١١.

(٣) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ٧٤٩ والجلب هو الاستيراد.

(٤) انظر ص ١٠٥ وص ١٥٥ وص ١٦٤ من هذا الكتاب.

(٥) انظر البلاذري، فتوح البلدان ١٤٣، ٢٢٤، المقريزي، الخطط ج١/٢٩٦، ٢٩٧.

ولايات كانت محددة في السابق كالبصرة والكوفة والشام وغيرها، وبالتالي فإن توزع العمال وإدارتهم وتنظيمهم كان مهمة كبيرة من المهام التي يقوم بها ولاة البلدان.

و- رعاية أهل الذمة:

كانت رعاية أهل الذمة واحترام عهودهم والقيام بحقوقهم الشرعية، ومطالبتهم بما عليهم للمسلمين من واجبات، وتتبع أحوالهم، وأخذ حقوقهم ممن يظلمهم انطلاقاً من الأوامر الشرعية في هذا الجانب[١]، من واجبات الوالي. وقد كان الخلفاء يشترطون على الذميين في كثير من الأحيان شروطاً معينة قبل مصالحتهم، وبالتالي يفون لهم بحقوقهم ويطالبونهم بما عليهم من شروط[٢].

ز- مشاورة أهل الرأي في ولايته:

من المعروف أن الشورى مبدأ إسلامي أمر به القرآن الكريم ﴿**فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾[٣] وقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: (لم يكن أحد أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ)[٤].

وقد سار الخلفاء على نهج الرسول ﷺ في مشاورة أهل الرأي من الصحابة

---

(١) انظر ابن الأزرق، بدائع السلك، ١٧٩.

(٢) انظر إلى شرح الشروط العُمرية، مجرد من كتاب أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية بتحقيق د. صبحي الصالح، ط١ ١٣٨١هـ، دمشق.

(٣) آل عمران، آية ١٥٩.

(٤) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ١٥٨.

حيث كانوا يعقدون مجالس لكبار الصحابة يستشيرونهم في مختلف الأمور[١]، كما كانوا يأمرون ولاتهم باستشارة أهل الرأي في بلادهم، وكان الولاة يطبقون ذلك ويعقدون مجالس للناس لأخذ آرائهم، وقد شدد عمر على الولاة في ذلك، وكان يأمر ولاته باستمرار بمشاورة أهل الرأي[٢].

ح- النظر إلى حاجة الولاية العمرانية:

لقد اشتهر عن الخلفاء الراشدين وولاتهم عنايتهم بحاجة السكان في النواحي العمرانية والزراعية، فقد قام سعد بن أبي وقاص بحفر نهر في ولايته بناء على طلب بعض كبار الفرس لصالح المزارعين في المنطقة[٣] كما كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري يأمره بحفر نهر لأهل البصرة[٤]. وقام أبو موسى بحفر نهر طوله أربعة فراسخ حتى تمكن من جلب المياه لسكان البصرة[٥]. وفي عصر عثمان رضي الله عنه اشتهر عن عبدالله بن عامر واليه على البصرة كثرة الأنهار التي حفرها والعيون التي استنبطها، ليس في ولاية البصرة فحسب، بل في أماكن أخرى عديدة[٦].

---

(١) د. بدري محمد فهد، الحياة السياسية والإدارية في العهد الراشدي، بحث مقدم إلى ندوة النظم الإسلامية، أبو ظبي ١٤٠٥هـ، وقائع الندوة، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٧هـ، ج١/١٤٠.

(٢) محمد عبدالقادر خريسات، عمر بن الخطاب والولاة، العدد ٢٥ مجلة المؤرخ العربي.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ٢٧٣.

(٤) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ١٧.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ٣٥١، ٣٥٢.

(٦) انظر ص ٢٥٩ من هذا الكتاب.

وقد كتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى أحد ولاته: (أما بعد، فإن رجالاً من أهل الذمة من عملك ذكروا نهراً في أرضهم قد عفا وادّفن، وفيه لهم عمارة على المسلمين فانظر أنت وهم، ثم اعمر وأصلح النهر فلعمري لأن يعمروا أحب إلينا من أن يخرجوا وأن يعجزوا أو يقصروا في واجب من صلاح البلاد والسلام)[١].

كما اهتم الولاة ببناء الجسور التي تعين السكان على عبور الأنهار والانتفاع بها، فقد أمر سعد بن أبي وقاص مجموعة من عماله في نواحي الكوفة ببناء بعض الجسور[٢]، كما بنيت بعض الجسور في الجزيرة خلال خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه[٣]، واشتهر عن عمرو بن العاص حفره خليج أمير المؤمنين من الفسطاط إلى بحر القلزم -البحر الأحمر[٤] كما اعتنى ولاة عمر رضي الله عنه عند تأسيسهم للأمصار المشهورة- الكوفة والبصرة والفسطاط- بتخطيط الشوارع وتوزيع الأراضي وبناء المساجد وتأمين المياه، وغير ذلك من المصالح العامة لهذه المدن.

كما اهتم الولاة بتوطين السكان في المناطق غير المرغوب فيها، لقربها من العدو أو غير ذلك من الأسباب، فقد قدموا لهم الاغراءات وأقطعوهم الأراضي تشجيعاً

---

(١) اليعقوبي، تاريخ، ج٢/٢٢.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٤/١٧٩.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ١٥٥.

(٤) انظر ص ١٠٧ من هذا الكتاب.

لهم على البقاء فيها، وقد فعل ذلك عمر وعثمان في أنطاكية وفي بعض بلاد الجزيرة[١].

ط- مراعاة الأحوال الاجتماعية لسكان الولاية:

كان الولاة من منطلق تعاليم الإسلام الشاملة يراعون هذا الجانب بكل ما فيه من تعليمات، إلا أن ولاة ذلك العصر -وبتوجيه من الخلفاء الراشدين- قاموا ببعض الأعمال الاجتماعية التي يصعب أن يقوم بها من هم في مثل منصبهم، فقد كان من سنة الخلفاء الراشدين سؤال الناس عن ولاهم، وعن علاقتهم بالناس، وقد أورد الطبري في ذلك قوله: (كان الوفد إذا قدموا على عمر رضي الله عنه سألهم عن أميرهم فيقولون خيراً، فيقول: هل يعود مرضاكم؟ فيقولون: نعم، فيقول: هل يعود العبد؟ فيقولون: نعم، فيقول: كيف صنيعه بالضعيف؟ هل يجلس على بابه؟ فإن قالوا: لخصلة منها "لا" عزله)[٢].

وكان عمر يقوم بعزل العامل إذا بلغه أنه لا يعود المريض ولا يدخل عليه الضعيف[٣].

كما حرص عمر بن الخطاب على أن يظهر عماله بالمظهر المتواضع أمام الناس حتى يشعر الناس بأن ولاهم منهم ولا يتميزون عنهم، فكان عمر يشترط على عماله مركباً وملبساً مماثلاً للناس، وينهاهم عن اتخاذ الأبواب والحجاب[٤] وقد

---

(١) انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٣.

(٢) تاريخه، ج٥/٣٣.

(٣) أبو يوسف، الخراج ١٢٦، المحب الطبري، الرياض النضرة، ج١/٧٣.

(٤) ابن قتيبة، الدينوري، عيون الأخبار، ج١/٥٣.

كتب عمر إلى أحد ولاته حينما علم أنه يأكل طعاماً جيداً لا يستطيع الناس أن يحصلوا عليه: (إنه ليس من كدّك ولا كدّ أبيك، فأشبِع المسلمين في رحالهم مما تشبع منه في رحلك، وإياكم والتنعم وزيّ أهل الشرك ولبوس الحرير)[١].

وقد لاحظ أبو موسى الأشعري أن بعض الناس في بلده يمنعهم من الجمعة أن ليس لهم ثياب، فخرج على الناس في عباءة، وهي مما يتوفر لدى الناس، وكره الخروج في الثياب، حيث لا توجد عند بعضهم[٢] كما حرص الخلفاء على أن ينزلوا الناس على منازلهم، وأن يحترم الولاة أهل الشرف والسابقة في الإسلام، فقد كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري (أما بعد، فإنه لم يزل للناس وجوه يذكرون بحوائج الناس، فأكرم وجوه الناس قبلك، فبحسب المرء الضعيف المسلم أن ينصف في العدل وفي القسم)[٣] ومن ذلك أن عامل عثمان على الكوفة كتب إليه يشكو من غلبة الأعراب والروادف على أهل الشرف والبلاء والسابقة في الإسلام، فكتب إليه عثمان: (أما بعد، ففضل أهل السابقة والقدمة ممن فتح الله عليه تلك البلاد، وليكن من نزلها بسببهم تبعاً لهم، إلا أن يكونوا تثاقلوا عن الحق وتركوا القيام به وقام به هؤلاء، واحتفظ لكل منزلته، وأعطهم جميعاً بقسطهم من الحق فإن المعرفة بالناس بها يصاب العدل)[٤].

ي- واجبات عامة:

هناك بعض الواجبات العامة التي يفترض أن توجد في الولاة وفي غيرهم من

---

(١) المحب الطبري، الرياض النضرة، ج٢/٨٣.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/٣٩٠.

(٣) الماوردي، نصيحة الملوك، ٢٠٧.

(٤) انظر ص ٢٧٩ من هذا الكتاب.

المسلمين حكاماً ومحكومين، ولعل أهم هذه الأمور تقوى الله سبحانه وتعالى التي أمر بها المؤمنون في العديد من الآيات **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾**(١).

وقد كان الخلفاء عموماً يكتبون لولاتهم آمرين إياهم بالتقوى، ولعل عبارة (اتقوا الله) كانت أكثر العبارات تردداً في مكاتبات الخلفاء لأمرائهم(٢) ومفهوم التقوى شامل لاتباع أوامر الله ورسوله ﷺ واجتناب نواهيه. وبالتالي فقد كان يشترط توافر عنصر التقوى في الوالي، وكان عليه أن يأمر الناس بالتقوى، أي التزام الأوامر واجتناب النواهي بين الرعية، وذلك حتى يضربوا النموذج الصالح ويكونوا الأسوة الحسنة لرعاياهم، وينتشر احترام الشريعة والعمل بها بين الناس.

ومن هذا المنطلق، فإن الولاة مطالبون بإقامة العدل بين الناس من منطلق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، يقول تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾**(٣). وقد قال رسول الله ﷺ: (ما من والٍ يلي ولاية إلا جاء يوم القيامة ويداه مغلولتان أنجاه عدله أو أهلكه جوره)(٤).

وقد أشار ابن تيمية إلى أن إقامة العدل من الولاة يلزم معه أن تؤدي الرعية ما عليها من حقوق(٥).

---

(١) سورة الحشر، آية ١٨.

(٢) انظر مثلاً الماوردي، نصيحة الملوك، ١٩٤.

(٣) سورة النساء من آية ٥٨.

(٤) مسند الإمام أحمد، ج٢/٤٣١، والماوردي، نصيحة الملوك ١٠٨.

(٥) السياسة الشرعية، ٤٢.

وقد نهت العديد من الآيات القرآنية عن الظلم، ومنها قوله تعالى: **﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾**(١) الآية **﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾** (٢) **﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾** (٣).

وقد روى ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال: إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة(٤).

كما أن الواجب على الوالي أن ينظر إلى الولاية على أنها أمانة ومسؤولية، وليست مغنماً دنيوياً يتكسب منه، فقد قال الرسول ﷺ لأبي ذر حين طلب الولاية: (إنها أمانة)(٥) ولهذا كان بعض الصحابة يرفض الولاية، كما أن بعض الولاة أنفسهم طلبوا من الخلفاء إعفاءهم من ولايتهم، خوفاً من التقصير في أداء هذه الأمانة، وقد قال رسول الله ﷺ: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) الحديث(٦). ومن هنا كان الوالي مسؤولاً عن النصح لرعيته، وعدم الغش لهم، يقول رسول الله ﷺ: (ما من والٍ يلي رعية من المسلمين، فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة)(٧).

---

(١) سورة الكهف، آية ٥٩.

(٢) سورة يونس من آية ١٣.

(٣) سورة الفرقان من آية ١٩.

(٤) الدارمي، سننه، ج٢/٢٤٠.

(٥) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص ١١.

(٦) المكان السابق.

(٧) البخاري، صحيحه، ج٨/١٠٧، كتاب الأحكام، وانظر الماوردي، نصيحة الملوك، ص ٢٩٩.

وقد انتبه الفقهاء إلى أهمية النظر إلى الولاية بهذا المنظار وأهمية تحمل المسؤولية الكاملة من الوالي تجاهها[١].

كما يجب على الولاة أن يقوموا بالمساواة بين الناس، وأن لا يفرقوا بين العربي وغيره من المسلمين، فقد قدم قوم على عامل لعمر بن الخطاب فأعطى العرب وترك الموالي، فكتب إليه عمر: (أما بعد، فبحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم وفي رواية، كتب إليه: (ألا سويت بينهم!!!)[٢]، ولا تمنع المساواة من تقديم أهل السابقة والفضل من المسلمين الأولين والمجاهدين السابقين، وأخذ رأيهم وتقديرهم، والإفادة منهم[٣].

كما يجب على الوالي الحذر من أهل الضلالات وأهل الشر والظلم، وعدم الاستعانة بهم من منطلق الأوامر الشرعية العامة في هذا الجانب[٤].

كما أن هناك العديد من الواجبات الأخلاقية الأخرى التي أمر الإسلام بالتزامها (مثل الوفاء بالعهد، وإخلاص المرء في عمله، ومراقبة الله سبحانه وتعالى في كل ما يعمل، واستعداده للتعاون مع سائر الجماعة في كل أعمال البرِّ والتقوى، ووجوب النصح لله ورسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم، فإن هذا ولاشك يؤدي إلى إصلاح حال الجماعة)[٥]. وكان على الوالي، فضلاً عن الالتزام بهذه المعاني، نشرها بين الناس في ولايته وذلك من خلال خطبه وكتبه ومواعظه وتصرفاته.

---

(١) محمد مبارك، نظام الإسلام في الحكم والدولة، دار الفكر بيروت، ١٣٩٥، ص ٩٧.

(٢) محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ٥٢٣.

(٣) انظر ص ٤٢١ من هذا الكتاب.

(٤) انظر الماوردي، نصيحة الملوك، ص ١٩٠.

(٥) محمد ضياء الدين الريس، النظريات السياسة الإسلامية، ص ٣٠٧، ٣٠٨.

ومن الواجبات على الوالي أن يبتغي بعمله وجه الله تعالى، وأن يخلص النية لله في كل ما يقوم به من أعمال، إذ أن النية الصالحة من الوالي من أهم اسباب التوفيق في العمل وصلاح الرعية[١].

كما يجب عليه أن يحرص على اتحاد قلوب الرعية، وعدم وقوع الفرقة بينهم، وأن يعمل على منع الأسباب المفرقة لوحدة الأمة من منطلق قوله تعالى: **﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**[٢]، والآيات التي تنهى عن الفرقة كثيرة[٣] .

وقد كان الولاة في عصر الراشدين -بصفة إجمالية- نموذجاً صالحاً لهذه الأخلاقيات والواجبات، سواء في أشخاصهم وخصوصياتهم، أم في سلوكهم العام مع الرعية، فجزاهم الله خير الجزاء.

---

(١) انظر ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص ٩٨.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٠٥.

(٣) انظر الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٧٤.

الفصل السادس

النظام الإداري في الولايات

جهاز الإدارة وعلاقته بالوالي

القضاء

الشؤون المالية

الدواوين والكتاب

العرفاء والنقباء

المستشارون

الشرطة

عمال البلدان (موظفوها)

⋆علاقات الوالي:

بالخليفة وبالولاة الآخرين

اتصالات الوالي بالرعية

⋆ أوقات عمل الوالي

مراقبة الولاة ومحاسبتهم

تأديب الولاة

يعد الولاة أو الأمراء على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين هم أصحاب السلطة مباشرة في ولاياتهم، وعليه فهم مسؤولون بصفة خاصة عن إدارة هذه الولايات وتسيير أمورها المختلفة، وبالطبع فإن هؤلاء الولاة لم يكن باستطاعتهم القيام بالأعمال المختلفة في ولاياتهم، وبالتالي فقد استعانوا بموظفين وعمال للقيام بأعمال خاصة في إدارة هذه الولايات. واستخدام الموظفين والعمال في الولايات مر بمراحل مختلفة من التطور حسب استقرار تلك البلدان وحسب توسعها، إضافة إلى مراعاة مقدرة الوالي في القيام ببعض الأعمال الخاصة أو عدم مقدرته على ذلك؛ كالقضاء أو بيت المال أو غير ذلك من الأمور. ولاشك أن تعدد العمال والموظفين كان يخضع لاجتهادات مختلفة خلال ذلك العصر، بل إن الموظف أو العامل في جهة معينة كالقاضي مثلاً تختلف صلاحياته من زمن لآخر بسبب ما يراه الخليفة وحسب ما تمليه المصلحة العامة.

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن البلاد الإسلامية المفتوحة كانت قبل ذلك تابعة لدول، ولها تنظيمات إدارية معينة، إلا أن المسلمين في البداية أسسوا تنظيماً خاصاً بهم يعتمد بالدرجة الأولى على البساطة في مختلف أموره، وينظر بجدية إلى الأهداف العامة من إدارة تلك الولايات سواء في ترتيب الأمن أو إقامة العدل دون النظر إلى الهيكل التنظيمي الذي كان سائداً في تلك الولايات، إلا أن المسلمين بدأوا يستفيدون من بعض الجوانب الإدارية لدى الفرس والروم في الولايات التي فتحوها، خصوصاً بعد استقرار تلك البلدان في أيدي المسلمين وانتشار الإسلام بين أهلها.

وفي عصر عمر رضي الله عنه بدأت تتضح الملامح العامة للهياكل والنظم الإدارية في الولايات، حيث أصبح هناك تمييز بين الوالي والقاضي وكاتب الديوان

وصاحب بيت المال، وغيرهم من الموظفين والعمال، سواء في عاصمة الولاية أو في المناطق التابعة لها. وبذلك ظهر تقسيم العمل والتخصص فيه، مع مراعاة الأهداف العامة من وراء ذلك التنظيم.

جهاز الإدارة وعلاقته بالوالي:

القضاء:

عرف القضاء في الأمصار والولايات الإسلامية منذ عصر الرسول ﷺ، حيث بعث مجموعة من الأمراء على بعض البلدان، وكان هؤلاء هم الأمراء وهم القضاة ومنهم معاذ بن جبل رضي الله عنه بعثه الرسول ﷺ إلى اليمن أميراً وقاضياً[(١)]، وكذلك بعث الرسول ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ودعا له بالهداية والتثبيت[(٢)] وكان الرسول ﷺ يقضي بنفسه بين الناس في المدينة وفي أسفاره، واعتبر الخلفاء القضاء مسؤولية مباشرة لهم[(٣)] وخصوصاً في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث كان يقضي بين الناس في المدينة، وفي فترة خلافته لم يظهر منصب القاضي المتخصص الذي يتفرغ لما وكل إليه وليس له منصب سوى القضاء[(٤)] وربما يرجع ذلك إلى انشغال الناس وقلة المشكلات والقضايا في عصره نتيجة قوة الوازع الديني، وكذلك لأن أعباء الولاة لم تكن كثيرة تمنعهم من

---

(١) وكيع، أخبار القضاة، ج١/٩٨.

(٢) المصدر السابق، ج١/٨٤.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ٢٢٠، د. عبدالكريم زيدان، نظام القضاء في الشريعة الإسلامية، ط الأولى بغداد، ١٤٠٤هـ، ص ١٤.

(٤) د. شوكت محمد عليان، السلطة القضائية في الإسلام، ط١، دار الرشيد، الرياض ١٤٠٢هـ، ص ٦٤.

القضاء[١] إلا أن أبابكر تخلى عن القضاء في المدينة أحياناً وتركه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه[٢] ويبدو أن القضاء في الأمصار ظل على ما كان عليه زمن رسول الله ﷺ فكان الأمراء والولاة هم المسؤولين عن القضاء[٣].

وفي أول عهد عمر رضي الله عنه سار علي على طريقة أبي بكر في القضاء، حيث استمر ولاة الأمصار في البداية يتولون القضاء، ثم استعمل عمر بعض الصحابة على القضاء في المدينة، منهم زيد بن ثابت رضي الله عنه[٤] وأبوالدرداء وغيرهم، وقد شعر عمر رضي الله عنه بانشغال الولاة في أمور كثيرة نتيجة توسع الفتوح وكثرة المسلمين الجدد وزيادة الكثافة السكانية في الأمصار وبالتالي زيادة المشكلات وثقل الأعباء على الولاة فرأى عمر أن يقوم بتوزيع القضاة في الأمصار المختلفة، فولى مجموعة من القضاة في الأمصار، وقد كان تعيينهم بمثابة حد من سلطة الولاة في هذه البلدان[٥] وفي الوقت نفسه توفيراً لوقتهم وجهودهم. وقد ذكر خليفة بن خياط قضاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومن خلال حديثه

---

(١) ناصر بن عقيل الطريقي، القضاء في عهد عمر بن الخطاب، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من كلية الشريعة بالرياض، بدون تاريخ، ج١/٧٨،٧٧،٧٦.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٢٣، وكيع، أخبار القضاة، ج١/١٢ و١٠٤.

(٣) مناع خليل القطان، النظام القضائي في العهد النبوي وعند الخلافة الراشدة، بحث مقدم إلى ندوة النظم الإسلامية، أبوظبي ١٤٠٥هـ وقائع الندوة، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٧هـ، ج١/٣٦٧.

(٤) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٢/٦٩٤، وكيع، أخبار القضاة، ج١/١٠٨.

(٥) عبدالجبار منسي العبيدي، إدارة الأمصار الإسلامية ودور الثقفيين فيها، مجلة المؤرخ العربي، العدد ١٧ ص ١٣٩.

يظهر أن بعضهم كان قاضياً ووالياً في الوقت نفسه يقول خليفة تحت عنوان "القضاة": (ولى عمر (أبا مريم الحنفي) قضاء البصرة ثم عزله وولى (كعب بن سور اللقيطي) فلم يزل بها قاضياً حتى قتل عمر، وعلى الكوفة سعد بن مالك ثم عزله وولى عمار بن ياسر، وأعاد سعداً ثانية ثم ولى (جبير بن مطعم) ثم عزله قبل أن يسير وولى المغيرة بن شعبة فلم يزل عليها حتى قتل عمر، سلمان بن ربيعة الباهلي ولاه عمر وسعد الثانية قضاء الكوفة ثم ولى عمر (شريحاً)[1] ويقال استعمل قبل شريح (عبيدة السلماني)[2] وأقر عثمان بن أبي العاص على الطائف، ثم عزله وولى سفيان بن عبدالله الثقفي)[3].

وعند استعراض الأسماء نجد مثلاً أن سعد بن أبي وقاص وعمار بن ياسر والمغيرة بن شعبة وعثمان بن أبي العاص، قد ذكرهم قضاة البلدان وكانوا في الوقت نفسه هم ولاة البلدان. وعلى هذا، فإن عمر رضي الله عنه في الوقت الذي أرسل فيه القضاة إلى الأمصار كان يترك القضاء للوالي نفسه في أحيان كثيرة، ولم يكن ذلك متبعاً في أول عصر عمر فقط، بل الذي يبدو أن عمر رضي الله عنه في آخر عصره كان يكلف بعض الولاة القضاء بين الناس، والذي يبدو لي أن بعث عمر للقضاة إلى الأمصار لم يكن نظاماً ثابتاً، بل كان يبعث أحياناً

---

(١) شريح بن الحارث الكندي: ولاه عمر قضاء الكوفة سنة ٢٢هـ، واستمر عليها بقية عصر الخلفاء الراشدين وتولاه في بعض زمن بني أمية (وكيع، أخبار القضاة، ج٢/١٩٨، ١٩٩).

(٢) عُبَيْدَة السَّلْمَاني: ولد في زمن الرسول ﷺ ولم يره، اشتهر بقضاء الكوفة لعمر وعلي ولبني أمية، توفي في فتنة المختار سنة ٧٢هـ (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤/٤٠، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج١/٧٨).

(٣) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٥٤، ١٥٥.

بالقاضي إلى بلد معين، وقد يعزله وقد ينقله وقد يترك القضاء على ما هو عليه في يد الوالي نفسه، فنحن نلاحظ أن عمر حينما ولى معاوية بن أبي سفيان على الشام ولى معه (رجلين من أصحاب رسول ﷺ الصلاة والقضاء، فولى أبا الدرداء دمشق والأردن وصلاقما، وولى عبادة بن الصامت قضاء حمص وقنسرين وصلاقما)(١).

كما وردت روايات أخرى مفادها أن معاوية كان يلي القضاء بالإضافة إلى ولايته على بلاد الشام(٢).

وفي حال تعيين قاض في البلد، فإن القضاء يخرج من صلاحية الوالي وليس له حق في القضاء بين الناس في أثناء وجود القاضي، فقد كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري: (إنا بلغنا أنك تقضي ولست بأمير -أي لم نعينك قاضياً- قال: بلى، قال عمر: فولِّ حارَّها من تولى قارَّها)(٣).

وقد بعث عمر في وقت واحد بعمّار بن ياسر على صلاة أهل الكوفة -أي والياً عليها- وبعث معه عبدالله بن مسعود على قضائهم وبيت مالهم)(٤).

وقد اختلف العلماء حول عزل عمر بن الخطاب للقضاء عن الولاية العامة، فذهب جمهورهم إلى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فصل الولاية العامة عن القضاء وأتوا بأدلة كثيرة في هذا الجانب، كما ذهب جماعة من العلماء إلى أن

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ١٤٦.

(٢) الماوردي، نصيحة الملوك، ٢٠٥.

(٣) د. محمد رواس قلعة جي، موسوعة فقه عمر بن الخطاب، ط١، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠١هـ، ص ٥٦١.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ٢٦٩.

عمر لم يفصل القضاء عن الولاية العامة وأتوا بأدلة تؤيد ما ذهبوا إليه[١]، وقد ناقش هذه القضية ناصر الطريقي وخرج بنتيجة عامة يبيّن فيها (أن رأي الجمهور بأن عمر قد فصل القضاء عن الولاية العامة في بعض البلدان والأمصار، فولى قضاة دون أن تكون لهم الإمارة، هو الأرجح)[٢].

ويظهر لي أن عزل القضاء عن الولاية العامة في بعض البلدان وفي بعض الأحيان يرجع إلى انشغال الولاة بأمور عسكرية أو مدنية أخرى، وبالتالي عدم توافر الوقت لديهم لتولي القضاء، وهذا يدفع الخليفة عمر إلى تعيين قضاة يقومون بالمهمة، وقد يعفون من القضاء في حال قدرة الولاة عليه وتوافر الوقت لديهم، ولعل مما يؤيد ذلك أن ولاة الطائف واليمن واليمامة كانوا هم القضاة، وكانت الأحوال العامة في ولاياتهم مستقرة، وبالتالي كان لديهم من الوقت ما يمكنهم من العمل في الولاية العامة والقضاء معاً.

وقد كان الولاة مسؤولين أحياناً بصفة مباشرة عن تعيين القضاة في ولاياتهم، فقد كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري بالشروط التي يطلبها في الذين يعينهم في القضاء: (لا تستقضين إلا ذا مال وذا حسب. فإن ذا مال لا يرغب في أموال الناس، وذا حسب لا يخشى العواقب بين الناس)[٣].

وفي خلافة عثمان رضي الله عنه نهج طريقة عمر في جعل بعض القضاة مستقلين في الأمصار، مع أنه في بعض الأحيان يترك القضاء للوالي نفسه، فقد

---

(١) انظر ما كتبه ناصر الطريقي، القضاء في عهد عمر ج١ من ص ١٥١-١٦٥.

(٢) المرجع السابق، ج١/١٦٥.

(٣) وكيع، أخبار القضاة، ج١/٧٦.

عيّن على قضاء البصرة (كعب بن سور) ثم عزله وترك القضاء في يد الوالي أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، كما أن (يعلى بن أمية) كان والياً وقاضياً في صنعاء[١]. وقد كان كبار الولاة في خلافة عثمان يختارون قضاة بلدانهم بأنفسهم أحياناً فإن ابن عامر عندما تولى البصرة سنة ٢٩هـ اختار كعب بن سور للقضاء فيها[٢]. ويبدو من الظواهر في عصر عثمان أنه إذا وجد قضاة مختصون في البلدان فإن علاقتهم تكون مباشرة مع الولاة[٣]، حتى في تعيينهم وعزلهم أحياناً. ففي الوقت الذي نجد فيه مراسلات كثيرة بين عمر وقضاة الأمصار، نجد ندرة في المراسلات في عهد عثمان بينه وبين أولئك القضاة.

وفي عصر علي رضي الله عنه حدث اضطراب في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وانشغل علي بالفتن والحروب التي ابتلي بها وشملت معظم عصره، ومع ذلك لم يحدث تغير يذكر للقضاء في عصره عن عصر سابقيه، فقد كان علي يتولى القضاء غالباً بنفسه في الكوفة أثناء إقامته بها، كما طلب من بعض الصلحاء القضاء في مشكلات معينة[٤]. أما في الأمصار (فقد كان قضاة علي هم ولاته على البلدان المختلفة؛ لأن ولايتهم كانت عامة تشمل الحكم والإدارة وإقامة الحدود والإمامة والقضاء وجباية الصدقات وغيرها)[٥].

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٧٩.

(٢) المكان السابق.

(٣) انظر منّاع القطان، النظام القضائي في العهد النبوي والخلافة الراشدة، ٣٧٨.

(٤) حسام الدين البرهان فوري، كنز العمال ج٦/١٩٧.

(٥) عبدالله عثمان علي مقبل، قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رسالة ماجستير من شعبة السياسة الشرعية بالمعهد العالي للقضاء بدون تاريخ، ص ٢٩٠.

وكان علي رضي الله عنه يطلب من ولاته التحري في تعيين القضاة(١)، مما يدل على أنه خوّل لهم تعيين القضاة في البلدان التابعة لولاياتهم، مع أن الولاة -في الغالب- هم قضاة الأمصار التي يقيمون فيها، إلا أنه ورد ذكر أسماء عدد من قضاة الأمصار في عصر علي(٢).

ويبدو أن ولاة الأمصار كان لهم الحق في النظر في المظالم التي يرفعها الناس ضد أحكام القضاء، وبالدرجة الأولى التي حكم فيها قضاة ولوا من قبلهم وليس من قبل الخليفة، كما كان لهم النظر في المظالم الأخرى من قبل قضاة البلدان المعينين من قبل الخليفة بحكم عموم ولايتهم(٣)، إلا أنهم في الغالب كانوا يرجعون إلى الخليفة في مثل هذه القضايا، ولابد أن كثرة التغيير في عزل القضاة أو تغييرهم خلال عصر الخلفاء الراشدين يرجع لأسباب مختلفة كما كان راجعاً إلى عدم رضا الخلفاء في بعض الأحيان عن أحكام أصدرها أولئك القضاة(٤). ومن المعروف أن الخلفاء كانوا يفتحون أبوابهم لمن يجأر بالشكوى سواء كانت الشكوى ضد الولاة أو ضد القضاة أو عمال الخراج أو غيرهم.

الشؤون المالية:

كانت الشؤون المالية في الدولة الإسلامية معروفة منذ زمن الرسول ﷺ، حيث

---

(١) انظر كتاب أمير المؤمنين علي إلى الأشتر حينما بعثه والياً على مصر. (الملاحق).

(٢) ومن قضاة علي أبو الأسود الدؤلي والضحاك بن عبدالله الهلالي وعبدالله بن فضالة الليثي وشريح الكندي (خليفة بن خياط، تاريخه، ٢٠٠).

(٣) الماوردي، الأحكام السلطانية، ٧٧.

(٤) انظر وكيع، أحكام القضاة، ج١/٨١.

كانت هناك مصادر معينة للدخل، وكانت الأموال تجمع وتصرف في مصارفها الشرعية[١]. وقد كان الاهتمام بالأمور المالية ينطلق من المدينة المنورة عاصمة الإسلام حيث تنظم فيها الأمور العامة للدولة بما فيها الأمور المالية، كما كانت هناك تنظيمات مالية مستقلة للولايات الإسلامية ابتداء من عصر الرسول ﷺ، وكان الولاة على البلدان هم المســـؤولين عن الشؤون المالية فيها طيلة عصر الرسولﷺ وخلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فكان معاذ بن جبل في اليمن مسؤولاً عن جمع الصدقات وغيرها وصرفها في وجوهها الشرعية وهذا عمل مالي، وكذلك بقية الولاة الآخرين للرسول ﷺ في البحرين وعمان ومكة والطائف وغيرها، وكانوا يباشرون هذه المهمة بأنفسهم[٢]، ولم يمنع ذلك من وجود عمال آخرين كانت مهمتهم مالية بالدرجة الأولى، وهم عمال الخراج[٣] والصدقات الذين كان عملهم الأساسي جمع أموال الصدقات والخراج وصرفها في مصارفها الشرعية[٤].

وفي عصر أبي بكر رضي الله عنه ظهر الاختصاص في الشؤون المالية عن عموم

---

(١) للتفصيل في هذه الموضوعات انظر: الكتاني، التراتيب الإدارية ج١/٣٩١، د. عيسى عبده، النظم المالية في الإسلام، القاهرة، ١٣٩٦هـ، ص ١٢٢، د. محمد ضياء الدين الريس، الخراج والنظم المالية، ص ٨٥.

(٢) انظر الكتاني، التراتيب الإدارية، ج١/٣٩٦.

(٣) كانت كلمة الخراج عند الفقهاء في أول الدولة الإسلامية يقصد بها جزية الأرض وهي الضريبة على الأرض المفتوحة عنوة، ثم أصبح المسلمون يطلقونها فيما بعد بمعنى (الإيراد العام للدولة). انظر (محمد ضياء الدين الريس، الخراج والنظم المالية، ١٢٧).

(٤) عيسى عبده، النظم المالية في الإسلام، ١٢٦.

الولاية، فحينما بويع أبوبكر بالخلافة طلب المساعدة من الصحابة، فقال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: أنا أكفيك المال[١]. وكان هذا في المدينة، أما في الولايات فقد بقي الوضع فيها على ما هو عليه أيام رسول الله ﷺ حيث (كانت ولاية الأموال موكلة إلى الوالي كغيرها من الولايات)[٢].

وقد اتخذ أبوبكر (بيت المال) لأول مرة في تاريخ الدولة الإسلامية ويؤيد ذلك أن عمر ذهب إلى بيت المال مع مجموعة من الصحابة بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه ليرى ما فيه من مـــال، فلم يجد به ســـوى دينار واحد كان مختفياً عن الأنظار[٣]، ومع وجود بيت المال في المدينة إلا أن أبابكر لم يكن يحتفظ فيه بالأموال، بل كان يقسم ما يأتيه من مال ولا يبقي منه شيئاً، ولذلك حكم عليه بعض المؤرخين بأنه لم يتخذ بيت مال[٤]. ويبدو أن الولايات في عصر أبي بكر لم يكن لها بيوت مال خاصة، وأن ما كان يفيض فيها من الأموال كان يرسل إلى الخليفة في المدينة.

وفي عصر عمر رضي الله عنه بدأت تتضح معالم الإدارة المالية للدولة الإسلامية عموماً وللولايات خصوصاً، وأخذ تنظيم هذه الأمور يزداد وضوحاً على التدريج، ويظهر أن عمر في بداية خلافته سار على طريقة أبي بكر رضي الله عنه في توزيع الأموال والعطاء، حيث كان يقسم جميع ما يأتيه من أموال قبل تدوين

---

(١) وكيع، أخبار القضاة، ج١/١٠٤، ابن الأثير، الكامل، ج٢/٤٢٠.

(٢) عيسى عبده، النظم المالية في الإسلام، ١٣٢.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٢/٤٢٢.

(٤) انظر عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/٨٥٧، أبو هلال العسكري، الأوائل، ق ١/٢٢٩.

الدواوين، ولا يبقي منها شيئاً في بيت المال[١].

وحينما كثرت الفتوح وزادت الأموال بدأ عمر رضي الله عنه يفكر في وضع الدواوين وترتيب بيوت الأموال، وبالتالي جمع الواردات المالية وصرفها في زمن معين وبطريقة منظمة، وقد كان للولايات نصيبها من هذا التنظيم حيث أسست بيوت الأموال في الأمصار المختلفة.

وكان الولاة في بداية عصر عمر هم المسؤولين عن بيت المال والخراج في ولاياتهم، إلا أن عمر فيما بعد أخذ يفصل الخراج عن الولاية ويجعل على عمل الخراج موظفاً مستقلاً، ولم يكن هذا في جميع الولايات وإنما كان في بعض الولايات فقط، ولظروف معينة وخاصة، فقد عيّن عمر رضي الله عنه بعض الولاة على الجند والخراج في الوقت نفسه كتوليته شرحبيل بن حسنة على جند الأردن وخراجها، وتوليته معاوية بن أبي سفيان على جند دمشق وخراجها[٢]. ومن الولاة الذين استمروا على ولاية البلد مع الخراج[٣] عمرو بن العاص حيث استمر والياً على مصر ومسؤولاً عن خراجها طيلة خلافة عمر بن الخطاب رغم نشوب خلاف بينهما يتعلق بقضايا الخراج، وكان سعد بن أبي وقاص هو المسؤول عن خراج ولايته وبيت مال الكوفة، وكذلك أبوعبيدة بن الجراح وغيرهم.

وقد فصل عمر ولاية الخراج عن الولاية العامة على البلد في مناسبات عديدة؛ ومن ذلك ما رواه أنس بن مالك قال: (بعثني عمر بن الخطاب وأبا موسى

---

(١) أبو يعلى، الأحكام السلطانية، ٢٣٧، ابن الأثير، الكامل ج٢/٤٢٢.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٥٥، البلاذري، فتوح البلدان، ١٤٦.

(٣) ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ١٦٠.

الأشعري إلى العراق، فجعل أبا موسى على الصلاة وجعلني على الجباية)[١].

وفي بعض التعيينات نرى أن عمر عمل على الفصل بين الأعمال وتخصيص أكثر من عامل في المهام المالية والخراج، فقد عيّن في سنة ٢١هـ ثلاثة عمال على الكوفة: عمّار بن ياسر على الصلاة والحرب (وال عام) وعبدالله بن مسعود على بيت المال، وعثمان بن حنيف على الخراج[٢].

وكان العمال على الخراج وبيت المال مسؤولين بصفة مباشرة أمام الخليفة، وليس للوالي سلطة عليهم، فقد جرى بين عمر وبين عثمان بن حنيف مناقشة طويلة فيما يتعلق بما فرضه عثمان من خراج على أرض السواد[٣] مما يدل على أن العلاقة المباشرة في هذه القضية كانت بين عامل الخراج وبين الخليفة، وليس لوالي الإقليم دور في هذه القضية. وقد كان ابن مسعود عامل بيت المال يعد نفسه مسؤولاً عن أموال الولاة، وقد وقعت بينه وبين سعد بن أبي وقاص منازعة بسبب أموال سبق أن اقترضها سعد من بيت المال أثناء ولايته لعثمان[٤].

ومع وجود عمال بيت المال والخراج، فقد وجد في الولايات موظفون آخرون يختصون بأمور مالية أخرى تتعلق بالولاية وأجنادها، ومنها جمع الغنائم وتقسيمها بين الجند، وقد اشتهر بهذا العمل في العراق في إحدى الفترات سلمان بن ربيعة

---

(١) القاسم بن سلام، الأموال، ٥١٦.

(٢) أبو يوسف، كتاب الخراج، ٤٠، بدر الدين بن جماعة، تحرير الأحكام، ١٠٤.

(٣) أبو يوسف، الخراج، ٤٠.

(٤) الطبري، تاريخه، ج٥/٤٧.

الباهلي (فكانت إليه الأقسام والأقباض)[١].

وفي عصر عمر وجد في الولايات عمال العشور، وهم موظفون يقومون بأخذ العشر من التجار غير المسلمين الذين يمرون بأرض المسلمين، وقد عمل بهذا النظام، ووجد عماله لأول مرة في عصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٢].

وحينما جاء عصر عثمان رضي الله عنه زادت مصادر الدخل في الدولة الإسلامية عموماً، وكثرت الأموال في الأمصار المختلفة، نتيجة لاستقرار النظم في الولايات وزيادة الجباية لبيت المال من الخراج وغيره[٣]. وقد اختلف دور الولاة في الشؤون المالية لولاياتهم، فكانوا في الغالب هم المسؤولين مباشرة عن بيت المال ودواوينه في ولاياتهم، حيث أن عبدالله بن عامر في البصرة كان هو المسؤول عن خراج ولايته، وكذلك كان سعيد بن العاص في الكوفة، ومعاوية بن أبي سفيان في الشام، وكانوا يستعينون ببعض العمال على الخراج، إلا أن ارتباط عمال الخراج في ولاياتهم كان مباشراً معهم وليس مع الخليفة. وقد حاول عثمان عزل ولاية الخراج في مصر عن الوالي العام عمرو بن العاص وإسنادها إلى عبدالله بن سعد ابن أبي السرح، إلا أن عمراً احتج على ذلك قائلاً: أنا كماسك قرني البقرة والأمير يحلبها، فعمل عثمان على تولية عبدالله بن سعد على مصر وعلى خراجها[٤]. وكان السبب الرئيس في عزل عمرو هو زيادته في مصروفات الولاية

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٤/١٨٢، والأقباض: الغنائم المجموعة.

(٢) أبو يوسف، الخراج، ١٣٠، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، القاسم بن سلام، الأموال، ٦٣٥.

(٣) قطب إبراهيم محمد، السياسة المالية لعثمان بن عفان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م، ص ١١٣، وانظر عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/١٠٢٢، ١٠٢٣.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ٢٥٥.

من الخراج، حيث كان ينفق كثيراً من الواردات العامة من الخراج على إصلاحات عمرانية للقناطر والجسور وغيرها، ويرى أن في ذلك إصلاحاً عاماً يساعد الناس على الإنتاج، وبالتالي الاستمرار في أداء الخراج إلى العمال، وقد كان لهذه المصروفات دور في قلة التوفير من الخراج، وذلك ما لفت نظر عثمان ابن عفان، فأنَّبَّ عليه عمرو بن العاص، إلا أن عثمان أدرك فيما بعد أنه كان يعمل لمصلحة ولايته[١].

وفي خلافة علي رضي الله عنه لم يحدث تغيير يذكر في السياسة المالية للدولة الإسلامية، فقد كان الخراج في بعض الأمصار موكولاً إلى الولاة أنفسهم، ففي مصر كان قيس بن سعد بن عبادة -الوالي العام- مسؤولاً عن الخراج فيها[٢]، وكذلك حينما بعث علي رضي الله عنه الأشتر النخعفي على مصر كان في خطابه له ما يوحي أنه مع ولايته العامة كان مسؤولاً عن الخراج وعماله وتصريفه[٣]، كذلك كان محمد بن أبي بكر أميراً على الصلاة والخراج[٤] في مصر، ويبدو أن ابن عباس رضي الله عنه مع ولايته صلاة البصرة كان يلي خراجها؛ بدليل معاتبة علي رضي الله عنه له في بعض القضايا المالية.

وقد اشتهر عن علي رضي الله عنه تشديده في مراقبة عماله في جميع النواحي، وكان الخراج والشؤون المالية من الأمور المهمة التي كان يدقق فيها أمير المؤمنين

---

(١) انظر: ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ١٦١.

(٢) المقريزي، الخطط، ج١/٣٠٠، ابن تغردي بردي، النجوم الزاهرة، ج١/٩٦.

(٣) انظر نص الخطاب في الملاحق.

(٤) المقريزي، الخطط ج١/٣٠٠.

علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فكان يبعث العيون والأرصاد ليعلم أحوالهم[١].

وقد كان لولاة البلدان صلاحيات عامة في المصروفات من ولاياتهم وبيوت أموالها، فالولاة الذين كانوا يباشرون بيت المال وعمل الخراج بأنفسهم في عصر الخلفاء الراشدين عموماً كانوا ينفقون من الأموال التي لديهم في الأوجه الشرعية في مصالح الولاية، فكانوا يستخدمون هذه الأموال في شؤون الجهاد والفتوح من إعداد للسلاح والدواب ومرتبات الجند وغير ذلك من أوجه الجهاد، كما كان الولاة يقومون بصرف نفقات العمال والموظفين في الولاية[٢] إضافة إلى أنهم كانوا يقومون ببعض الإصلاحات من بناء الجسور وحفر للقنوات والعيون والأنهار، وكان ذلك يستدعي الصرف مما يجبونه من ولاياتهم.

وفي الأوقات التي تعزل فيها ولاية الخراج أو بيت المال عن الولاية العامة، فإن الولاة بحكم إشرافهم العام على الولاية يطلبون من عمال الخراج الإنفاق على هذه الإصلاحات أو يقوم الولاة بتعيين عمال خاصين بهذه المشاريع، وتصرف نفقات العمل أو التجهيز من دخل الولاية عن طريق عمال الخراج إذا كانوا مستقلين.

وهكذا فإنه حتى لو عزلت مهمة (الجباية) عن الوالي كما عبّر عنها بعض الباحثين[٣] فإن النفقات مع ذلك كانت تأخذ طريقها بوساطة الولاة في كثير من الأحيان سواء للجهاد أو التعمير، ولقد نبّه بعض الفقهاء إلى أن على الولاة إنفاق

---

(١) عيسى عبده، النظريات المالية في الإسلام، ١٥٥.

(٢) الكتاني، التراتيب الإدارية ج١/٣٩٣.

(٣) انظر عيسى عبده، النظم المالية في الإسلام، ١٥٧.

الأموال في مصالح المسلمين وعدم تجميدها، إذ أن تجميد الأموال التي أخذت بحقها وعدم صرفها في مصالح المسلمين يوازي الظلم في جمعها، فعدُّوا التجميد للأموال العامة من باب الظلم والتقصير من جانب الولاة[١].

وكانت الأمصار والولايات أحق بأموالها وجباياتها من غيرها، فكان الولاة لا يعملون على ترحيل الأموال عن مناطقهم إلى العاصمة في المدينة أو في الكوفة فيما بعد، إلا بعد أن يسددوا حاجة ولاياتهم من النفقات[٢].

ولاشك أن ما قام به الخلفاء الراشدون -وخصوصاً في عهد عمر- من تنظيم دقيق للشؤون المالية في الولايات بما فيها من جباية -مصادر الدخل أو الواردات العامة للدولة- إضافة إلى النفقات العامة يعد تنظيماً جديداً، ولم يمنعهم ذلك من الاستفادة من خبرات من سبقوهم، حيث استحدثوا الدواوين -وسنتحدث عنها إن شاء الله- وضبطوا أمورهم المالية في مختلف جوانبها.

وقد حاول بعض المستشرقين ومن تبعهم، مثل فيليب حتي في موسوعته عن تاريخ العرب أن يقلل من شأن ما قام به الخلفاء الراشدون من تنظيم للأموال في الدولة عموماً، فقال: (والحقيقة أن الأخبار تعزو إلى عمر كثيراً مما أحدثته السنون التي لحقت عهده من إنشاءات دعت إليها التجارب والأحوال الجديدة وأن ما جاء به الخلفاء وعمال الأمصار الأول في صدد الخراج والجزية وأصول جبايتها وسياسة أموال الدولة لم يكن بالشيء الخطير؛ فلقد أبقى الإسلام أساس الحكم وأنظمة الإدارة البيزنطية على ما كانت عليه في سورية ومصر، ولم يفكر أرباب

---

(١) انظر، فتحي عثمان، أصول الفكر السياسي الإسلامي، ٤٣.

(٢) قطب إبراهيم محمد، السياسة المالية لعثمان بن عفان، ١٣٠.

الأمر في الأمصار الفارسية أن يبدلوا أصول الحكومة المحلية، و لم يأخذ الفاتحون الضرائب إلا طبقاً لطبيعة البلاد وبمقتضى الأصول المرعية في العهد المنقرض، سواء أكان بيزنطياً أو فارسياً و لم يعتبروا في ذلك إذا كانت قد دانت لهم صلحاً أو أنهم فتحوها عنوة، ولا اهتدوا بتشريع أوجده عمر)[١].

والكاتب هنا قد تجاهل النصوص التي وردت في استنباط عمر للخراج على الأراضي المفتوحة عنوة، وكيف أن هذا النظام قد لقي مجادلة ومعارضة من بعض الصحابة إلى أن استقر الأمر عليه. واتفق الجميع على تنفيذه[٢]، وقد تولى محمد ضياء الدين الريس الرد على هؤلاء المستشرقين فيما قالوه من خلال نصوص تاريخية موثقة، يخلص منها إلى أن هذه الدعوى لا أساس لها من الصحة، وأن المسلمين وفقهاءهم كانوا يفرقون بين ما أحدثه عمر، وما أحدثه غيره، بل ويفصلون تفصيلاً دقيقاً في قضايا الخراج في عصر عمر[٣].

الدواوين والكتاب:

مر عصر الرسول ﷺ، ومر عصر أبي بكر الصديق رضي الله عنه دون أن يعرف المسلمون تدوين الدواوين، وإنما عرفوا ذلك -كما سبق أن ذكرنا- في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد استمرت الدواوين خلال عصر عثمان وعلي رضي الله عنهما على ما وضعها عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد كانت الدواوين خلال عصر الخلفاء الراشدين ثلاثة دواوين رئيسة، هي ديوان الجباية

---

(١) فيليب حتي، تاريخ العرب -مطول- ترجمة إدوارد جرجي، وجبرائيل جبور، دار الكشاف، بيروت ١٩٤٩م، ج١/٢٢٨.

(٢) أبو يوسف، الخراج، ٤٠.

(٣) انظر الخراج والنظم المالية والدولة الإسلامية من ص ١٣١-١٣٦.

والخراج، وديوان الجند، وديوان العطاء، وقد كانت الدواوين الثلاثة موجودة في كل مصر من الأمصار الإسلامية، وكان ارتباط الوالي بها يختلف من ولاية إلى أخرى، ومن زمن إلى آخر، فديوان الخراج -الجباية- مثلاً كان يرتبط بالوالي بحسب ارتباطه بعمل الخراج، وقد تعرضنا لذلك سابقاً. وكان ديوان الجباية والخراج طيلة عصر الخلفاء الراشدين في الأقاليم المفتوحة بلغات تلك الأقاليم، ففي فارس والعراق بالفارسية، وفي الشام بالرومية[١]، وفي مصر بالقبطية[٢]. وقد احتاج المسلمون للعمل في هذه الدواوين إلى أناس من أهل الذمة ممن يجيدون العمل والإحصاء والكتابة بلغتهم[٣]، إلا أن الإشراف العام عليهم يكون من جانب عامل الخراج، والذي كان في أحيان كثيرة هو الوالي نفسه.

وأما ديون العطاء والجند، فكانا -على الأرجح- باللغة العربية ابتداء، حيث دونت فيها أسماء الجند ومقدار العطاء الذي يأخذونه من بيت المال، وأسماء من يستحق العطاء من المسلمين ولو لم يكونوا أجناداً كالنساء والصبيان وغيرهم أحياناً.

وقد ورد ذكر بعض عمال عمر على هذين الديوانين أو "الديوان الواحد" عند كثير من المؤرخين، فكان (كاتبه على ديوان البصرة عبدالله بن خلف الخزاعي، أبا طلحة الطلحات[٤]، وكاتبه على ديوان الكوفة جبيرة بن الضحاك

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ٢٤٤.

(٢) صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ٣١٣.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ٢٣٧.

(٤) عبدالله بن خلف بن أسعد الخزاعي، قيل إن له صحبة، واشتهر بكتابته لعمر بن الخطاب على ديوان البصرة، شهد مع عائشة وقعة الجمل فقتل فيها (ابن الأثير، أسد الغابة ج٣/١٥١، ابن حجر، الإصابة، ج٢/٣٠٣).

الأنصاري[١])[٢] وهذا يعني أن الدواوين كان لها كتاب مستقلون عن الولاة، ومع ذلك فإن ديوان العطاء والجند كان له ارتباط بالوالي حتى ولو وجد فيه كاتب خاص معين من قبل أمير المؤمنين، إذ أن الوالي هو أمير الجند في ولايته، وبالتالي فإنه يشرف بنفسه على هذا الديوان ليعرف أحوال جنده وتعدادهم، وما يتعلق بشؤونهم المختلفة، مع وجود موظفين آخرين للعناية بالكتابة والتنظيم، كما أن الوالي في كثير من الأحوال هو عامل الجباية والخراج، وبالتالي فإن صرف الأموال إلى أصحاب الدواوين والأجناد يتم عن طريقه وبترتيب مسبق بين كتاب الديوان وعمال الخراج، كما أن أية مظلمة أو خطأ يقع في الديوان يرفع أمره في كثير من الأحيان إلى الوالي العام ليعمل على تصحيحها.

وقد كان الناس حينما تنظم أعطياتهم وترتب أحوالهم يشكرون ولاتهم على ذلك[٣] مما يدل على قوة ارتباط هذا العمل بالوالي نفسه رغم وجود الكتاب المستقلين أحياناً. وبذلك فإن (الدواوين المتفرعة عن ديوان الجند كانت في الأقاليم تحت إشراف مباشر من والي الإقليم، وهو الأمير الذي ينوب عن الخليفة في إدارة شؤون إقليمه، وربما أشارت المصادر إليه تحت اسم أمير الحرب)[٤].

وقد تميز عصر عمر بالدقة في الإحصاء وفي حصر الأراضي، مما يدل على مقدرة فائقة في الأجهزة المساعدة للولاة في تلك الأيام.

---

(١) لعله ابن أبي جبيرة بن الضحاك الأنصاري المدني الذي له صحبه، وروى عن النبي ﷺ بعض الأحاديث (ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥/١٥٦، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١٢/٥٢).

(٢) خليفة بن خياط، تاريخ، ١٥٦.

(٣) انظر موقف أهل الكوفة مع سعيد بن العاص، ص ٢٨٠ من هذا الكتاب.

(٤) عبدالعزيز السلومي، ديوان الجند، ٢٤٥.

فقد روى الطبري قال: (جمع سعد مَنْ وراءَ المدائن وأمر بالإحصاء، فوجدهم بضعة وثلاثين ومائة ألف، ووجدهم بضعة وثلاثين ألف أهل بيت)[١]. وعملية الإحصاء هذه كانت بحاجة إلى كتاب مختصين ودقيقين، بحيث عرفوا المجموع العام للسكان، إضافة إلى عدد الأسر، وكم عدد أفراد كل أسرة. وفي الغالب فإن سعداً استعان بهذه العملية ببعض المختصين عن كتاب الفرس.

وهنا مثال آخر يدل على المقدرة الإدارية والإحصائية لدى ولاة الأقاليم وكتابهم، فقد عمل الكتاب على إحصاء الأراضي وتفصيلها، حيث أنهم في هذا الإحصاء عملوا على تمييز الأراضي وتقسيمها في العراق وفارس، فبينوا الأراضي الخاصة بكسرى وأسرته، وأراضي من قتل في المعارك ضد المسلمين، وأراضي من هرب من الفرس، والأراضي التي لم يستفد منها في الزراعة، والأراضي الخاصة بمنافع الدولة الفارسية سابقاً كمواقع البريد وغيرها[٢].

ولاشك في أن تلك العملية تطلب دقة في التسجيل والرصد وزيادة عملية لمعظم تلك الأراضي، مع إمكانية الاستفادة من الخبرات الفارسية في هذا المجال، بالإضافة إلى ما دفع بأيدي المسلمين من سجلات الفرس.

ويضاف إلى كتاب الدواوين المختلفة الكتاب الذين يختصون بشؤون الوالي، حيث يبدو من سياق ما كتبه بعض المؤرخين أن بعض الولاة في عصر الخلفاء الراشدين كان لهم كتاب خاصون يقومون بكتابة رسائل الولاة وخطاباتهم إلى الخليفة وغيره، وقد ذكر أن أبا موسى الأشعري كان له كاتب نصراني، فقرأ عمر

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٤/١٨٣.

(٢) انظر أبو يوسف، الخراج، ٢، البلاذري، فتوح البلدان، ٢٧٢.

كتابه وتقريره دون أن يعلم أنه نصراني، فقال لأبي موسى: أين كاتبك هذا حتى يقرأ الكتاب على الناس؟ فقال أبوموسى: يا أمير المؤمنين، إنه لا يدخل المسجد. قال: لم؟ أجنب هو؟ قال: لا ولكنه نصراني، فانتهره عمر، وقال: لا تدنوهم وقد أقصاهم الله، ولا تكرموهم وقد أهانهم الله، ولا تأمونهم وقد خونهم الله، وقد نهيتكم عن استعمال أهل الكتاب فإنهم يستحلون الرشوة(١). وقد ورد (أن كاتباً لأبي موسى كتب إلى عمر بن الخطاب من "أبو" موسى فكتب إليه عمر: إذا أتاك كتابي هذا فاضرب كاتبك سوطاً واعزله عن عملك)(٢) وذلك بسبب لحنه في الكتاب وكتابته من أبو موسى بدلاً من أبي موسى!!.

وقد كان للخلفاء خاتم خاص يختمون به كتبهم إلى الولاة حتى يعرفوها. ولاشك أيضاً أن الولاة كانت لهم أختام معينة حيث أن هذه كانت سنّة موجودة لدى الصحابة عموماً حيث كانوا يتخذون خاتماً معيناً سواء كانوا ولاة أم لا.

وقد وردت قصة تفيد أن رجلاً من أهل الكوفة زيف على خاتم الخلافة، فأخذ بهذا التزييف مالاً من خراج الكوفة، فاستدعاه عمر إلىالمدينة وأدبه عدة مرات وحبسه، وأخذ من ماله مقابل ما أخذه عن طريق التزييف من مال المسلمين(٣).

ولقد عرفت الترجمة عند المسلمين منذ أيام الرسول ﷺ كان لديه من الصحابة من يترجم له الكتب التي ترد إليه من فارس ومصر والشام وغيرها(٤). وقد كان

---

(١) انظر، ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب ١١٦، المحب الطبري، الرياض النضرة، ج٢/٤٨، ابن الأزرق، بدائع السلك، ج٢/٢٧.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ٣٤١، ابن تيمية، السياسة الشرعية، ١١٣.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ٤٤٨ و٤٤٩.

(٤) الكتاني، التراتيب الإدارية، ج١/٢٠٢.

العرب في عصر الرسول ﷺ سواء منهم المسلمون أو غيرهم بحاجة إلى الترجمة من العربية إلى اللغات الأخرى في البلاد التي يسافرون إليها؛ كالرومية أو الفارسية أو غيرهما. وقد ذكر البخاري رواية عن مناقشة جرت بين هرقل حاكم الروم وبين أبي سفيان بن حرب حول أخبار الرسول ﷺ وذلك قبل إسلام أبي سفيان.

وقد نص البخاري على أن الترجمان كان قائماً بين هرقل وأبي سفيان(١) وقد ذكر ابن حجر عند شرح الحديث الذي جرى بين هرقل وأبي سفيان أن البخاري أورد الخبر ليدل على وجود الترجمان عند الأمم والأخذ بكلامه في الترجمة محل الشهادة(٢).

وقد وضع البخاري في كتابه باباً سماه باب ترجمان الحكام وهل يجوز ترجمان واحد.

وقد أورد ما يدل على قيام الترجمة بين عمر وبين امرأة أعجمية، كما أورد حديثاً عن الترجمة بين ابن عباس وبين الأعاجم(٣). وكل هذه الأحاديث تدل على معرفة الترجمة في الدولة الإسلامية عموماً في عصر الخلفاء الراشدين وقبل ذلك، وإذا علمنا أن دواوين الخراج كانت بغير اللغة العربية، فإننا ندرك مدى الحاجة إلى وجود مترجمين في الولايات يتولون الترجمة في قضايا الخراج وغيرها، خصوصاً أن العمال الرئيسيين على الخراج كانوا بالدرجة الأولى من العجم.

كما أن انتشار الموالي والداخلين الجدد في الإسلام في البلدان الإسلامية

---

(١) البخاري، صحيحه ج١/٥، وانظر، أحمد بن حنبل، المسند ج١/٢٦٢.

(٢) فتح الباري، ج١٣/١٨٧.

(٣) فتح الباري، ج١٣/١٨٦.

المختلفة جعل الحاجة إلى الترجمة مهمة جداً في كثير من الأمور المتصلة بالقضاء وغيره، كما أن المفاوضات بين القواد الفاتحين -وهم في الغالب من الولاة- وبين أهل البلاد المفتوحة تحتاج إلى وجود المترجمين، ولذلك فإن عملية الترجمة تعد من الوظائف المساعدة لولاة البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، والحاجة ماسة إليها في كثير من الأحيان، ومع ذلك فمن الراجح أن هؤلاء المترجمين لم يكونوا متفرغين بالكلية لهذا العمل، إذ أن المواقف التي تحتاج إلى الترجمة كانت محدودة، وبالتالي فالغالب أن هؤلاء المترجمين من المتطوعين أو من شابههم، وقد طلب عمر من ولاته في العراق أن يبعثوا إليه في المدينة بدهاقين من فارس ليتفاهم معهم حول قضايا الخراج، فبعثوا إليه بالدهاقين وبترجمان معهم[١].

وقد ذكر عن المغيرة بن شعبة أنه كان يجيد شيئاً من اللغة الفارسية، وقام بالترجمة بين عمر والهرمزان في المدينة[٢] ومن المعروف أن المغيرة كان أحد ولاة العراق المشهورين لعمر.

العرفاء والنقباء:

العريف هو القيّم أو السيد العارف بقومه وسياستهم، أو هو من يلي أمور مجموعة من الناس ويتعرف الأمير منه على أحوالهم وهو رئيسهم[٣]، والنقيب هو المقدم على القوم، وهو كالعريف يتولى مجموعة من الناس ليعرف أحوالهم ويساعد في تصريف شؤونهم، وقد يعرف النقيب بأنه عريف القوم[٤]، فكلا

(١) أبو يوسف، الخراج، ٤٠ و ٤١.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٤/٢١٨.

(٣) ابن منظور، لسان العرب ج٩/٢٣٨.

(٤) المصدر السابق، ج١/٧٦٩.

الكلمتين تعني أقواماً مخصوصين يتولون رئاسة مجموعة من الناس سواء من الجند في حالة الحرب، أو في المدن في حالة السلم، وقد كانت النقابة والعرافة معروفة لدى المجتمع العربي قبل الإسلام ولها أهمية في إدارة القبائل والبلدان[١].

وقد عرف المسلمون النقباء في بيعة العقبة الثانية حينما عين الرسول ﷺ اثني عشر نقيباً من الأنصار على قومهم: ثلاثة من الأوس وتسعة من الخزرج[٢]، كما كان الرسول ﷺ يعين النقباء في كثير من غزواته وسراياه. وقد حذر الرسول ﷺ أحد الصحابة قائلاً له: "أفلحت إن لم تكن أميراً ولا حاجباً ولا عريفاً"[٣].

واستمر تنظيم النقباء والعرفاء في الأجناد الإسلامية المختلفة في عصر عمر، ومما ورد في ذلك تنظيم الناس في القادسية على يد سعد بن أبي وقاص حيث اجتمعت القبائل (فأمَّر أمراء الأجناد وعرَّف العرفاء، فعرَّف على كل عشرة رجلاً، كما كانت العرافات أزمان النبي ﷺ وكذلك كانت إلى أن فرض العطاء وأمّر على الرايات رجالاً من أهل السابقة وعشَّر الناس وأمَّر على الأعشار رجالاً من الناس لهم وسائل في الإسلام)[٤].

ويبدو أن عمر أول من نظم عملية تقسيم الناس في الأمصار عموماً، ففي زمنه

---

(١) محمد يوسف الفاروقي، العرافة والنقابة مؤسستان اجتماعيتان مهمتان في العهد النبوي، بحث منشور في مجلة الدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية، إسلام أباد -باكستان، مارس- أبريل ١٩٨٢م، ص ٧٩.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢/٤٤٣.

(٣) الإمام أحمد، المسند، ج٤/١٣٣.

(٤) الطبري، تاريخه، ج٥/٨٧، والعشر هو: تقسيم الناس أعشاراً عشرة ومضاعفاتها. (ابن منظور، لسان العرب، ج٤/٤٢٠).

برز العرفاء على الناس في أمصارهم وأصبحوا مسؤولين أمام الوالي عن قبائلهم والمجموعات المنضمة إليهم حسب التقسيم المتبع في ذلك الوقت[١].

ويبدو أن ذلك التقسيم في الأمصار حدث في السنة السابعة عشرة، حيث نرى الطبري يضع عنواناً في حوادث سنة ١٧هـ سماه "إعادة تعريف الناس" وقد دخل في هذا التعريف والتقسيم الذي ذكره الطبري النساء والصبيان حيث يقول (*إعادة تعريف الناس* وعرّفوا على مائة ألف درهم فكانت كل عرافة من القادسية خاصة ثلاثة وأربعين رجلاً وثلاثاً وأربعين امرأة وخمسين من العيال لهم مائة ألف درهم، وكل عرافة من أهل الأيام عشرين رجلاً على ثلاثة آلاف وعشرين امرأة، وكل عيل على مائة، على مائة ألف درهم وكل عرافة من الرادفة الأولى ستين رجلاً وستين امرأة من العيال ممن كان رجالهم ألحقوا على ألف وخمسمائة على مائة ألف درهم، ثم على هذا الحساب، وقال عطية بن الحارث: قد أدركت مائة عريف، وعلى مثل ذلك كان أهل البصرة، كان العطاء يدفع إلى أمراء الأسباع وأصحاب الرايات، والرايات على أيادي العرب، فيدفعونه إلى العرفاء والنقباء والأمناء فيدفعونه إلى أهلهم في دورهم)[٢].

ومن هذا التفصيل الذي أورده الطبري يتضح أن تجديد التقسيم وتأكيده للعرفاء في الأمصار المختلفة ظهر في عصر عمر في السنة السابعة عشرة، ولعل هذا التقسيم ظهر في الوقت الذي ظهرت فيه الدواوين في عصر عمر.

وقد ورد ذكر للعرفاء عند الحديث عن قرى مصر زمن عمر بن الخطاب،

---

(١) صبحي الصالح: النظم الإسلامية.

(٢) الطبري، تاريخه، ج٤/١٩٤.

ولعلهم كانوا من الأقباط، بدليل أنهم كانوا يتباحثون معه في أمور الخراج في قريتهم[١]، وذلك يدل على أن تنظيم العرفاء لم يكن مقتصراً على المسلمين، بل كان يشمل الذميين بتنظيمه مع الاختلاف في الهدف من هذا التنظيم.

وقد استمر العمل بنظام العرفاء طيلة عصر عثمان رضي الله عنه.

وخلال عصر علي رضي الله عنه استمر الحال على هذا التنظيم، فكان يجمع النقباء ويعطيهم الأموال بحصصهم فيقسمونها على من يتبعهم من الناس[٢].

وقد استفاد الولاة من العرفاء في إدارة الأمصار في الشؤون المختلفة المدنية منها والعسكرية، فكانوا يساعدون في توزيع العطاء على الناس، وفي السيطرة على النظام داخل الأمصار، وفي البحث عن المطلوبين للقضاء وغيره. وفي سرعة تجنيد الناس حين الحاجة، وفي أخذ المشورة من الناس، كما كان للنقباء دور في معرفة من يضاف اسمه إلى العطاء ومن يحذف اسمه وغير ذلك من الأمور المختلفة.

وهكذا كان العرفاء من أهم الموظفين للولاة في إدارة أمصارهم[٣] مع أن هؤلاء في الغالب لم يكونوا متفرغين لهذا العمل وحده، بل كانوا مجرد مساعدين وقت الحاجة، وكان في تقسيم العرفاء والنقباء في كثير من الأحيان شيء من التنظيم القبلي، حيث كان التقسيم أحياناً باعتبار القبيلة، إلى أن كثر الداخلون في الإسلام من الأعاجم وبدأوا يستوطنون الأمصار، فبدأ هذا التقسيم العشائري يقل

---

(١) ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ١٥٢.

(٢) القاسم بن سلام، الأموال، ٣٤٥.

(٣) انظر، صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ٤٩٣.

تدريجياً[١]، مع احتفاظه بقوته في معظم الأوقات خلال عصر الخلفاء الراشدين.

وقد كان يتبع الولاة على البلدان بعض كبار القوّاد الذين يتولون قيادة أقسام معينة في الجيش ويقومون بالفتوح المختلفة بتوجيه من أمراء الولايات. كما كانوا يصحبون الوالي وهو أمير الحرب في غزواته المختلفة ويساعدونه في تنظيم الجيش وقيادته[٢]، وقد (كان أمراء التعبئة يلون الأمير، والذين يلون أمراء التعبئة أمراء الأعشار، والذين يلون أمراء الأعشار أصحاب الرايات، والذين يلون أصحاب الرايات والقوّاد رؤوس القبائل)[٣].

كما أن العرفاء يرفعون ما يراه قومهم من اقتراحات أو تظلمات جماعية ويوصلونها نيابة عنهم، ويتحدثون باسمهم ويدافعون عن حقوقهم أمام الوالي وغيره[٤].

المستشارون:

كان الرسول ﷺ يستشير بعض الصحابة -ومنهم أبوبكر وعمر- في شؤون الدولة الإسلامية المختلفة.

وكان أبوبكر يستشير الصحابة عملاً بسنة الرسول ﷺ وتمشياً مع أمر القرآن

---

(١) صالح أحمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، ١١٤، محمد حسن الزبيدي، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة، ٥٠.

(٢) المرجع السابق، ٤١.

(٣) الطبري، تاريخه، ج٤/٨٨.

(٤) محمد يوسف الفاروقي، العرافة والنقابة، ص ٨٠، ٨١، ٨٦.

الكريم بالشورى، وسار بقية الخلفاء على نهج أبي بكر رضي الله عنه، فكان عمر يستشير كبار الصحابة في المدينة، وكان عثمان وعلي كذلك، وقد تكون الشورى خاصة يطلبها الخليفة من أشخاص معينين يرسل إليهم أو يذهب إليهم ليستشيرهم بأمر معين. وقد تكون الشورى عامة في المسجد، والمجال فيها مفتوح لمن أراد أن يدلي بدلوه من أصحاب الرأي من عامة الناس، وكان الولاة في الأمصار يستشيرون الناس في بعض القضايا وبالطريقة نفسها التي سار عليها الخلفاء، إما شورى خاصة يطلبون فيها الرأي من أناس معينين، وإما شورى عامة تؤخذ فيها آراء الناس في المسجد أو في مجلس الوالي أو أي مكان آخر، وقد كان عمر يحث ولاته على اختيار مستشارين ويقترح عليهم أسماء من يستشيروهم، فقد كتب إلى سعد بن أبي وقاص في الكوفة "شاور فلاناً وفلاناً ولا توهلما من الأمر شيئاً"(١).

ولم يكن المستشارون متفرغين لهذا العمل، إنما كانوا من عامة الناس. ومع استشارة الولاة لهم في أمور مختلفة إلا أنهم لم يكونوا ملزمين بالعمل حسب آراء المستشارين، إنما كانوا يأخذون آراءهم للاستئناس بها، فإذا وافقت المصلحة التي يراها الولاة عملوا بها وإن رأوا ما هو خير منها عدلوا إلى الأصلح، والولاة يستشيرون الناس في حال الحرب وحال السلم، لكثرة المواقف الحرجة التي تتطلب التصرف بدقة ويصعب تعويض الخسارة فيها. وقد اشتهر الولاة عموماً بفتح أبوابهم للناس، وبالتالي فإن أصحاب الآراء المفيدة يتمكنون من إيصالها إلى الولاة دون عناء.

---

(١) ابن الجوزي، مناقب عمر، ١١٨.

الشرطة:

لم تكن الشرطة معروفة في زمن الرسول ﷺ وإنما كان بعض الصحابة يقومون بعمل شبيه بأعمال الشرطة، دون أن يعرفوا بهذا الاسم؛ فقد روى البخاري عن أنس بن مالك: أن قيس بن سعد كان يكون بين يدي النبي ﷺ بمترلة صاحب الشرطة من الأمير[١].

وقد ذكر عن شريح قاضي عمر في الكوفة أنه كان بين يديه جلوازاً[٢]، أي مؤدباً بمثابة الشرطي كما ذكر أن سعيد بن العاص والي عثمان على الكوفة كان له صاحب شرطة، ويسمى بهذا الاسم[٣].

وقد ذكر أن بيت المال في البصرة بعد مبايعة علي رضي الله عنه بالخلافة كان عليه جماعة من السيابجة[٤] يقال: إنهم أربعون، ومهمتم حراسة بيت المال في البصرة[٥] وكان هؤلاء القوم يتولون هذا العمل منذ ولاية أبي موسى للبصرة زمن الخليفة عثمان رضي الله عنه، ويبدو أن هؤلاء كانوا هم نواة الشرطة في البصرة فيما بعد[٦].

---

(١) البخاري، صحيحه، ج٨/١٠٨.

(٢) وكيع، أخبار القضاة، ج٢/٢١٥، والجلواز: قيل هو الشرطي، وجلوزته خفته بين يدي العامل في ذهابه ومجيئه والجمع جلاوزة، (ابن منظور، لسان العرب، ج٥/٣٢٢).

(٣) الطبري، تاريخه، ج٥/٨٨، المحب الطبري، الرياض النضرة، ج٢/١٨٥.

(٤) والسيابجة أو السبابجة: قوم من السند كانوا بالبصرة جلاوزة وحراساً للسجن (ابن منظور، لسان العرب، ج٢/٢٩٤).

(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ٣٦٩.

(٦) صالح العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، ١١٢.

وقد وردت بعض النصوص التي تدل على وجود الشرطة في مصر منذ فتحها زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه... يقول الكندي: (فكانت ولاية عمر وعلى مصر صلاتها وخراجها منذ افتتحها إلى أن صرف عنها أربع سنين وأشهراً فكان على شرطته في ولايته هذه كلها خارجة بن حذافة بن غانم بن عامر)[1] - ثم يذكر رواية أخرى يقول فيها: (دخل عمرو مصر وعلى شرطته زكريا بن جهم بن قيس[2] ثم عزله وجعل مكانه خارجة بن حذافة)[3].

وفي عصر علي رضي الله عنه (نظمت الشرطة وأطلق على رئيسها صاحب الشرطة، وكان يتم اختياره من علية القوم من أهل العصبية والقوة)[4].

وللشرطة أو أشباههم في عصر الخلفاء الراشدين مهام رئيسة؛ منها: حفظ الأموال العامة وحراسة بيت المال والقيام على السجن، ومساعدة القاضي في جلب الخصوم وفي معاقبة المجرمين وتنفيذ أحكام القضاء فيهم. وكانت الشرطة من أهم القوات التي اعتمد عليها الأمير في تثبيت سلطته في البلد وحفظ الأمن فيها[5]، وقد تدرجت نشأة الشرطة والاستفادة منها في عصر الخلفاء الراشدين، فقد ظهرت الاستفادة منها في القضاء في عصر عمر، وكذلك في الحراسة الليلية

---

(١) خارجة بن حذافة بن غانم القرشي العدوي، له صحبة، شهد فتح مصر وأقام بها، كان على شرطة مصر لعمرو بن العاص قتله رجل من الخوارج وهو يظن أنه عمرو، (ابن الأثير، أسد الغابة، ج٢/٧١، ابن حجر، تهذيب التهذيب ج٣/٧٤).

(٢) زكريا بن جهم، لم أقف له على ترجمة.

(٣) الكندي، ولاة مصر، ٣٣.

(٤) راضي عبدالرحيم، النظام الإداري والحربي، ٩٧.

(٥) صالح العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، ١١٢.

(عسس الليل)[1] وفي حفظ النظام. ولعلهم لم يكونوا يسمون بهذا الاسم في عهد عمر وفي عهد عثمان، وإنما ظهرت التسمية في عهد علي رضي الله عنه، حيث قوى تنظيم الشرطة في عهده. وقد نسب بعض المؤرخين نشأة الشرطة إلى عصر معاوية[2] والأصح ما ذكرناه سابقاً من وجودها منذ عهد عمر، ولعل الشرطة التي نسبت إلى معاوية هي الشرطة الخاصة بالخلفاء، وهم حرس الخليفة الخاصون.

عمال البلدان وموظفوها:

من المعروف أن كل ولاية يتبعها العديد من المدن والبلدان، وكان الوالي في الغالب يقيم في عاصمة الولاية، ومنها يدير البلدان التابعة لولايته، فهو مفوّض من قبل الخليفة لإدارة الإقليم الذي أوكل به، والحالة هذه فإن الوالي كان بحاجة إلى موظفين للقيام بأعمال الإدارة المختلفة فيما تبع ولايته من بلدان.

وكان عدد الموظفين والعمال في هذه البلدان يتوقف على عدة أمور، من أهمها كيفية دخول هذه البلدان في الدولة الإسلامية، حيث يوجد تفريق بين البلدان التي فتحت عنوة، وبين البلدان التي استولى عليها المسلمون بصلح ومعاهدة.

فالبلدان التي فتحت عنوة كان للمسلمين الحق في التصرف فيها إدارياً وعسكرياً ومالياً دون مراعاة للأنظمة السابقة في البلد المفتوح.

أما في البلدان التي فتحت بصلح ومعاهدة، فإن المسلمين ملزمون بهذه المعاهدة، وبما تحدده من طريقة في الإدارة أو التنظيم أو غير ذلك، وعلى العموم فإن البلاد

---

(١) صبحي الصالح، النظم الإسلامية.

(٢) اليعقوبي، تاريخه، ج٢/٢٣٢.

في نطاق الولاية كان الوالي مسؤولاً عن إدارتها مع التزامه بما ذكرناه سابقاً في البلاد المصالحة.

وقد كانت هناك بعض الجوانب الإدارية تشترك فيها البلاد المعاهدة والبلاد المفتوحة عنوة، ومن أهم هذه الجوانب أن الوالي كان يعد مسؤولاً عن حماية هذه البلدان في النواحي الأمنية داخلياً وخارجياً حيث كان الولاة يضعون مجموعة من الجند في كل مدينة ويشركون فيها والياً وأميراً من قبلهم، سواء أكانت البلدة معاهدة أم مفتوحة عنوة، فقد كان أبوعبيدة يرتب الحاميات والولاة في مختلف البلدان وجباية الخراج فيها، وكان ارتباطهم واتصالهم بأبي عبيدة مباشرة[١]، وقد كتب عمر إلى أبي عبيدة بن الجراح بعد فتح أنطاكية (أن رتب بأنطاكية جماعة من المسلمين، واجعلهم بها مرابطة ولا تحبس عنهم العطاء)[٢].

وكان عمر يدرك أهمية شحن البلدان بالأجناد المسلمين المرابطين لتثبيت الفتح فيها ولنشر الإسلام والدعوة إليه في هذه الأمصار، ولذلك جرت بينه وبين الصحابة عدة مناقشات حول هذه القضية[٣].

كما أن هذه البلدان بحاجة إلى موظفين لجباية الخراج والجزية من أهلها، ويقوم بهذا الدور أحياناً صغار الولاة والأمراء التابعين لولاة الأقاليم والأمصار[٤]، كما

---

(١) انظر، أبو يوسف، الخراج، ج١.

(٢) ابن الأثير، الكامل ج٢/٤٩٥.

(٣) أبو يوسف، الخراج، ٢٧.

(٤) المصدر السابق، ١٥٠.

كان يقوم به في بعض الأحيان موظفون خاصون بالجباية ينتقلون من بلد إلى بلد يقومون بجباية الأموال ويميزون بين من دفع ومن لم يدفع من أهل الذمة في هذه البلدان[1] وبالتالي فإن هؤلاء الموظفين قد يكونون مسؤولين عن مناطق كبيرة وبلدان كثيرة يتجولون فيها خلال العام، ويكون ارتباطهم بعامل الخراج العامل في الولاية، والذي كثيراً ما يكون هو الوالي، كما أن للوالي حق الإشراف العام على هؤلاء حتى ولو كان ارتباطهم بعامل مستقل للخراج.

كما كان الولاة العامون مسؤولين عن تأمين العدل بين الناس في عموم البلدان التابعة لولاياتهم، وبالتالي فقد كانوا بناءً على أوامر الخلفاء يقومون بتعيين صغار القضاة في هذه البلدان؛ فقد كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري بشروط معينة لاختيار القضاة في البلدان التابعة لولايته[2].

ولاشك أن الولاة استفادوا بعض الخبرات من أهل البلاد الأصلية غير المسلمين في القيام ببعض الوظائف في بلدانهم، وخصوصاً ما يتعلق بقضايا الخراج وبعض القضايا الإدارية الأخرى[3].

وفي عصر الخلفاء الراشدين تركت الإدارة المحلية في بعض البلدان المصالحة في يد أهلها عموماً، وذلك بمقتضى معاهدات معينة؛ حيث نجد أن (عياض بن غنم) قد ترك بعض المدن في الجزيرة أثناء فتحها بين أهلها بعد أن عقد معهم صلحاً

---

(١) القاسم بن سلام، الأموال، ٦٥.

(٢) انظر وكيع، أخبار القضاة، ج١/٧٦.

(٣) فتحي عثمان، من أصول الفكر السياسي الإسلامي ٣٠؛ فلهوزن؛ تاريخ الدولة العربية، ٢٧، نجدة خماش، الإدارة في العصر الأموي، ٩٢.

وذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[١].

كما أنه في عصر عثمان تركت مدن ومناطق كاملة في أيدي الفرس يديرونها، فقد تقدم عبدالله بن عامر في فتوح المشرق فصالح عظيم هراة[٢] وصالح مرزبان مرو الشاهجان[٣] ومرزبان مرو الروذ[٤] وغيرهم. وبمقتضى الصلح فقد ترك البلاد بأيديهم يحكمونها ويديرونها مقابل النصح للمسلمين ودفع الجزية[٥]، وكان ارتباطهم بوالي البصرة عبدالله بن عامر بن كريز.

وهكذا نلاحظ مما سبق أن الولاة العامين على الأقاليم كانوا مسؤولين عن إدارة البلدان التابعة لولاياتهم وتأمين الموظفين اللازمين لها وتأمينها داخلياً وخارجياً. وأن وضع البلاد سواء فتحت عنوة أو صلحاً كان يتحكم في كثير من الأحيان في عدد الموظفين وفي مهامهم وما يقومون به من أعمال، كما أن الولاة استفادوا من أهل البلاد غير المسلمين في الأعمال الوظيفية المختلفة.

وكان الولاة يحرصون على إدارة ولاياتهم العامة في حال غيابهم عنها، فكانوا

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ١٧٧.

(٢) هُرَاة: مدينة عظيمة من أمهات مدن خراسان، (ياقوت الحموي، فتوح البلدان ج٥/٣٩٦، صلاح الدين المنجد، معجم أماكن الفتوح، ١٠١).

(٣) مرو الشاهجان: هي مدينة مرو المشهورة أكبر مدن خراسان، (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥/١١٢، صلاح المنجد، معجم أماكن الفتوح، ٨٨).

(٤) مرو الروذ: إحدى مدن خراسان وهي قريبة من مرو الشهيرة إلا أنها أصغر منها وتميزت عنها بهذا الاسم، (ياقوت الحموي، معجم البلدان ج٥/١١٢، صلاح الدين المنجد، معجم أماكن الفتوح، ٨٨).

(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ٣٩٦-٣٩٧.

في حال سفرهم خارج الولاية يعينون من ينوب عنهم في إدارتها، كما أنهم في حال مغادرتهم لمركز ولايتهم يجعلون فيها من يحل محلهم حتى عودتهم حتى ولو كانوا لايزالون في مناطق أخرى من الولاية.

وقد كان الولاة حينما يحسون بالموت يعينون من يخلفهم على الولاية حتى يأتي أمر من الخليفة بإقرار ذلك الشخص أو تعيين غيره على الولاية، وقد فعل ذلك أبوعبيدة بن الجراح[1] ويزيد بن أبي سفيان وغيرهم. وقد كان دخول أناس كثيرين في الإسلام وهجرتهم إلى بعض المراكز البلدان التي يستقون منها تعاليم الإسلام يتطلب جهوداً مضاعفة من العمال لتأمين تعليمهم[2] وسبل دعوتهم سواء في بلدانهم الأصلية أو البلدان التي يهاجرون إليها.

وقد كان الولاة يحرصون على عدم توظيف عمال أكثر من الحاجة؛ لأن في ذلك زيادة في الأعباء المالية والإدارية على الدولة[3]. ولذلك نجد عدد الموظفين في عصر الخلفاء الراشدين على قدر ما يسدّ الحاجة فقط، وكثير منهم كان غير متفرغ بالكامل للعمل الذي يقوم به، وإنما كان يستفاد منهم في أوقات الحاجة.

ومن الملاحظ أن الحدود الجغرافية العامة للولايات لم تكن محددة بصفة ثابتة، وإنما كانت تخضع للاجتهاد في معظم الأحيان؛ فمثلاً نجد أن البحرين وعمان كانتا تضمان أحياناً إلى ولاية البصرة وأحياناً تبقيان مستقلتين وتضم إليهما اليمامة وترتبطان بالمدينة مباشرة، كما أن بلاد الشام نفسها قد تقسم إلى ولايات

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ١٤٥.

(٢) صالح العلي، التنظيمات الاجتماعية، ٤١.

(٣) انظر الماوردي، نصيحة الملوك، ١٩١.

مختلفة، وقد تتوحد في ولاية واحدة، وهذا التقسيم كان يخضع للتغيير في غالب الأحيان.

كما أن قوة الوالي أو ضعفه كان لها دور في مدّ سلطان ولايته إلى أقاليم أكثر نتيجة لتوسعه في الفتوح ولمقدرته على الإدارة.

علاقات الوالي:

١- صلة الوالي بالخليفة وبالولاة الآخرين:

من المعلوم أن الخليفة يعد المسؤول الأول عن شؤون الدولة الإسلامية المختلفة، ولذلك كان من الضروري تنظيم اتصالات رسمية بينه وبين الولاة تخدم الأهداف العامة للدولة الإسلامية، وقد كانت الاتصالات مستمرة بين الخلفاء الراشدين وولاتهم لأغراض مختلفة، منها المناصحة؛ حيث نجد بعض الولاة ينصحون الخلفاء كما فعل أبوعبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل عندما نصحا الخليفة عمر بن الخطاب[١]، كما كان الخلفاء يكتبون إلى ولاتهم بالنصائح العامة، وكان ذلك مستمراً ومشتهراً طيلة عصر الخلفاء الراشدين، وكان الخلفاء عموماً يكتبون بنصائح خاصة لوال معين أو بنصائح عامة ترسل منها نسخة واحدة إلى جميع الولاة[٢].

كما كان الولاة يطلعون الخلفاء على أحوال بلدانهم المختلفة العسكرية منها والمدنية، ويتلقون التعليمات الدقيقة من الخلفاء في كيفية التصرف في بعض المواقف، كما كان الولاة يستشيرون الخلفاء في بعض المسائل الفقهية الشرعية التي

---

(١) الأزدي، فتوح الشام ١٠٠.

(٢) انظر كتاب عثمان إلى ولاته عموماً في: محمد حميدالله، الوثائق السياسية ٥٢٨.

كانت تواجههم، ويطلبون الإجابة من الخليفة على هذه القضايا. ومعروف أن المدينة -وهي العاصمة- كانت تغص بكبار الصحابة، وبالتالي فإن الإجابة على هذه الاستفسارات لا تكون من الخليفة وحده، بل من معظم فقهاء الصحابة في المدينة.

كما كانت الاتصالات تجري بين الولاة بعضهم مع بعض إما بتوجيه من الخلفاء للتعاون في أمور حربية مشتركة أحياناً، وإما بمبادرة من الولاة أنفسهم للتعاون في هذه الجوانب.

وكثيراً ما كان يقع التعاون بين الولايات المتجاورة، فنجد مثلاً أن ولاة البصرة والكوفة يتعاونون في كثير من الفتوح زمن عمر بن الخطاب وزمن عثمان بن عفان[1]، كما تعاون أهل الكوفة مع أهل الشام في فتوح مشتركة.

ويضاف إلى التعاون العسكري تعاون مدني ينتج في كثير من الأحيان عن انتقال بعض الناس من ولاية إلى ولاية، وبالتالي كان يلزم أن تنتقل حقوق هؤلاء الناس من ديوان الولاية الأولى إلى ديوان الولاية الأخرى.

كما أن مقاومة الفتن ومعرفة الرؤوس المحركة للفساد تستلزم في بعض الأحيان تعاوناً بين الولاة، كذلك التعاون الذي حدث بين معاوية بن أبي سفيان وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد ووالي الكوفة (سعيد بن العاص) في متابعة رؤوس الفتنة الذين نقموا على عثمان، وتسببوا في مقتله فيما بعد، حيث تعاون هؤلاء الولاة في التضييق عليهم وترحيلهم من ولاية إلى أخرى في محاولة منهم لإفساد ما كانوا يخططون له[2].

---

(١) انظر البلاذري، فتوح البلدان، ٢٩٩، ٣٣٠، ٣٢٣.

(٢) انظر ص ٢٨٣ من هذا الكتاب.

وقد كانت وسائل الاتصال بين الخليفة والولاة وبين الولاة بعضهم مع بعض تتم بعدة طرق، منها الاتصال الشخصي، وذلك باجتماع الحج العام كما كان متبعاً زمن عمر وعثمان رضي الله عنهما، أو بزيارة فردية للمدينة كالزيارات التي قام بها مجموعة من الولاة للمدينة طيلة عصر الخلفاء الراشدين، وهذه تكون في الغالب بطلب مباشر من الخليفة.

وقد يكون الاتصال بين الخليفة والولاة وبين الولاة بعضهم مع بعض بوساطة المراسلة التي يحملها البريد، حيث أن البريد الذي يحمل الرسل بين الولاة والخليفة كان معروفاً زمن الخلفاء الراشدين وكان شبه منظم، إلا أنه على ما يبدو لم يكن له موظفون مختصون، وإنما ينتدب أناس لحمله، وكان يحمل البريد من الوالي إلى الخليفة، يحمل مكاتيب الناس ورسائلهم من الأمصار إلى المدينة سواء الكتب الموجهة إلى الخليفة أو الموجهة لأناس آخرين في المدينة[١]. وقد عرف موضع في الكوفة زمن عمر بن الخطاب بأنه دار البريد، حيث كان من يحمل البريد من الخلفاء أو الأمراء يترل فيها[٢].

كما كان يتم الاتصال أحياناً بين الولاة بعضهم مع بعض عن طريق مندوبين يحملون رسائل شفوية، أو تعليمات من وال إلى آخر، أو من الخليفة إلى أ حد الولاة.

اتصالات الوالي بالرعية:

كانت الرعية في الولايات المختلفة على اتصال دائم بالولاة، وينقسم الرعية

---

(١) انظر عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٢/٧٦١.

(٢) الكتاني، التراتيب الإدارية، ج١/١٩٢.

الذين كانوا تحت سلطة الولاة إلى قسمين: مسلمين وأهل ذمة. وبالتأكيد فإن اتصال الوالي بكلا الطرفين كانت له وسائل خاصة بكل طرف على حدة.

فأما المسلمون في الأقاليم التابعة للولاية، فإما أن يكونوا في بلد الوالي نفسه وهي عاصمة الولاية، وإما أن يكونوا في بلد آخر غيرها، فالرعية الذين يقيمون في بلد الوالي يكون الاتصال بهم سهلاً وميسراً حيث توجد عدة طرق للاتصال بين الوالي وبين الناس، ومن أهم هذه الطرق:

١- **المسجد**: حيث يعد من أهم أسباب الاتصال بين الرعية وبين الوالي، إذ الوالي هو إمام الصلاة في المسجد الكبير في البلد، وبالتالي فإنه عن طريق الخطبة أو الحديث للمسلمين قبل الصلاة أو بعدها يستطيع أن يحدثهم بما يريده من أخبار أو تعليمات، سواء كانت من قبله أو من قبل الخليفة، كما أن صلاة الوالي بالمسلمين خمس مرات في اليوم تتيح له ولهم الاتصال ببعضهم البعض وإبداء الملاحظات من الوالي أو تقديم الشكاوى أو الاقتراحات من قبل الناس.

كما أن الوالي يجتمع بالناس في المسجد في غير الأوقات الخمسة، حيث كانت تلقى الدروس الدينية ويتلى القرآن في المساجد من قبل الولاة أو على أيدي أناس آخرين معلمين للناس، وكثيراً ما كان الولاة يحضرون هذه الدروس ويتيسر للناس الاتصال بهم.

وفي وقت الحاجة إلى إلقاء تعليمات جديدة وعاجلة أو وصول خطاب مهم من الخليفة، فإن الولاة يعمدون إلى جمع الناس في المسجد في غير أوقات الصلاة، حيث ينادون لذلك الاجتماع ويطرحون عليهم هذه المعلومات الجديدة، ومعظم كتب الخلفاء إلى الرعية في الولايات كانت تقرأ عليهم بهذه الطريقة بمجرد وصولها إلى الولاة.

ب- مجالس الولاة:

كان للولاة بيوت يسكنون فيها، وهي في الغالب بجوار المسجد، خصوصاً في الأمصار التي بنيت حديثاً في عصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد كان الولاة يجلسون فيها ويستقبلون الناس، وقد كان المجال مفتوحاً للناس عموماً لحضور مجالس الوالي دون تمييز بينهم، غير أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لاحظ تكاثر الناس على مجالس الأمراء، حتى إن أهل التقوى والقرآن لا يتمكنون من أخذ مجالسهم بيسر وسهولة، إذ يزاحمهم عليها عوام الناس، فكتاب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الاشعري: (بلغني أنك تأذن للناس جميعاً غفيراً، فإذا جاءك كتابي هذا فأذن لأهل الشرف وأهل القرآن والتقوى والدين، فإن أخذوا مجالسهم فأذن للعامة)[1]، ولم يقصد عمر بهذا الكتاب التفريق بين الناس في المعاملة، بل السعي إلى مصلحة المسلمين؛ لأن هذه المجالس في الغالب تناقش أحوال الأمة وأمور الولاية، فحضور أهل القرآن والدين والاستماع إلى آرائهم وأقوالهم فيه مصلحة عظيمة للأمة، لأنهم أعلم الناس بالشريعة وأمور الدين، والمجال في مناقشة الآراء في المجالس يجب أن يترك لهم بالدرجة الأولى، بل يجب أن ينطلق منهم لمعرفتهم العامة بأمور الدين والدنيا.

وإلا فإن عمر في كتب متعددة كان يحث الولاة والأمراء على إدناء الضعفاء والانبساط لهم وتيسير دخولهم على الولاة دون حجاب ولا حرّاس[2].

وقد كان بعض الولاة لهم مجالس ليلية خاصة للسمر وتبادل الأحاديث

---

(١) ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ١٣٠.

(٢) انظر ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ والحياة الدستورية، ٥٥٨.

يحضرها كبار رجال الولاية، وكان من هؤلاء سعيد بن العاص في الكوفة، حيث أنه لما قدم (سعيد بن العاص الكوفة فجعل يختار وجوه الناس يدخلون عليه ويسمرون عنده)[١].

وقد كان اجتماع الناس عند سعيد بن العاص ليلاً، وقد حاول بعض أصحاب الفتن -وكانت في بدايتها- إحداث المشاكل في مجلس سعيد، وتمكنوا من ذلك في إحدى الجلسات، حيث قاموا بضرب بعض الناس في مجلس الوالي فثارت المشاكل في الكوفة نتيجة لذلك[٢].

ولاشك أن بقية الولاة كانت لهم مجالس خاصة يجتمع فيها الناس حولهم. وعلى ما يبدو، فإن الأمراء كانوا يختلفون في التوقيت لهذه المجالس. وعلى العموم فإن مجالس الولاة طيلة عصر الخلفاء الراشدين لم يكن لها حجاب ولا بوابات، بل كان الناس في الغالب يتمتعون بآداب جمة، حيث أنهم يعرفون الأوقات المناسبة للوالي، فلا يستأذنون عليه إلا في تلك الأوقات المتعارف عليها أدبياً إلا في وقت الضرورة القصوى وما لا يحتمل الانتظار. وإضافة إلى ذلك فقد كان الولاة يلتقون بالناس في الأسواق، حيث كان الولاة يتجولون فيها ليتفقدوا أحوالها وأحوال الناس، وكانوا يختلطون بالناس في الأسواق دون تمييز، حتى إن الغريب عن البلد لا يعرف الوالي، كما حدث لسلمان الفارسي حيث حمَّله غريب متاعه ظناً منه أنه حمّال -وقد سبق أن ذكرنا القصة. وقد كان الولاة يشترون حاجاتهم

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٥/٨٨.

(٢) المصدر السابق، المكان السابق، المحب الطبري، الرياض النضرة، ج٢/١٨٥، المالقي الأندلسي، التمهيد والبيان، ٥٦.

من السوق بأنفسهم في كثير من الأحيان، وبالتالي فإن ذلك يزيد من اختلاطهم بالناس وييسر الاتصال بهم.

كما كان الولاة يقومون بزيارات خاصة إلى بعض الناس في منازلهم، إما في زيارات عادية، أو مناسبات خاصة كمناسبات الزواج أو التعزية أو زيارة المرضى وغير ذلك من الزيارات التي تتيح المجال للقاء الوالي بأفراد من الرعية.

وأما المسلمون في الأقاليم الأخرى التابعة للولاية، فإن الوالي يتصل بهم إما بأن يسافر بنفسه إلى تلك الأقاليم ويلقي عليهم التعليمات ويستمع إلى أمورهم المختلفة، وإما بأن يأتي الناس إليه في مقر الإمارة عند الحاجة، وإما أن يكتب إليهم عما يريده من تعليمات ويقوم نوّابه عليهم بقراءة تلك الكتب على الناس وتوصيل تعليماته وأخباره إليهم.

وبالنسبة لأهل الذمة فقد كان أمر الاتصال بينهم وبين الولاة مختلفاً، إذ أنهم يستطيعون أن يلتقوا بالأمير في السوق، أو في منزله، فيقدمون إليه الشكاوى أو يتلقون منه التعليمات، كما قد يصدر الولاة بعض التعليمات العامة إلى الذميين ويقدمونها إلى زعماء هؤلاء الأقوام، سواء أكانوا دهاقين أم مرازبة في فارس والعراق، أم رؤساء الكنائس والزعماء الدينيين في الشام ومصر، وبالتالي فإن هؤلاء يوصلون هذه التعليمات إلى أقوامهم، كما كان هؤلاء الزعماء ينقلون الشكاوى والتظلمات الجماعية من قومهم إلى الولاة نيابة عن أولئك القوم ويتحدثون باسمهم في كثير من الأحيان.

أوقات عمل الوالي:

كان الولاة في الغالب يقيمون في المدن الرئيسة في ولاياتهم وهي عاصمة الولاية وبها دواوين الولاية، وبيت مالها، وهي مركز أجنادها الرئيس، وكانوا

يتخذون لهم دوراً تكون في الغالب بجوار المسجد وتسمى (دار الإمارة)[1] وقد عرفت هذه الدار في كل من البصرة والكوفة والفسطاط وغيرها.

وكان الولاة من هذه الدار ومن المسجد ومن الأسواق يديرون دفة العمل بالولاية ويقومون بأعمالها في أوقات مختلفة.

ولم يكن هناك تنظيم دقيق لوقت العمل في ذلك الزمن، فقد كان الخليفة والولاة يعملون في جميع الأوقات، وليس عليهم حجاب، حتى إن بعضهم يقوم بالتجول ليلاً، وقدوتهم في ذلك عمر بن الخطاب الذي اشتهر بالمشي ليلاً وتفقد المدينة، وقد كان الناس يدخلون على الولاة في مختلف الأوقات ويقضون حاجاتهم دون أن يجد الناس من يمنعهم من الدخول على الولاة بحجة أن ذلك الوقت ليس وقت عمل، وقد اشتهر الولاة -مع بساطة إدارتهم للولاية- بحرصهم على إنجاز الأعمال أولاً بأول وعدم تأخيرها، وقد كتب عمر بن الخطاب في هذا الشأن إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما قائلاً: (لا تؤخر عمل اليوم إلى الغد، فتدال عليك الأعمال فتضيع، وإن للناس لنفرة عن سلطانهم، أعوذ بالله أن تدركني وإياكم ضغائن محمولة ودنيا مؤثرة وأهواء متبعة)[2].

وقد كان بعض الولاة لا يتخذ لداره باباً، وإنما كان بابه مفتوحاً للناس طوال الوقت، حتى إن عمر بن الخطاب غضب على سعد بن أبي وقاص حينما وضع على داره باباً، فأرسل محمد بن مسلمة ليحرق الباب، كما سبق أن ذكرنا.

---

(١) توفيق برو، الدولة العربية الكبرى في صدر الإسلام والخلافة الأموية، حلب ١٩٧٣م، ص ٢٦٢.

(٢) ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ١٢٩.

كما اشتهر عن الوليد بن عقبة والي عثمان على الكوفة أنه لم يكن لداره باب وأنه كان يستقبل الناس في جميع الأوقات[١]. وهذا يدل على تمتع الناس بحرية مراجعة الأمير من غير حرج متى ما أرادوا ذلك لحاجة.

مراقبة الولاة ومحاسبتهم:

لقد أشعر الإسلام الناس بمسؤولياتهم الأولى عن أنفسهم وبمراقبتهم لأنفسهم أولاً خشية من الله تعالى، الذي يراقب الناس ويعلم ما يأتون به من أعمال ظاهرة وباطنة ﴿**وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ**﴾[٢] الآية ﴿**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾[٣] ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾[٤] إلى غير ذلك من الآيات التي تشعر المسلم بمراقبة الله له. وكان الولاة يشعرون بمراقبة الله لهم، وهي أعظم مراقبة واقعة عليهم، وبالتالي يتقون الله فيما يأتون من أعمال أو أقوال كما وردت أحاديث خاصة بالولاة تحذرهم من الظلم، وأنهم سيعرضون على الله يوم القيامة، فقد روى أبو هريرة عن ﷺ أنه قال: "ما من أمير عشيرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه أطلقه الحق أو أوثقه"[٥].

ومع هذه التحذيرات الشرعية، فإن الخلفاء كانوا يراقبون ولاتهم ويحاسبونهم على أعمالهم اقتداءً برسول الله ﷺ (فقد كان رسول الله ﷺ يستوفي الحساب على

---

(١) انظر ص ٢٦٨ من هذا الكتاب.

(٢) سورة النحل آية ١٩.

(٣) سورة غافر آية ١٩.

(٤) سورة ق آية ١٦.

(٥) الدارمي، سننه، ج٢/٢٤٠.

عماله يحاسبهم على المستخرج والمصروف) كما في الصحيحين أن النبي ﷺ استعمل رجلاً على الصدقات فلما رجع حاسبه، فقال: هذا لكم، وهذا أهدي إلي. فقال النبي ﷺ: ما بال الرجل نستعمله على العمل مما ولاّنا الله، فيقول: هذا لكم وهذا أهدي إليّ؟ أفلا قعد في بيت أبيه وأمه فنظر أيهدى إليه أم لا؟ والذي نفسي بيده لا نستعمل رجلاً على العمل مما ولاّنا الله، فيغل منه شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته، إن كان بعيراً له رغاء، وإن كانت بقرة لها خوار، وإن كانت شاة تيعر. ثم رفع يديه إلى السماء، وقال: اللهم هل بلغت.. قالها مرتين أو ثلاثاً(١).

وقد سار الخلفاء على هذا النهج في محاسبة الولاة والعمال، وقد كانت تسبق المحاسبة مراقبة دقيقة للعمال، وقد تحدثنا سابقاً عن طريقة كل خليفة في مراقبة عمّاله وتتبع أحوالهم(٢). ويمكننا أن نلخص أهم هذه الطرق التي سار عليها الخلفاء في مراقبة العمال على النحو الآتي:

١- المراسلة مع الولاة، وطلب التقارير منهم عن أحوال رعيتهم وأحوال بلادهم، وقد اشتهرت هذه الطريقة خلال عصور الخلفاء الراشدين الأربعة، وكانت بالأحرى أهم الطرق خلال عصري أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

٢- سؤال القادمين من الأمصار والولايات إلى مقر الخلافة عن أحوال ولاياتهم وعمل أمرائهم فيهم وتعد هذه الطريقة من أيسر الطرق، حيث أنها لا

---

(١) ابن القيم، الطرق الحكمية، ٢٤٨.

(٢) انظر إلى أواخر الفصول ٤،٣،٢،١.

تكلف الخلفاء كثيراً، كما أنها تأتي في كثير من الأحيان دون ترتيب مسبق، وقد اشتهر عن الخلفاء الأربعة عملهم بهذه الطريقة، وكان وجود الخليفة في المدينة المنورة خلال عصور الخلفاء الثلاثة الأول مما يساعد الخليفة؛ نظراً لكثرة الوافدين إلى المدينة للزيارة، وخصوصاً أثناء موسم الحج.

٣- حضور الخلفاء لموسم الحج، وبالتالي كانوا يلتقون بالحجاج من الأمصار المختلفة ويسألونهم عن عمالهم وأمرائهم ويستقصون أحوالهم، كما أنهم خلال الموسم يلتقون بالأمراء أنفسهم ويناقشونهم ويسألونهم ويحاسبونهم على مرأى ومسمع من حجّاج بلدانهم مما يهيئ الوضع أكثر لمعرفة أدق الأحوال عن الولاية بحضور الأمراء والرعية. وقد كثرت هذه الطريقة خلال عصر عمر وعثمان رضي الله عنهما، وتكاد لا تذكر خلال عصر أبي بكر رضي الله عنه.

٤- طلب الموفدين من الولايات لسؤالهم عن أمرائهم وولاتهم، وقد كان الخلفاء في كثير من الأحيان يطلبون من الولاة أن يبعثوا إليهم بأناس من أهل البلاد ليسألوهم[١] وقد تكرر ذلك من عمر رضي الله عنه ومن عثمان ومن علي، أما أبوبكر فكان مشغولاً بأمور جهادية منعته من ذلك، كما كان لقصر مدة خلافته دور في قلة هذه الحوادث عنده.

٥- استقدام الوالي وسؤاله عن أحوال ولايته، وقد حدث ذلك خلال مواسم الحج في خلافة عمر وعثمان، كما حدث ذلك في خلافتهما في غير مواسم الحج لأمور مهمة أو لشكاوى قدّمت في الولاة استوجبت استدعاءهم ومساءلتهم

(١) انظر: أبو يوسف، الخراج ٤٠، ٤١، الطبري، تاريخه، ج٤/٢١١.

ومحاسبتهم. وقد كان عمر بن الخطاب يراقب ولاته القادمين إلى المدينة في لباسهم وطعامهم؛ فقد انتقد أحد الولاة حينما رآه قد صبغ شعره بالسواد، كما قدم إليه طعاماً غليظاً لينظر أيأكله أم أنه اعتاد على لين الطعام(١) .

٦- السفر إلى الولايات والاطلاع على أحوالها مباشرة، وسؤال الناس عن ولاتهم، بل ومباغتة الولاة في ولايتهم دون إشعار مسبق. وقد اختص بذلك عمر ابن الخطاب حيث سافر إلى الشام عدة مرات في مهمات عديدة، وباغت بعض الولاة دون أن يعلموا بقدومه(٢) وكان ينوي أن يزور جميع الولايات، إلا أنه استشهد رحمه الله قبل أن يقوم بذلك، يقول عمر بن شبة: (قال عمر رضي الله عنه: لئن عشت -إن شاء الله- لأسيرن في الرعية حولاً، فإني أعلم أن للناس حوائج تقطع دوني أما هم فلا يصلون إليّ، وأما عمّالهم فلا يرفعونها إليّ فأسير إلى الشام فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى الجزيرة فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى البحرين فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى الكوفة، فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين. والله لنعم الحول هذا)(٣).

كما أن عثمان رضي الله عنه كان يزور مكة في موسم الحج ويطلع على أحوالها، وقد زار علي رضي الله عنه البصرة عدة مرات أثناء إقامته بالكوفة، واطلع على أحوالها، وسأل أهلها عن ولاتها، أما أبوبكر فكانت معظم إقامته في

---

(١) ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ١٧٩ و ١٨٠، ابن الجوزي، مناقب عمر، ١٤٧.

(٢) انظر: عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/٨٣٢.

(٣) تاريخ المدينة، ج٣/٨٢١.

المدينة سوى خروجه إلى نواحي نجد في بعض الغزوات[١].

٧- إرسال المفتشين إلى الولايات. وقد اشتهر هذا الأسلوب خلال عصر عمر، وعثمان وعلي رضي الله عنهم، حيث اشتهر عمر بوجود المفتش الرسمي للخليفة (محمد بن مسلمة) الذي بعثه عمر في عدة مهمات تفتيشية وتأديبية للولايات[٢]، كما أن عثمان رضي الله عنه بعث بالعديد من المفتشين إلى عدد من الولايات، للاطلاع على أحوالها ومعرفة ما يشاع عن ولاته من ظلم للرعية، وقد جاءه أولئك المفتشون بتقارير وافية عن أحوال أولئك الولاة[٣].

٨- وجود أناس من أهل البلاد يكتبون إلى الخليفة بأخبار الولاة وما يقومون به من أعمال، وقد كان الولاة في عصر عمر يشكون في أنه قد وضع عليهم عيوناً[٤]، نظراً لأن أخبارهم تصل الخليفة أولاً بأول، وقد اشتهر في عصر عمر أن حملة البريد قبل توجههم من الأمصار إلى المدينة يسألون الناس عن من يريد أن يكتب إلى المدينة[٥] عموماً، وإلى الخليفة خصوصاً فيحملون معهم الرسائل من الأمصار إلى المدينة، وهذه الرسائل -بلا شك- كانت لا تخلو من معلومات عن الولاة، وأخبار موجهة إلى الخليلفة من قبل مراقبين للولاة محددين أو متطوعين.

---

(١) الطبري، تاريخه، ج٣/٢٢٤.

(٢) انظر: ص ٢٩٢ من هذا الكتاب. وانظر ما كتبه ظافر القاسمي في نظام الحكم في الشريعة والتأريخ الإسلامي، ص ٢٠٥.

(٣) انظر: ص ٢٩٢ من هذا الكتاب.

(٤) محمد عبدالقادر خريسات، عمر بن الخطاب والولاة، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٢٥، ص ١٦٨.

(٥) انظر: عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٢/٧٦١.

تأديب الولاة:

أثناء متابعة الخلفاء لولاهم لاحظوا وجود بعض الأخطاء التي وقع فيها الولاة، وبالتالي وجبت محاسبتهم على هذه الأخطاء التي وقعوا فيها تأديباً لهم وأخذاً للحقوق الواجبة عليهم، وقد اختلفت طرق تأديب الولاة حسب اختلاف الأحداث وحسب ما يراه الخليفة في هذا الوضع، ومن أهم أساليب تأديب الولاة:

١- القود من الأمراء والاقتصاص منهم فيما لو أخطأوا، فقد ورد أن رجلاً اشتكى أحد ولاة أبي بكر بأنه قطع يده في سرقة ظلماً، فغضب أبوبكر لذلك، وهدد بالقصاص من الوالي إن ثبتت صحة الشكوى، إلا أن ذلك الرجل أقدم على السرقة من بيت أبي بكر رضي الله عنه، فعلم أبوبكر أن الوالي أقام عليه الحد بالحق[١] ، كما كان عمر رضي الله عنه يقول: (ألا وأني لم أرسل عمالي ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أمواكم، ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم، فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إليّ. فوالذي نفسي بيده إذن لأقصنه، فوثب عمرو بن العاص، فقال: يا أمير المؤمنين، أفرأيت إن كان رجل من المسلمين على رعيته فأدب بعض رعيته إنك لمقصه منه؟ قال عمر: أي والذي نفس عمر بيده إذن لأقصنّه، أنا لأقص منه؟ وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص عن نفسه[٢].

ولم يكتف عمر بالبيانات الرسمية التي تهدد الولاة وتمنعهم من الاعتداء على الناس، بل إنه طبق ذلك عملياً، فقد روى (جرير بن عبدالله البجلي أن رجلاً كان

---

(١) الشافعي، الإمام محمد بن إدريس، الأم، القاهرة، ١٣٨٨هـ، ج٦/١٣٨.

(٢) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/٨٠٧.

مع أبي موسى الأشعري، وكان ذا صوت ونكاية في العدو فغنموا مغنماً فأعطاه أبو موسى بعض سهمه فأبى أن يقبله إلا جميعاً، فجلده أبو موسى عشرين سوطاً وحلقه، فجمع الرجلُ شعره، ثم ترحل إلى عمر بن الخطاب، حتى قدم عليه فدخل على عمر بن الخطاب، قال جرير: وأنا أقرب الناس من عمر بن الخطاب ثم قال: أما والله لولا النار، فقال عمر: صدق والله لولا النار، فقال: يا أمير المؤمنين إني كنت ذا صوت ونكاية فأخبره بأمره، وقال: ضربني أبو موسى عشرين سوطاً، وحلق رأسي وهو يرى أنه لا يقتص منه، فقال عمر رضوان الله عليه: لأن يكون الناس كلهم على صرامة هذا أحب إلي من جميع ما أفاء الله علينا. فكتب عمر إلى أبي موسى: سلام عليك، أما بعد، فإن فلاناً أخبرني بكذا وكذا فإن كنت فعلت ذلك في ملأ من الناس فعزمت عليك لما قعدت له في ملأ من الناس حتى يقتص منك، وإن كنت فعلت ذلك في خلاء من الناس، فاقعد له في خلاء من الناس حتى يقتص منك فقام الرجل فقال له الناس: اعف عنه، فقال: لا والله لا أدعه لأحد من الناس، فلما قعد أبو موسى ليقتص منه، رفع الرجل رأسه إلى السماء ثم قال: اللهم إني قد عفوت عنه)[١].

كما ادعى رجل عند عمر بن الخطاب أن عمرو بن العاص وصفه بالمنافق فكتب عمر إلى عمرو بن العاص: أما بعد، فإن فلاناً ذكر أنك نفّقتَه، وقد أمرته إن أقام عليك شاهدين أن يضربك أربعين، فقال: أنشد الله رجلاً سمع عمراً نفّقني إلا قام فشهد، فقام عامة من في المسجد. ثم قيل له: أتريد أن تضرب الأمير؟ وعرض عليه المال، فقال: لو ملأت لي هذه الكنيسة ما قبلت، فقيل له: أتريد أن

(١) عمر به شبة، تاريخ المدينة، ج٣/٨٠٨، ٨٠٩، ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ٩٥.

تضربه. فقال: ما أرى لعمر ههنا طاعة. فلما ولى قال عمرو بن العاص: ردوه. ثم أمكنه من السوط وجلس بين يديه، فقال الرجل: أتقدر أن تمنع عني بسلطانك؟ قال: لا، فامض لما أمرت به، قال: فإني قد عفوت عنك[١].

وأما في الحدود الشرعية، فقد نظر الخلفاء الراشدون إلى الولاة كما ينظرون إلى العامة، وأقاموا عليهم الحدود دون تمييز، فقد قام عمر بن الخطاب بجلد قدامة بن مظعون حد الخمر بعد اكتمال شروط الحد[٢]، كما قام عثمان رضي الله عنه بجلد الوليد بن عقبة حد الخمر بعد اكتمال شروطه[٣] بغض النظر عن صدق الشهود من عدمه، كما ألزم عمر أحد الأمراء بدفع دية رجل مات بسبب تصرف الأمير؛ فقد روى ابن شبة قال: (خرج جيش في زمن عمر رضي الله عنه نحو الجبل، فانتهوا إلى نهر ليس عليه جسر، فقال أمير ذلك الجيش لرجل من أصحابه: انزل فابغنا مفازة نجوز فيها، وذلك في يوم بارد شديد البرد، فقال الرجل: إني أخاف إن دخلت الماء أن أموت، فأكرهه. فقال: يا عمراه يا عمراه، ثم لم يلبث أن هلك فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه وهو في سوق المدينة. فقال: يا لبيكاه يا لبيكاه وبعث إلى أمير ذلك الجيش فنزعه، وقال له: لولا أن تكون سنة لأقدت منك، لا تعمل لي عملاً أبداً)[٤] ثم أمر بدفع ديته إلى أهله[٥].

٢- عزل الوالي نتيجة وقوعه في الخطأ (وقد يعزر بعزله عن ولايته كما كان

---

(١) عمر به شبة: تاريخ المدينة، ج٣/٨١٣.

(٢) انظر: ص ١٠٠ من هذا الكتاب.

(٣) انظر: ص ٢٧٥ من هذا الكتاب.

(٤) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٣/٨١٣.

(٥) انظر: ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ١٢٠.

النبي ﷺ وأصحابه يعزرون بذلك، وقد يعزر بترك استخدامه في جند المسلمين، كالجندي المقاتل إذا فر من الزحف، فإن الفرار من الزحف من الكبائر، وقطع خبزه نوع تعزير له، وكذلك الأمير إذا فعل ما يستعظم فعزله من الإمارة تعزيز له)[١]. وقد كان عمر يردد (هان عليّ شيء أصلح به قوماً أن أبدلهم أميراً مكان أمير)[٢]. وقد قام رضي الله عنه بعزل بعض الولاة نتيجة لوقوعهم في أخطاء لا يرتضيها، روي أن عتبة بن فرقد بعث إلى عمر بن الخطاب بأربعين ألف درهم صدقة الخمر، فكتب إليه عمر: بعثت إلي بصدقة الخمر، وأنت أحق بها من المهاجرين وأخبر الناس بذلك، فقال: والله لا استعملتك على شيء بعدها[٣].

وقد اعتدى أحد أمراء عمر على أحد المهاجرين في العراق وحلق لحيته، فشكاه إلى عمر فعزله، وقال: والله لولا أن تكون سنة ما تركت في لحيتك طاقة إلا نتفتها، ولكن اذهب فوالله لا تلي لي عملاً أبداً[٤]. كما قام عمر بعزل أحد الأمراء نتيجة تدخله فيما لا يعنيه من شؤون أجناده، حيث بعثه على جيش. فلما نزل بهم قال: عزمت عليكم لما أخبرتموني بكل ذنب أذنبتموه فجعلوا يعترفون بذنوبهم، فبلغ ذلك عمر، فقال: ما له لا أم له؟ يعمد إلى ستر ستره الله فيهتكه؟ والله لا يعمل لي عملاً أبداً[٥].

كما غضب عمر من أحد الولاة حينما بلغه بعض شعره وهو يتمثل فيها بالخمر فعزله[٦].

---

(١) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ١١٢، ١١٣.

(٢) عمر بن شبة، تاريخ المدينة ج٣/٨٠٥.

(٣) القاسم بن سلام، الأموال ص ٦٣،٦٤.

(٤) عمر بن شبة، تاريخ المدينة ج٣/٨١٣.

(٥) عمر بن شبة، تاريخ المدينة ج٣/٨١٨.

(٦) ابن تيمية السياسة الشرعية، ص ١٠٥.

وأما عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقد جرت في عهده بعض حوادث العزل للولاة عقوبة لهم، فقد عزل سعد بن أبي وقاص عن ولاية الكوفة نتيجة شجار قام بينه وبين عبدالله بن مسعود رضي الله عنهما، كما قام عثمان بعزل الوليد بن عقبة عن ولاة الكوفة بعد أن أقيم عليه حد الخمر[١].

كما أن عثمان عاقب عبدالله بن مسعود بعد نزاعه مع سعد رضي الله عنهما، بإقراره في الولاية، وكان يكره البقاء فيها[٢].

٣- إتلاف شيء من مساكن الولاة، وهو ما يقع فيه المخالفة، فقد كان عمر رضي الله عنه يحرص على أن تكون بيوت الولاة بدون أبواب، وبدون حجاب، فلما بلغه عن سعد بن أبي وقاص أنه قد صنع باباً لداره، بعث إليه محمد بن مسلمة وأمره بإحراق ذلك الباب.

كما روى ابن شبة، قال: استعمل عمر (مجاشع بن مسعود)[٣] على عمل فبلغه أن امرأته تجدد بيوتها، فكتب إليه عمر: (من عبدالله أمير المؤمنين إلى مجاشع بن مسعود سلام عليك، أما بعد، فقد بلغني أن الخضيراء[٤] تحدث بيوتها، فإذا أتاك كتابي هذا فعزمت عليك ألا تضعه من يدك حتى تهتك ستورها. قال: فأتاه الكتاب والقوم عنده جلوس فنظر في الكتاب، فعرف القوم أنه قد أتاه بشيء يكرهه، فأمسك الكتاب بيده ثم قال للقوم، انهضوا فنهضوا. ولا والله ما يدرون

---

(١) انظر: ص ٢٧٥ من هذا الكتاب.

(٢) انظر: ص ٢٦٥ من هذا الكتاب.

(٣) مجاشع بن مسعود بن ثعلبة السلمي صحابي له رواية في الصحيحين اشترك في فتوح كابل توفي يوم الجمل (ابن الأثير، أسد الغابة ج٤/٣٠٠، ابن حجر، الإصابة ج٣/٣٦٢).

(٤) امرأة مجاشع.

إلى ما ينهضهم، فانطلق بهم حتى أتى باب داره فدخل فلقيته امرأته فعرفت الشر في وجهه، فقالت له: ما لك؟ فقال: إليك عني قد أرمضتني[١]، فذهبت المرأة، وقال للقوم ادخلوا، فدخل القوم، فقال: فليأخذ كل رجل منكم ما يليه من هذا النحو واهتكوا، قال فهتكوا جميعاً حتى ألقوها إلى الأرض والكتاب في يده لم يضعه بعد)[٢].

وفي أثناء زيارة عمر إلى الشام دعاه يزيد بن أبي سفيان إلى الطعام، فلما دخل عمر البيت وجد فيه بعض الستائر، فأخذ عمر يقطعها، ويقول: ويحك أتلبس الحيطان ما لو ألبسته قوماً من الناس لسترهم من الحر والبرد[٣].

٤- التأديب بالضرب، وأكثر من كان يستعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث اشتهر عنه حمل الدرة، وضربه بها. وقد ضرب بعض الولاة بسبب حوادث اقترفوها. ففي أثناء زيارة عمر إلى الشام دخل على بعض ولاته فوجد عندهم بعض المتاع الزائد، فغضب عمر وأخذ يضربهم بالدرة[٤]، كذلك اشتهر عمر وعثمان بإقامة الحدود على الولاة، ومن جملتها الجلد خصوصاً في حد الخمر. كما كان عمر يستدعي بعض الولاة إلى المدينة ويقوم بضربهم أحياناً وهو يحدثهم إذا كان مستاء من تصرفهم[٥].

---

(١) أوجعتني وأغضبتني (ابن منظور، لسان العرب ج٧/١٦١).

(٢) عمر بن شبة، تاريخ المدينة ج٣/٨١٩.

(٣) المصدر السابق ج٣/٨٣٢.

(٤) عمر بن شبة، تاريخ المدينة ج٣/٨٣٤.

(٥) المصدر السابق ج٣/٨١٢.

وفي أثناء زيارة عمر إلى الشام لقيه الأمراء (فكان أول من لقيه يزيد بن أبي سفيان، وأبا عبيدة، ثم خالد على الخيول، عليهم الديباج والحرير فترل وأخذ الحجارة ورماهم بها وقال: ما أسرع ما رجعتم عن رأيكم، إياي تستقبلون في هذا الزي، وإنما شبعتم مذ سنتين وبالله لو فعلتم هذا على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم. فقالوا يا أمير المؤمنين، إنها يلامقة وإن علينا السلاح، قال: فنعم إذن)[١].

و لم يكتف عمر بتأديب الولاة، بل إنه شمل كُتّاب الولاة بالتأديب، فقد روي "أن كاتباً لأبي موسى كتب إلى عمر بن الخطاب من (أبو) موسى، فكتب عمر: إذا أتاك كتابي هذا فاضرب كاتبك سوطاً واعزله عن عملك[٢].

٥- خفض الرتبة من وال إلى راعي غنم، وقد استعملها عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أحد ولاته، روى ابن شبة (أن عمر رضي الله عنه استعمل عياض بن غنم على الشام، فبلغه أنه اتخذ حماماً واتخذ نواباً)[٣]، فكتب إليه أن يقدم عليه، فقدم فحجبه ثلاثاً، ثم أذن له ودعا بجبة صوف، فقال: البس هذه، وأعطاه كنف الراعي[٤] وثلاثمائة شاة، وقال: انعق بها، فنعق بها فلما جازه هنيهة. قال: أقبل، فأقبل يسعى حتى أتاه، فقال: اصنع بها كذا وكذا، اذهب فذهب، حتى إذا تباعد ناداه: يا عياض، أقبل، فلم يزل يردده حتى عرّقه في جبته، قال:

---

(١) الطبري، تاريخه ج٤/١٥٨، ابن الأثير الكامل ج٢/٥٠٠، النويري، نهاية الأرب ج٩/١٧٢.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ٣٤١.

(٣) نواباً أي جماعة من الناس يختصون بالزيارة والمسامرة دون غيرهم (ابن منظور، لسان العرب ج١/٧٧٤).

(٤) (كنف الراعي) وعاء يحفظ فيه الراعي متاعه وأدواته ليسهل حفظها وحملها (ابن منظور، لسان العرب ج٩/٣١٠، الزبيدي، تاج العروس ج٦/٣٩).

أوردها عليّ يوم كذا وكذا، فأوردها لذلك اليوم، فخرج عمر رضي الله عنه، فقال: انزع عليها فاستقى حتى ملأ الحوض فسقاها، ثم قال: انعق بها، فإذا كان يوم كذا فأوردها، فلم يزل يعمل به حتى مضى شهران أو ثلاثة، ثم دعاه فقال: هيه، اتخذت نواباً واتخذت حماماً. أتعود؟ قال: لا قال ارجع إلى عملك[١]. وقد كانت نتيجة هذا التأديب أن أصبح عياض بعد ذلك من أفضل عمّال عمر رضي الله عنه[٢].

٦- مقاسمة الولاة أموالهم: وكان تطبيق هذا النظام أمراً احتياطياً في زمن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، حيث شعر عمر بنمو الأموال لدى بعض الولاة، فخشي أن يكون الولاة قد اكتسبوا شيئاً من هذه الأموال بسبب ولايتهم، فأوجد هذا النظام. وقد ذكر في سبب هذه المقاسمة أن أحد المسلمين في بلاد فارس كتب إلى عمر الخطاب أبياتاً يتحدث فيها عن الأمراء، وقال فيها:

أبلغ أمير المؤمنين رسالة ... فأنت ولي الله في المال والأمر

إلى أن يقول في آخرها:

نبيع إذا باعوا ونغزو إذا غزوا ... فأنى لهم مال ولسنا بذي وفر

فقاسمهمو نفسي فداك فإنهم ... سيرضون إن قاسمتهم منك بالشطر[٣]

فبعث عمر إلى عماله يشاطرهم أموالهم، وكان منهم سعد بن أبي وقاص وأبوهريرة وعمرو بن العاص[٤].

---

(١) عمر بن شبة، تاريخ المدينة ج٣/٨١٧ و٨١٨.

(٢) أبو يوسف، الخراج، ١٢٦.

(٣) ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ١٤٧.

(٤) القاسم بن سلام، الأموال ٣٤٢، ابن عبدالحكم، المصدر السابق ١٤٩.

ثم سار عمر هذه الطريقة، (فكان يكتب أموال عماله إذا ولاهم، ثم يقاسمهم ما زاد على ذلك، وربما أخذه منهم)[١].

وقد احتج بعض العمال على عمر من جراء هذه المقاسمة، إلا أن عمر استمر في عمله و لم يأبه باعتراضهم[٢].

٧- التوبيخ الشفوي والكتابي: وقد كان الرسول ﷺ أول من أنّب عاملاً على خطئه، فقد استعمل الرسول ﷺ رجلاً على صدقات إحدى القبائل، فلما جاء العامل وحاسبه الرسول قال: هذا لكم وهذا أهدى إلي، فغضب الرسول ﷺ، وقال: أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً، والله لا يأخذ أحد منكم منها شيئاً بغير حقه إلا لقي الله عز وجل يحمله يوم القيامة[٣].

وقد جرى عمر بن الخطاب على معاتبة الأمراء على تصرفاتهم أثناء اجتماعهم به، حيث أنه عاتب عمرو بن العاص عدة مرات، وعياض بن غنم، وخالد بن الوليد وأبا موسى الأشعري وغيرهم من الأمراء.

وأما المعاتبة الكتابية في خلافة عمر فهي كثيرة، منها أنه كتب إلى أحد الولاة، وكان قدم عليه قوم فأعطى العرب وترك الموالي: (أما بعد فبحسب المرء من الشر

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ٢٢٠، ٢٢١.

(٢) القاسم بن سلام، الأموال ص ٣٤٢، انظر: ابن عبدالحكم المصدر السابق ص ١٤٦-١٤٩، البلاذري، فتوح البلدان ص ٢٢١.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب الأحكام ج٨/١٢١، مسلم، صحيحه كتاب الإمارة ج٦/١١.

أن يحقر أخاه المسلم والسلام)[١].

وقد بعث عتبة بن فرقد -وكان على أذربيجان- بحلوى إلى عمر بن الخطاب فلما نظر إليها قال: ردوها عليه، وكتب إليه: (يا ابن أم عتبة، إنك لتأكل الخبيص من غير كدك ولا كد أبيك)[٢].

وقد قام عمرو بن العاص بإقامة حدّ الخمر على عبدالرحمن بن عمر بن الخطاب في داره فكتب إليه عمر معاتباً: "بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله عمر إلى العاصي ابن العاصي، عجبت لك يا ابن العاص وجراءتك عليّ وخلافك عهدي، فما أراني إلا عازلك، تضرب عبدالرحمن في بيتك وتحلق رأسه في بيتك، وقد عرفت أن هذا يخالفني، وإنما عبدالرحمن رجل من رعيتك، تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين[٣].

كما كتب عمر إلى أبي موســـى في رجل قدم شكوى ضده فأمره عمر بإنصافه[٤].

وقد كان علي رضي الله عنه يكتب إلى ولاته معاتباً إذا أخطأوا، فقد كتب إلى أحد ولاته: أما بعد، فقد بلغني عنك أمراً إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك وعصيت إمامك وأخزيت أمانتك. بلغني أنك جرّدت الأرض فأخذت ما تحت

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان ٤٤٣.

(٢) المصدر السابق ص ٣٢٢. والخبيص: نوع من الحلوى، ابن منظور، لسان العرب ج٧/٢٠).

(٣) المحب الطبري، الرياض النضرة، ج٢/٤٢.

(٤) ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ص ١٣١.

قدميك وأكلت ما تحت يديك. فارفع إليّ الحساب، واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس[١].

كما كتب علي إلى أحد عمّاله في فارس: بلغني عنك أمراً، إن كنت قد فعلته فقد أسخطت إلهك وعصيت إمامك. إنك تقسم فيء المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم، وأريقت عليه دماؤهم، فيمن أتاك من أعراب قومك. فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لئن كان ذلك حقاً لتجدن لك عليّ هواناً، ولتخفن عندي ميزاناً، فلا تسفهن بحق ربك ولا تصلح دنياك بمحق دينك، فتكون من الأخسرين أعمالاً. إلا وإن حق من قبلك وقبلنا من المسلمين في قسمة هذا الفيء سواء، يردون عندي عليه ويصدرون عنه[٢].

كما رويت كتب أخرى لعلي في معاتبة الولاة[٣].

وهكذا نلاحظ أن المعاتبة الشخصية المباشرة أو الكتابية كانت من الأساليب التي عرفت في عصر الخلفاء الراشدين، وأكثر ما حفظ لنا منها ما كان متعلقاً بخلافة عمر وعلي رضي الله عنهما.

ومن هذا كله نجد أن الولاة لم يكونوا بمنأى عن المحاسبة والتأديب بصور مختلفة، ولم تشهد البشرية مثيلاً لها في عدلها وجرأتها، مما جعل هذا العصر الراشدي -بحق- نموذجاً رفيعاً للحضارة الإسلامية بعد عصر الرسالة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٤ تحقيق حسن تميم مكتبة الحياة، بيروت ١٩٥٤م، ص ٧٩٢.

(٢) المصدر السابق ج٤/٨٠١.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص ٧٩٥، ٨٢١.



الخـاتـمة

يتضح لنا من خلال الدراسة السابقة كيف كانت الحالة العامة في الولايات الإسلامية خلال عصر الخلفاء الراشدين، ومقدار الجهود التي بذلها الخلفاء الراشدون لتنظيم الولايات، وحجم المشكلات التي تعرضوا لها في هذه الولايات.

فقد اتضـح لنا أن أبابكر رضي الله عنه قاد الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول ﷺ بعد أن كان الرسول ﷺ قد وضع أسساً تنظيمية للولايات، ووزع عليها الأمراء والقواد والعمال، إلا أن أحوال معظم هذه الولايات قد اضطربت بعد وفاة الرسول ﷺ بتأثير حركة الارتداد، فاضطر أبوبكر رضي الله عنه إلى بذلك الجهود المختلفة لإعادة تنظيم تلك الولايات من جديد، ونجح في ذلك وأخذ يخطط لاستيعاب توسع الدولة الإسلامية، حيث بدأت الفتوح المقرونة بالتنظيم في الوقت نفسه.

وقد نجح أبوبكر في إيجاد ولايات جديدة للدولة الإسلامية في العراق والشام، وتوفي رضي الله عنه و لم يستكمل تنظيمها. وقد قام أبوبكر رضي الله عنه بجميع تلك الأعمال في فترة قياسية، حيث امتدت خلافته سنتين وأقل من أربعة أشهر، وهي فترة قياسية بالنسبة لإنجاز مثل تلك الأعمال.

وحينما جاء عصر عمر رضي الله عنه استفاد من التنظيم السابق للولايات، واستمرت الدولة في التوسع والامتداد، وسيطرت على مناطق أخرى جديدة عملت على تنظيمها كسابقتها، وأقامت الدولة الإسلامية لأول مرة في عصر عمر مدناً إسلامية بالكامل في العراق ومصر، كما بدأت الدولة الإسلامية بالاستفادة من النظم السائدة في الشام وفارس قبل قدوم الإسلام، فنظمت الدواوين، وضبطت قضايا الخراج. ولعل طول فترة خلافة عمر كان لها دور في إبراز

جوانب مهمة في تنظيم الولايات، وطريقة عمر الخاصة في التعامل مع الولاة ومتابعة أحوالهم المختلفة، والمصادر التاريخية ثرية بالوقائع والأحداث التي تحسب لعمر رضي الله عنه، ولم يرد في المصادر مثل هذا الكم من الأحداث لأي من الخلفاء الراشدين الآخرين، حيث يتضح بجلاء أسلوب عمر الخاص في تعيين الولاة وفي مراقبتهم ومحاسبتهم وتأديبهم عند الحاجة، وكذلك جهوده المتواصلة في تطوير الولايات وتجهيزها بما تحتاجه من عمال وموظفين.

وحينما جاءت خلافة عثمان رضي الله عنه كانت الدولة الإسلامية في أوج قوتها وامتدادها وتنظيمها، واستمر عثمان رضي الله عنه يدير الدولة بمقتضى الظروف الجديدة التي طرأت على المجتمع الإسلامي عموماً، وعلى رأسها موجة الثراء التي عمت بلاد المسلمين خلال عصره، وكان لها دور في التأثير على أخلاق بعض الناس الذين طغوا وانجذبوا للفتنة التي وقعت، وكان من نتائجها استشهاد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه على يد أقوام رتبوا للأمر وأعدوا له عدته. وقد سبق استشهاد عثمان رضي الله عنه أحداث متشابكة، كان من أهمها الشائعات التي أطلقت ضد ولاة عثمان، والتي جازت على كثير من الناس في عصره نتيجة للتخطيط الدقيق من قبل أولئك الذين أصدروا تلك الشائعات. ومن خلال البحث تبين أن ولاة عثمان رضي الله عنه كانوا في غالبيتهم هم ولاة عمر وأبي بكر قبله، وتبين أن الولاة الجدد لم يقلّوا عنهم أمانة أو إخلاصاً، إلا أن تاريخهم شوّه بدرجة كبيرة من قبل الكتّاب المتقدمين والمتأخرين، بيد أن التمحيص في الروايات يبين لنا أن الظلم الذي وقع على عثمان قد أصاب ولاته أيضاً، وأن ما نسب إلى عثمان من توليته لأقاربه غير صحيح، إذ أولئك النفر كانوا ولاة قبل خلافة عثمان في الغالب، كما أن غيره من الخلفاء قد عينوا ولاة

من أقاربهم ولم يتهموا بما اتهم به عثمان، وتبين أن الظروف العامة للدولة الإسلامية قد ساعدت على نجاح الفتنة في تحقيق مآربها، وظهر من خلال البحث أن تلك الفتنة قد بدأ التخطيط لها منذ أواخر خلافة عمر خصوصاً في الكوفة، إلا أن نضجها قد تم في خلافة عثمان، وقد كان لبعض الولاة دور في محاولة القضاء على الفتنة قبل اشتدادها وقوتها، إلا أن الظروف العامة ساعدت على نجاح الفتنة.

وقد استنتجنا من خلال البحث أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه جاء إلى الخلافة في ظروف صعبة جداً، نتيجة الفتنة التي وقعت بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، وأنه اجتهد رأيه في محاولة تغير الأوضاع في الولايات الإسلامية المختلفة، إلا أن النتائج جاءت عكسية، حيث انقسمت الدولة الإسلامية إلى شقين، ووقع النزاع والخلاف بين الشام بقيادة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، والعراق وبقية الدولة بقيادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وكان من نتيجة هذا النزاع أن اقتطعت أجزاء وولايات تابعة لعلي بن أبي طالب وانضمت لمعاوية بن أبي سفيان، واستشهد علي بن أبي طالب ولم يُتم ما كان يطمح إليه من إعادة تنظيم الدولة، وكان للظروف العامة التي مر بها المسلمون في عصر علي دورها في قلة الأحداث المرتبطة بالتنظيم والإدارة، والتي يمكن أن يستشف منها أسلوب علي الخاص في إدارة الولايات. ومع ذلك فقد وردت روايات عديدة توضح هذا الأسلوب إلى حد ما، والذي تميز بورع علي رضي الله عنه وتشديده على ولاته في هذا الجانب، مما دفع الكثير منهم إلى الاستعفاء من العمل مع علي، بالإضافة إلى عوامل أخرى ساعدت على فرار بعض عمّال علي، ومن أهمها تدخل بعض الأفراد بين علي وولاته، ومحاولتهم إفساد ما بينهم بقصد أو غير قصد فكانت فتنة ابتلي بها علي وأصحابه بترتيب من قتلة عثمان.

وقد تبين من خلال البحث أن الخلفاء الراشدين عموماً لم يكونوا يختارون ولاتهم اعتباطاً، بل كانت لديهم قواعد معينة لاختيار أولئك الولاة كما أن ولاة ذلك العصر كانت لهم صفات خاصة ميزتهم عن ولاة العصور الأخرى.

كما اتضح أن للولاة حقوقاً معينة سواء على الرعية أو على الخلفاء، وكانت الحقوق متعارفاً عليها، مع أنها لم تنظم بشكل دقيق، إلا أن الأحوال العامة والوقائع التاريخية كانت تبرزها بوضوح، مع وجود قواعد وأصول من الشريعة.

كذلك فإن الواجبات الملقاة على عاتق الولاة كانت واضحة المعالم بجوانبها المختلفة، الدينية والدنيوية.

كذلك اتضح من خلال البحث أن للولايات -في عهد الراشدين- نظماً إدارية تفي بالشؤون العامة للولاية، وقد وجدت مجموعات من الموظفين المساعدين للولاة، سواء أكانوا عمالاً معينين من قبل الدولة أم متطوعين يقومون بالعمل عند الحاجة، وقداختلفت مهمات هؤلاء الولاة من زمن لآخر تبعاً للظروف العامة للدولة، كما أن علاقة أولئك الموظفين بالولاة كانت تتغير في كثير من الأحيان وتتسم بعدم الاستقرار.

كما اتسم عصر الخلفاء الراشدين ببروز العديد من الطرق والأساليب لمراقبة الولاة ومحاسبتهم وتأديبهم عند الحاجة، وكانت طرق المحاسبة تختلف تبعاً لأسلوب الخليفة نفسه، لموقع الوالي، وللظروف المصاحبة للأحداث.

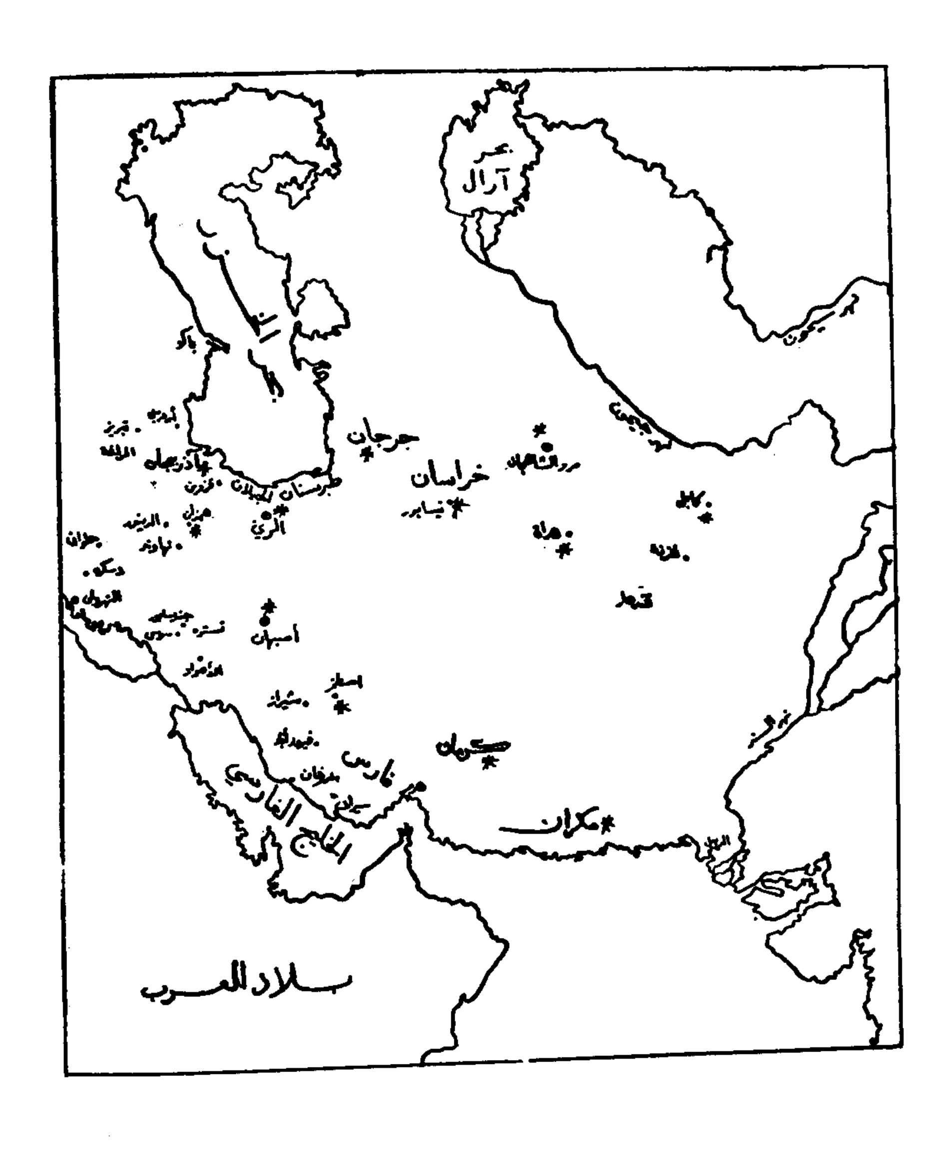
أسأل الله تعالى أن أكون قد أديت بعض ما ينبغي لهذا البحث. فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله من كل زلل، وأساله أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، إنه وليّ ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الملاحق

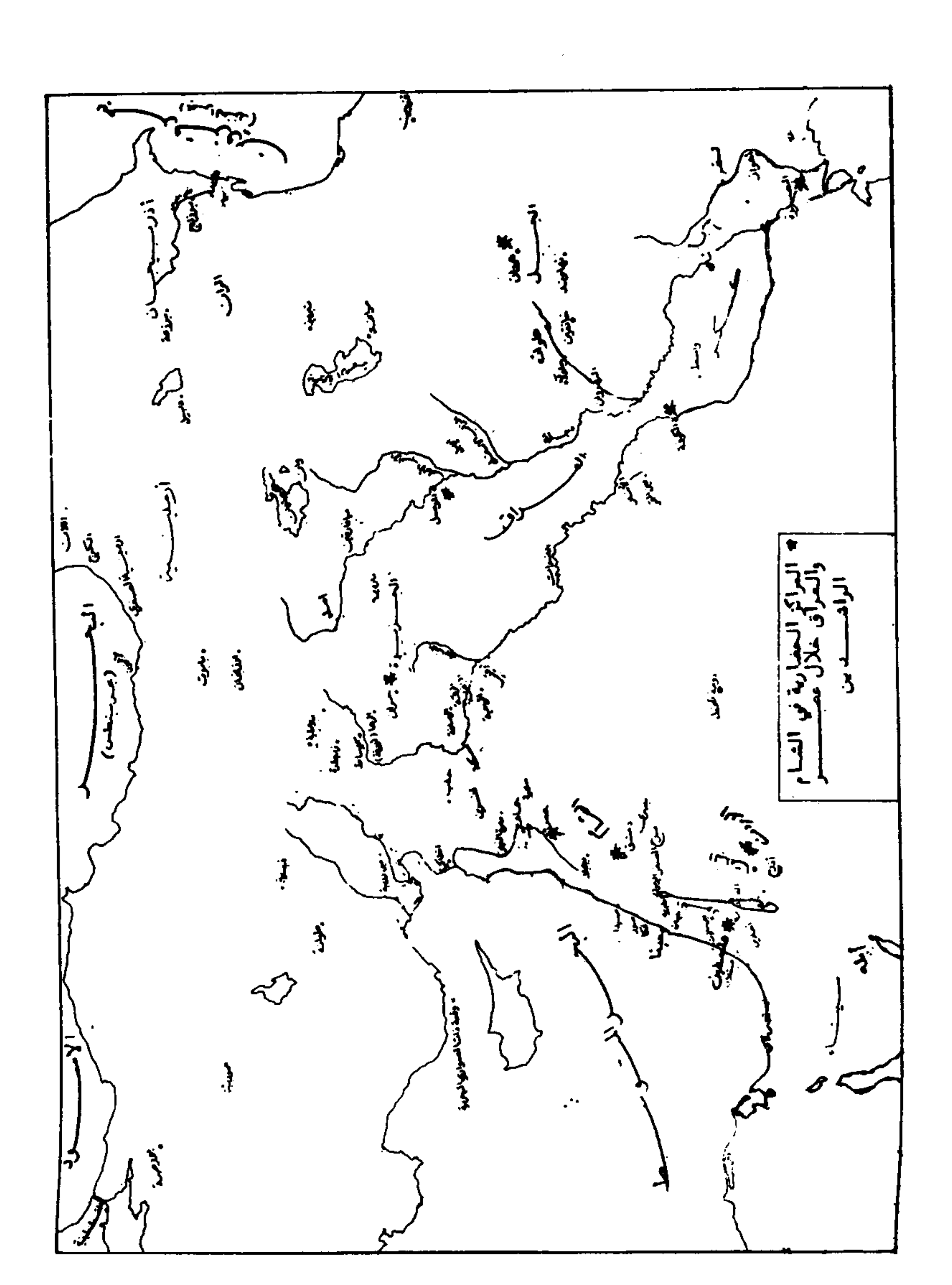
المراكز الإدارية في بلاد فارس والمشرق خلال عصر الراشدين

بتصرف من كتاب أزمنة التاريخ الإسلامي

للدكتور عبدالسلام الترمايني

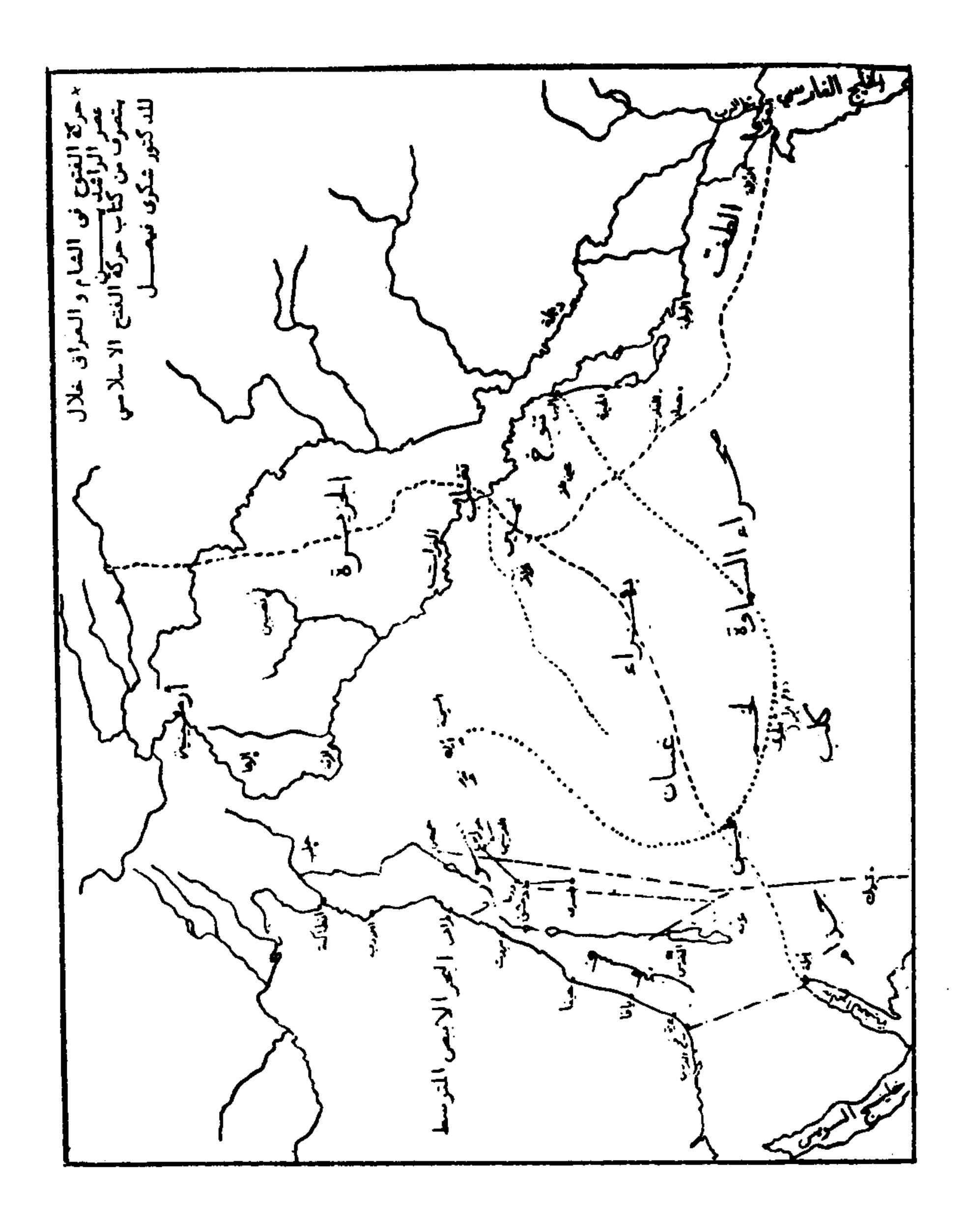


المراكز الحضارية في الشام والعراق خلال عصر الراشدين



حركة الفتوح في الشام والعراق خلال عصر الراشدين

بتصرف من كتاب حركة الفتح الإسلامي للدكتور شكري فيصل

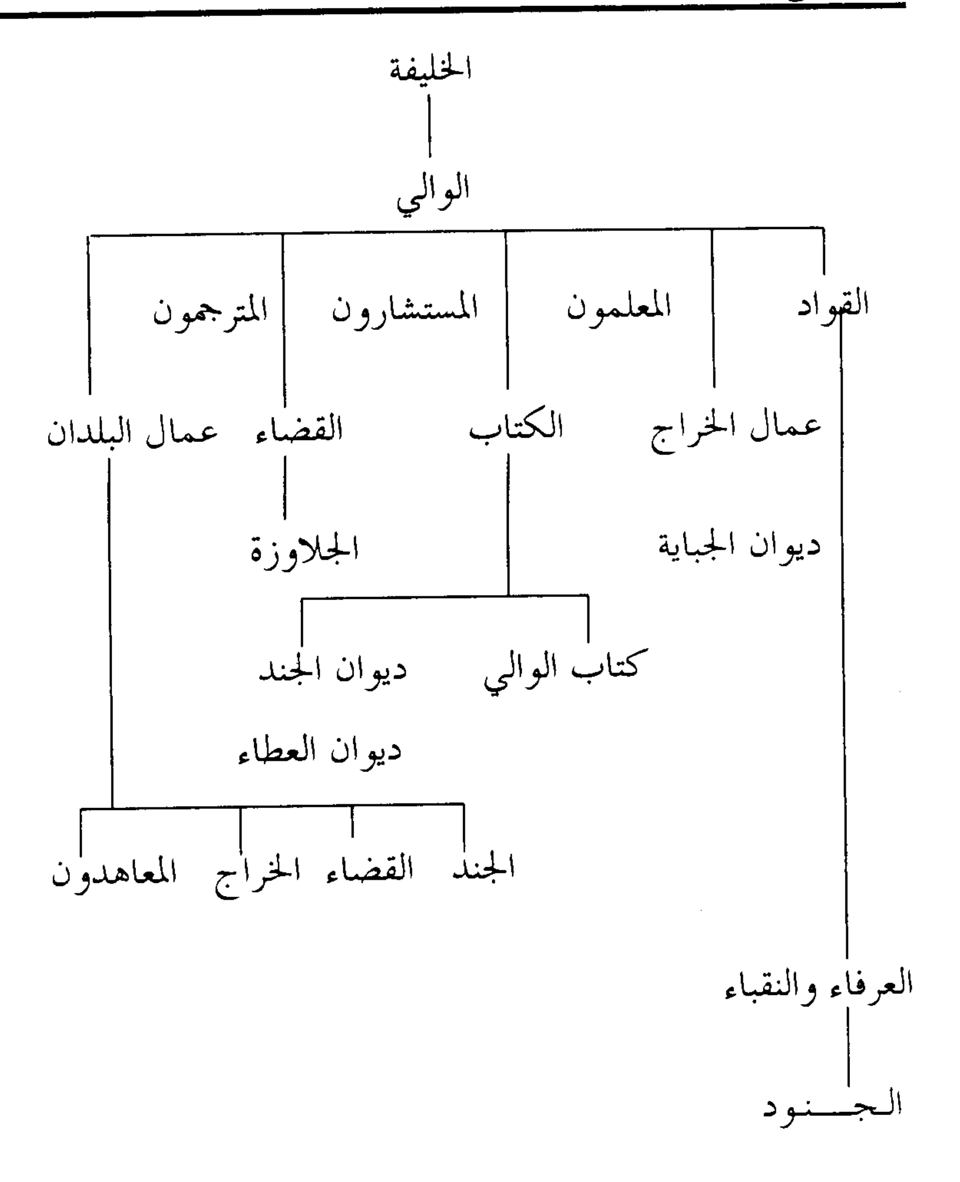


مراكز الولايات خلال عصر الراشدين في الجزيرة العربية

بتصرف من كتاب أزمنة التاريخ الإسلامي

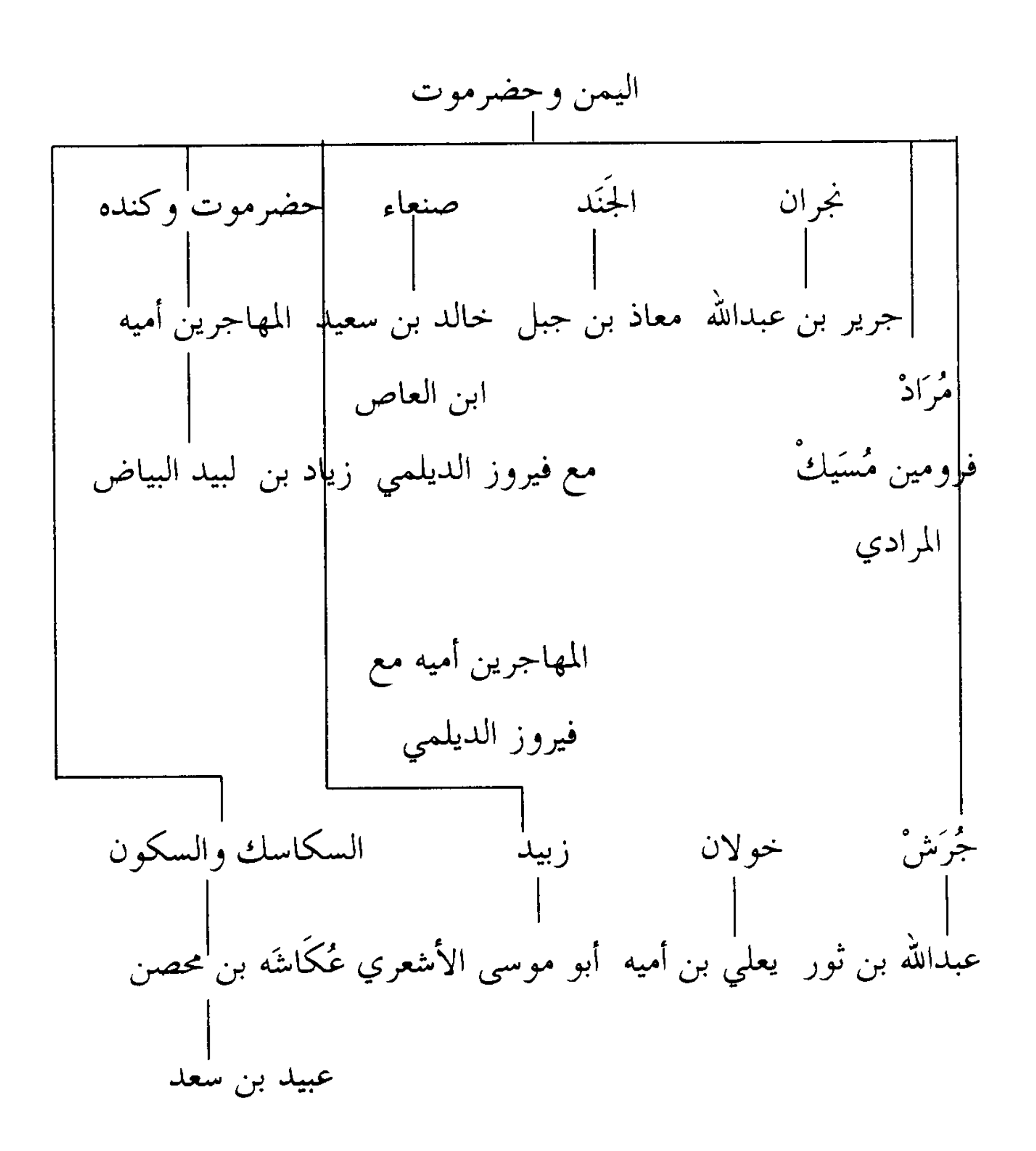
للدكتور عبدالسلام الترمانيني

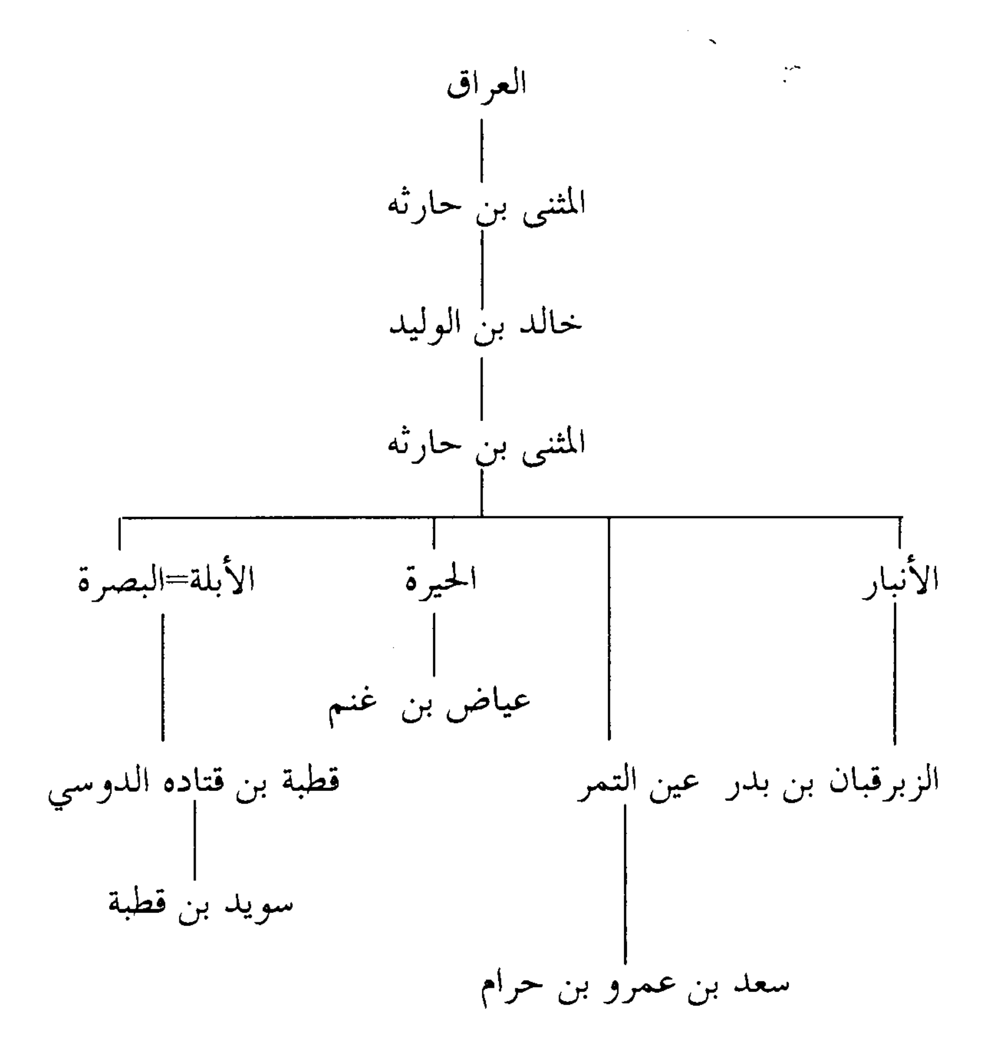




هيكل تقريبي لموظفي الولايات وارتباطهم بالوالي مع ملاحظة أن بعض هؤلاء الموظفين يرتبطون أحياناً بالخليفة مباشرة مع وجود نوع من الإشراف العام من قبل الوالي عليهم، كما أن بعض الوظائف يقوم بها الوالي بنفسه أحياناً كالخراج والقضاء وغيرها.

الولاة لأبي بكر الصديق

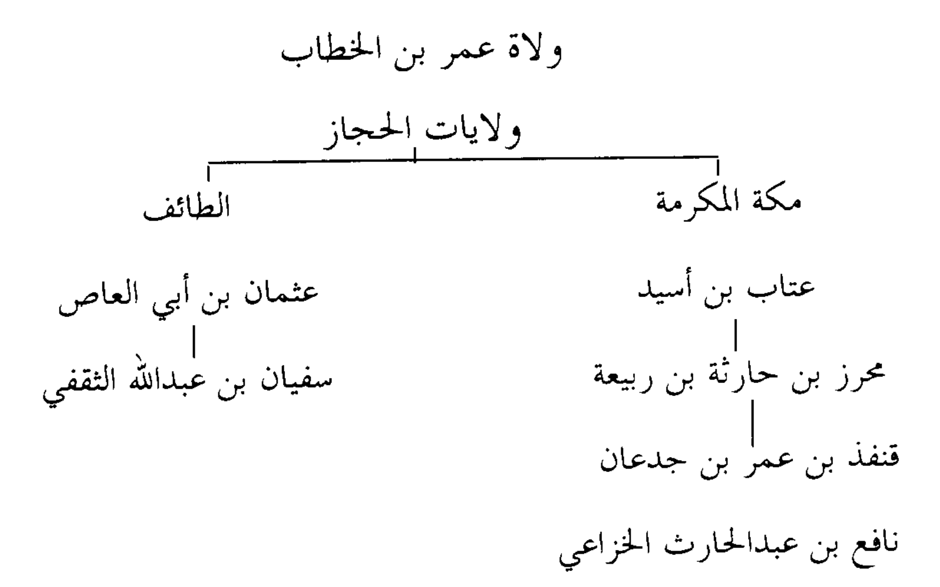


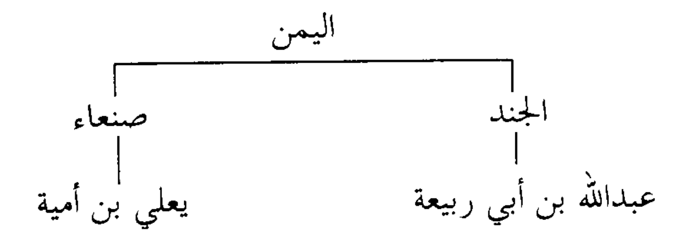

العراق
المثنى بن حارثه
خالد بن الوليد
المثنى بن حارثه
الأنبار
الحيرة
الأبلة=البصرة
عياض بن غنم
الزبرقبان بن بدر
عين التمر
قطبة بن قتاده الدوسي
سويد بن قطبة
سعد بن عمرو بن حرام



(١) ويلاحظ أن أبا عبيدة كان هو أمير الأمراء في حال اجتماعهم إلى أن قدم خالد بن الوليد فأصبح هو الأمير حتى وفاة أبي بكر.

ولاة عمر بن الخطاب





البحرين

العلاء بن الحضرمي

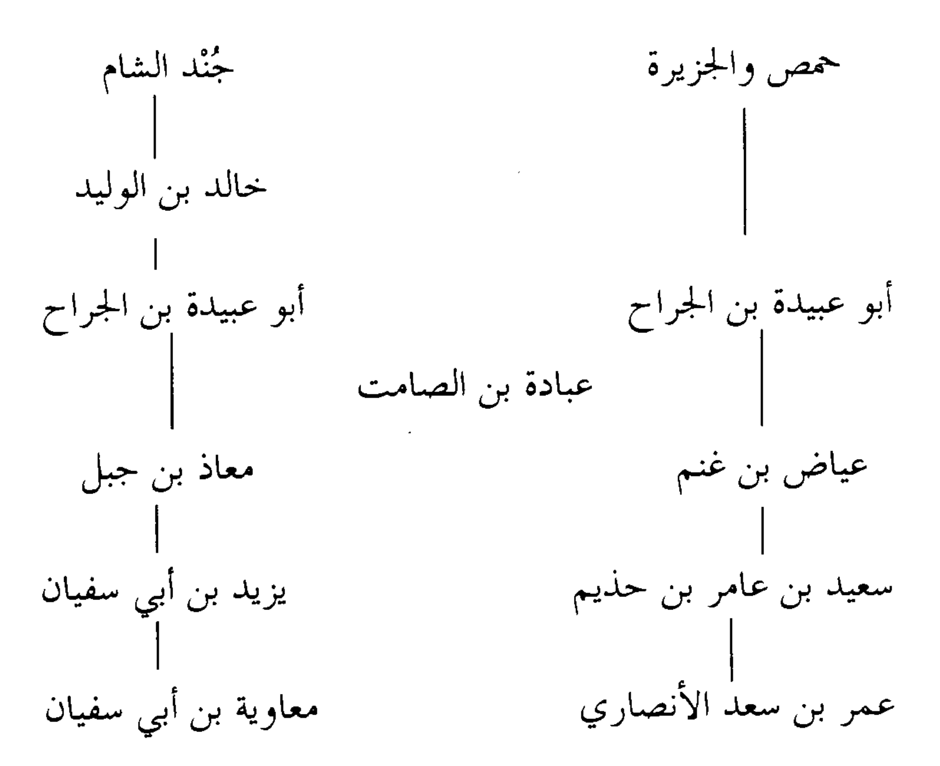
عثمان بن أبي العاص

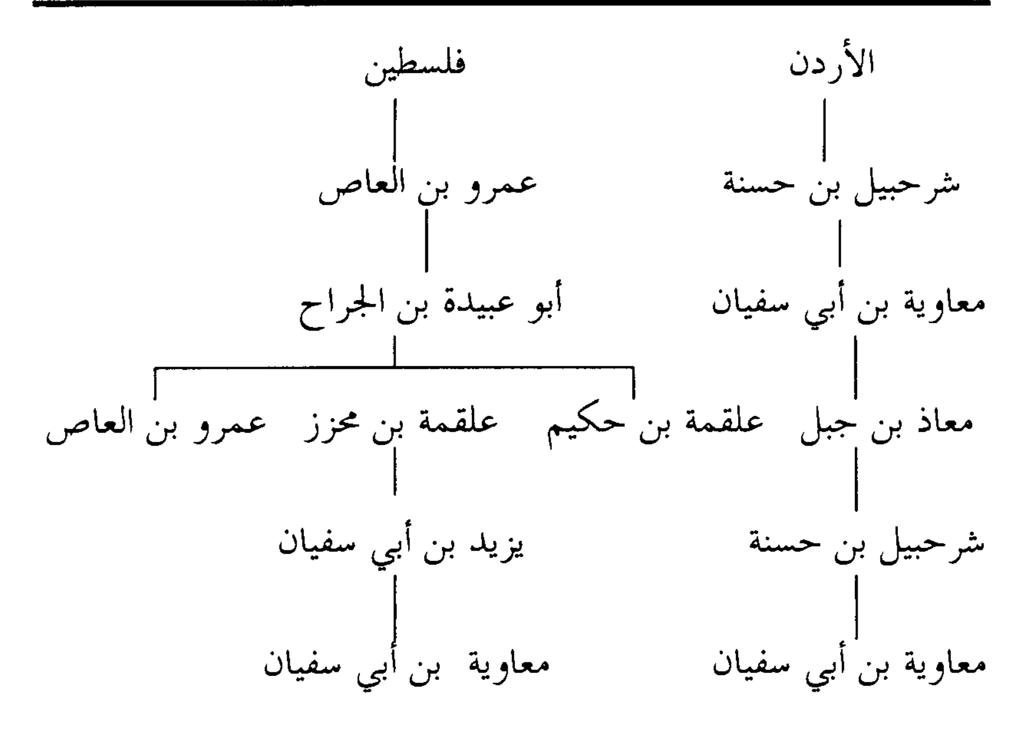
عياش بن أبي ثور

قدامة بن مظعون

أبو هريرة الدوسي

عثمان بن أبي العاص


حمص والجزيرة
جُنْد الشام
خالد بن الوليد
أبو عبيدة بن الجراح
أبو عبيدة بن الجراح
عبادة بن الصامت
عياض بن غنم
معاذ بن جبل
سعيد بن عامر بن حذيم
يزيد بن أبي سفيان
عمر بن سعد الأنصاري
معاوية بن أبي سفيان



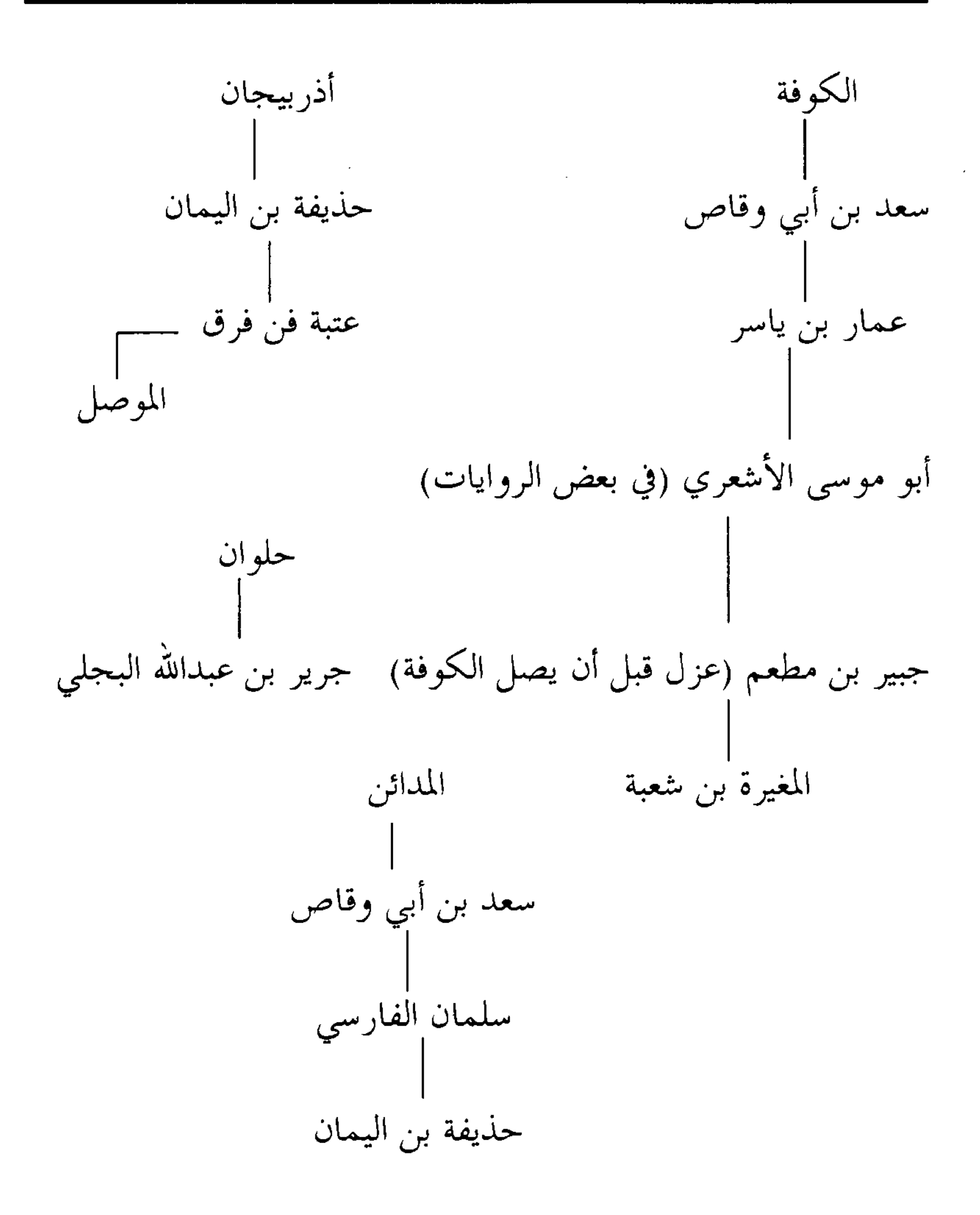
البصرة

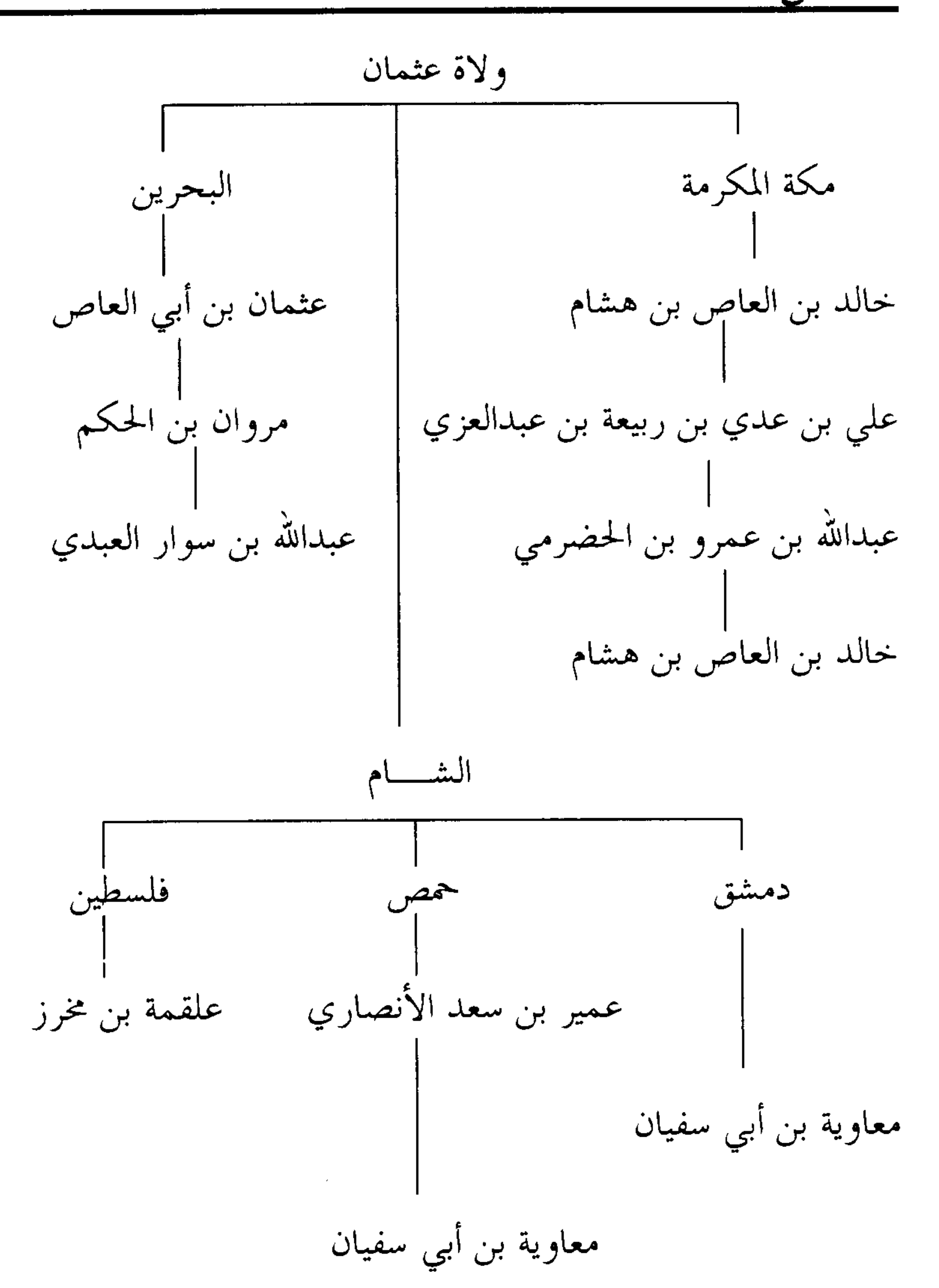
عتبة بن غزوان

مجاشع بن مسعود (نائباً لعتبة على الأرجح)

المغيرة بن شعبة

أبو موسى الأشعري


الكوفة
سعد بن أبي وقاص
عمار بن ياسر
أبو موسى الأشعري (في بعض الروايات)
جبير بن مطعم (عزل قبل أن يصل الكوفة)
المغيرة بن شعبة
أذربيجان
حذيفة بن اليمان
عتبة فن فرق
الموصل
حلوان
جرير بن عبدالله البجلي
المدائن
سعد بن أبي وقاص
سلمان الفارسي
حذيفة بن اليمان


ولاة عثمان
مكة المكرمة
خالد بن العاص بن هشام
علي بن عدي بن ربيعة بن عبدالعزي
عبدالله بن عمرو بن الحضرمي
خالد بن العاص بن هشام
البحرين
عثمان بن أبي العاص
مروان بن الحكم
عبدالله بن سوار العبدي
الشـــام
دمشق
معاوية بن أبي سفيان
حمص
عمير بن سعد الأنصاري
معاوية بن أبي سفيان
فلسطين
علقمة بن مخرز

خلافة علي

مصر
- محمد بن أبي حذيفة
- قيس بن سعد الأنصاري
- الأشتر النخعي
- محمد بن أبي بكر

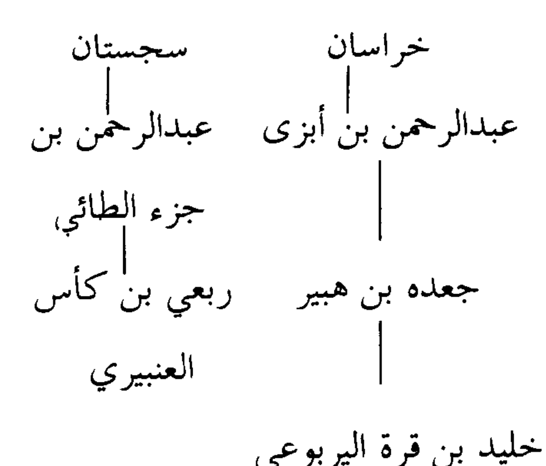
البصرة
- عثمان بن حنيف
- عبدالله بن عباس
- أبو الأسود الدؤلي

فارس
- سهل بن حنيف
- زياد بن أبي سفيان

اصطخر
- المنذر بن الجارد

أصبهان
- محمد بن سليم
- عمر بن سلمه

الكوفة
- أبو موسى الأشعري
- قرضة بن كعب الأنصاري
- الخليفة علي بن أبي طالب
- أبو مسعود البدري
- الخليفة علي بن أبي طالب
- هوذة بن هانئ النخعي



أذربيجان

الأشعث بن قيس الكندي

سعيد بن سارية الخراعي

الأشعث بن قيس الكندي

ولاة علي على المدينة

علي بن أبي طالب خليفة

سهل بن حنيف الأنصاري

تمام بن العباس بن عبدالمطلب

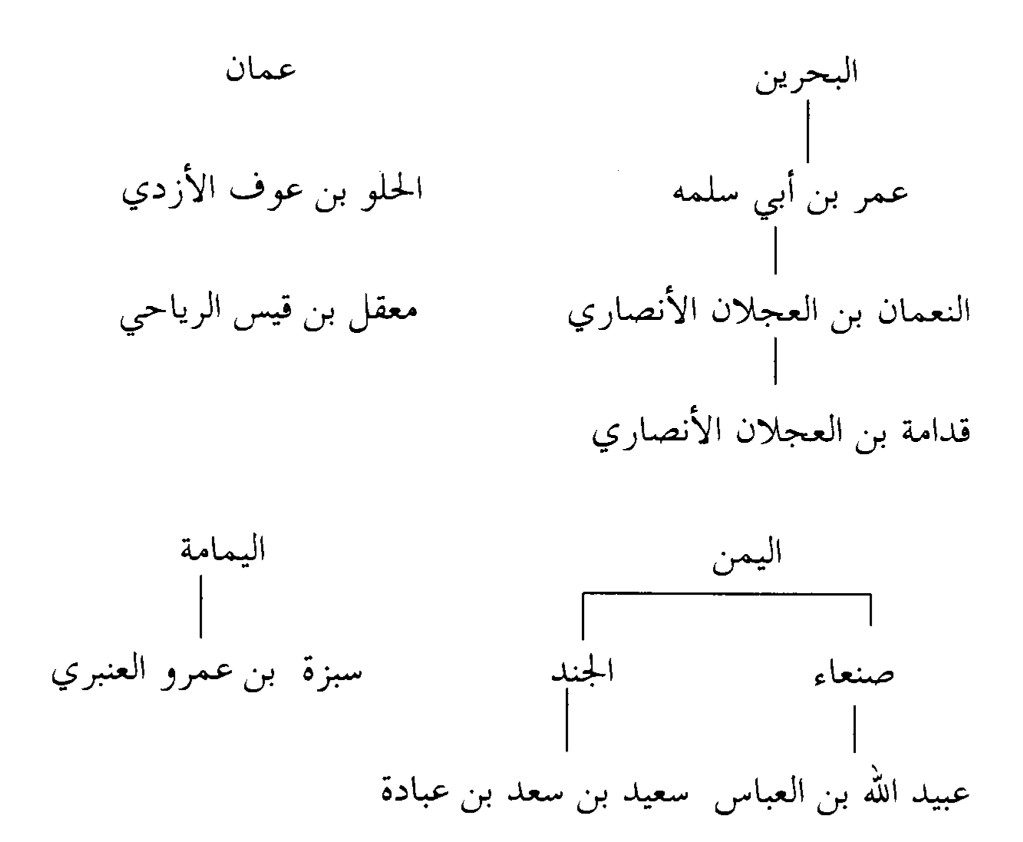
أبو أيوب الأنصاري

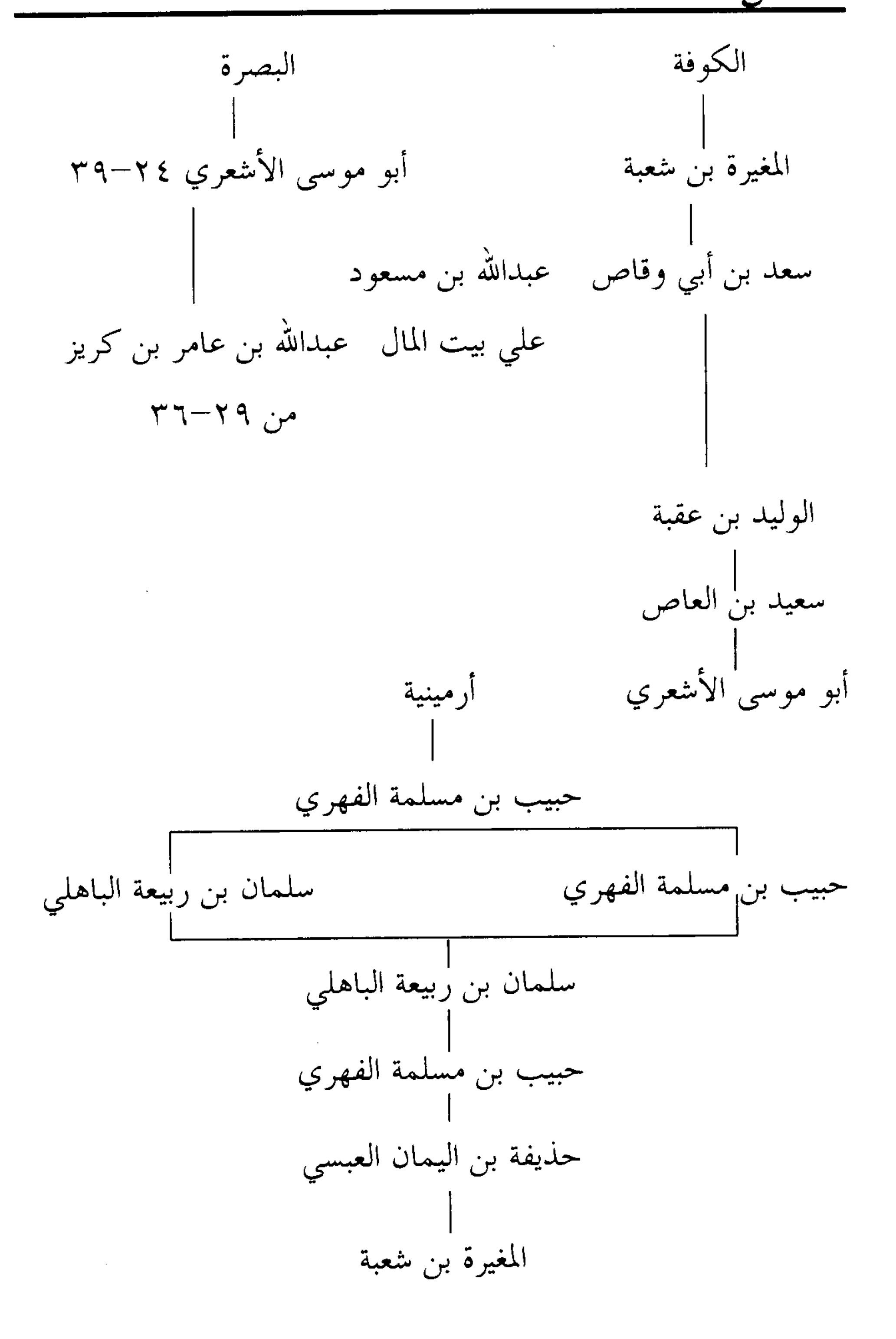
مكة

خالد بن سعيد بن العاص ٣٦

أبو قتادة الأنصاري ٣٦-٣٦

قثم بن العباس ٣٦-٤٠


البحرين
عمر بن أبي سلمه
النعمان بن العجلان الأنصاري
قدامة بن العجلان الأنصاري
عمان
الحلو بن عوف الأزدي
معقل بن قيس الرياحي
اليمن
صنعاء
الجند
عبيد الله بن العباس
سعيد بن سعد بن عبادة
اليمامة
سبزة بن عمرو العنبري


الكوفة
المغيرة بن شعبة
سعد بن أبي وقاص
الوليد بن عقبة
سعيد بن العاص
أبو موسى الأشعري
البصرة
أبو موسى الأشعري ٢٤-٣٩
عبدالله بن مسعود
علي بيت المال عبدالله بن عامر بن كريز
من ٢٩-٣٦
أرمينية
حبيب بن مسلمة الفهري
حبيب بن مسلمة الفهري
سلمان بن ربيعة الباهلي
سلمان بن ربيعة الباهلي
حبيب بن مسلمة الفهري
حذيفة بن اليمان العبسي
المغيرة بن شعبة

كتاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كتبه للأشتر النخعي رحمه الله لما ولاه على مصر وأعمالها[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أمر به عبدالله علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر، في عهده إليه، حين ولاه مصر جباية خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها.

أمره بتقوى الله وإيثار طاعته واتباع ما أمر به في كتابه، من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها، ولا يشقى إلا من جحودها واضاعتها، وأن ينصر الله سبحانه بيده وقلبه ولسانه، فإنه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره، واعزاز من أعزه.

وأمره أن يكسر من نفسه عند الشهوات، ويترعها عند الجمحات، فأن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم الله.

ثم أعلم يا مالك أني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك، من عدل وجور، والناس ينظرون من أمورك في مثل ما أنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقوله فيهم، وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده، فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح، فأملك هواك، وشح بنفسك عما لا يحل لك، فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحبت وكرهت.

---

(١) نص الكتاب من نهج البلاغة ج٢ من ص ٢٤٠-٢٦٥ وقارن النويري، نهاية الأرب ج٦ من ص ١٩-٣٢. وفي نص الكتاب نظر إذ أن علي رضي الله عنه تميز بالإيجاز والإعجاز والبلاغة والبيان في كتابته وفي قوله وليس من عادته الإسهاب.

وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله عفوه وصفحه، فإنك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك، وقد استكفاك أمرهم، وابتلاك بهم.

ولا تنصبن نفسك لحرب الله، فإنه لا يعدي لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته.

ولا تندمن على عفو، ولا تبجحن بعقوبة، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت عنها مندوحة.

ولا تقولن إني مؤمر آمر فأطاع، فإن ذلك ادغال في القلب، ومنهكة للدين، وتقرب من الغير.

وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة، فأنظر إلى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما تقدر عليه من نفسك، فإن ذلك يطامن إليك من طماحك، ويكف عنك من غربك، ويفئ إليك بما عزب عنك من عقلك.

وإياك ومساماة الله في عظمته، والتشبه به في جبروته، فإن الله يذل كل جبار ويهين كل مختال.

أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك، ومن لك هوى فيه من رعيتك، فإنك إلا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجته، وكان لله حرباً حتى يترع أو يتوب.

وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإن الله يسمع دعوة المظلومين، وهو للظالمين بالمرصاد.

وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل، وأجمعها لرضا الرعية، فإن سخط العامة يجحف برضا الخاصة، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة.

وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مئونة في الرخاء، وأقل معونة له في البلاء، وأكره للانصاف، وأسأل بالالحاف، وأقل شكراً عند الاعطاء، وأبطأ عذراً عند المنع، وأضعف صبراً عند ملمات الدهر، من أهل الخاصة، وإنما عمود الدين وجماع المسلمين، والعدة للأعداء العامة من الأمة، فليكن صفوك لهم وميلك معهم.

وليكن أبعد رعيتك منك، وأشنأهم عندك، أطلبهم لمعايب الناس، فأن في الناس عيوباً، الولي أحق من سترها، فلا تكشفن عما غاب عنك منها، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك، والله يحكم على ما غاب عنك، فاستر العورة ما استطعت، يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك.

أطلق عن الناس عقدة كل حقد، واقطع عنك سبب كل وتر، وتغاب عن كل ما لا يضح لك، ولا تعجبن إلى تصديق ساع، فإن الساعي غاش وإن تشبه بالناصحين.

ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل، ويعدك الفقر، ولا جباناً يضعفك عن الأمور ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله.

شر وزرائك من كان قبلك للأشرار وزيراً، ومن شركهم في الآثام، فلا يكونن لك بطانة، فإنهم أعوان الأثمة، وإخوان الظلمة، وأنت واجد منهم خيراً لخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم وآثامهم، ممن لم

يعاون ظالماً على ظلمه، ولا آثماً على اثمه، أولئك أخف عليك مؤونة، وأحسن لك معونة، وأحنى عليك عطفاً، وأقل لغيرك ألفاً.

فاتخذ أولئك خاصة لخواتك وحفلاتك، ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك، وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه، واقعاً ذلك من هواك حيث وقع.

والصق بأهل الورع والصدق، ثم رضهم على ألا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله، فإن كثرة الاطراء تحدث الزهو، وتدني من العزة.

ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزهيداً لأهل الاحسان في الاحسان، وتدريباً لأهل الاساءة على الاساءة، وألزم كلا منهم ما ألزم نفسه.

وأعلم أنه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن والٍ برعيته من احسانه إليهم، وتخفيفه المئونات عليهم، وترك استكراهه إياهم على ما ليس له قبلهم، فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك، فإن حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلاً، وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده، وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده، ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة واجتمعت بها الألفة، وصلحت عليها الرعية.

ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن، فيكون الأجر لمن سنها، والوزر عليك بما نقضت منها.

وأكثر مدارسة العلماء، ومناقشة الحكماء، في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك.

وأعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن

بعض فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الانصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجات والمسكنة، وكل قد سمى الله سهمه، ووضع على حده وفريضته في كتابه أو سنة نبيه ﷺ عهداً منه عندنا محفوظاً.

فالجنود بإذن الله حصون الرعية، وزين الولاة، وعز الدين وسبل الأمن، وليس تقوم الرعية إلا بهم، ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به على جهاد عدوهم، ويعتمدون عليه فيما أصلحهم، ويكون من وراء حاجتهم، ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب، لما يحكمون من المعاقد، ويجمعون من المنافع، ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها، ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوي الصناعات، فيما يجتمعون عليه من مرافقهم، ويقيمونه من أسواقهم، ويكفونهم من الترفق بأيديهم مما لا يبلغه رفق غيرهم، ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة، الذين يحق رفدهم ومعونتهم، وفي الله لكل سعة، ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه.

وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله تعالى من ذلك، إلا بالاهتمام والاستعانة بالله، وتوطين نفسه على لزوم الحق و الصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل.

فول من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك، وأطهرهم جيباً وأفضلهم حلماً ممن يبطئ عن الغضب، ويستريح إلى العذر، ويرؤف بالضعفاء وينبو على الأقوياء، ممن لا يثيره العنف، ولا يقعد به الضعف.

ثم ألصق بذوي المروءات والأحساب وأهل البيوتات الصالحة، والسوابق

الحسنة، ثم أهل النجدة والشجاعة، والسخاء والسماحة، فإنهم جماع من الكرم، وشعب من العرف.

ثم تفقد من أمورهم ما يتفقده الوالدان من ولدهما، ولا يتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به، ولا تحقرن لطفاً تعاهدتهم به وإن قل، فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك، وحسن الظن بك.

ولاتدع تفقد لطيف أمورهم اتكالاً على جسيمها، فإن لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به، وللجسم موقعاً لا يستغنون عنه، وليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته، وأفضل عليهم من جدته، بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهلهم، حتى يكون همهم هماً واحداً في جهاد العدو، فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك، ولاتصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاة أمورهم، وقلة استثقال دولهم، وترك استبطاء انقطاع مدتهم.

فافسح في آمالهم، وواصل من حسن الثناء عليهم، وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم، فإن كثرة الذكر لحسن فعالهم تهز الشجاع، وتحرض الناكل إن شاء الله.

ثم أعرف لكل امرئ منهم ما أبلى، ولا تضمن بلاء أمري إلى غيره، ولا تقصرن به دون غاية بلائه.

ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً، ولا ضعة امرئ إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً، واردد إلى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب، ويشتبه عليك من الأمور، فقد قال الله سبحانه لقوم أحب ارشادهم: {يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول}، فالرد إلىالله الأخذ بمحكم كتابه، والرد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة.

ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك، ممن لا تضيق به الأمور، ولا تمحكه الخصوم، ولا يتمادى في الزلة، ولا يحصر من الفيء إلى الحق، إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم في الشبهات وآخذهم بالحجج، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشف الأمور، وأصرمهم عند اتضاح الحكم، ممن لا يزدهيه اطراء، ولا ستميله إغراء، أولئك قليل.

ثم أكثر تعاهد قضائه، وأفسح له في البذل ما يزيح علته، وتقل معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المترلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك، ليأمن بذلك اغتيال الرجال عندك. فانظر في ذلك نظراً بليغاً، فإن هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار، يعمل فيه بالهوى، وتطلب به الدنيا.

ثم انظر في أمور عمالك، فاستعملهم اختياراً، لا تولهم محاباة، وأثرة، فالها جماع من شعب الجور والخيانة، وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة، والقدم في الإسلام المتقدمة، فإلهم أكرم أخلاقاً، وأصح أعراضاً، وأقل من المطامع أشرافاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً.

ثم أسبغ عليهم الأرزاق، فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك، أو ثلموا أمانتك. ثم تفقد أعمالهم، وأبعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة، والرفق بالرعية.

وتحفظ من الأعوان، فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك، اكتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، نصبته بمقام المذلة، ووسمته بالخيانة، وقلدته عار التهمة.

وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله.

وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد، و لم يستقم أمره إلا قليلا، فإن شكوا ثقلاً أو علة أو انقطاع شرب أو آلة أو إحالة أرض اغتمرها غرق، أو أجحف بها عطش، خففت عنهم بما ترجو أن تصلح به أمرهم.

ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم، فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك، مع استجلابك حسن ثنائهم، وتبجحك باستفاضة العدل فيهم، معتمداً فضل قوتهم، بما ذخرت عندهم من اجمامك لهم، والثقة منهم، بما عودتهم من عدلك عليهم في رفقك بهم، فربما حدث من الأمور ما إذا عولت عليهم من بعد احتملوه طيبة أنفسهم به، فإن العمران محتمل ما حملته، وإنما يؤتى خراب الأرض من اعواز أهلها، وإنما يعوز أهلها لاشراف أنفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء، وقلة انتفاعهم بالعبر.

ثم انظر في حال كتابك، فول على أمورك خيرهم، واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائدك وأسرارك بأجمعهم لوجود صالح الأخلاق، ممن لا تبطره الكرامة فيجترئ بها عليك في خلاف لك بحضرة ملاء، ولا تقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك، واصدرا جواباتها على الصواب عنك، وفيما يأخذ لك ويعطى منك ولا يضعف عقداً اعتقده لك، ولا يعجز عن اطلاق ما عقد عليك، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور، فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر

غيره أجهل.

ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك، فإن الرجال ينعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم، وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء، ولكن اختبرهم بما ولو للصالحين قبلك، فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثراً، وأعرفهم بالأمانة وجهاً، فإن ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره.

واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم ولا يقهره كبيرها، ولا يتشتت عليه كثيرها، ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه ألزمته.

ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات، وأوص بهم خيراً: المقيم منهم، والمضطرب بماله، والمترفق ببدنه، فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق، وجلابها من المباعد والمطارح، في برك وبحرك، وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها، و لا يجترئون عليها، فانهم سلم لا تخاف باثقته، وصلح لا تخشى غائلته.

وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك. وأعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً، وشحاً قبيحاً، و احتكاراً للمنافع، وتحكماً في البياعات، وذلك باب مضرة للعامة، وعيب على الولاة.

فامنع من الاحتكار، فإن رسول الله ﷺ منع منه، وليكن البيع بيعاً سمحاً، بموازين عدل، وأسعار لا تجحف بالفريقين، من البائع والمبتاع فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه فنكل به، وعاقب في غير إسراف.

ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم، والمساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمنى، فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً.

واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم، وأجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد، فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى، وكل قد استرعيت حقه.

فلا يشغلنك عنهم بطر، فإنك لا تعذر بتضييع التافه لأحكامك الكثير المهم، فلا تشخص همك عنهم، ولا تسعر خدك لهم، وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون، وتحقره الرجال، ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع فليرفع إليك أمورهم.

ثم أعمل فيهم بالأعذار إلى الله سبحانه يوم تلقاه، فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الانصاف من غيرهم، وكل فاعذر إلى الله في تأدية حقه إليه.

وتعهد أهل اليتيم وذوي الرقة في السن، ممن لا حيلة له، ولا ينصب للمسألة نفسه، وذلك على الولاة ثقيل، و الحق كله ثقيل، وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم، ووثقوا بصدق موعود الله لهم.

واجعل ذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه سخصك، وتجلس لهم مجلساً عاماً، فتتواضع فيه لله الذي خلقك، وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك، حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع، فإني سمعت رسول ﷺ يقول في موطن: (لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي، غير متعتع).

ثم احتمل الخرق منهم والعي، ونح عنهم الضيق والأنف، يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته، ويوجب لك ثواب طاعته، وأعط ما أعطيت هنيئاً، وأمنع في اجمال واعذار.

ثم أمور من أمورك لابد لك من مباشرتها، منها إجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك، ومنها إصدار حاجات الناس عند ورودها عليك، مما تحرج به صدور

أعوانك وأمض لكل يوم عمله فإن لكل يوم ما فيه.

واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت وأجزل تلك الأقسام وإن كانت كلها لله، إذا صلحت فيه النية سلمت منها الرعية.

وليكن في خاصة ما تخلص لله به دينك إقامة فرائضه التي هي له خاصة، فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك، ووف ما تقربت به إلى الله من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا منقوص، بالغاً من بدنك ما بلغ.

وإذا أقمت في صلاتك للناس فلا تكونن منفراً ولا مضيعاً، فإن في الناس من به العلة وله الحاجة، وقد سألت رسول الله ﷺ حين وجهني إلى اليمن: كيف أصلي بهم؟ فقال: "صلي بهم كصلاة أضعفهم وكن بالمؤمنين رحيماً".

وأما بعد هذا، فلا تطولن احتجابك عن رعيتك، فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق، وقلة علم بالأمور، والاحتجاب منهم يقطع علم ما احتجبوا دونه، فيصغر عندهم الكبير، ويعظم الصغير، ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل، وإنما الولي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور، وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب، وإنما أنت أحد رجلين: أما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق، ففيما احتجابك من واجب حق تعطيه، أو فعل كريم تسديه، أو مبتلى بالمنع، فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا أيسوا من بذلك! مع أن أ كثر حاجات الناس إليك، مما لا مئونة فيه عليك، من شكاة مظلمة، أو طلب انصاف في معاملة.

ثم إن للوالي خاصة وبطانة، فيهم استئثار وتطاول، وقلة أنصاف في معاملة، فاحسم مئونة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال، ولا تقطعن لأحد من حاشيتك وحامتك قطيعة، ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في

شرب أو عمل مشترك، يحملون مئونته على غيرهم، فيكون مهنأ ذلك لهم دونك، وعيبه عليك في الدنيا والآخرة.

والزم الحق من لزمه من القريب والبعيد، وكن في ذلك صابراً محتسباً واقعاً ذلك من قرابتك وخواصك حيث وقع. وابتغ عاقبته بما يثل عليك منه، فإن مغبة ذلك محمودة.

وإن ظنت الرعية بك حيفاً، فأصحر لهم بعذرك، وأعدل عنك ظنونهم باصحارك، فإن في ذلك اعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق.

ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك لله فيه رضا، فإن في الصلح دعة لجنودك، وراحة من همومك، وأمناً لبلادك. ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فإن العدو ربما قارب ليتغفل.

فخذ بالحزم، واتهم في ذلك حسن الظن، وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة، أو ألبسته منك ذمة، فحط عهدك بالوفاء، وأرع ذمتك بالأمانة، وأجعل نفسك جنة دون ما أعطيت، فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعاً، مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم، من تعظيم الوفاء بالعهود.

وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين، لما استوبلوا من عواقب الغدر. فلا تغدرن بذمتك، ولا تخيسن بعهدك، ولا تختلن عدوك، فإنه لا يجتري على الله إلا جاهل شقي. وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته، وحريماً يسكنون إلى منعته، ويستفيضون إلى جواره، فلا ادغال ولا مدالسه ولا خداع فيه. ولا تفقد عقداً تجوز فيه العلل ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة، ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق، فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير

من غدر تخاف تبعته، وأن تحيط بك من الله فيه طلبة لا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك.

إياك والدماء وسفكها بغير حلها، فإنه ليس شيء أدعى لنقمة، ولا أعظم لتبعة، ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة، من سفك الدماء بغير حقها، والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه، بل يزيله وينقله. ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد، لأن فيه قود البدن. وإن ابتليت بخطأ أو أفرط عليك سوطك أو يدك بعقوبة، فإن في الوكزة وما فوقها مقتلة، فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم.

وإياك والاعجاب بنفسك، والثقة بما يعجبك منها، وحب الاطراء، فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه، ليمحق ما يكون من احسان المحسنين.

وإياك والمن على رعيتك باحسانك أو التزيد فيما كان من فعلك، أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك، فإن المن يبطل الاحسان، والتزيد يذهب بنور الحق، والخلف يوجب المقت عند الله والناس، قال الله سبحانه وتعالى: {كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون}.

وإياك والعجلة بالأمور قبل أوانها، أو التساقط فيها عند امكانها، أو اللجاجة فيها إذا تنكرت، أو الوهن عنها إذا استوضحت، فضع كل أمر موضعه، وأوقع كل عمل موقعه.

وإياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة، والتغابي عما يعنى به مما قد وضح للعيون، فإنه مأخوذ منك لغيرك، وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور وينتصف منك للمظلوم.

املك حمية أنفك، وسورة حدك، وسطوة يدك، وغرب لسانك، واحترس من كل ذلك، بكف البادرة، وتأخير السطوة، حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار، ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك.

والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة، أو سنة فاضلة أو أثر عن نبينا ﷺ، أو فريضة في كتاب الله، فتقتدي بما شاهدته مما عملنا به فيها، وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا، واستوثقت به من الحجة لنفس عليك، لكيلا تكون لك علم عند تسرع نفسك إلى هواها.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- المصادر المخطوطة:

ابن حبيب: أبو مروان عبدالملك السلمي (ت ٢٣٨هـ - ٨٥٢م).

١- تاريخ عبدالملك بن حبيب، مخطوط مصور على ميكروفلم، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت ألمانيا الغربية رقم ٩٦٥.

الخزرجي: أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر (ت ٨١٢).

٢- العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، مخطوط تحت رقم ٧٣٦، تاريخ، معهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

السهروردي: الإمام أبو الحسن محمد السهروردي البغدادي.

٣- تحرير الأحكام في السياسة، مخطوط تحت رقم ٢٨٥٢ مكتبة آيا صوفيا، اسطنبول موجود حالياً في المكتبة السليمانية يقع في ٧٣ ورقة، ١٤٨ صفحة.

ابن أبي شيبة: أبوبكر عبدالله بن محمد العبسي (ت ٢٣٥هـ - ٨٤٩م).

٤- كتاب التاريخ، ميكروفلم مصور عن نسخة المكتبة الملكية ببرلين تحت رقم ٩٤٠٩.

ابن أبي عدسة: أحمد بن محمد بن عمر القدسي الشافعي[1].

---

(١) لم أجد في الفهارس أي تاريخ لوفاته وقد رجع إليه بعض الباحثين ولم يؤرخوا لوفاته ولم أقف له على تاريخ وفاة، ولكن يبدوا أنه ابن لأبن أبي عدسة أو (عُديسة) المحدث المشهور الذي توفي سنة ٤٢٦هـ فيرجح أنه عاش في القرن الخامس الهجري (انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ج٣/٣٧؛ والسمعاني، الأنساب ج٨/٤١٦).

٥- التاريخ الكبير، يبدأ بالسنة الأولى من الهجرة وينتهي إلى آخر الدولة الأموية، مصور ميكروفيلم، معهد المخطوطات العربية القاهرة تحت رقم ١٢٢ تاريخ والأصل في مكتبة قرة جلبي في اسطنبول رقم ٢٥٩ والكتاب بخط المؤلف.

ابن قدمة: عبدالله بن أحمد بن محمد الجماعيلي المقدسي الدمشقي (٥٤١-٦٢٠).

٦- منهاج القاصدين في فضائل الخلفاء الراشدين نسخة مصورة عن نسخة خطية بمكتبة عارف حكمت بالمدينة تاريخ النسخ ٨٣٩هـ ميكروفلم رقم ١٢٤٦، مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض.

مجهول:

٧- نصيحة الإمام علي، لمالك بن حرث في أمور الحكومة ورعاية المسلمين، رسالة مخطوطة في مكتبة أيا صوفيا باسطنبول تحت رقم ٢٩٠٨ تقع في ٢٦ ورقة، ٥٢ صفحة من الحجم الصغير.

مجهول:

٨- قطعة من تاريخ البلاد، سير عثمان بن عفان رضي الله عنه.

لعلها قطعة من مرآة الزمان لأبي المظفر سبط بن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ هـ، مخطوط رقم ٣٢٣٨، مكتبة أيا صوفيا اسطنبول، محفوظ في المكتبة السليمانية في اسطنبول حالياً عدد ٢١٧ ورقة (بدون تاريخ نسخ).

ب- المصادر المطبوعة:

القرآن الكريم.

السيد محمد علي الموحد

٩- تهذيب المقال في تنقيح الرجال للنجاشي أحمد بن علي المولود ٣٧٢هـ،

من كتاب "رجال الشيعة" بدون مكان أو تاريخ للطبع.

ابن الأثير: أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم ابن عبدالواحد (ت ٦٣٠هـ)

١٠- أسد الغابة، في معرفة الصحابة، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.

١١- الكامل في التاريخ ج٣،٢، دار صادر ودار بيروت، بيروت ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

الأزدي: محمد بن عبدالله (ت ٢٣١هـ).

١٢- تاريخ فتوح الشام، تحقيق عبدالمنعم عامر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ١٩٨٠م.

ابن الأزرق: أبي عبدالله (ت ٨٩٦هـ).

١٣- بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق د. علي سامي النشار الجزء الثاني، الجمهورية العراقية، وزارة الإعلام ١٩٧٨م.

الأزرقي: ابو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد (ت ٢٤٤هـ).

١٤- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملحس، دار الثقافة بمكة، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ.

ابن أعثم الكوفي: أبو محمد أحمد (ت ٣١٤هـ).

١٥- كتاب الفتوح ج١/٢/٤، الطبعة الأولى، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

البخاري: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (١٩٤ - ٢٥٦هـ).

١٦- صحيح البخاري، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا ١٩٧٩م (ثمانية أجزاء، أربعة مجلدات).

بدران: الشيخ عبدالقادر (ت ١٣٤٦هـ).

١٧- تهذيب تاريخ دمشق الكبير للحافظ المؤرخ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر المتوفي سنة ٥٧١هـ، الطبعة الثانية، دار السيرة، بيروت، ١٣٩٩هـ، ج ١-٧.

البغدادي: صفي الدين عبدالمؤمن عبدالحق (ت ٧٣٩هـ).

١٨- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع تحقيق علي محمد البجاوي الطبعة الأولى، دار إحياء ا لكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.

البلاذري: أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ).

١٩- أنساب الأشراق، القسم الثالث تحقيق عبدالعزيز الدوري، بيروت ١٣٩٨هـ، القسم الرابع، الجزء الأول تحقيق د. إحسان عباس. بيروت ١٤٠٠ هـ - ١٩٧٩م.

٢٠- فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٣٩٨هـ.

ابن تغري بردي: جمال الدين أبي المحاسن يوسف (٨١٣ - ٨٧٤هـ).

٢١- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج١.

وزار الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، د. ت.

التميمي: أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم (ت ٣٣٣هـ).

٢٢- كتاب المِحَن، تحقيق د. يحي وهيب الجبوري، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

ابن تيمية: تقي الدين أحمد (٦٦١ - ٧٢٨هـ).

٢٣- الحسبة في الإسلام تحقيق سيد بن محمد بن أبي سعده، الطبعة الأولى، دار الأرقم، الكويت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢٤- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، دار المعرفة بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٦٩م.

٢٥- منهـــاج الســـنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، القاهرة ١٣٢٢هـــ.

ابن جعفر: ابو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، (ت ٣٣٠ هــ).

٢٦- الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتحقيق د. محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد ١٩٨١م.

ابن جماعة: بدرالدين محمد بن إبراهيم بن سعدالله (ت ٧٣٣هــ).

٢٧- تحرير الأحكام بتدبير أهل الإسلام، تحقيق ودراسة د. فؤاد عبدالمنعم أحمد، الطبعة الثانية، رئاسة المحاكم الشرعية، قطر ١٤٠٧هـــ.

الجهشاري: أبي عبدالله محمد بن أسيد بن عبدالله (ت ٣٣١هــ).

٢٨- كتاب الوزراء والكتّاب، حققه ووضع فهارسه مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي، الطبعة الأولى، مطبعة الحلبي، القاهرة ١٣٥٧هــ/ ١٩٣٨م.

ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت ٥٩٧هــ).

٢٩- تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، مكتبة الآداب بمصر، بدون تاريخ.

٣٠- صفة الصفوة، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـــ.

٣١- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تحقيق د. زينب إبراهيم القاروط، دار الكتب العلمية، بيروت بدون تاريخ.

الجوهري: إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ تقريباً).

٣٢- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩ ج٦،٥،٢.

ابن أبي حاتم: أبو محمد عبدالرحمن بن محمد بن إدريس المندري التميمي الرازي (٣٢٧هـ).

٣٣- كتاب الجرح والتعديل، الطبعة الأولى دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م.

ابن حبيب: أبي جعفر بن حبيب بن أمية الهاشمي البغدادي، (ت ٢٤٥هـ).

٣٤- كتاب (المُحبَّر) تصحيح د. ايلزه ليختن شتيتز، دار الآفاق بيروت بدون تاريخ.

ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن علي المصري الشافعي (ت ٨٥٢هـ).

٣٥- الإصابة في تمييز الصحابة، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة مصر ١٣٢٨هـ.

٣٦- تهذيب التهذيب، حيدر أباد الهند ١٣٢٨هـ.

٣٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري، باعتناء محمد فؤاد عبدالباقي محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة.

ابن أبي الحديد: (ت ٦٥٦هـ).

٣٨- شرح نهج البلاغة، تحقيق حسن تميم. مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٤م.

الحميري: محمد بن عبدالمنعم (ت ٧٢٧ تقريباً).

٣٩- الروض المعطار في خبر الأقطار، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية

١٩٨٤م.

ابن حنبل: الإمام أبي عبدالله أحمد بن محمد (ت ٢٤١هـ).

٤٠- مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٩٨هـ.

ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨هـ).

٤١- تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

٤٢- المقدمة، دار العلم، بيروت ١٩٧٨م.

خليفة بن خياط: أبو عمر خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي (ت ٢٤٠ هـ).

٤٣- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة ودار القلم، بيروت ١٣٩٧هـ.

الدارقطني: علي بن عمر (ت ٣٨٥هـ).

٤٤- سنن الدارقطني، عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ.

الدرامي: أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي (ت ٢٥٥هـ).

٤٥- سنن الدارمي ج ١،٢، دار إحياء السنة النبوية.

أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي.

٤٦- سنن أبي داود، إعداد وتعليق عزت عبيد، الطبعة الأولى دار الحديث، حمص سوريا ١٣٩١.

الدولابي: أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد (ت ٣١٠).

٤٧- الكنى والأسماء، الطبعة الثانية، المكتبة الأثرية باكستان، بدون تاريخ.

الدينوري: أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٣هـ).

٤٨- الأخبار الطوال، تحقيق عبدالمنعم عامر، مراجعة د. جمال الدين الشيال، مكتبة المتنبي، بغداد، بدون تاريخ.

الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن (ت ٧٤٨هـ).

٤٩- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والإعلام، مكتبة القدس، القاهرة ١٣٦٨هـ.

٥٠- تجريد أسماء الصحابة، تصحيح صالحة عبدالحكيم شرف الدين، طبعة شرف الدين الكتبي وأولاده بومباي، الهند، ج١/١٣٨٩هـ، ج٢/١٣٩٠هـ.

٥١- سير أعلام النبلاء ج١ تحقيق حسين الأسد ج٢ تحقيق شعيب الأرنؤوط ج٣ تحقيق محمد نعيم العرقسوسي ومأمون صاغرجي، ج٤ تحقيق مأمون الصاغرجي، الاشراف العام على التحقيق وتخريج الأحاديث شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٢هـ.

٥٢- العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ.

ابن الرفعة الأنصاري: أبي العباس نجم الدين (ت ٧١٠هـ).

٥٣- الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان، تحقيق د. محمد أ حمد إسماعيل الخاروف، الطبعة الأولى، جامعة أم القرى مكة المكرمة ١٤٠٠هـ.

الزبيدي: أبو عبدالله المصعب بن المصعب (ت ٢٣٦هـ).

٥٤- نسب قريش، تحقيق ليفي بروفنسال، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٦م.

الزبيري: محمد مرتضى (١١٤٥ - ١٢٠٥هـ).

٥٥- تاج العروس من جواهر القاموس ١٠ أجزاء، دار مكتبة الحياة، بيروت بدون تاريخ.

ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع الهاشمي (ت ٢٣٠هـ).

٥٦- الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت بدون تاريخ.

ابن سلام: أبو عبيد القاسم (ت ٢٢٤هـ).

٥٧- كتاب الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، الطبعة الثانية، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

السمعاني: أبو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت ٥٦٢هـ).

٥٨- الأنساب، تحقيق وتعليق الأستاذ محمد عوامة، الطبعة الأولى نشر محمد أمين دمج بيروت ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

السهيلي: أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن أبي الحسن (ت ٥٨١هـ).

٥٩- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، تعليق وضبط طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة بدون تاريخ.

السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ).

٦٠- تاريخ الخلفاء، تحقيق محي الدين عبدالحميد، الطبعة الثالثة مكتبة المدني، القاهرة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.

الشافعي: الإمام أبي عبدالله محمد بن إدريس (ت ٢٦٤هـ).

٦١- الأم، دار الشعب، القاهرة ١٣٨٨هـ.

ابن شبه: أبوزيد عمر بن شبه النميري البصري (ت ٢٦٢هـ).

٦٢- كتاب تاريخ المدينة، تحقيق فهيم محمد شلتوت، نشر السيد حبيب

محمود أحمد، المدينة المنورة ١٣٩٣هـ ٤ أجزاء.

الشريف الرضي: محمد بن الحسين بن موسى (ت ٤٠٦هـ).

٦٣- نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.

الصولي: أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٦هـ).

٦٤- أدب الكاتب، تعليق وتصحيح محمد بهجه الأثري، نظر فيه محمود شكري الأولسي، المطبعة السلفية القاهرة ١٣٤١هـ.

الضبي الأسدي: سيف بن عمر الأسدي (ت ٢٠٠هـ).

٦٥- الفتنة ووقعة الجمل، رواية سيف بن عمر، جمع وتحقيق أحمد راتب عرموش، ط الأولى، دار النفائس، بيروت ١٩٧٢م - ١٣٩١هـ.

ابن طباطبا: محمد بن علي المعروف بابن الطقطقا (ت هـ).

٦٦- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ).

٦٧- تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبري، الطبعة الأولى، المطبعة الحسينية القاهرة، بدون تاريخ.

المحب الطبري: أبو جعفر أحمد بن عبدالله (ت ٦٩٤هـ).

٦٨- الرياض النضرة في مناقب العشرة، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م.

ابن عبدالحكم: أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله (ت ٢٥٧هـ).

٦٩- فتوح مصر و أخبارها، ليدن ١٩٢٠م.

ابن عبد ربه: أحمد بن محمد الأندلسي (٣٢٨هـ).

٧٠- العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، دار الفكر بيروت، بدون تاريخ.

ابن العربي: القاضي أبي بكر (٤٦٨ - ٥٤٣هـ).

٧١- العواصم من القواصم، في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، تحقيق محب الدين الخطيب مكتبة أسامة بن زيد، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

أبو هلال العسكري: الحسن بن عبدالله بن سهل (كان حياً سنة ٣٩٥هـ).

٧٢- كتاب الأوائل، القسم الأول والثاني، تحقيق و ليد قصاب ومحمد المصري، الطبعة الثانية، دار العلوم الرياض، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

ابن العماد الحنبلي: أبو الفلاح عبدالحي (ت ١٠٨٩هـ).

٧٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.

الفاسي: الإمام ابي الطيب التقي محمد بن أحمد الحسين الحسيني (٧٧٥ - ٨٣٢هـ).

٧٤- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، القاهرة، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م.

الفراء: أبو يعلي محمد بن الحسين الحنبلي (ت ٤٥٨هـ).

٧٥ - الأحكام السلطانية، تصحيح وتعليق محمد حامد الفقي، مكتبة أحمد بن نبهان، سروبايا أندونيسيا ١٣٩٤هـ.

الفيروز أبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب (٧٢٩ - ٨١٦هـ).

٧٦- القموس المحيط، الطبعة الثانية، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٧١هـ، ج٤،١.

ابن قتيبة الدينوري: أبي محمد عبدالله بن مسلم (٢١٣ - ٢٧٦هـ).

٧٧- الإمام والسياسة، (منسوب) تحقيق د. طه محمد المزيني، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة، بدون تاريخ.

٧٨- عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٨٣هـ.

فتوح الإسلام لبلاد العجم وخراسان (منسوب له) مطبعة المحروسة، القاهرة ١٣٠٩هـ.

٧٩- المعارف، تصحيح وتعليق محمد إسماعيل الصاوي، الطبعة الثانية دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٩٠هـ.

ابن قدامة المقدسي: موفق الدين عبدالله بن أحمد (ت ٦٢٠هـ).

٨٠- الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار، تحقيق د. علي نويهض، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

٨١- التبيين في أنساب القرشيين، تحقيق محمد نايف الدليمي، الطبعة الأولى، المجمع العلمي العراقي ١٤٠٢هـ.

القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ).

٨٢- صبح الأعشى في صناعة الانشاء، وزارة الثقافة والإرشاد القومي القاهرة، بدون تاريخ، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية.

ابن القيم الجوزيه: أبو عبدالله محمد بن أبي بكر (٦٩١ - ٧٥١).

٨٣- إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

٨٤- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤).

٨٥- البداية والنهاية، الطبعة الثالثة، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٨م.

الكلاعي الأندلسي: أبو الربيع سليمان بن موسى (ت ٦٣٤هـ).

٨٦- حروب الردة (وهو الجزء الخاص بحروب الردة من مخطوط الاكتفاقي مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء) تحقيق د. أحمد غنيم، الطبعة الأولى، دار الاتحاد العربي، القاهرة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

الكندي: أبو يوسف محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ).

٨٧- ولاة مصر، تحقيق د. حسين نصار، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

٨٨- كتاب الولاة والقضاة، تصحيح رفن كست، مكتبة المثنى بغداد، مصور عن طبعة مطبعة الأباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٨م.

المالقي الأندلسي: محمد بن يحيى بن أبي بكر الأشعري (٦٧٤ - ٧٤١هـ).

٨٩- التمهيد والبيان في فضل الشهيد عثمان، تحقيق محمد يوسف زايد، ط الأولى، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٤م.

الماوردي: أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ).

٩٠- الأحكام السلطانية، دار الفكر، بيروت بدون تاريخ.

٩١- نصيحة الملوك، تحقيق محمد خضر، الطبعة الأولى، مكتبة الفلاح، الكويت ١٤٠٣هـ.

المزي: جمال الدين أبي الحجاج (٦٥٤ - ٧٤٢هـ).

٩٢- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، قدم له عبدالعزيز رياح وأحمد يوسف

دقاق، الطبعة الأولى نسخة مصورة عن المخطوط بدار الكتب الوطنية، بالقاهرة، دار المأمون للتراث دمشق ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ).

٩٣- مروج الذهب ومعادن الجوهر، ترتيب وضبط يوسف أسعد داغر، الطبعة الثانية دار الأندلس، بيروت ١٩٧٣م/ ١٣٩٣هـ، ج٢.

مسلم: الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ).

٩٤- الجامع الصحيح (صحيح مسلم)، ٨ أجزاء في أربعة مجلدات دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ.

المقريزي: أحمد بن علي بن عبدالقادر تقي الدين أبو العباس (ت ٨٤٥هـ).

٩٥- الأبريزي، مطبعة التوفيق، القاهرة ١٨٩٨م.

٩٦- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري (٦٣٠ - ٧١١هـ).

٩٧- لسان العرب، دار صادر بيروت، بدون تاريخ.

المنقري: نصر بن مزاحم بن سيار (ت ٢١٢هـ).

٩٨- وقعة صفين، تحقيق عبدالسلام هارون، الطبعة الثانية، القاهرة ١٣٨٢هـ.

النويري: شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (٦٧٧ - ٧٣٣هـ).

٩٩- نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٦ الهيئة المصرية العامة للكتاب ج١٩، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، ج٢٠.

ابن هشام: أبو محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٨هـ).

١٠٠- السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي، أربعة أجزاء في مجلدين، دار الكنوز الأدبية، بيروت، بدون تاريخ.

وكيع: محمد بن خلف بن حيان (ت ٣٠٦هـ).

١٠١- أخبار القضاة، عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ.

اليافعي اليمني: عفيف الدين عبدالله بن أسعد (٦٩٨ - ٧٦٧هـ).

١٠٢- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، الجزء الأول من سنة ١-٢٠٣هـ، تحقيق عبدالله الجبوري، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبدالله (ت ٦٢٦هـ).

١٠٣- معجم البلدان خمسة أجزاء دار إحياء التراث العربي، بيروت بدون تاريخ.

اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت ٢٨٢هـ).

١٠٤- تاريخ اليعقوبي ج١، ٢، دار صادر ودار بيروت، بيروت ١٣٧٩ - ١٩٦٠م.

اليماني: تاج الدين عبدالباقي بن عبدالحميد (ت ٧٤٣هـ).

١٠٥- بهجة اليمن في تاريخ اليمن، تحقيق مصطفى حجازي تقديم إبراهيم الحضراني، الطبعة الأولى، مطبعة مخيمر، القاهرة ١٩٦٥.

أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ).

١٠٦- كتاب الخراج، نشره قصي محب الدين الخطيب، الطبعة الخامسة، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٩٦هـ.

المراجع:

اربري: آرثر.

١٠٧- شيراز مدينة الأولياء والشعراء، ترجمة د. سامي مكارم، مكتبة لبنان، بيروت، بدون تاريخ.

الأكوع الحولي: محمد بن علي.

١٠٨- الوثائق السياسية اليمنية من قبيل الإسلام إلى سنة ٣٣٢ جمع وتحقيق. الطبعة الأولى، دار الحرية بغداد، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

بارتولد: فاسيلي فلاديمير.

١٠٩- تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة حمزة طاهر، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.

الباشا: د. حسن.

١١٠- الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربيبة ج١، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٥، ج٣، القاهرة ١٩٦٦م.

باشميل: محمد أحمد.

١١١- العرب في الشـام قبل الإسلام، الطبعة الأولى دار الفكر بيروت ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

بتلر: الفرد. ج.

١١٢- فتح العرب لمصر، ترجمة محمد فريد أبو حديد بك، الطبعة الثانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

بخش: صلاح الدين خودا.

١١٣- حضارة الإسلام، ترجمة د. علي حسني الخربوطلي، دار الثقافة بيروت ١٩٧١م.

بخيت: د. عبدالحميد

١١٤- عصر الخلفاء الراشدين، التاريخ الديني والسياسي والحضاري، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر ١٩٦٧م.

برو: د. توفيق

١١٥- الدولة العربية الكبرى في صدر الإسلام والخلافة الأموية، دار القلم للتوزيع حلب ١٩٧٣م.

البلادري: عاتق غيث

١١٦- معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

بيغوليفسكيا: نينا فكتورفنا

١١٧- العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هشام المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

جب: هاملتون

١١٨- دراسات في حضارة الإسلام، تحرير ستاتفورد دنو، وليم بؤلك، ترجمة: د. إحسان عباس، د. محمد يوسف نجم، د. محمود زايد، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٧٩م.

الجندي: علي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ومحمد يوسف المحجوب.

١١٩- جمع وضبط وشرح سجع الحمام في حكم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٧م.

الحديثي: د. نزار عبداللطيف

١٢٠- أهل اليمن في صدر الإسلام دورهم واستقرارهم في الأمصار المؤسسة العربية للدراسات بيروت ١٩٧٨، ساعدت جامعة بغداد على طبعه.

حسين: د. طه

١٢١- الفتنة الكبرى -١- عثمان، دار المعارف بمصر ١٩٤٧م.

١٢٢- الفتنة الكبرى -٢- علي وبنوه، دار المعارف بمصر ١٩٦٦م.

حسيني: مولوى س. أ- ق

١٢٣- الإدارة العربية، ترجمة إبراهيم العدوي مراجعة عبدالعزيز عبدالحق، مكتبة الآداب، القاهرة بدون تاريخ وهو ترجمة كتاب:

Arab Administration by Mawlawi S.A.Q. Husaini

نشر باللغة الانجليزية لأول مرة في مدينة مدراس بالهند ١٩٤٩م.

حلمي: د. محمود

١٢٤- نظام الحكم الإسلامي مقارناً بالنظم المعاصرة، الطبعة الثالثة، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٥م.

حميد الله: محمد

١٢٥- الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، الطبعة الرابعة، دار النفائس، بيروت ١٤٠٣هـ.

الخربوطلي: د. علي حسني

١٢٦- الإسلام والخلافة، دار بيروت ١٩٦٩م بيروت.

الخشاب: د. يحيى.

١٢٧- تفسير اقدم نص عن النظم الفارسية قبل الإسلام، القاهرة، بدون تاريخ.

خطاب: محمود شيت.

١٢٨- عمر بن الخطاب الفاروق القائد، الطبعة الثانية، مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ.

خماش: نجده

١٢٩- الإدارة في العصر الأموي، دار الفكر دمشق ١٤٠٠هـ.

خميس: د. محمد عبدالمنعم

١٣٠- الإدارة في صدر الإسلام، دراسة مقارنة، جمهورية مصر العربية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

دحلان: إمام الحرمين السيد أحمد زيني (كان حياً سنة ١٣٠١هـ).

١٣١- "خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، القاهرة ١٣٠٥هـ.

ديرانية: أكرم رسلان.

١٣٢- الحكم والإدارة في الإسلام دراسة تحليلية مقارنة، الطبعة الأولى، دار الشروق، جدة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

رستم: د. أسد

١٣٣- الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، الطبعة الأولى، دار الكشوف، بيروت ١٩٥٦م، ج١.

رضا: محمد

١٣٤- الإمام علي بن أبي طالب، الطبعة الأولى مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م.

الرفاعي: أنور

١٣٥- النظم الإسلامية، دار الفكر -بيروت.

الريس: محمد ضياء الدين

١٣٦- النظريات السياسية الإسلامية، الطبعة السابعة، دار التراث القاهرة ١٩٧٩م.

الزبيدي: د. محمد حسين الزبيدي

١٣٧- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري، القاهرة، ١٩٧٠م.

زيدان: جرجي

١٣٨- العرب قبل الإسلام، مراجعة وتعليق د. حسين مؤنس، دار الهلال، القاهرة بدون تاريخ.

زيدان: د. عبدالكريم

١٣٩- نظام القضاء في الشريعة الإسلامية، الطبعة الأولى، بغداد ١٤٠٤هـ.

السالم: د. السيد عبدالعزيز

١٤٠- دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية بدون تاريخ.

السباعي: أحمد

١٤١- تاريخ مكة، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، الطبعة الرابعة، مطبوعات نادي مكة الثقافي، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

رنسمات: ستيفن

١٤٢- الحضارة البيزنطية، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد، مراجعة زكي علي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦١م.

السلومي: عبدالعزيز عبدالله

١٤٣- ديوان الجند نشأته وتطوره في الدولة الإسلامية حتى عصر المأمون، الطبعة الأولى، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة ١٤٠٦هـ.

الشمري: أبو معاوية هزاع عيد

١٤٤- المعجم الجغرافي لدول العالم، مطبعة التقدم، القاهرة ١٩٨١م.

الصالح: د. صبحي

١٤٥- الشروط العمرية، مجرد من كتاب أحكام أهل الذمة لابن القيم الجوزية، الطبعة الأولى دمشق ١٣٨١هـ.

١٤٦- النظم الإسلامية، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت، مايو ١٩٨٠م.

صقر: د. نادية حسني

١٤٧- الطائف في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، الطبعة الأولى، دار الشروق، جدة ١٤٠١هـ.

بدوي: عبداللطيف

١٤٨- الأحزاب السياسية في فجر الإسلام، الحزب الهاشمي والأموي، الطبعة الأولى ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م، مطبعة شبراء.

عبده: عيسى

١٤٩- النظم المالية في الإسلام، دراسات وقراءات مختارة، معهد الدراسات الإسلامية - الدقي- القاهرة ١٣٩٦ - ١٣٩٧هـ.

العبودي: محمد بن ناصر

١٥٠- المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (بلاد القصيم)، الطبعة الأولى دار اليمامية، الرياض ١٣٩٩هـ، ج٥،١.

العبيدي: د. عبدالجبار منسي

١٥١- الطائف ودور قبيلة ثقيف العربية، الطبعة الثانية، دار الرفاعي، الرياض ١٤٠٣هـ.

عثمان: د. محمد فتحي

١٥٢- من أصول الفكر السياسي (دراسة لحقوق الإنسان ولوضع رئاسة الدولة الإمامة في ضوء شريعة الإسلام وتراثه التاريخي والفقهي، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

العجلاني: د. منير

١٥٣- عبقرية الإسلام في أصول الحكم، بحث في تاريخ الحكم الإسلامي من عهد النبوة إلى آخر العهد الإسلامي، الطبعة الثانية، دار الكتاب الجديد ١٩٦٥م.

عرجون: صادق إبراهيم

١٥٤- عثمان بن عفان، الطبعة الأولى، مطبعة الاستقامة، القاهرة ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م.

العقاد: عباس محمود

١٥٥- عبقرية الإمام علي المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ.

علي: د. جواد

١٥٦- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت ومكتبة النهضة، بغداد ١٩٧٠م.

العلي: د. صالح أحمد

١٥٧- التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، الطبعة الثانية، دار الطليعة، بيروت ١٩٦٩م.

١٥٨- محاضرات في تاريخ العرب، الجزء الأولى الدولة العربية قبل الإسلام، تاريخ الطبع، ١٩٦٠م -بيروت.

علي: محمد كرد

١٥٩- الإدارة الإسلامية في عزب العرب، مطبعة مصر، القاهرة ١٩٣٤م.

علي: مراد محمد

١٦٠- الأساليب الإدارية في الإسلام، القاهرة.

عليان: د. شوكت محمد.

١٦١- السلطة القضائية في الإسلام ط١، الرياض ١٤٠٢هـ.

عمارة: د. محمد

١٦٢- الإسلام وفلسفة الحكم، الطبعة الثانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٩م.

عنان: محمد عبدالله

١٦٣- مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

العودة: سليمان بن حمد

١٦٤- عبدالله بن سباء وأثره في احداث الفتنة، الطبعة الأولى، دار طيبة، الرياض ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

فلهوزن: يوليوس

١٦٥- تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة د. محمد عبدالهادي أبو ريده، د. حسين مؤنس، الطبعة الثانية: دار الثقافة والتعليم، القاهرة ١٩٦٨م.

فيصل: د. شكري

١٦٦- المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، نشأتها، مقوماتها، تطورها اللغوي والأدبي، الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٣م.

حتي: د. فيليب

١٦٧- تاريخ العرب - مطول، ترجمة د. ادوارد جرجي، د. جبرائيل جبور، دار الكشاف، بيروت ١٩٤٩م، ج ١-٣.

القاسمي: ظافر

١٦٨- نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، الحياة الدستورية دار النفائس، بيروت ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

محمد: قطب إبراهيم

١٦٩- السياسة المالية لعثمان بن عفان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م.

قلعة جي: د. محمد رواس

١٧٠- موسوعة فقه عمر بن الخطاب، الطبعة الأولى، مكتبة الفلاح، الكويت ١٤٠١هـ.

الكتاني: عبدالحي بن عبدالكبير بن محمد الحسني الإدريس

١٧١- التراتيب الإدارية، أو نظام الحكومة كالنبوية، الرباط ١٣٤٦هـ.

كحالة: عمر رضا

١٧٢- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

كريستنسن: آرثر

١٧٣- إيران في عهد الساسانيين، ترجمة د. يحيى الخشاب، مراجعة

عبدالوهاب عزام، لجنة التأليف والترجمة وزارة التربية والتعليم، القاهرة ١٩٥٧م.

كمال: أحمد عال

١٧٤- الطريق إلى المدائن، الطبعة الأولى، دار النفائس، بيروت، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

لسترنج: كي

١٧٥- بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

لوبون: د. غوستاف

١٧٦- حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

المبارك: محمد

١٧٧- نظام الإسلام في الحكم والدولة، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت ١٣٩٥هـ - ١٩٧٤م.

محمصاني: د. صبحي

١٧٨- تراث الخلفاء الراشدين في الفقه والقضاء، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤م.

محمود: حسن سليمان

١٧٩- تاريخ اليمن السياسي في العصر الإسلامي، الطبعة الأولى، بغداد ١٩٦٩م.

المنجد: د. صلاح الدين

١٨٠- معجم أماكن الفتوح، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة ١٩٦٠م.

النجم: عبدالرحمن عبدالكريم

١٨١- البحرين في صدر الإسلام وأثرها في حركة الخوارج، دار الحرية، بغداد ١٩٧٣م.

نورمان: بتر

١٨٢- الامبراطورية البيزنطية، تعريب د. حسين مؤسن ومحمود يوسف زايد، القاهرة ١٩٥٠م.

هلال: د. إبراهيم إبراهيم

١٨٣- الإسلام وأصول الحكم عند الإمام علي رضي الله عنه (دراسة وتحليل لكتابه رضي الله عنه إلى الأشتر النخعي حينما ولاه حكم مصر) دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٩م.

ول ديورانت

١٨٤- قصة الحضارة، الجزء الثاني، المجلد الأول الشرق الأدنى، ترجمة محمد بدران، الدار الثقافية لجامعة الدول العربية، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٦١م.

الويسي: حسين بن علي

١٨٥- اليمن الكبرى (كتاب جغرافي جيولوجي تاريخي) مطبعة النهضة العربية بالقاهرة ١٩٦٢م).

اليوزبكي: د. توفيق سلطان

١٨٦- دراسات في النظم العربية والإسلامية - جامعة الموصل العراق ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

اليوسف: د. عبدالقادر

١٨٧- الإمبراطورية البيزنطية، بيروت ١٩٦٦م.

د- الدوريات والبحوث والرسائل الجامعية

أبيض: د. ملكه

١٨٨- الدور التربوي للمسجد الجامعة بدمشق من الفتح حتى عام ٨٦هـ، بحث منشور في مجلة (دراسات تاريخية) علمية فصلية تعني بالدراسات حول تاريخ العرب، تصدرها لجنة كتاب تاريخ العرب بجامعة دمشق، العدد السابق ربيع الأول ١٤٠٢هـ، كانون الثاني يناير ١٩٨٢م.

المحمادي: محمد جاسم

١٨٩- ولاية عبدالله بن عامر للبصرة واصلاحاته الاقتصادية فيها، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي، ا لعدد ٢١ بغداد ١٩٨٢م.

خريسات: د. محمد عبدالقادر

١٩٠- عمر بن الخطاب والولاة، مجلة المؤرخ العربي - الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العدد ا لخامس والعشرون ١٤٠٣هـ - ١٩٨٤م.

دعفوس: راضي

١٩١- اليمن في عهد الولاة تحقيق للفصول الخمسة الأولى من الكفاية والإعلام لأبي الحسن الخزرجي، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية الجامعة التونسية عدد ١٠٧- ١٠٨ مجلد لسنة ١٩٧٩م.

شيبة الحمد: محمد عبدالقادر

١٩٢- السياسة الإدارية في عهد عمر بن الخطاب، رسالة مقدمة لدرجة الماجستير إلى قسم السياسة الشرعية في المعهد العالي للقضاء، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العام الجامعي ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

الطريفي: ناصر بن عقيل بن جاسر

١٩٣- القضاء في عهد عمر بن الخطاب، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من كلية الشريعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض بدون تاريخ.

طه: د. عبدالوهاب ذنون

١٩٤- إدارة بلاد الشام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، العدد ١١٦، تشرين الثاني ١٩٨٦م.

عبدالرحيم: راضي عبدالله

١٩٥- النظام الإداري والحربي في الدولة العربية الإسلامية على عهد الخلفاء الراشدين رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم التاريخ، جامعة القاهرة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

العبيدي: د. عبدالجبار منسي

١٩٦- إدارة الأمصار الإسلامية ودور الثقفيين فيها، مجلة المؤرخ العربي الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب - بغداد- العدد السابع عشر، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

العميد: طاهر مظفر

١٩٧- تأسيس مدينة الكوفة، مجلة المؤرخ العربي - الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العربي - بغداد، العدد السادس.

الفاروقي: محمد يوسف

١٩٨- العرافة والنقابة مؤسستان اجتماعيتان مهمتان في العهد النبوي، تعريب سرداد رشيد حسين، مجلة الدراسات الإسلامية، إسلامية علمية تصدر كل شهرين تبحث في الدين والثقافة والتاريخ والآداب، يصدرها مجمع البحوث الإسلامية - الجامعة الإسلامية، إسلام أباد -باكستان- عدد مارس وأبريل

١٩٨٢م جمادان الأولى والآخرة ١٤٠٢هـ.

فهد: بدري محمد

١٩٩- الحياة السياسية والإدارية في العهد الراشدي، بحث مقدم إلى ندوة النظم الإسلامية في أبوظبي ١٤٠٥هـ، وقائع الندوة نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٧، ج١.

قزاز: وداد علي

٢٠٠- الدراهم المضروبة على الطراز الساساني للخلفاء الراشدين في المتحف العراقي، مجلة المسكوكات، مديرية الآثار العامة، بغداد الجزء (١) المجلد (١)، ١٩٦٩م.

القطان: مناع خليل

٢٠١- النظام القضائي في العهد النبوي وعهد الخلافة الراشدة بحث مقدم إلى ندوة النظم الإسلامية في أبوظبي ١٤٠٥هـ، وقائع الندوة نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٧هـ، ج١.

المعتصم: د. محمد

٢٠٢- المدينة الإسلامية وخصائصها، حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، العدد الثاني، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

مقبل: عبدالله عثمان علي

٢٠٣- قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رسالة ماجستير مقدمة إلى شعبة السياسة الشرعية بالمعهد العالي للقضاء، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، بدون تاريخ.

الملاح: هاشم يحيى

٢٠٤- مكانة الشورى في سياسة وإدارة الدولة الإسلامية في عهد الرسول

بحث مقدم إلى ندوة النظم الإسلامية المنعقدة في أبوظبي ١٤٠٥هـ، وقائع الندوة - نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٧هـ.

الملحم: محمد بن ناصر بن أحمد

٢٠٥- تاريخ البحرين في القرن الأول الهجري، بحث لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلام مقدم إلى قسم التاريخ بكلية العلوم الاجتماعية.بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، للعام الجامعي ١٤٠٤ - ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤ - ١٩٨٥م.

الفهـــارس

الموضـــــــــــــــــوع	رقم الصفحة

الموضــــــــــــــــــــوع	رقم الصفحة

الموضـــــــوع	رقم الصفحة

الموضـــــــــــــوع	رقم الصفحة

الموضـــــوع	رقم الصفحة